المفكر العربي

نحو ثورة فلسطينية جديدة

تأليف :

ناجي علوش

طبعة ثانية

دار الطليعة - بيروت

نحو

ثورة فلسطينية جديدة

ناجي علوش

نحو
ثورة فلسطينية جديدة

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

بيروت - ص.ب ١١١٨١٣

الطبعة الاولى
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

الطبعة الثانية
آب (اغسطس) ١٩٧٧

مقدمة

الطبعة الاولى

يضم هذا الكتاب دراسات ومقالات وملاحظات كتبت خلال خمس سنوات وان كان القسم الاعظم منها قد كتب في السنوات الثلاث الاخيرة . وقد نشر قسم منها ، ولم ينشر القسم الآخر . كما ان بعض ما نشر منها نشر بدون اسم ، او باسم مستعار . هذا علاوة عن ان ما نشر من هذه الدراسات والمقالات والملاحظات نشر في اوقات مختلفة وصحف متفرقة ، اذا وصلت بلدا فلا تصل آخر .

هذه الكتابات ليست كل كتاباتي عن القضية الفلسطينية ، خلال السنوات الخمس المذكورة ، اذ ان هناك كتابات ستصدر في كتاب آخر ، مثل دراساتي عن حرب حزيران ، وهناك كتب صدرت ، خلال هذه الفترة ، مثل : «الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها » .

اذكر هذه الحقيقة لان في المجموعة «فراغات» زمنية لم تغط . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فان الكتابات غير المنشورة هنا ، تلقي اضواء على مضمون هذا الكتاب ، وتغني كثيرا من الجوانب فيه .

والحقيقة انني قررت نشر هذا الكتاب ، لانه يطرح العديد من القضايا الهامة ، التي ما زالت القضايا الاساسية للثورة

الفلسطينية ، ولانه من جهة ثانية يمثل خط القتال ، ويكشف خط الاستسلام .

وبما ان المعركه ما زالت قائمه بين خط اسمرار الثورة وخط التصفية ، فان جمع هده الموضوعات ونشرها يساهم في المعركة الدائرة ، ويوضح ابعادها وقضاياها ، ويكشف بعض اسرارها ومعمياتها .

١٩ – ١٠ – ١٩٧٢ **ناجي علوش**

مقدمة الطبعة الثانية

صدر هذا الكتاب اول مرة أواخر سنة ١٩٧٢ . وكان حين ذاك يسعى الى كشف المخاطر المحيطة بالثورة الفلسطينية، ويطالب الثورة وجماهيرها بالعمل لتجديد نفسها . ولقد توالت الاحداث بعد ذلك ، وحدث للثورة الفلسطينية ما حدث . وهذا الجانب من الكتاب ما زال لازما ، لان المخاطر ما زالت محدقه ، ولان المنطق الذي يحكمها واحد لم يتغير ، وان كانت الامور اكثر وضوحا الان من ذي قبل . اما القسم الآخر الذي يتعلق بتجديد الثورة نفسها ، وبالدعوة الى ثورة فلسطينية جديدة ، فانه الان يعبر عن مسعى لاستباق الزمن .

ولذلك اعيد نشر الكتاب ، كما هو . لم أغير فيه غير بضع كلمات وبعض اخطاء مطبعية . وكان يجب ان يطبع قبل هذا التاريخ ، ولكن أحداث لبنان حالت دون ذلك .

نعم .. نحو ثورة فلسطينية جديدة ، لان القتال يجب ان يستمر والثورة يجب ان تندفع قدما مهما كانت الصعوبات، ولان هذه هي طريق الخروج من المأزق الخطر الحالي .

بيروت ٨–٧–١٩٧٧ ن. ع.

القسم الاول

المقاومة : وضعها الذاتي ومهماتها

المقاومة طريق التحرير الوحيد

« الافتتاحية لمجلة دراسات عربية
السنة الخامسة ، العدد ٤ ، شباط
١٩٦٩ » .

تقف الجماهير العربية اليوم امام تحديات مصيريـة كبرى ، اهمها في المرحلة الحاضرة ثلاثة :

١ ـ وجود دولة الاحتلال الصهيونى ، وغرورها المفرط ، بعد نصر حزيران خاصة . ويتجلى هذا الغرور المفرط في مظاهر عدة، بدأ بالتصريحات وتنتهي بالغارات على المدن والقـرى العربية . ولعل الحديث المستمر عن حرب رابعة ، وعن نصر مؤكد هــو المضمون العملي والتعبير الاكمل عن هذا الغرور المفرط .

٢ ـ ازدياد النشاط الدولي من اجل تسوية سلمية ، تفرض تصفية تامة للقضية الفلسطينية ، تتمثل بالاعتراف بالاحتـلال الصهيوني ، وبتكريس حدود «آمنة» ، وبضمان دولي لهــذه الحدود . ولقد كان المشروع السوفياتي هو آخر محاولات التسوية هــذه .

٣ ـ تطور حركة المقاومة الفلسطينية وازدياد مساندتها فــي

الوطن العربي ، نتيجة القناعة بأنها الطريق الوحيد للتحرير .

ولا بد لنا من الوقوف امام هذه التحديات لكشف بعض ملابساتها وأبعادها ، وبعض ما يترتب عليها .

فاذا ما نظرنا للتحدي الاول وجدنا ان الوجود الصهيوني والغرور الصهيوني ليسا منفصلين عن حالة التفكك والعمالة والتخاذل التي تسود السياسة العربية الرسمية ، وعن حالة غياب الجماهير على الصعيد الشعبي . فقوة اسرائيل وغرورها ناتجان عن تفكك العرب وعجزهم ، رسميا وشعبيا . ونتيجة هذا العجز تصبح اسرائيل الصغيرة بسكانها الذين لا يبلغون مليونين ونصف المليون ، وبتكوينها المصطنع وكل تناقضاتها ، وعلى الرغم من ضيق رقعتها، اقوى من الوطن العربي كله، بملايينه التي تنوف على المائة والعشرين (١) وبسعة ارضه، ووفرة امكانياته. . وليس غريبا في مثل هذا الوضع ان نجد حكومات عربية كبرى ، ترتعش امام قوة «اسرائيل» وجبروتها .

نحن هنا امام طرفين : الأول يستخدم قوته على الرغم من ضعفه الشديد نسبيا . والثاني ، لا يستخدم قوته ، على الرغم من ضخامتها . ونتيجة لهذه الحالة يفرض الاول الرعب على الثاني ، يحتل ارضه ويجليه ، ويحاول ان يفرض عليه الشروط السياسية التي يريد .

وبالطبع عندما نتحدث عن الطرف الاول : «اسرائيل» ، فمن الواجب الا ننسى انها لا تضرب بسيفها ، ولا تعتمد على قواها فحسب . واضح انها تضرب بسيف الامبريالية العالمية ، وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية ، وتعتمد على قواها . واذا كانت هذه الحقيقة صحيحة وواضحة ، فان زعماء «اسرائيل» ، من

---

١ ـ العدد الان حوالي مائة وخمسين مليونا .

اشكول الى دايان ، لم يفتئوا يؤكدونها منذ ازمة مضيق تيران حتى الآن . وتبيان هذه الحقيقة في هذا المجال ، ليس من قبيل الكشف ، وانما من قبيل وضع الامور في نصابها . ذلك ان اية معركة نخوضها مع «اسرائيل» ، ونحن لا نعرف سر قوتها وعوامل هذه القوة ستعود علينا بالشر الوبيل .

اذا عرفنا هاتين الحقيقتين : حقيقة ان ضعفنا ناتج عن عدم استخدامنا لقوتنا، وقوة العدو ناتجة عن استخدامه لقوته، وحقيقة ان «اسرائيل» لا تضرب بسيفها فحسب بل بسيف الامبريالية ايضا ، وجب علينا ان ننتقل الى السؤال التالي : هل نستطيع نحن مجابهة هذه القوى ؟

ان الجواب لا بد ان يكون بنعم . لا لاننا ننطلق من ايماننا بقضيتنا ، ومن عزمنا على الدفاع عن كرامتنا فحسب ، بل لان تجارب التاريخ القديم والحديث تدل دلالة قاطعة على ان الامة التي تهب للدفاع عن ارضها وحريتها ، وتحسن استخدام قواها لا بد من ان تنتصر .

صحيح ان هناك التكنيك والتكنولوجيا والعلم الحديث في جهة ، والجهل والبدائية والتخلف في جهة اخرى . ولكن تحليل القوى يدلنا على ان العوامل الاولى (التكنيك الخ ...) ليست عوامل تفوّق حاسمة . ذلك ان هناك مجموعة من العوامل التي تجعل من الممكن قلب ميزان القوى لمصلحة الجهلة والبدائيين والمتخلفين . ويمكن ايجاز هذه العوامل فيما يلي :

اولا : تعبئة جماهيرية واسعة، تستفيد من كل القوى الشعبية استفادة تامة . وبينما تكون هذه التعبئة الشاملة عامل تشغيل وتحريك وتنظيم واحياء واعادة اعتبار لقوى عاطلة في المجتمع المتخلف ، فانها تكون عامل ارهاق اقتصادي واجتماعي وسياسي في مجتمع متقدم .

ثانيا : الاستفادة من المعسكر الاشتراكي ، ومن خلافات الدول

الامبريالية ، ومن تجارة الاسلحة الدولية في الحصول على الاسلحة الاكثر فعالية للحرب النظامية والحرب الشعبية ، وفي تأمين التأييد السياسي الشعبي والرسمي .

ثالثا : استخدام القوى الجماهيرية استخداما مناسبا وفعالا، اذ يجب ان تعبأ هذه القوى على اساس استراتيجية الحرب الطويلة المدى ، وتكتيكيا على اساس حرب العصابات ، والحرب المتحركة .

وبهذا فقط نضمن نمو قوى عسكرية وسياسية قادرة على مواجهة التحدي الصهيوني الامبريالي .

واذا ما تركنا التحدي الاول لنناقش التحدي الثاني ، وجدنا ان اي حديث عن تسوية سلمية ، لا ينطلق من حساب دقيق للقوى في المنطقة ، ومن اعتبارات مصالحها القومية الماضية والحاضره والمقبلة ، ولا ينطلق من اعتبارات تكتيكية تستهدف المناورة واعداد القوى ليوم منشود ، بل ينطلق من محاولة تكريس « واقع » موجود ، وان كان قائما على العدوان ، ويتضمن عدوانا دائما ، حاضرا او مقبلا ، ويستهدف فرض رقابة دولية على المنطقة ، في غير مصلحتها .

ولعل اهم ما يفضح الاسس التي تقوم عليها محاولة التسوية، هذه : ١ـ انها محاولة لا تهتم باعتبارات المصلحة القومية لشعبنا، وباعتبارات العدل الحقيقي والسلم الحقيقي ، ٢ـ انها محاولة تتجاهل رغبة الجماهير العربية وارادتها .

وما دامت الجماهير تريد الحرب والمقاومة ، فمن السخف الحديث عن السلم والتسوية ، حتى لو انتصر العدو مرات ، وهزمت الحكومات والجيوش مرات ، وكانت خائفة من الحرب او مترددة وعاجزة . ولو كانت الجماهير الروسية سنة ١٩١٧ ـ ١٩١٨ ، مستعدة نفسيا للاستمرار في الحرب ، لما قبل لينين عقد معاهدة برست ليتوفسك ، مع ان عقد هذه المعاهدة كان تكتيكا

ذكيا ، يقف وراءه حزب ثوري وقائد ثوري ، على نقيض التسوية السلمية المقترحة هنا .

ونحن مع احترامنا للاصدقـــاء السوفيات ، ولمساعداتهم ، وللاعتبارات التي تحذوهم للمطالبة بتسوية سلمية في المنطقة ، فاننا نعتقد ان محاولتهم «السلمية» لن تكون في النهاية الا فـــي مصلحة وجود «الاحتلال الصهيوني»، لان مشروع التسوية السلمية يتضمن ما يلي :

اولا : اعادة القضية الى الامم المتحدة ، والى مجلس الامـــن والى الدول الكبرى . وهذا يعيدنا الى الدوامة من جديد ، ويخرج مصيرنا من ايدينا ، ولا يعود علينا بشروى نقير . فنحن نعرف الامم المتحدة جيدا ، والقوى التي تتحكم بها . ولقد جربنا الامم المتحدة عشرين عاما ، فلم نر فيها محقا لحق ، او رادعا لعدوان . ومنذ سنة ١٩٤٧ والامم المتحدة تلعب دور القابلة القانونيه لمأساتنـــا المتجددة ، ولا نقبل لهذا الوضع ان يستمر . وليس هنالك مـــا يدل على ان الامم المتحدة ، القابلة القانونية لمأساتنا ، ولمآســـي شعوب اخرى ، كشعب الكونغو مثلا ، قد تغيرت او تغير ميزان القوى فيها (١) .

ثانيا : لان «التسوية السلمية» تعني سحق حركـــة المقاومة المسلحة في فلسطين ، وضرب روح المقاومة التي اخذت تأجج على الارض العربية . وبما ان حركة المقاومة والروح التي تأججت تجاوبا معها في الوطن العربي هي امل المنطقة العربية في الحرية الحقيقية ، والوحدة الحقيقية ، فان القبول بالتسوية يعني ضرب القوى الثورية ، قوى التقدم والسلام في بلادنا ، ما هو في مصلحة

---

١ ـ تغير ميزان القوى فيها من ذلك التاريخ نسبيا ، ولكن دور الولايات المتحدة الاميركية الدولي ظل رئيسيا .

قوى العبودنه والتخلف والظلام .

لهذا كله نصبح المقاومة المسلحة في فلسطين تحديا للحكومات العربية والجماهير العربية . انها تحدٍ لانها نضع الجميع امـــام مسؤوليانهم ، وتلزم الجميع بأن يختاروا بين الاستسلام والعبودية، وهذا يعنى ان بيروت كعمان كالقاهرة كبغداد ستكون مهـــددة بالاحتلال كل يوم ومطالبة كل يوم بالاستعداد لمجابهـــة العدوان ومقاومنه ، ولتقديم النضحيات المنرتبة على ذلك . وان اي تردد في دعم المقاومة ، او اي احجام عن تحمل اعبائها ، أو تقديـــم التضحيات المترتبة عليها ، سيقود الى هزائم ومآسٍ ومتاعب بلا حدود .

ومن الواضح ان الجماهير اختارت مساندة المقاومة المسلحة ، ولكن هذا الاختيار يلزمها بتنظيم نفسها وتعبئة قواها وحشد كل امكانياتها من اجل خدمة القضية الكبرى : قضية التحرير . وهذا ما يجب ان يتم بسرعة وبفعالية ، تتناسب مـــع تحرك العدو ، وقدرته على البطش والفتك والتدمير .

المقاومة طريق التحرير ،

ولا طريق غيرها .

وقفة بعد معركة أيلول مباشرة

« مشروع تقرير كتب في عمان ،
خلال النصف الاول من تشرين الاول
سنة ١٩٧٠ . ولكنه لم يناقش ولم
ينشر » .

خرجت الثورة الفلسطينية من معركة التصفية ظافرة . ولكن ظفرها في حرب الابادة الاولى[1] لا بد من ان يفتح عيوننا على الحقائق التالية :

اولا : ان حرب الابادة القادمة قريبة ، وانها قادمة على كل حال ، لان النظام في الاردن بات ، بعد المعركة الاخيرة ، اكثر خوفا من قوتنا واكثر تحسبا منها ، ولان الامبريالية العالمية تعمل الآن على « اخراج » حل سلمي ، ولا بد من تصفية الثورة الفلسطينية لتحقيق هذا الحل .

ثانيا : ان العدو الذي خبر قوتنا في حرب الابادة الاولى ، لا بد من ان يواجهنا باسلوب جديد في المرة القادمة ، يتلافى فيه كل اخطائه ، محاولا الاستفادة من اخطائنا ونقائصنا ونواقصنا .

ثالثا : ان العدو سيعمل على مواجهتنا في المستقبل مؤمنا ما

---

١ ــ كان واضحا لي انها الاولى .

يـلي :

أ ـ امكانية بشرية اكبر ، وهذا يعني ان عدد افـراد الجيش سيزيـد .

ب ـ امكانية مادية اكبر ، وهذا يعني ان حجم اسلحة الجيش سيزيد من حيث الكم .

د ـ تعبئة عسكرية اكثر حداثة ، وهـذا يعني ان دور الآليات والطائرات سيزيد ، كما يعني ان هنالك نية لاستخـدام الجيش بشكل اكثر مرونة يجعله قادرا على مواجهة قواتنا . ومما يتساع الآن ان نية الطغمة الحاكمة تتجه الى تحديث الجيش ، وتحويله الى جيش عصري آلي ، وتقسيمه الى وحدات صغيرة قادرة على الحركـة .

رابعا : أن العدو سيختار ظروفا عربية مناسبه تجعل امكانيات الضغط العربي الفعال غير متوافرة . وسيتيح له هـذا حريـة الحركة في حرب الابادة الثانية .

خامسا : ان العدو سيلجأ الى كل وسائل التضليل واساليبه، وسيستخدم كل وسائل الحرب النفسية ، وسيعمد الى تعبئـة جماعات من المضللين والحاقدين والخونة والمرتزقـة ، ليواجـه الجماهير بقوى من الجماهير .

ولذلك ، وبما أننا نضطلع بمسؤولية تاريخية كبيره ، هـي مسؤولية قيادة جماهيرنا على طريق النصر ، فانه لا بد لنا من ان نهتم اهتماما واعيا ومسؤولا بما يلي :

اولا : النقد والتقييم والمراقبة والمحاسبة

ان اية حركة ثورية تخشى النقد والتقييم ، ولا تولي المراقبة والمحاسبة ما يستحقان من اهتمام لا بد سائـرة الى هزيمـة ،

وسيعود هذا الى ما يلي :

١ ـ فقدان الشعور بالعداله . لان العضو الذي يحس بان قياداته تخشى النقد والتقييم . ولا تهتم بمراقبة الاعضاء ومحاسبتهم . سوف يفقد ايمانه بعدالة القضية التي يناضل من اجلها . واذا تمزق العضو . بسبب احساسه بفقدان العدالة داخل تنظيمه تحول الى عضو عاطل مشلول ممزق . وهنالك كثير من الاعضاء ممزقون وعاطلون او فاقدو الحماسة في حركتنا بسبب مثل هذا الشعور .

٢ ـ التكتل والتجنح . وفي اللحظة التي يبدأ الاعضاء فيها بالشعور بفقدان العداله يلجأ بعض منهم الى التكتل والتجنح . اما لان العضو يحس بانه لا يستطيع ان يصلح الا عن طريق الجماعة ، او لانه يحس بانه سيظل ضعيفا اذا ظل وحده .

٣ ـ الثرثرة والكولسة : ان الاعضاء الذين لا يرون تقييما واضحا وصريحا للامور ، ولا يلمسون ان هنالك مراقبة ومحاسبة تتسمان بالحزم والدقة، لا بد ان ينجهوا الى الثرثرة والى الكولسة، لانهم بذلك ينفسون عما في صدورهم ، ويقومون بالتقييم وبالنقد وبالمحاسبة والمراقبة التي لا تقوم بها قياداتهم ... ولانهم يقومون بذلك خارج دائرة الشرعية التنظيمية فانهم يحسون بأنهم يردون على خرق قياداتهم للشرعية التنظيمية .

والثرثرة والكولسة تقودان الى التكتل والتجنح ، وتترعرعان في ظلهما ، وهما من امراض الشيخوخة والعجز في الحركات الثورية . ومع ذلك فان علينا ان نعترف بأن الثرثرة والكولسة مرضان ما انفكا ينتشران في حركتنا .

٤ ـ نقص فعالية الاعضاء والمنظمات والاجهزة ، لشعور الاعضاء والمنظمات بأن الكسل كالنشاط والاستقامة كالانحراف والمثابرة كالتهاون والشجاعة كالجبن ، ولان الاعضاء المقصرين لا يحاسبون والاعضاء المجيدين لا يثنى على جهودهم ، ولا يتقدمون في السلم التنظيمي .

ان الروح السائدة في الحركة تبغض النقد وترفض التقييم وتجعل من المراقبة والمحاسبة مهزلة .
ولقد تملكت قياداتالحركة النظرة الابويه والنظره العشائرية.
وتتجسد النظرة الابوية في الآتي :
١ ــ النظرة المتعالية الى الاعضاء .
٢ ــ النظرة الواثقة المتبرئة من كل خطأ وكل تقصير .
٣ ــ اعتبار الآخرين بلا خبرة ولا معرفة على اساس ان الخبرة والمعرفة محصورتان في الذات القائدة .
٤ ــ احتقار الحوار والمناقشة وتسفيه وجهات نظر الآخرين ؛ وتقديس وجهات النظر الذاتية .
٥ ــ مواجهة التساؤلات بالنظرات الشزراء او بالصراخ والتهديد او بالابتسامات الساخرة .

وبما ان هذه هي صفات الابوة في المجتمعات المتخلفة . فلا يمكن ان تكون اساس التعامل في حركات التقدم . ان ابوة من هذا النوع لا يمكن ان تخرج الا ابناء اذلاء او ابناء مشاكسين عاقين . والحركة الثورية لا تستطيع ان تكون عائلة من الاذلاء والمشاكسين والعاقين .

ولذلك فلا بد من التخلص من هذه الروح اذا اردنا ان نقوم علاقات صحيحة بين القيادات والقواعد وبين القيادات فيما بينهما .

ولن يتم التخلص من هذه الروح الا بما يلي :
١ ــ اعتبار سلطة المؤتمرات فوق سلطة القيادات .
٢ ــ تشجيع النقد والتقييم وتعميم اسلوب المراقبة والمحاسبة
٣ ــ احترام وجهات نظر الآخرين ــ اعضاء وجماهير .
٤ ــ اعتماد الاقناع اسلوبا للتعامل والابتعاد عن كل الاساليب غير الثورية .
٥ ــ ادانة كل محاولة لتقديس الاشخاص او القيادات او الافكار واضفاء صفة العصمة او الاطلاق او الوحدانية ، عليهم

او عليهـــا .

وتجسدت النظرة العشائرية فيما يلي :

١ ـ عدم اعطاء الزمن الاهمية التي يستحقها .

٢ ـ الاهتمام بالمظهر دون الجوهر .

٣ ـ الاهتمام بالتفاصيل والانشغال بها عن القضايا الاساسيه .

٤ ـ تغليب الاهتمام بالكم على الكيف .

٥ ـ تحكيم الامزجه بدل العقول .

٦ ـ تحويل العلاقات التنظيمية الى علاقات شخصيه .

٧ ـ الخجل من المصارحه والمراقبه والمحاسبه .

٨ ـ الحساسية من النقد . واعتباره اساءه شخصيه مقصوده تستهدف الذات والمركز او الموقع .

٩ ـ الاتجاه الى العمل الفردي واحتقار اللجان والعمل الجماعي .

وهذه الروح لا يمكن التخلص منها الا باعتبار الثورة علما تقوم على التحليل . لا على المزاجيه . واعتبار الثوره صراعا تقوم على السابق ، واعتبار الثوره عملا تحتاج الى التخطيط والمراقبه المحاسبه . واعتبار الثورة قضيه جماهير وصنع جماهير ولذلك فهي تحتاج الى التخطيط الجماعي والمشاركه الجماعيه . واعتبار الثورة تطورا وتحولا وتقدما . ولذلك فهي بحاجه الى الحسم والحزم والتوجيه والمرونة وعدم الجمود او التحجر الخ.

ثانيا : مراجعة خطنا السياسي .

هل كان لنا خط سياسي في السنوات الماضية ؟

كانت لدينا مجموعة من الشعارات السياسية . ولكن هذه الشعارات لم تعط مدلولها ومضمونها استراتيجيا وتكتيكيا ، حتى

ان الميادين كانوا يخلطون عند شرحها او الحديث عنها . ومن الجدير بالذكر ان هذه القضية لم تحظ باهتمام احد ، ولم تصبح محور الحوار والنقد .

الخط السياسي بالنسبة للحركة الثورية هو روحها. وبمقدار ما يزداد وضوح خطها السياسي نزداد قوتها ويزداد التحام الناس بها . وبما ان الخط السياسي هو حصيلة الظروف الموضوعية والذاتية للحركة الوطنية ، فانه بحاجة دائما للمراجعة والتصحيح والتطوير . كما انه بحاجة دائما لان يعبر عن متطلبات المرحلة التاريخية وعن المتطلبات الآنية .

ان هذا يقتضى فهم المرحلة ووعي الشروط الذاتية والموضوعيه للحركة الوطنية . فاذا توافر هذا الفهم وهذا الوعي كان الوضوح وكان التحديد .

والوضوح والتحديد لازمان ، لانه بدونهما لا يمكن ان يكون ما يلي :

١ ــ تحقيق وحدة الحركة الوطنية ، اذ ان الغموض يقود الى التناقض والتناقض يقود الى التكتل والتجنح والانقسام .

٢ ــ تحقيق فعالية الاعضاء والمنظمات والاجهزة . لان عدم التحديد والوضوح يقود الى البلبلة وعدم القدرة على توجيه الجهد الرئيسي نحو الهدف الرئيسي ، واضاعة الجهود فى نشاطات ثانوية او غير ضرورية ، كما يقود الى الشلل احيانا ، لان شعور الاعضاء بانهم لا يعرفون ماذا يفعلون يجعلهم فريسة للضياع .

وفيما يتعلق بالخط السياسى فان هنالك قضايا أربعا تستحق الدراسة العاجلة :

اولها : قضية علاقتنا مع الجماهير . وهي قضية سوف نتحدث عنها في باب خاص بها ، فيما بعد (١) .

---

١ ــ لم يكتب هذا الفصل فيما بعد .

ثانيها : قضية الوحدة الوطنية . ان الوحدة الوطنية عامل اساسي من عوامل النصر . ولقد رفعنا هذا الشعار منذ البدء ، وعملنا من اجله . ولكن عملنا كان يصطدم دائما بثلاث عقبات :

١ ـ عدم الوضوح ، لاننا لم نكن نحدد ماذا نريد في هذا المجال . ولم نكن نعرف ماذا نريد . هل نريد تنسيقا يقود الى وحدة ، هل نريد وحدة كاملة ؟ وما الذي كان يفرض التنسيق او الوحدة وما الذي كان يعرقلهما ؟

٢ ـ الدعوة الى الوحدة دون تحديد برنامج عام لها ، او حتى دون تحديد أسس عامة وبديهية ، كما حدث عند اصدار الميثاق في ايار من هذا العام .

٣ ـ وجود اتجاهات داخل حركتنا ، وداخل المنظمات الاخرى يسلك خطا انعزاليا . ومثل هذه الاتجاهات في داخل حركتنا ما زالت تطالب بالخروج من منظمة التحرير ، وما زالت تتشنج عند الحديث عن المنظمات الاخرى .

وما زالت هذه العقبات تقف في طريقنا .

وما دامت قضية الوحدة تزداد الحاحا كل يوم فان علينا ان نعترف بأن تحقيق هذه الوحدة قد تأخر ، وبأن ما تم في هذا السبيل : خلق اللجنة المركزية وقرار توحيد القوات العسكرية ما زال اشبه بالحبر على الورق .

وهنالك الآن فرصة متاحة لعملية توحيد تامة يجب ان نسعى وراءها بكل ما أوتينا من قوة .

ولكن علينا اذا اردنا النجاح في هذه الخطوة ان نقوم بما يلي :

١ ـ تحديد برنامج واضح للوحدة (افضل ان يطرح بعد تحقيق الوحدة) .

٢ ـ تحديد هيكل تنظيمي مناسب (افضل ان يطرح بعد تحقيق الوحدة التنظيمية) .

٣ ـ مقاومة التيار الضيق الافق ، المتخلف داخل حركتنا ،

والذي يريد ان يحبط هذه المساعي .

٤ ــ العمل بكل ما أوتينا من قوة وبالسرعه الهائله لاتمام عمليه التوحيد دون افساح المجال للسفسطة والثرثرة ؛ على ان تضع الوحدة برنامجها السياسي وهيكلها التنظيمي (١) .

ولكن يجب ان يكون واضحا ان العمل من اجل الوحده يستلزم الاهتمام بوجهات نظر المنظمات الاخرى وتقبلها بكل احتـــرام او مناقشتها ونقدها باحترام . ولا يجوز لنا ان نفرض على الآخرين عناصر مما لا تسمح باحترامهم ولا نستطيع ان نلعب دورا في دفع عملية التوحيد الى الامام . بل تكون عاملا في عرقلتها وتأخيرها .

صحيح ان حركتنا اكبر المنظمات واقواها ؛ ولكن هذه الحقيقة لا تبيح لنا عملية تعال وتجاهل واستهتار بالآخرين ، ولا تبرر لنا ان نملي على الاخرين رغباتنا املاء ، او ان نعاملهم معاملة الشركاء الضعاف الصغار .

وهذا يعني ان عملية الوحدة يجب ان تتم في جــو ديمقراطي حقيقي ، يفسح المجال لتفاهم حقيقي ، ولا يتعارض هذا مع مـــا تفرضه قضية التوحيد من الحاح ، وما تحتاجه من حسم وبتر ؛ فالحسم والبتر يستخدمان في تصفية الاصوات الشاذة والعناصر الشاذة فقط .

اننا بانجاز مشروع الوحدة الذي بدأناه عمان نحقق ما يلي :

١ ــ وحدة كل قوى الثورة : وحدة الامكانيات البشرية والمادية والخبرات السياسية والعسكرية .

٢ ــ نقضي على اسباب المزايدة والمهاترة والمكابرة والبلبلة .

٣ ــ نحول بين الدول العربية وبين لعبة التــوازن والتنافس

---

١ ــ كتب هذا الفصل والوحدة الوطنية تتحقق ، بعد معركة ايلول مباشرة . ولقد تم تحقيقها في عمان دون ميثاق مكتوب . ولكن نتيجة احساس عامـــــر بضرورتها . ولقد قضي على هذه الوحدة بعد قليل من تحقيقها .

التي تلعبها في الساحة الفلسطينية .

ولما كانت حركتنا اكبر المنظمات واقواها فان دورها يصبح اخطر ومسؤولياتها تصبح اكبر ، وهي ستكون المحور الاساسي للوحدة بمقدار ما تناضل من اجلها ، وبمقدار ما تثبت جدارة بالقيادة ومقدرة على العمل وفعالية في مواجهة المهمات السياسية.

ثانيهما : قضية العلاقة مع الجماهير العربيه . لقد طرح خلال السنتين الماضيتين شعار « الجبهة المساندة » ، ولكننا لم نستطع خلال السنتين الماضيتين ان نخلق اية « جبهة مساندة » في اي بلد عربي، لا لاننا ناضلنا وفشلنا ، بل لاننا لم نحدد مفهوما واضحا للجبهة المساندة ، ولاننا لم نعمل ولم نبذل اي جهد لخلق مثل هذه الجبهة . وكنا في كثير من الاحيان نتذرع بحجة واهية هي أن اية صلة نقيمها مع الجماهير سوف تقود الى صدامات مع الحكومات .

وعلى الرغم من ان الانظمة العربية سوف لا تتسامح معنا ، اذا لمست أننا نبني جبهة مساندة حقيقية ، فان علينا ان نعمل . وعلينا ان نعمل دائما على مستويين :

الاول : رسمي

والثاني : شعبي

ولا بد لنا على الصعيد الرسمي من اقامة علاقات حسنة ، ومن الاستفادة الى أبعد الحدود من امكانيات التعاون الرسمي . وعلينا ان نستخدم كل الوسائل الممكنة للضغط على الحكومات ، ولانتزاع المساعدات منها ، ولدفعها الى اتخاذ مواقف مؤيدة للثورة .

أما على الصعيد الشعبي فيمكننا ان نعمل على صعيدين : اولهما صعيد المنظمات الشعبية القائمة ، وذلك بوضع برامج للتعاون معها ، وبادراج قضيتنا ضمن برامجها ، وباقامة علاقات وثيقة مع قياداتها وكوادرها . وثانيهما صعيد العلاقات مع الجماهير عامة . وهنا لا بد لنا من خلق رأي عام مساند لنا ، ومن تجنيد شبكات للعمل ضمن مخططاتنا .

ولا بد لنا فى البلاد المجاورة للارض المحتلة ، وخاصة سورية ولبنان ، من العمل على خلق حركة شعبية مقاتلة الى جانبنا .

واذا كان ممكنا فيما يتعلق بسورية اقناع الحزب بالانتقال الى الحرب الشعبية ، فانه فيما يتعلق بلبنان لا بد من الاتجاه الى التعاون مع العناصر الوطنية لخلق مثل هذه الحركة الشعبية المقاتلة .

اننا ، في هذا الوقت الذي نتعرض فيه لحرب ابادة لا بد لنا من انجاز ما يلي :

اولا : خلق حركة شعبية واسعة النطاق ، منظمه ومعباة تقف الى جانبنا فى البلاد العربية ، وتوفر لنا الحماية السياسية والدعم المادي والمشاركة البشرية . ونجبر الانظمة القائمة فى كل بلد عربى على الوقوف الى جانبنا فى المعارك التي نخوضها .

ثانيا : خلق شبكات مناضلة تساعدنا على تحقيق هذه الاهداف .

ثالثا : تشكيل جيش من المتطوعين العرب يقاتل الى جانبنا ، ذلك لان زيادة حجم قواتنا المقاتلة لا يزيد فعاليتنا في الارض المحتلة فحسب ، بل يجعلنا أقدر على مجابهة اعدائنا الداخليين .

ولسوف نجعل قضيتنا قضية كل قرية عربية ، وكل حى عربي ، عندما يقاتل الى جانبنا مقاتلون عرب ، من كل قطر عربي .

واذا كان من الضروري ان تظل الثورة فلسطينية تكتيكا ، فانه لا بد من تعريبها استراتيجيا باشراك الجماهير العربية في القتال .

ان العجز الذي ظهر في هذا المجال خلال السنوات الماضية لا بد من تلافيه عن طريق :

١ ــ اختيار ممثلين أكفاء وتعيين لجان اقاليم قادرة وكفؤة .

٢ ــ تحديد مدلول الجبهة المساندة والغرض من وجودها وتعميم ذلك على اللجان القيادية فى كل الاقاليم .

٣ ــ مراقبة تطور علاقاتنا وعملنا فى كل الاقطار العربية ومحاسبة المقصرين والفاشلين .

ويجب ان يمنع من العمل في البلاد العربية كل الذين لا يؤمنون بهذا الخط ، وكل ذوي النظرة الفلسطينية الضيقة المتخلفة ، وكل الذين لا يستطيعون انتزاع احترام الاوساط الوطنية والاوساط المثقفة .

الثورة الفلسطينية امام التحديات الكبرى

« مقالة كتبت في كانـــون الاول سنة ١٩٧٠ ، من اجل مواجهة عملية التصفية التي كانت جارية فـــي الاردن . ونشرت في مجلة دراسات عربية ، السنة السابعة ، العــــدد الثالث » .

من الجدير بالملاحظة ان الثورة الفلسطينية نشأت ونمت في وقت كانت فيه حركة الجماهير العربية تتراجع. فاذا كانتاواخر الخمسينات هي نقطة البدء بالنسبة للثورة الفلسطينية ، فان هذه الفترة بالذات ، هي نقطة التراجع بالنسبة للجماهير العربية .

وعندما بدات الثورة الفلسطينية عملياتها العسكرية، في اليوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ كانت حركة الجماهير العربية قد بعثرت واخمدت مؤقتا ...

وكان تراجع حركة الجماهير العربية على الخارطة السياسيـــة في العالم الثالث جزءا من تراجع عام شهدته هذه البلدان . فعلى الرغم من انتصارات الثورة الكوبية ، والثورة الفياتنامية ، اخـــذت

كل القوى الوطنية في العالم الثالث تتراجع : في امريكا اللاتينية ضربت كل التحركات الثوريـــة وسحقت ، في افريقيـــا ضربت التحركات الثورية واسقطت الانظمة شبه التقدمية (غانا ، مالي ، الخ) ، في آسيا ، ضربت التحركات الثورية واسقطت الانظمـة شبه التقدمية (اندونيسيا ، كمبوديا) . ويسود الان جو مـــن التراجع على مجمل الحركة الثورية، وانكانت تلك ظاهرة مؤقتة.

كان مقدرا للثورة الفلسطينية اذن ان تتقدم في عهد تتراجع فيه حركة التحرر العربية وحركة التحرر الوطني في العالم الثالث عموما . ولهذا السبب عينا اصبحت الثورة الفلسطينيـــة حلم الجماهير العربيه واملها ، واثارت الكثير من الاهتمام والتعاطف ، لا في العالم الثالث فحسب ، بل في العالم أجمع .

ولكن تقدم هذه الثورة سريعا ، وتطور قواهـا الضاربـــة ، والانتصارات التي حققتها في ميدان تعبئة الجماهير الفلسطينية ، واعداد القوى المسلحة وكسب المعارك من اجل الوجود وحريـــة الحركة (لبنان : نيسان واكتوبر سنة ١٩٦٩ ، الاردن ٤ — ١١ — ٦٨ و١٠—٢٢ و٧—٦ سنة ١٩٧٠) كان يثير في اوساط الدوائر الصهيونية والامبريالية وفيالدوائر الرجعية العربية اشد الخوف. ذلك ان نمو الحركة الجماهيريـة وانتشارهـا ، وتنامي التعاطف العربي الشعبي ، وتحول المعركة الى معركة جماهير مسلحـــة ، بازدياد قوى الميليشيا ، كان يضع الجماهير المقاتلة امام اعدائها ، وكان يحوّل المعركة من معركة فلسطينية ـ صهيونية محدودة الى معركة عربية شاملة ضد الصهيونية والامبريالية .

وبينما كانت الثورة تتقدم ، كانت هنالك مجموعة من العوامل التي ساعدتها على التقدم . ويمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلي:

اولا : كانت الدول المعنية بالحلول السلمية ، وعلى راسهـــا الاردن ، ترى في « المقاومة » وسيلة للضغط من اجل حل . وكان الحل المطلوب بالطبع هو « الحل السلمي » .

ثانيا : وكانت هذه الدول الخارجة من هزيمة حزيران مهزومة

ومدحورة لا تجرؤ على مواجهة « المقاومة » ، ما دامت المقاومة قد اصبحت حلما. وأملا دون ان نقدم هذه الدول للجماهير حلا يرضي بعضها . وكان هذا الحل مرهونا بموافقة « اسرائيل » والولايات المتحدة . واسرائيل والولايات المتحدة تريدان حلا آخر .

ثالثا : وكانت الصهيونية والامبريالية والدول المعنية ، رجعية وغير رجعية ، ترى ان المقاومة ليست المشكلة التي تخشى ، وان تصفيتها مرهونة بارادة السادة الصهيونيين والامبرياليين والرجعيين .

رابعا : وكانت المقاومة تحظى بتعاطف شعبي كبير وعظيم في كل البلاد العربية ، وفي اوساط العسكريين ، كما في اوساط المدنيين ، ولم يكن من السهل في مثل هذا الجو ان تغامر اية دولة بصدام دموي .

ولكن المقاومة تقدمت ، واخذت تشكل عبئا على الصهيونية في داخل الارض المحتلة ، وعلى الحدود ، كما اصبحت عبئا على الانظمة في الاردن ولبنان خاصة . وكانت هذه الانظمة تواجه ضغوطا مختلفة تمثلت فيما يلي :

أ ـ الهجمات الاسرائيلية على الحدود ، وقد هزت هذه الهجمات الانظمة المتداعية ، وسببت لها ارباكا وهلعا .

ب ـ الضغط الامريكي الذي اخذ يتزايد نتيجة تطور عمليات الثورة .

ج ـ الضغط الجماهيري ، الذي اخذ يزداد ، والذي اخذ يتحول الى شعور بضرورة الاستعداد للمواجهة ، والى ازدراء للانظمة المتهاوية واحتقار لسادتها وسدنتها .

د ـ ضغط المصالح ، هذه المصالح الطبقية التي اصبحت مهددة .

ومن هنا بدأ منذ بدء ١٩٦٩ الحديث عن تنفيذ قرار مجلس الامن . واخذ الامريكيون يلوحون للانظمة بأنهم عازمون على العمل من اجل تنفيذه ولكن مقابل ان تقف الحرب ، كل اشكال الحرب

اولا . وحتى يكون ضغطهم فعالا ، كانوا يلوحون ، ثم يقدمــــون للدولة الصهيونية المساعدات المالية والعسكرية .

وكانت «اسرائيل» في الوقت عينه تخوض المعركة على المحاور التاليه :

اولا : محور تصفية الثوره في الداخل وسحق قواعدهـــا في الخارج .

ثانيا : محور خلق تناقضات بين الثوره الفلسطينية والانظمــة والجماهير العربية عن طريق الاعتداءات المدروسة المستمرة .

ثالثا : محور رفض قبول اية تسوية سلمية لا تأتي عن طريق المفاوضات المباشرة .

رابعا : محور التهويل من خطر التفوق العربي على جبهة قناة السويس من اجل الحصول على المزيد من المســاعــدات الماليـــة والعسكرية .

وكانت تستهدف من كل ذلك (١) زيادة قوتهــا العسكريـــة (٢) دفع الانظمة العربية الى سحق حركة المقاومــة (٣) فـــرض الشروط التي تريد في اية تسوية مقبلة .

وازاء هذا كله بدات الانظمة العربية تعد لعملية تصفية. وكانت الصدامات الدامية في لبنان والاردن ، الا ان كل صدام من هــذه الصدامات كان يزيد الامبريالية والصهيونية والرجعية قناعة بخطر الثورة وقوتها .

وبعد الانتصار الذي حققته الثوره في لبنان ، على مؤامــــرة اكتوبر ــ نوفمبر ١٩٦٩ ، والانتصار الذي حققته على مؤامـــرة العاشر من شباط فى الاردن ، اخــذت الدوائـــر الامبرياليـــة ــ الصهيونية ــ الرجعية تعمل ليل نهار من اجل تصفية الثورة ، ومن اجل هذه الغاية جرى العمل ضمن الخطوط التالية :

اولا : قامت الولايات المتحدة بالاعلان عن اهتمامها وقلقهـــا لتطور الاوضاع فى « الشرق الاوسط » . وعلى اثر ذلك بــدات تظهر جولات سيسكو وتصريحات روجرز التي كان اهمها مشروعه

الخطر .

ثانيا : اخذت الولايات المتحدة تطرح ، في الوقت ذاته ، ضرورة الاهتمام براي الفلسطينيين ، وضرورة اعتبارهم عنصرا في اية تسوية .

وكان هدف الولايات المتحده اشعار الانظمة العربيه بانها تريد ان تبدأ جولة حاسمة في المنطقة ، كما كان هدفها اشعار قسم من الفلسطينيين بأن لهم مكانا على مائدة المفاوضات ، وفي اية تسوية مقبلة .

ثالثا : بدات السلطة في الاردن تهيء لضربه قاصمة فعمدت الى ما يلي :

أ ـ خلق الاجهزة الخاصة الضرورية للاجهاز على الثورة ، ومنها القوات الخاصة ، والاقسام الخاصة في المخابرات والاستخبارات العسكرية .

ب ـ زيادة عدد القوات العسكرية وزياده فعاليتها ، وكان ان كونت فرقة جديدة من البدو، بعد الغاء قانون التجنيد الاجباري، على اثر ازمة شباط .

جـ ـ اغراق البلد بحملات التشكيك والتشويه والتضليل واختلاق الاكاذيب حول المقاومة ورجالها .

د ـ الاسترسال في سياسة تقسيم الشعب الى اردني وفلسطيني ، والعمل بكل الوسائل من اجل تحقيق هذه الغاية ، حتى ان السلطة اخذت بتسليح الاردنيين في الاحياء والمناطق تسليحا واسع النطاق ، مستثنية الفلسطينيين ، الا فيما ندر .

هـ ـ العمل بكل الوسائل لخلق هوة ما بين الجيش الاردني والثورة .

رابعا : دفع الدول العربية للصدام مع الثورة الفلسطينية ، وكان مشروع روجرز الورقة الرابحة التي لعبتها الصهيونية والامبريالية الامريكية .

ولقد كانت الثورة مضطرة لخوض معركة ضد المشروع ، لانها

كانت تعلم ان الامبريالية والصهيونية تنويان ان تحققا في ظلــه تصفية الثورة الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية . وخوض معركة مع المشروع كان يعني صداما مع الذين وافقوا عليه .

وعلى الرغم من ان الثورة كانت ترى ان اي صـدام جانبي ، وخاصة مع الجمهورية العربية المتحده ، سوف يحقق للامبرياليـة وللصهيونية جزء من مآربهما ، الا ان الثورة كانت مجبرة عـلى خوض هذه المعركة لاحباط مشروع التصفية ، ودفاعا عن النفس امام مؤامره السحق الرهيبة .

وفي هذه الاثناء حدثت معركة ٧ ــ ٦ ــ ٧٠ في عمان ، وظهر للعيان المفعول السحري لمشروع روجرز ...

وهزمت المؤامرة في عمان ...

وبعد قليل انسحبت الدولة الغاصبة من المحادثات التي بدأت بعد موافقة اسرائيل ومصر والاردن على وقف اطلاق النار ، بحجة ان مصر قدمت مواقع مجموعة من الصواريخ على جبهة قناة السويس.

ولكن ماذا حدث ؟

لقد حدث على اثر ذلك ما يلي :

١ ــ قامت السلطة في الاردن بهجمتها الشرسة الوحشية على جماهير شعبنا .

٢ ــ قدمت الولايات المتحده صفقة اسلحة جديدة لاسرائيل..

٣ ــ وافقت اسرائيل على العودة الى محادثات السلام .

واتضح جليا من هذا كله ان المماطلة في الاستمرار بالمحادثات كانت تستهدف الانتظار : انتظار جولة السلطة في الاردن مـع الثوره ... انتظار ان يثبت النظام حسن نيته واستعداده للمضي في مسيرة التصفية .

وكانت صفقة الاسلحة الامريكية وسيلة للضغط على الانظمـة العربية من اجل الاندفاع في طريق تصفية الثـورة . وقضيـة الصواريخ على قناة السويس كانت الرمز فقط . فالصواريخ التي كان مطلوبا تفجيرها او تعطيلها او رفعها وابعادها هي قوى الثورة.

وتقف الثوره الان وجها لوجه امام التحديات الكبرى: تحديات الصهيونية والامبريالية وتحديات الانظمــه . فالنظـام في الاردن ووراءه، من وراءه من الانظمة العربيه، مستمر في عملية التصفية، وهو يعتبرها قضية مصيرية ، لا تقبل تاجيلا . ولذلك فانه يقوم بعمليات مدروسه تتلخص فيما يلي :

أ ــ السيطره على طرق المواصلات سيطره تامه . ولهذا خاض النظام معركة الرمثا ، ثم معركه جرش . ولهذا طالب بتجريد مخيم سوف من الاسلحة (يقع المخيم على مقربة من الطريــق الرئيسي بين جرش واربد) .

ب ــ السيطره على مدينه عمان والمدن الاخرى عــن طريــق احتلال مواقع متعدده واستراتيجيه في كل الجبال والاحياء تجعل السلطة قادرة على شل اي تحرك مضاد .

ج ــ توجيه ضربات جزئية فعاله وقاصمه . تتيح للسلطــــه كسب مواقع . وتحقق لها انتصارات معنويه دون ان يقود ذلــك الى صدام واسع ؛ وهي خطه تستهدف على المدى الطويل تحويل بقايا الثوره الى بقايا عاجزه ومشلولة لا تملك قدره على العمل او المواجهــة .

د ــ زياده قدره الجيش عن طريق زياده عدده وعن طريـــق تحويله الى جيش آلي . مقسم الى وحدات قادره على الحركـــه السريعة والضربات القاصمة (طبعا ضد الجماهير وليس ضـــد اسرائيل) .

ومع ذلك فان النظام في الاردن حريص على القيام بعمليـــه التصفيه هذه وهو يتظاهر بما يلي :

اولا : حرصه على عدم الانفراد بحل القضيــه الفلسطينيـــة وحرصه على اقامة علاقات وثيقة مع الدول العربيـــة عامـــة ؛ و ج.ع.م. خاصة .

ثانيا : حرصه على استمرار الثورة لتادية واجبها على خير ما يــرام .

وهنالك عاملان يسران تنفيذ هذه المؤامره .

الاول : كون اكثر الانظمة العربية موافقة على الحل «الاسلامي » . وكونها تحس الان بانها غير قادرة على الحرب . وغير قادره على المساهمه في الدفاع عن الثوره. ولقد كانت المبادره السوريه في احداث ايلول اكبر مما كنت انا شخصيا أتوقع .

الثاني . كون الحركه الجماهيريه العربيه في حالة انحسار . وكونها مكبوته ومخدره ومصرفه مؤقتا الى درجه ان احداثا مثل احداث ايلول في الاردن لم تحركها .

والثوره الفلسطينية تدرك هذه الحقيقه ...

انها تعرف ان الانظمة ستهب لمساعدتها بمقدار ما تستطيع الصمود . وهي تدرك ان الذي جعل وقف اطلاق النار ممكنا ليس مؤتمر القمه ، بل الصمود والثبات والقدره على المواجهه . ان الذين خططوا للمؤامره كانوا يعلمون ان الدول العربيه ستتداعى الى مؤتمر . ولكنهم كانوا واثقون انهم سينهون كل شيء قبل ان يستطيع المؤتمر الوصول الى قرار . وهذا واضح في امر العمليات السري الصادر عن القياده الاردنيه العليا . وهذا ما كانت تعرفه قياده الثوره .

ولعل تاخر الدعوه لمؤتمر قمة ، الى ما بعد اليوم الثالث من القتال ، واحباط مهمة النميري في المره الاولى ، كانا مخططين : وذلك من اجل اعطاء الفرصة للنظام الاردني لسحق الثوره .

والثورة في مثل هذه الحالة لا بد لها من التحرك على محاور مختلفة ، اهمها واولها :

١ ــ ان تقيم تجربة القتال خلال احداث ايلول وتجربه العمل خلال السنوات الماضية من اجل ان تكشف نقاط الضعف والقوة فيها ، ولكي تضع برامجها المقبلة على اساس تقييم علمي موضوعي لاوضاعها ولقواها .

٢ ــ ان تحدد برنامجها السياسي في المجالات التالية :

أ ــ علاقة الثورة بجماهيرها الفلسطينية .

ب ـ علاقتها بجماهيرها في الاردن .
جـ ـ علاقاتها بجماهيرها العربية

وفي هذه المجالات لا بد من الانتقال من العفوية الى التخطيط، ومن الارتجال الى الدراسة ، ومن التسيب الى التنظيم .

فلسطينيا : يجب ان نعبا كل الجماهير وتدرب وتسلح وتوضع قواها ضمن مخطط الثورة ، وان يجري التوسع الى الصيغة الاوثق في الوحدة . على اساس برنامج حد ادنى واضح ومحدد وتقدمي .

اردنيا : يجب ان توحد قوى الجماهير وطاقاتها ، وان تحرم السلطة من ابة فرصة تستغلها للدس والتفرقة .

عربيا : يجب ان يجري العمل لخلق الجبهات المسانده للقتال والمشاركة فيه ، العاملة على حماية الثورة وتصعيدها . وهذا لن يكون الا بخلق صيغة من صيغ التلاحم والعمل مع المنظمات الطلائعية في البلاد العربية ومع الجماهير الوطنية فيها .

واستراتيجيا : يجب ان يرفع شعار السلطة الوطنيـة في الاردن وان يجري النضال من اجله بقوة وحزم وعنف .

٣ ـ ان تعيد الثورة النظر فى بنيانها التنظيمي وفى استراتيجيتها العسكرية والسياسية ، بما يضمن :

أ ـ قدرة اكبر على الفعالية والحركة والمواجهة .

ب ـ تصعيدا للعمل التنظيمي والسياسى والعسكري وتطويرا للقوى في كل المجالات ...

فاذا ما استطاعت الثورة ان تتخلص من بعض عوامل قصورها الذاتى ، واستطاعت ان تمد الجسر فيما بينها وبين الجماهير العربية ، استطاعت ان تسير على طريق النصر .

ولكن هذا يحتاج الى ان تتحرك القوى الطلائعية والجماهير الوطنية في البلاد العربية للمساهمة في دحر عملية التصفية الجارية الان على قدم وساق . لان تصفية الحركة الوطنية الفلسطينية ضربة قاصمة لحركة التحرر الوطني العربية .

لنكن اوفياء لعهد قطعناه

افتتاحيه لمجله « الثوره الفلسطينية»، بمناسبه ذكرى انطلاقه الثورة كتبت في الوقت الذي كتب فيه المقاله السابقة ، ونشرت في العدد ٣١ ، الصادر في اول يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ .

اليوم تنقضي سنوات ست على بداية المسيره . واننا لا نضيف جديدا اذا قلنا بأن السنوات الست الماضية كانت سنوات مجيده ، سنوات انتصارات كبيرة ، ولكنها كانت سنوات شاقه وعسيره ايضا .

لقد عرف شعبنا خلال هذه السنوات الانتصارات بعد الهزائم ، وتنفس الحرية بعد سنوات قمع واضطهاد وكبت عجاف ، وأحس بالكرامة بعد سنوات من المذلة والهوان والخضوع رهيبة .

واذا كان شعبنا قد عرف هذا كله ، فلانه ناضل وقاتل ، ولانه ثابر وصابر، مقدما التضحيات الكبار على طريق التحرير والعودة.

وخلال السنوات الست الماضية أصبح الشعب الفلسطيني

طليعه الجماهير العربيه فى الكفاح من اجل التحرير . وبات القوة الاساسيه فى القتال . لا ضد الاحتلال الصهيوني فحسب . بل ضد مؤامرات التصفيه والاستسلام ايضا .

ومن هنا كانت المؤامرات منذ بدء المسيره تلاحق نضال شعبنا مستهدفه تصفيته وانهاءه. ذلك ان الدوله الصهيونيه كانت تجابه. ولاول مره حركه جديه تستهدف التحرير . وكان هذا يقلب كل مقاييسها السياسيه والعسكريه . وكانت الولايات المتحدة الاميركيه ، حاميه حمى الدوله الصهيونية الغاصبة ، وصاحبة المصالح الحياتيه فى الوطن العربى ، ترى في الحركة الجديده عامل تثوير للمنطقه وتوحيد لقواها المقاتلة الهائله . وهذا ما كان يجعلها تراقب تطورها باهتمام بالغ . وترمى بثقلها كله في معركه مجابهتها وتصفيتها . وكانت القوى المضاده العربيه . والقوى الخائفه من الحرب . المائله الى المهادنه ترى فى الحركة الجديده خطرا على « سيادتها » وقدرتها على التحرك . وكانت تفعل كل ما تستطيع من اجل سحقها سحقا ومحقها من الجذور .

التقت القوى الثلاث ، وكانت المؤامرة تلى المؤامرة ، والطعنة تلى الطعنه . ولكن هذه المؤامرات كانت تهزم الواحدة وراء الاخرى والطعنات كانت ترد الى صدور موجهيها . وما ذلك الا لان الثوره كانت تستند الى دعامتين :

الاولى : ايمان الجماهير . فلسطينيه وعربيه . وثقتها ومحبتها واستعدادها للدفاع عن الثوره وحمايتها وامدادها بكل وسائل الدعم والقوه .

الثانيه : اصرار الثوره على التمسك بمبادئها واصرارها على مقاومه كل قيد يوضع امامها . مستهدفا ضربها او تقييد حريـة حركتهـا .

وانطلاقا من هاتين الدعامتين استطاعت الثـوره ان تهـزم مؤامرة ٤ــ١١ــ١٩٦٨ ومؤامرات ١ــ٢ و٧ــ٦ سنة ١٩٧٠ في الاردن كما استطاعت هزيمةمؤامرة ٢ــ١١ــ٦٨ . ومؤامرات نيسان

وتشرين الاول في لبنان .

وكانت ثورتنا كلما خرجت بانتصار لفّت جماهير اوسع حولها، وزادت من ثقة الناس بها ، وارهبت القوى المعادية لها . ولهذا كان التحضير لمجزرة ايلول . ولقد استهدفت مجزرة ايلول ما يلى :

اولا : سحق قوى الثورة نهائيا، فى الاردن اولا، ثم فى لبنان.

ثانيا : تصفية الروح القتالية لدى الشعب الفلسطينى وسحق عزيمته الثورية وفرض المذلة والاستسلام عليه الى الابد .

ثالثا : تبديد المناخ الثوري الذي اخذ ينشأ ويتخمر من حول الثورة فى البلاد العربية وفرض جو من اليأس والهزيمة على الجماهير العربية .

رابعا : فرض الحلول الاستسلامية التى تريدها الدولة الغازية اسرائيل وحليفتها الامبريالية العالمية .

خامسا : تصفية القضية الفلسطينية الى الابد وانهاء حكاية الشعب المشرد بتشريد آخر .

ولقد قاتل شعبنا وقاتلت جماهيرنا المنظمة والمسلحة قتالا بطوليا لدحر المؤامرة وسحق المتآمرين . وفى سبيل ذلك دفع شعبنا التضحيات الكبار ، وتحمل من الالام والمصائب اكثر مما تحمل من قبل .

واستطاعت قوى الثورة ان تسيطر على مدن الشمال وان تمنع قوات السلطة من احتلال عمان .

وجاءت اتفاقية القاهرة بعد عشرة ايام من القتال الضاري ، مستهدفة ايقاف القتال ، وانهاء الصراع الدموي ، مؤكدة ضرورة استمرار الثورة وضرورة محافظتها على حرية الحركة .

ولكن السلطة التى عجزت عن ان تحقق ما تريده فى القتال تحاول اليوم ان تحقق عملية التصفية من خلال ما يلي :

اولا : بسط سيطرة السلطة وهيبتها بالدم والحديد والنار ، مستخدمة كل وسائل الارهاب والقمع الوحشية .

ثانيا : خوض معارك جزئية تؤدي الى احتلال مواقع هامة ،

تحرم الثورة من القدرة على الحركة وتضع البلاد كلها تحت رحمة السلطة .

ثالثا : تغطية عمليات السحق والتصفية بأكاذيب عن ضرورة استمرار المقاومة .

ان السلطة ماضية في عملية التصفية ، وهذا يفرض علينا ما يلي :

اولا : ان نهيىء انفسنا لعملية مجابهة ، وان نعيد النظر في مخططاتنا وبرامجنا وتنظيمنا على هذا الاساس .

ثانيا : ان نكشف المؤامرة ونفضح القائمين عليها ، طالبين من الجماهير العربية ان تشارك في المعركة التي نخوضها ضد مؤامرة التصفيه . واضعين الدول العربية امام مسؤولياتها التاريخية .

ثالثا : ان نعبىء جماهيرنا الفلسطينية تعبئة ثورية وان نعمل على تدريبها وتسليحها وتوعيتها لتزيد من مساهمتها في المعركة مع القوى المضادة .

رابعا : ان نتخلص من كل اخطائنا ونقائصنا لكي نكون التنظيم الاكثر فعالية وتماسكا والاكثر التصاقا بالجماهير والتحاما معها .

خامسا : ان نعمل من اجل تحقيق الوحدة الوطنية التي توحد جماهير الشعب الفلسطيني من جهة . والتي تضم كل فصائل الثورة ضمن خط واحد ، وعلى اساس برنامج موحد ، يلتزم به الجميع التزاما كاملا .

ومن هنا فان علينا ان نفي لشعبنا ما وعدنا به ؛ فنستمر في حمل الراية ؛ ونسير على طريق التحرير والعودة .

واننا لا بد قادرون على تجاوز هذه الازمة المعقدة ، ما دمنا مصممين على استمرار القتال ، وما دمنا عازمين على الاستفادة من دروس الماضي وعبره ، وقادرين على ان نطور كل يوم قدراتنا القتالية وخبراتنا النضالية ..

اليوم تبدأ سنة جديدة من حياة ثورتنا . وهي اذا كانت تبدأ وقوى الثورة المضادة ماضية في غيها ، فاننا واثقون ان جماهير

شعبنا التي اخرجت من الهزيمة نصرا ، ومن المذلة كرامة ، قادرة اليوم على ان تهزم اعداءها . ما دامت تملك السلاح والارادة والعزم على القتال . وما دامت تابى ان تعود الى ظلمات المذلة والهوان .

اليوم تبدا سنة جديده ،

وفي هذا اليوم تطالبنا جماهير شعبنا ببنادق جديدة وبمقاتلين جدد ، وبعمليات جديدة ، وبانتصارات جديدة ..

فلنكن عند حسن ظن شعبنا ..

ولنكن أوفياء لعهد قطعناه ..

نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية

« دراسة نقدية شاملة لحركة المقاومة ، كتبت ما بين ١٨ و٢١-١-١٩٧١ ، اي بعد بداية التراجعات في عمان . ونشرت في « دراسات عربية » و « الحرية » .

وتحلل هذه الدراسة، فيما تحلل، خطورة «جمع» اسلحة الميليشيا في الاردن ، مع انها صدرت في نفس الشهر الذي اتخذ فيه القرار .

١ ـ مدخل

خاضت الثورة في ايلول معركة بطولية . ولقد استطاعت قواتها من المقاتلين والميليشيا ان تصمد عشرة ايام صمودا بطوليا ، ضد هجمة وحشية بربرية شرسة استخدم فيها العدو كل امكانياته واسلحته ، وكل اساليبه التضليلية .

ولقد اثبتت الجماهير ، خلال المعركة وبعدها ، انها مع الثورة،

وانها مستعدة للقتال دفاعا عن انجازاتها ، ومستعدة للتضحية بكل شيء في سبيل احباط مؤامرات الامبريالية والسلطة الرجعية العميلة . ولا يقلل من اهمية هذه الحقيقة كون فئات من الجماهير قد صفت ضد الثورة ، او كون بعض المرتزقة والمضللين من ابناء شعبنا قد استخدموا سلاحهم ضد الثورة وقواتها .

ولكن الصمود الذي ابداه مقاتلونا والاصرار الذي أبدته جماهيرنا خلال القتال ، والتضحيات التي قدمها شعبنا دفاعا عن ثورته اخذت تتعرض بعد وقف القتال لخذلان وللمؤامرة . وقد استهدفت هذه المؤامرة ان تحقق بالمناورات السياسية والهجمات الصغيرة ما عجزت عن تحقيقه بالمواجهة والصدام الكبير . انها تستهدف : انهاء الطابع السياسي الجماهيري للثورة ، مقدمة لتحويلها الى ذيل تابع للانظمة العربية ، ومن ثم تصفيتها نهائيا عندما تحين الساعة .

كيف حدث ذلك ؟

ولماذا ؟

وكيف تستطيع الثورة أن تتجاوز مازقها ؟

هذا ما ساحاول الاجابة عليه .

٢ ـ الثورة واستراتيجية التعايش مع الانظمة .

منذ انطلقت الثورة ، يوم الاول من كانون الثاني سنة ١٩٦٥ ، رفعت شعارا واضحا لا لبس فيه : «عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية» . وظل هذا الشعار مرفوعا طيلة السنوات الست الماضية . وبينما كان بعضنا يظن انه تكتيك يستهدف حرمان الانظمة العربية من مبرر اضافي لضرب الثورة ، كان هنالك من يعتقد مخلصا وواثقا ان الانظمة العربية لن تتدخل في أمورنا ، ان لم نتدخل في أمورها .

وعلى هذا الاساس ، كانت الثورة تكسب مواقع جديدة في المخيمات والمدن والقرى وتبني القواعد الارتكازية على الحدود ، وتقيم المكاتب والمستودعات في المدن ، دون ان ترى في ذلك

«التراكم» السلطوي سببا لصدام مع الانظمة . ومع الايام نمت مظاهر هذه السلطة ، واصبحت الثورة تعتقل وتسجن وتعاقب ، وتتدخل في شؤون الازواج والايجارات ، وتتجاوز كل القوانين التي وضعتها الانظمة ، حتى انها الغت وظيفة اجهزة القمع في الاردن خلال عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ . ومع ذلك ، وعلى الرغم منه، ظلت بعض اوساط الثورة الفلسطينية تفكر بامكانية التعايش مع النظام ، وانعكس هذا في مواقفها بطريقتين :

الاولى : أ ــ عدم القيام بالتعبئة الشعبية اللازمة ، واتهام اية محاولات من هذا القبيل باستفزاز السلطات ، وافساد العلاقات.
ب ــ عدم القيام بالعمل لخلق التنظيم المتماسك الفعال ، وعلى النقيض من ذلك تشجيع لامركزية التنظيم والعمل على خلق «الاجهزة المتنافسة» وتشجيع التناقضات داخل كل جهاز .
جـ ــ عدم اعتبار الوحدة الوطنية مطلبا استراتيجيا ، واذا جرى الحديث عن الوحدة الوطنية نظريا ، كان مجمل العمل ، وكانت العقلية المهيمنة ضد الوحدة الوطنية . د ــ عدم ايلاء موضوع تسليح الجماهير وتدريبها اي اهتمام يذكر ، ومحاولة حرمان حتى الجماهير المنظمة من السلاح .

الثانية : اتخاذ موقف دفاعي من السلطة . اذا هاجمت السلطة ندافع ، اذا ضربت نضرب ، واذا توقفت نتوقف .

وكان ما حدث في ايلول : عدم المقدرة على الاطاحة بالنظام، وما حدث بعد ايلول : التراجع الاستراتيجي امام السلطة نتيجة حتمية لمثل هذه المواقف .

ان التعايش مع الانظمة ، ومع النظام في الاردن خاصة ، لا يجوز ان ينفصل عن استراتيجية الثورة ، وان يصبح استراتيجية بحد ذاته . لان شعار عدم التدخل هو شعار تكتيكي ، وهو شعار كان ممكنا تطبيقه ضمن ظروف تاريخية معينة ، ولاسباب ذاتية وموضوعية . ولقد كان رفع هذا الشعار في تلك الظروف ضروريا، ولكن تغير الظروف ، كان يستدعي تجاوز الشعار ، وفي الاردن

خاصة .

ما هو التطور الذي حصل ؟

ان التطور الذي حصل يتلخص فيما يلي :

اولا : زادت قوى الثورة المقاتلة ، على صعيد القواعد المقاتلة والميليشيا الشعبية زيادة كبيرة خلال سنة ١٩٧٠ خاصة . وكان تطور الميليشيا ، خلال هذا العام ، تسليحا وتدريبا تطورا جذريا هاما .

وكان لا بد ان يعكس مثل هذا التطور اثره في موقف العدوين: دولة الاحتلال الصهيوني ، ونظام الحكم الرجعي العميل في الاردن .

ثانيا : تطورت المنظمات الشعبية الجماهيرية : اتحادات العمال والطلاب والمراة والشبيبة والاشبال والزهرات تطورا كبيرا، واخذت تمارس عملا يوميا في اوساط الجماهير . وما كان يمكن لنظام مثل نظام الحكم الرجعي في الاردن ، وللمخابرات الامريكية ان تتجاهل مثل هذا الوضع .

ثالثا : الغى هذا التحول الدولة الاردنية واجهزتها القمعية ، وحتى المدنية ، وجعلها «بقايا نظام» ، وكان مثل هذا التحدي صاعقا بالنسبة للطغمة الحاكمة وحواشيها .

رابعا : في الوقت الذي كانت فيه بعض اوساط الثورة تتخذ موقفا دفاعيا ، كانت اوساط اخرى تتخذ موقفا هجوميا : لا سلطة فوق سلطة المقاومة ، كل السلطة للمقاومة وللجماهير المسلحة الخ. وكان هذا الموقف الهجومي من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية يلتقي مع عملية التوسع العسكري والتنظيمي والجماهيري التي تقوم بها حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) . ذلك ان فتح تلغي النظام استراتيجيا ، بالسيطرة على الشارع والمدينة والمخيم ، وبالغاء اجهزة القمع الخ، ولكنها تعلن انها تتخذ موقفا دفاعيا ، ولا تفتح النار اذا لم يفتح النظام النار . وهذا يعني ان فتح كانت تمارس : كل السلطة

للمقاومة، بينما كانت الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية تعلنان الشعارات . وبمقدار ما كان سلوك الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يثير النظام ويستفزه ، فان سلوك فتح كان يرعبه ويرهبه .

هل كانت «فتح» هادفة الى ذلك ؟

لم تكن في الواقع تخطط له ، وان كان فيها من يعمل له لوعيه بضرورته ، او من يعمل له بسبب المطامح والنزوع الى السلطة الذاتية . على الرغم من ذلك فاننا نستطيع ان نقول بأن ما حصل من نمو ومن «تراكم سلطوي» كان نتيجة طبيعية لنمو حركة سياسية . فالحركات السياسية لها منطقها ، والقوى السياسية تتسم بالنزوع نحو النمو والسيطرة والصراع مع القوى السياسية الاخرى .

ولكن هذا ما كانت «فتح» لا تدرك أبعاده جيدا . ولهذا فقد نمت نموا «بريا» في البدء ، ثم اخذت تتراجع تراجعا عشوائيا فيما بعد .

وكانت المنظمات الاخرى بالمقابل اكثر ادراكا لهذه الحقيقة ، ولكنها عجزت عن ان تكوّن الجهاز القائد والجماهير المؤيدة ، واطلقت من الشعارات ما لا قبل لها بتحقيقه ، وما يطرحها بديلا للسلطة في وقت هي فيه قاصرة وعاجزة .

وكان هذا التناقض ، بين واقع فتح وشعاراتها ، وبين فتح والمنظمات الاخرى ، وعلى رأسها الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يقود الى نوع من الشلل على صعيد الثورة الفلسطينية ، والى نوع من الفصام الثوري : شعارات مغالية ولغط سياسي وجلبة عملية ، ولكن دون خطة ودون انساق .

خامسا : اصبحت الثورة الفلسطينية ، بقواتها المقاتلة في الداخل وعلى الحدود ، وبقواها السياسية في البلاد العربية عقبة رئيسية امام الحل الاستسلامي . وفي الوقت عينه اصبحت

الانظمه ، وخاصة النظام الاردني والنظام اللبناني اكثر استعدادا من اي وقت مضى للموافقة على «الحل السلمي» . وبالاضافة الى ذلك باتت الاوساط الامريكية الحاكمة والاوساط الحاكمة في الكيان الصهيوني حريصة على انهاء «الجولة» باسرع ما يمكن نتيجة تخوفها من تطور حركة الثورة ونموها .

وكان هنالك عقبة كبيرة : قوى الثوره . هذه القوى التي تشكل شرارة القتال في هشيم المنطقة ، لانها لا تزعج العدو الصهيوني ولا ترهقه فحسب ، بل تضطره لممارسة الحرب على الحدود . وهذه الممارسة تدفع الجيوش العربية الى الرد ، وتنعش جو القتال في المنطقة . كما ان القوى الجماهيرية المنظمة والمسلحة تقف ثابتة وواعية أمام المشاريع الاستسلامية، ولعل منع سيسكو من زيارة الاردن ، وفضح مشروع روجرز اعطيا الدليل الكافي على ضروره استئصال هذه العقبة .

سادسا : وصلت بعض الانظمة الى قناعة بان تطور الثورة الفلسطينية ، اصبح يشكل خطرا على الوضع القائم في المنطقة . ولذلك فقد بدات تعمل كلّ باساليبها ، من اجل وضع حد لهذا التطور . بعضها عمل ما بوسعه لاقناع «فتح» بالتخلي عن المنظمات الاخرى ، وبعضهم حاول اقناع «فتح» بضرورة وحدة اداة الثورة الفلسطينية ، بقيادة «فتح» ، وبضرورة انهاء التشرذم والمزايدة باي شكل كان ، حتى ولو بالعنف . وسعى بعضهم لاقناع فتح بانها يمين ويسار ، وكان هناك من يشجع «اليمين» على «اليسار» ، ومن يطالب اليمين ببتر «اليسار» .

ولقد كان رد الفعل على الموقف الذي اتخذته الثورة من مشروع روجرز عصبيا وعنيفا ، وكان الرئيس عبد الناصر اكبر الغاضبين واكثرهم غضبا ، حتى انه قال لوفد اللجنة المركزية الذي قابله ، بعد المشاحنة الاعلامية التي انفجرت على اثر اعلان القاهرة موافقتها على مشروع روجرز ، واعلانها الموافقة على وقف اطلاق النار : «لقد طلب مني الملك حسين عشرة آلاف كلاشنكوف

فوافقـ على ذلك» .

لقد كانت هذه التطورات كلها جديره بان تؤخذ بعين الاعتبار، وأن يحسب لها الف حساب ، من وجهة نظر ان القوى السياسية تتصارع دون هوادة ، لاسيما اذا كان بينها تضارب في المصالح .

ولقد حانت ساعة الصراع بالنسبة للثورة الفلسطينية ، لان القوى المعادية ارادت ان تحسم ، وأن تنهي خطرا يلجم قدرتها على الحركة مؤقتا ، ويتهدد وجودها مستقبلا .

لقد انتهت مرحلة التعايش اذن ، وحتى تكون هنالك امكانية تعايش جديدة ، ومؤقتة ، كان لا بد ان يحدث تحول جديد في ميزان القوى . اي لا بد ان تنتصر حركة الثورة انتصارا جديدا ، لان الثورة فرضت التعايش فيما مضى بقوتها ، وبانتصاراتها المتلاحقة ، وبقوة جماهيرها ، فلسطينيا وعربيا : ولبس برضى الحكام وقناعتهم ، ولا بقبول كل الانظمة واستعدادها .

واذا عدنا الى الوراء ، وجدنا ان انتفاضة الجماهير ، مع عوامل اخرى ، هي التي حمتنا في ٤ـ١١ـ٦٨ ، وان مجابهتنا الفعالة في لبنان ، واندفاعنا الى المعركة بقوة ، هو الذي ، بالاضافة الى عوامل أخرى ايضا ، فرض التعايش المؤقت في لبنان . كما ان مبادرة ميليشيانا وصمودها في معركة ١٠ـ٢ـ٧٠ و٧ـ٦ـ٧٠ في الاردن ، هي التي فرضت التعايش حتى ايلول .

وكان لا بد كي يستمر هذا التعايش ، وكي نستطيع التقدم خطوة الى الامام ، من ان نكسب جولة جديدة . هذه الجولة هي اقامة سلطة وطنية في الاردن ، كخطوة لتحرير الاردن نهائيا .

وكان مثل هذا الانتصار يجعلنا أقدر على فرض التعايش مع الاعداء ، في الاردن وخارجه (١) ، وعلى تطوير المركة ، وزيادة التحامها بالجماهير الفلسطينية والعربية ، كما ان مثل هذا الانتصار كان سيجعلنا أقدر على توجيه مجمل السياسة العربية

---

١ ـ المقصود هنا القوى الرجعية العربية المعادية .

نحو خط القتال .

فاذا فشلنا ، كما حدث ، فليس امامنا الا ثلاث خيارات :

الاول : ان نستسلم ونزول ، وهذا وارد في منطق الصراعات السياسية بين القوى السياسية المتطاحنة .

الثاني : ان نتعايش ضمن استراتيجية الانظمة ، والنظام الاردني خاصة ، وهذا يعني ان نقبل بأن نصبحذيلا في استراتيجية اخرى . ومثل هذا يكون واردا بمقدار ما يكون النظام او الانظمة بحاجة الى ذلك . والخلافات التي تبدو حاليا ، بين بعض الدول العربية والاردن حول الموقف من الثورة الفلسطينية ، لا تعدو ان تكون خلافات حول هذه النقطة بالذات. فهناك من يريد بقايا قوى الثورة للضغط على العدو الصهيوني والولايات المتحدة في سبيل القبول بحل سلمي . اما النظام الاردني فهو يريد اكثر من ذلك : عملية تصفية نهائية ، وان كان يريدها خطوة خطوة . وما حدث منذ ايلول حتى الآن دليل على ما نقول .

فالتعايش ليس مرفوضا اطلاقا .

ولكن التعايش يجب ان يكون :

ا ــ مؤقتا اي ليس موقفا ثابتا .

ب ــ تكتيكا اي ليس استراتيجية .

جـ ــ يقظا : اي اننا نستعد لمواجهة العدو اذا هاجم ، ونعد لاضعافه باستمرار حتى اذا لم يهاجم .

ان التعايش المرفوض اطلاقا هو «التعايش الغبي» الذي يريد ان يقنع العدو الشرس بامكانية التعايش معه . التعايش المرفوض هو التعايش القائم على اساس امكانية تلاقي الضدين وتعانقهما ، في كل الظروف ، وعلى اساس حل الصراعات بين النقيضين حلا عشائريا . فليس في السياسة «وفاق ابدي» بمعزل عن المصالح والمطامح وتغير موازين القوى ، وبمعزل عن حاجة كل قوة الى امكانية البقاء اولا والتطور ثانيا والا اندثرت .

والتعايش ، بعد هذا ، وفوق هذا ، يحتاج الى ان يملك كل

فريق العوده التي يحمي بها نفسه . وفي حاله كحالتنا يحتاج الى الجماهير اولا ، والى الجماهير المنظمة ثانيـــا . والى الجماهير المنظمة والمسلحه ثالثا . وما دامت المعركة قد وصلت حد الصراع المسلح . فان السلاح ذو اهمية خاصة فيها .

٣ ـ التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي الداخل والخارج.

كان في العمل الفلسطيني اتجاهان رئيسيان فيما يتعلـــق بالنظرة الى التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي . وكان الاول، يعتبر ان العدو الرئيسي . التناقض الرئيسي هو العدو الصهيوني، وان ما عداه اعداء ثانويون . وكانت الرجعية العربية ، وقـــوى الثورة المضادة تعتبر من الاعداء الثانويين . وكان هنالك الاتجاه الآخر الذي يرى العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى الرجعية العربية . واحيانا انظمة البرجوازية الصغيرة ، العـــدو الرئيسي .

وكانت قضيه العدو الرئيسي والتناقض الرئيسي والاعـداء الثانويين والتناقضات الثانوية غير خاضعة للدراسة علمية . ولذلك فقد كان الاتجاه الاول : وعلى راسه عناصر قيادية في منظمـــة التحرير ، وقيادات كبيرة في حركتنا (فتح) ، يعتبر ان الاتجاه نحو العدو الرئيسي يقتضي وضع كل الامكانيات ضد العدو الصهيوني وعدم الانجرار الى معارك جانبية . بينما كان الاتجاه الثاني . وعلى راسه الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية يريـــد ان يخوض معركة ضد كل الاعداء مرة واحدة : ضد الصهيونيـــة والامبريالية والبرجوازية الكبيرة والكمبرادور والاقطاع والعشائريه والبرجوازية الصغيرة والاصلاحية والتحريفية الخ ...

وكان الاتجاه الاول انطلاقا من نظرية التعايش . وحرصا على عدم الانجرار الى معارك جانبية . يحرص على التركيز على اهمية العمل في الداخل ، ضد العدو الرئيسي. ولهذا حاول هذا الاتجاه ان يفصل ، وان يعزل عمليا بين ما هو فلسطيني وما هو عربي . ومن هنا اخذت التنظيمات الفلسطينية تنمو ، دون ان ينمو الى

جانبها اي تنظيم عربي ، حتى جبهة مساندة فعالة .

لماذا حصل ذلك ؟

لان القائمين على هذا الاتجاه كانوا يريدون ان يبرزوا «كيانا فلسطينيا» . وكانوا يحرصون على استقلاليته بشكل عام ، ولكنهم حتى وهم يقيمون هيكل هذا «الكيان» على اراض عربية كانوا يرفضون ان يروا العلاقة الحميمة بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . وكانوا يريدون ان يكون الفلسطيني مقاتلا والعربي مساندا ، وكانوا يريدون عربا مقاتلين تحت الراية الفلسطينية ، ولكنهم لم يدركوا اهمية ان يقاتل العرب تحت راية عربية ضد العدو الصهيوني .

نحن الفلسطينيين نقاتل في الداخل ضد العدو الرئيسي . واذا ما قاتلنا اكتسبنا احترام الجماهير ، فلسطينية وعربية ، وفرضنا احترامنا على الجميع ، شريطة الا نتدخل ، وشريطة ان يبقى كل طرف من الاطراف العربية الحاكمة راضيا .

ولكن ماذا لو منعنا هذا النظام او ذاك من ممارسة عملنا في الداخل ؟ ندافع عن انفسنا ، نقاتل . وماذا بعد ؟..!

وكان الاتجاه الثاني ، بالمقابل ، يدرك ابجدية الصراع ، ولكنه لم يكن يدرك علمه ولا يعرف جدَله . وكان يعبر عن ضعفه بالشعارات الكبيرة والمغامرات المثيرة . وكان مستعدا لافتعال المعارك والانجرار الى المزالق دون ان يتساءل الى اين . وبمقدار ما كان هذا الاتجاه واثقا من قوته ، كان موقنا بالتفاف الجماهير حوله ، وبهزال النظام الذي يحاربه .

وليس غريبا بعد هذا ان نجد مؤتمر الجبهة الشعبية الديمقراطية يتخذ قرارا بتنظيم انتفاضة في آب سنة ١٩٧٠ ، اي قبل المجزرة بشهر . ولكن استنادا الى اي القوى ؟ واعتمادا على ماذا ؟ هل كان الوضع ناضجا ؟ هل كانت السلطة متداعية ؟ هل كان الجيش مفككا ؟ هذا ما لم تجب عليه الجبهة الشعبية

الديمقراطيه بعد (١) .

وكان دعاة الاتجاه الاول يطرحون فلسطينيه الثوره نقيضـــا لعروبتها ، وحتى عندما كان يطرح شعار : ثورة فلسطينيه الوجه عربية العمق، فان هذا الشعار لم يكن يتحول الى واقع، وكان مما يقال ــوهذا ما قاله بعض دعاه هذا الاتجاه ، وبعد مجزره ايلول ــ الفلسطيني غير العربي . ونتيجه لهذه الفلسطينية القاصرة لــم تستطع الثورة ان تحو ل العلاقه مع مدها الجماهيري العربي الى علاقه يومية وفعالة .

وكان الاتجاه الآخر ، بالمقابل ، يحاول ان يحمّـــل الثورة الفلسطينية كل مَهمات الثورة العربية وكل مسؤولياتها ، ويحاول ان يضرب بسيفه الصغير هامات «الفراعنة الكبار» .

وهكذا كان : الداخل نقيض الخارج ، الفلسطيني نقيـــض العربي ، التناقض الرئيسي مقابل التناقض الثانوي ، ولم تكـن هنالك اية علاقة جدلية بين الداخل والخارج ، بين الفلسطيني والعربي ، بين الرئيسي والثانوي . وكانت الامور تبدو أحاديه ثابته مستقره . فالداخل لا يتفاعل مع الخارج ، والفلسطيني لا يتفاعل مع العربي ، والرئيسي لا يتفاعل مع الثانوي . ولقد كان عدم وعي هذه العلاقة الجدليه بين هذه المعطيات سببا رئيسيا في السياسة الجامدة او المغامرة ، «الدغرية» او المتذبذبة التـــي انتهجتها فصائل الثورة الفلسطينية .

وبدهي ان الداخل والخارج ساحة واحدة ، وانه اذا كان لا بد لاسباب تكتيكية من التركيز على الداخل لاسباب عديدة ، فهذا لا يعني ان الخارج ثانوي . فالخارج بالنسبة للثورات الحديثة هو مؤخرة الجبهة ، والمؤخرة لا تقل اهمية عن الجبهة . لقد نظـــم

---

١ ــ تقول مصادر الجبهة الديمقراطية بانهم اتخذوا قرارا بالاعداد لانتفاضة ، وهنالك فرق بين تنظيم الانتفاضة والاعداد لها وبين القيام بها .

ماو تسي تونغ «المسيرة الكبرى» لكي يصل الى منطقة يكون ظهره آمنا فيها ، وانشا الجزائريون معسكرات على الحدود في تونس ومراكش ليستطيعوا بناء القواعد الآمنه . وتلعب فياتنام الشمالية دورا اساسيا في تطوير ثوره فياتنام الجنوبية . ولهذا اعتبر المنظرون العسكريون ان وجود قواعد خارجية عامل اساسي من عوامل انتصار الثورات الحديثة (١) .

والخارج بالنسبة لنا هام جدا لسببين :

اولهما : لاننا لن نستطيع تحقيق الانتصار الكامل بمعركة الداخل وحدها ، لان عدد ابناء شعبنا في الداخل أقل من عدد المستعمرين الصهاينة ، ولأن وضع الداخل لا يساعد الآن على عمليات حرب تحرير شعبية ، وعلى بناء جيش شعبي كبير ، بل يساعد على عمليات تخريب وعمليات عصابات صغيرة ، ولانه لا يمكن تطوير قوات الداخل وتصعيد العمليات في الداخل دون الخارج.

ثانيهما : لان قسما كبيرا من ابناء شعبنا الفلسطيني هم مشردون في الخارج ، ولأن الخارج ايضا هو الجماهير العربية ، المعادية للصهيونية والامبريالية .

ومن هنا لا بد ان يلعب الخارج دورا اساسيا في عملية التحرير . وهذا يعني : ١ـ ان يوفر الخارج التدريب والتموين والذخائر ، ٢ـ ان يوفر قواعد آمنة ، ٣ـ ان ينشيء جيشا شعبيا واسع النطاق يستطيع اقامة تماس يومي مع الداخل ، يقوم بعمليات الاغارة المستمرة على الحدود ، وفي العمق، ويقيم سورا مسلحا حول العدو .

هكذا يجب ان نفهم العلاقة بين الداخل والخارج ، وهكذا يجب ان نعمل حتى لا نقتل الداخل والخارج معا .

ومن فهمنا لقضية الداخل والخارج يجب ان ينبع فهمنا لقضية

---

١ ـ بوفر، اندريه : مدخل الى الاستراتيجية الحديثة ، دار الطليعة .

الفلسطيني والعربي . وما دامت قضية فلسطين قضية عربية ، وما دامت الصهيونيه والامبرياليه تسعيان لالغاء الفلسطيني الثوري بالعربي الرجعي ، فانه لا بد من تعريب القضية نضاليا لانقاذها . والتعريب هنا يعني امرا واحدا : مساركه الجماهير العربيـــــه مشاركة حقيقيه في القتال لتحرير فلسطين ، وفي النضال لحماية الثوره . وهذا يستلزم ان نكون مع الجماهير العربية ، قبـــــل الحكومات العربيه ، وان نوثق العلاقة مع الجماهير اساسا ، وان نقيم مع الحكومات علاقات لا تشكل قيدا على تحركاتنا ، ولا تفرض على نشاطنا قيودا او حدودا .

وفيما يتعلق بالتناقض الرئيسي والتناقض الثانوي . فانه مع كون التناقض الرئيسي ، في قضيه كقضيتنا ، يبقى رئيسيا حتى يزول ، فان التناقضات الثانوية لا تظل على مستوى واحد من الخطورة . وهي تناقضات تصل خطورتها احيانا خطورة التناقض الرئيسي او تزيد . ومع ذلك فالنظـــــام الاردني من الاعـــــداء الاساسيين ومن معسكر العدو الرئيسي ، وهو مصمم علـــــى تصفيتنا الان ، ولهذا فان خطورته الان قد ازدادت الى الدرجة التي تعطل مسيرة الثورة . وفي مثل هذه الحالة لا بد ان يحسم التناقض معه .

٤ ـ فصائل منظمة التحرير :
وتشرذم الوحدة الوطنية .

عندما بدأت فتح الانطلاقة طرحت شعار : الوحدة على ارض المعركة . ثم تطور الشعار فاصبح : وحدة المقاتلين ، ثم اصبح : الوحدة الوطنية ، وتبدل ليصبح وحدة فصائل الثورة الفلسطينية. ومنذ اليوم الاول من سنة ١٩٦٥ حتى الآن مرت ست سنوات . ولكن الوحدة لم تتحقق .

وعلى الرغم من انشاء الكفاح المسلح ، ثم القيادة الموحدة ، تم

اللجنة المركزية ، فاننا نستطيع ان نقول بان ما تحقق شكلـــي وسطحي ، ولا يتعدى ان يكون جزءا يسيرا ممـــا كان يجب ان يتحقق .

لمـاذا ؟

نتيجة الاسباب التالية :

اولا : لان الوحده لا تتحقق الا على اساس برنامج واضـــح سياسي وعسكري وتنظيمي . ولم يكن هنالك استعداد لدى ايه منظمة لتطوير مثل هذا البرنامج . وكانت وجهات النظر التي تطرح احيانا هي وجهات نظر بعض الفصائل ، محاولة فرضها علـــى الجبهة . كانت العناصر اليمينية المتخلفة تريد ان تفرض تخلفها على الجبهة ، وترفض ان تقبل غيرها ، وكانت العناصر اليسارية المتخلفه ، ذات الممارسات الطفوليه وفوق اليسارية تريد ان تفرض طفولتها ويساريتها المفرطه على الجبهه ، ولا تستطيع ان نـــرى غيرها . واذا اصبحت هنالك امكانية للمجاملة ، بعد نشوء اللجنة المركزية في اوائل ايار سنة ١٩٧٠ ، اكبر من ذي قبل بين فصائل الثوره ، فان الواقع ظل كما هو .

ثانيا : لان الوحدة ، حتى تتحقق ، لا بد من ان تعتبر هدفا استراتيجيا ولا بد من ان يجري النضال في سبيلها على هـــذا الاساس . فاذا لم تعتبر هدفا استراتيجيا ، وضعت على الرف ، وكلما زاد الحديث عنها ، كلما ابتعدت منالا .

ولم تكن الوحدة الوطنية هدفا استراتيجيا ، بالنسبة لفصائل الثوره الفلسطينية ، بل كانت لعبة تكتيكية تناور بها فصيلة على اخرى ، وكتلة على أخرى .

ولهذا لم يجر النضال من اجلها . وكانت كل فصيلة تنتظر ان تحبط الفصيلة الاخرى مشروع الوحدة ، فاذا لم تجد الفصيلة الداعية او المؤيدة من يتولى القيام بهذه المهمة لم تتورع من ان تقوم بها بنفسها .

ولم يستطع اليمين المتخلف ، كما لم يستطع اليسار المتخلف،

ان ندرك اهمية الوحدة الوطنية استراتيجيا .

ثالثا : كانت هنالك ازدواجية بين الشعارات والممارسات . فالكل نظريا يدعو للوحدة ، ولكن لا احد يعمل من اجلها عمليا ، وكانت الممارسات دائما تقوم على اساس مصالح هذه او تلك من المنظمات ، وتنبثق من مطامح هذا او ذاك من القادة . وبدلا من ان تخضع هذه المصالح والمطامح لاستراتيجية الوحدة الوطنية خضعت الوحدة الوطنية لهما .

ولقد اضاعت الازدواجية بين الممارسات والشعارات قضية الوحدة الوطنية .

وكانت هنالك ازمة ثقة ، بسبب هذه الازدواجية . فما يقال في الجلسات غير ما يقال في الكواليس ، وما ينشر غير ما يضمر . وفوق هذا فما تقرره اللجان والمجالس غير قابل للتطبيق او التنفيذ .

رابعا : كانت اكثر الدول العربية ضد الوحدة الوطنية الحقيقية ، اما لان بعضها كان يشجع سياسة التوازن ، لمصلحة ابقاء القوة الفلسطينية مجزاة ومشتتة ، او لان بعضها كان يتبنى طرفا ، دون الاطراف الاخرى ، ويمده باسباب البقاء ، فيحس انه في غير حاجة الى الوحدة . وكان هنالك من يضغط ، كما ذكرنا ، في اتجاه اذابة الفصائل كلها ضمن اطار المنظمة او فتح . وكان الطرح الاخير يبرر نفسه بضرورة انهاء الشرذمة في الساحة الفلسطينية ، وتنقية العمل الفلسطيني من الشوائب ، وتصفيته من العقلية الحزبية والافكار الدخيلة .

وظلت فتح تتعرض لضغط هائل من اجل القيام بهذا الدور ، وكانت قبل ايلول ترفض ذلك باصرار ، فهل اصبحت بعد ايلول مستعدة له ؟ ان بعض التصريحات الاخيرة التي صدرت عن مسؤولين في فتح تأتي مؤكدة الاتجاه في هذا الطريق الذي كان يطرح نفسه باشكال مختلفة ، سرية وعلنية ، فيما مضى .

خامسا : كان هنالك اختلاف كبير حول موضوع الوحدة ،

واختلاف اكبر في اسلوب طرحها . وكان الحوار اشبه ما يكون «بحوار الطرشان» كل يغني على ليلاه . فبعضهم تعني الوحدة بالنسبة له وحدة الثورة مع الجماهير ، وطارحو هذا المفهوم من الذين لا يؤمنون بالجماهير ، وليس لديهم قليل او كثير من الروح الثورية . ولكن ما معنى وحدة الثورة مع الجماهير ، واية جماهير يقصدون ، وهل الثورة شيء والجماهير شيء آخر ؟ واين موقع المنظمات والاحزاب والآراء والاتجاهات في هذه الوحدة ؟ الجواب: لا منظمات ولا احزاب ولا آراء ولا اتجاهات ، هنالك فقط قضية التحرير والعودة من شاء فلينضم ، ومن لم يشأ عليه ان يقعد في بيته او ان يحسم امره .

وبالطبع فان مثل هذا الاتجاه المغلق الضيق الأفق يريد الغاء كل تناقضات الوضع الفلسطيني ، وكل ما اختمر فيه من آراء وافكار بجرة قلم ، وهو لا يقدر حقيقة اوضاع الثورة الفلسطينية، ولا يحسب ما سيجره مثل هذا الاتجاه على الثورة الفلسطينية . ومن الضروري ان نذكر ان فرانكو وتشان كاي تشك طرحا مثل هذه الآراء من قبل ، وواضح الى اين قادا بلديهما .

هذا الاتجاه تصفق له الانظمة العربية ، من عمان الى الرباط عبر الرياض ، لانه يحقق لها اهدافها ، ولانه يحسم الصراع في الساحة الفلسطينية لمصلحتها ، اذا ما قدّر له ان ينجح او يحول دون امتداد شرارة الثورة الفلسطينية الى الهشيم العربي .

وكان هنالك ، بالمقابل ، نقيضا لهذه النظرة الطبقية المغلقة التي تريد بها شرائح البرجوازية (كبيرة ومتوسطة وصغيرة) الاشد تخلفا تحقيق سيطرتها الكاملة ، نظرية طبقية مغلقة اخرى ، وهي نظرية شرائح اخرى من البرجوازية (صغيرة ومتوسطة وكبيرة) لا ترى الا البروليتاريا قوة مخلصة وشجاعة . وبما انها لم تكن ممثلة للبروليتاريا ، ولا لايديولوجيتها العلمية ، فانها كانت تحاول ان تجعل من التشدد الصبياني علما ، ومن «المراجل» الطفولية نضالا .

واصطدمت نظرة طبقية مغلقة ، تتفزز من سماع كلمة ماركسية مثلا ، او طبعه او نضال طبقي ، بنظره دوغمائيه جعلت من الطبقة اسطوره وميتولوجيا وتابو، وجعلتمن البروليتاريا مهزلة مضحكة مبكية ، ومن نظرينها سيركا يلغط فيه المهرجون .

وبين هاتين النظرتين المغلقتين راح الانتهازيون والمرتزقة يترنحون ذات اليمين وذات الشمال ، ويلعبون على كل الحبال .

سادسا : وكانت هنالك عقده المنظمات الكبرى والمنظمات الصغرى . المنظمات الكبرى تنظر باستخفاف الى المنظمات الصغرى. الجبهة الشعبيه تقول: نحن وفتح المنظمتان الرئيسيتان، اذا اتفقنا حلت مشكلة الثوره الفلسطينيه . واذا اباحت الجبهة الشعبية ان تعتبر نفسها منظمة كبرى ، فان «فتح» لا توافقها على ذلك ، فليس كبيرا الا فتح ، وما نبقى صغير . والمنظمات الصغيره لا ترى ان حجم المنظمات الكبيرة يجب ان يسمح لها بالغاء الآخرين، منطلقة من ان الصغير يكبر والكبير قابل لان يصغر ، ومن ان لثورات بالافكار وليست بالاعداد .

وكانت مشكلة «فتح» انها تعتبر نفسها ابا ، وتعتبر الآخرين «اولادا» . وكانت تنظر الى هؤلاء الاولاد نظرة الاب في المجتمعات المتخلفة الى «ابنائه الاشقياء» . فهي تريد ان تضبط افكارهم وتصرفاتهم ، وهي تعتبر نفسها مسؤولة مسؤولية كاملة ، وهي تعتبر ان من مسؤوليتها الا تسمح لهؤلاء الاولاد بان «يعبثوا» ، فاذا ما خرجوا عن اطار التفكير الذي تمارسه ، او قاموا بعمليات لا ترضى عنها ، اثاروا السخط الشديد والنقمة العارمة .

وكانت الجبهة الشعبية خاصة والديمقراطية والمنظمات الاخرى ، تريد ان تثبت انها في الساحة ، وانها كبيرة وفعالة وقادرة على ان تفعل ، وعلى ان تنافس ، ولذلك كانت تقوم «بالمغامرات» وتحاول كالصبيان في مرحلة معينة ، من ان تصطنع مظاهر الرجولة ، وتضرب بالعصي الكبيرة .

وكان طبيعيا ان يقود هذا الشعور بالنقص الى المهاترات

والمكابرات والمزايدات .
وكانت هذه المنظمات تأكيدا لاستقلاليتها ولتشخصيتها ، وفي محاولة للانتفاخ المادي والمعنوي تحرص على سلوك سياسة استقلالية انعزالية ، ردا على استقلالية الاب المتخلف ، وانتقاما منها .
ان عقدة الصغير والكبير في ميدان الثورة الفلسطينية لعبت نفس الدور الذي تلعبه في المجتمعات المتخلفه الآخذة في الانحلال: تشنج وجمود واحتقار من جهة ، واستقلالية وتفرد واغتراب من جهه اخرى .
ولم يستطع الكبير ، المعتد بسنه وخبرته وابوته ومكانته ، ان يلم ابناءه ، ولا استطاع الابناء «الاشقياء» الفرديون المتمردون الحالمون الواهمون ان يجدوا جسرا يجمعهم بأبيهم ، على الرغم من جلسات المجاملة العائلية ، والشجارات العائليه والترضيات العائلية .
سابعا : وكانت الممارسات الخاطئة ، بمختلف اشكالها : الفردية ، الارتجال ، ضيق الأفق ، احتقار وجهات نظر الآخرين، اللامبالاة ، الانغلاق والتقوقع ، العشائرية ، الخ ، تفسح المجال لكثير من الاشكالات ، وتؤدي الى تعقيد الامور الواضحة ، والى خلق حساسيات وحزازات ومواقف حدية .
لهذا كله واجهت الثورة مؤامرة السابع عشر من ايلول دون ان تكون قادرة على خلق قيادة موحدة تقود كل التنظيمات . وبدأ القتال ، دون ان تتمكن القيادات الموحدة التي عينت في اربد وجرش وغيرهما ، ودون ان تتمكن اللجنة المركزية في عمان ، من ان تجري تنسيقا بين القوى المختلفة .
وما حدث خلال القتال كان طبيعيا ، ولكنه كان أقرب الى التجمع العفوي ، منه الى الالتحام المنظم .
وحدثت بعد ايلول مباشرة وحدة ميليشية كاملة في عمان ، انطلقت من ايمان القواعد بضرورة الاستعداد للمعركة المقبلة سريعا،

ومن ضرورة انهاء التشرذم ، ومواجهة المؤامرة الشرسة بقـــوة موحدة . ولكن عقلية القيادات قتلت هذه الوحدة. اليمين المتخلف اعتبرها انتصارا لليسار ، واليسار الغر خاف ان تكون انتصارا لليمين . واخذ بعض القادة يحسبون اين سيكون مكانهم في هذه الوحدة ، وعلى هذا الاساس قرروا موقفهم منها .

وهكذا راينا من كانوا على المنابر ماويين اصبحوا خائفين على اصالة الثورة الفلسطينية من روح اليسار النجسة ، ومن كانـوا يقولون : وحدة كاملة تحت الرصاص والقنابل ، اصبحوا بعد ان توقف اطلاق النار ووصلوا دمشق او بيروت يقولون : لا بد من التريث .

وكان هنالك الماكرون الذين انتظروا ان يقول غيرهم : الوحدة بحاجة الى التريث والى الدراسة فصاحوا صيحة المنتصرين : المنظمات الاخرى لا تريد وحدة .

وكان هنالك في فتح من يقول : المنظمات الاخرى سقطت ، انتهت في معركة عمان . لم يبق منها شيء فعن اية وحـــدة يتحدثون ؟

وهكذا ما تزال فصائل منظمـــة التحرير شراذم الثـــورة الفلسطينية .

٥ ـ افكار حائرة وممارسات «قراقوشية» .

الازدواجية والفصام في مجالي الفكر والممارسة كانا ظاهرة واضحة وملموسة . وبمقدار ما كانت الافكار حالمـــة وواهمة وفضفاضة وقاصرة ، كانت الممارسات فظة وعليائية وعشوائيـة ومنفرة .

وكانت هذه الازدواجية تعود الى ما يلي :

اولا : كان الفكر حلية ستر ، وكان مجال مباهاة واستقطاب. وهذا ما كان يجعله يتلون حسب المناسبات والحاجات . ولم يكن

الفكر نتيجة قناعات عميقة ودراسات جادة .

ولهذا كان «الفكر» وسيلة من وسائل المزايدة والمهاترة . وكان هناك من يظن بانه يستطيع ان يناور بالافكار كما يناور في السياسة .

وما يروى عن نايف حواتمه ، انه في صيف سنة ١٩٦٩ استقبل مجموعة من الاوروبيين ، الماويين والتروتسكيين . وكان قسم منهم يتكلم الفرنسية وقسم يتكلم الانجليزية . واخذ نايف يتحدث والى جانبه مترجمان : احدهما للافرنسية والآخر للانجليزية . وكان يطلب من المترجم الانجليزي الا يترجم بعض المقاطع ومن المترجم الفرنسي الا يترجم مقاطع اخرى ، لانه كان يريد ان يرضي الطرفين في وقت معا ، وعندما خرجت المجموعة كانت كلها غاضبة . والسبب ان بعض من في المجموعة الانجليزية يفهم الفرنسية وبعض من في المجموعة الفرنسية يفهم الانجليزية(١).

ومورس مثل هذا اللعب بالفكر عن طريق اطلاق التعميمات والجمل الانشائية ، وعن طريق «التحليلات العشوائية»والمساجلات الانتقائية

ووصلت الامور ببعضهم ان يسف الى حد السفسطة ، وان يبالغ في احتقار عقل قرائه وسامعيه . وفي «فتح» مثلا حاول احد هؤلاء المسفسطين ان يرد على الماركسيين والمتمركسين فقرر ابتداع تصور نظري يفحم فيه المنظمات جميعا . ولم يمر طويل وقت حتى سمعنا بالنظرية الجديدة : هنالك من يهرب الى اليمين وهنالك من يهرب الى اليسار ، اما نحن فنهرب الى الامام .

---

١ ـ هذا ما رواه لي الاشخاص الذين حضروا الندوة . وقد رووه في اجتماع حضره نفر ليس بالقليل ..

وعليه فنحن لسنا يمينا ولا يسارا نحن التقدميين الجدد .

نحن اذن لا يمين ولا يسار ، نحن فوق اليمين واليسار ، ولكنا مع ذلك تقدميون جدد ، «والتقدميون الجدد» ليسوا مثل التقدميين عموما ، لان التقدميين من اليسار ونحن لسنا منه . ولكن كيف نكون لا يسار ولا يمين ! وهل تستطيع حركة وطنية ، حتى لو كان يقودها امير الافغان ، ان تكون لا يمين ولا يسار ؟ انها لا تستطيع . لان الذي يحدد موقع ايه حركة يمينا او يسارا ، هو الدور الذي تلعبه سياسيا ، فاذا كنا حركة تحرير فعلا ، فنحن من قوى اليسار حتما . اما اذا قيل ان هدف مثل هذه السفسطة، مثلا ، التمايز عن اليسار التقليدي او المغامر ، فاننا نقول : ان رفضنا لليسار التقليدي والمغامر ودحضنا لهما لا ينفي عنا اننا اليسار الحقيقي .

وكانت ترتبط بمثل هذا الموقف مواقف اخرى تقول تارة بانه ليس هنالك طبقات في الشعب الفلسطيني ، وتقول طورا ان قضية التحرير تجمد كل شيء . ولكن هل صحيح انه ليس هنالك طبقات في صفوف الشعب الفلسطيني : اغنياء وفقراء ، برجوازية تجارية وبرجوازية صغيره وعمال وفلاحون ! هنالك طبقات في صفوف الشعب الفلسطيني وهذه الطبقات لها مصلحة الآن ان تلتقي من اجل التحرير ، والتقاؤها لا «يجمد» تناقضاتها مؤقتا ، لان التناقضات لا تجمد ، انما يوجه قواها ، ضمن برنامج وطني ، نحو العدو الرئيسي : الاحتلال الصهيوني .

وانطلاقا من مثل هذه الافكار القاصرة كانت تطلق مثلا تعميمات مثل : «الطبقي يفرّق ، الوطني يوحد» ، وكان مثل هذا التعميم ينطلق من موقف يرفض الصراع الطبقي ، ويعتبره صراعا غير وطني ، لا حرصا على وحدة شعبنا من اجل تحرير فلسطين ، بل حرصا على مصلحة طبقة مستغلة ، تريد ان تسحق الطبقات الاخرى .

واذا كانت هذه النظرة تمثل الاوضاع العربية القائمة ، وفكرها

الاشد تحلفا ، فان اليسار الغر ، في طرحه لقضية الطبقةوالقضية الطبقيه ، قد جعل الطبقه ضد الامة ، والطبقي غير الوطني . وكان في ذلك يضع الحب في طاحونه الاتجاه الاول .

الاتجاه الاول كان يقول : هنالك الامه وليس هنالك طبقات ، اما الاتجاه الثاني فكان يقول : الطبقة فوق الامه .

ومن هذه الافكار العامه الفكره التي تقول : «ثوره فلسطينية القلب عربيه العمق والامداد» ، وذلك في محاوله لتحديد علاقه الثوره الفلسطينيه بالثوره العربيه . ولكن ما معنى ذلك ؟ ماذا يعني هذا الكلام ؟ هل يستطيع هذا «الانشاء» ان يشكل اي مفهوم واضح للثوره وعلاقاتها .

ولو عدنا الى «انشاء» الثوره الفلسطينيه ، وهو كثير ، لوجدنا الكثير من مثل هذه التعميمات ، وهو ما سنعالجه بدراسة مستقلة .

ولكن عمومية الافكار وعشوائيتها في كثير من الاحيان ، وعدم علميتها ما كانت تلغي صحة قضيتين هما : قضيه التحرير واتباع حرب الشعب الطويله المدى طريقا اليه .

الا ان هذه الضبابيه والنزوع نحو التعميم ، ومحاولات ايجاد التبريرات والتفسيرات السفسطائية ، وعدم الالتزام بمنهج في البحث ، كان لا بد من ان يؤثر على مسيره التحرير . ذلك ان مسيرة التحرير تحتاج الى خط سياسي سليم وخط عسكري سليم وخط تنظيمي سليم ، وهذا لا يتوافر بالتعميمات والتبريرات والتفسيرات السفسطائية .

واذا كانت الافكار لا تخضع لمقياس غير الارتجال والمزاجية ، فان الممارسات كانت عفوية . ولما كانت الثورة ممارسات ، وكانت الممارسات في الثوره تحتاج الى المقاييس اولا ، والى المراقبة والمحاسبة ثانيا ، حتى لا تنمو الاشجار البرية في حقلنا ، وحتى نكون قادرين دائما على التفريق بين الخطأ والصواب ، فاننا نستطيع ان نقول بان ثورتنا كانت بحاجة الى هذين الشرطين

الضروريين · المقاييس والمراقبة والمحاسبة .

ولقد كان طبيعيا في ظل غياب هذين الشرطين ان يحدث ما يلي :

اولا : ان تكون الممارسات عشوائيه ، مزاجية وشخصيه ومنبثقه من وعي الاعضاء والقادة ، ومن اخلاقياتهم التقليدية او الشخصية .

ثانيا : ان تكون الممارسات في الثوره استمرارا للممارسات في الحياة الاجتماعية : المجاملة على حساب النقد ، الحساسية على حساب النقد الذاتي والنقد ، المماطلة على حساب الحسم والعمل والجد ، الذاتية على حساب الموضوعية ، الارتجال على حساب التخطيط ، الخ ، وهكذا كانت كل نشاطات الحياه اليومية وعيوبها تنتقل الى داخل الثوره .

ثالثاً : ان تكون الممارسات في الثورة عفوية ، مما اتاح المجال لنمو الكثير من الاشجار البرية والسامة في صفوفنا . وقد اتاحت هذه العفوية للمرتزقة والانتهازيين ان يتسللوا وان يتستروا باسم الثورة ، كما قادت الى فساد كثير من الطيبين المتحمسين .

رابعا : ان تكون الممارسات المتخلفة معرقلة ومعطلة ، وان تقود كثيرين الى الشعور بالظلم ، وكثيرين الى فقدان الحماسة، وكثيرين من الكوادر الجيدة الى التوقف عن العمل في الثورة .

وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق ، وسادت الروح الاستعراضية، وسيطرت عقلية الارتجال، وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الراي الواضح السليم .

وكان طبيعيا ان يقود هذا كله الى انتشار التكتل والى تفشي مرض الكولسة والثرثرة والاغتياب .

٦ ـ اخطاء بلا اخطاء ونقد بلا نقد .

ارتكبت الحركة الوطنية الفلسطينية عموما كثيرا من الاخطاء

الاستراتيجية والتكتيكية ، وكثيرا من المخالفات الهامة على صعيد الممارسة العملية . وكان ما حدث في ايلول ، ومـا بعد ايلول ، كافيا لاقناع الجميع بانه لا بد من النقد ، لا بد من كشف الاخطاء واسبابها ، لا بد من الاعتراف بالاخطاء اعترافا شجاعا ، وتجاوزها بوضع برنامج عمل ثوري ، واضح ومحدد ، يعبر عن اراده شعبنا في التصميم على التحرر ، وينطلق من الظروف الواقعية للثورة الفلسطينيه ، ومن الشروط والمبادىء التي تجعلها قادره علـى الانتصار .

ومع ذلك فان شيئا من هذا القبيل لم يحدث .

لمـاذا ؟

هنالك اربعة أسباب رئيسية :

الاول : ينبع من كون قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية التي تعودت على الممارسات العفوية والتقييمات المزاجيـة غير قادرة على ما يبدو على اجراء تقييم جدي للوضع : لتجربة الماضي ولتجربة المستقبل .

الثاني : ينبع من كون هذه القيادات ، المؤسسة ، والتي تحظى باحترام لا حدود له تخشى النقد وتخافه ، وتعتبر انه يمسها في الصميم : يمسها شخصيا .

الثالث : ينبع من كون الاكثرية من هذه القيادات تريـد ان تتمسك بمواقعها ، وان تحافظ على هذه المواقع ، وتعتبر بـأن النقد او الاعتراف بالاخطاء يهددها .

الرابع : ينبع من كون هذه القيادات عموما لا تريد ان تعطي للاعضاء وللكوادر والمراتب القيادية الادنى منها حق الانتقاد ، ولا تريد ان تسجل سابقة نقد وتخطئة ، لان مثل هذه السابقة ستقود حتما الى تشجيع القواعد والكوادر والمراتب القيادية المختلفة على ممارسة حقها الطبيعي ، وعلى ممارسة ضغط على القيادات ، والى محاسبتها وابعادها ان اقتضى الامر .

لهذه الاسباب جرى الحديث لماما عن الاخطاء ، ولكن لم يجر

النحليل العلمي والمناقشة الموضوعيه في الداخل . حيث المكان الطبيعي لمل هدا الحديث والبحليل ، لان مثل هدا التحليل ومثل هذه المناقشه سيؤديان الى كشف اسباب الاخطاء الحقيقية . اما الحديث في الخارج لماما . فسوف لا يكتشف شيئا ، ولا يحدد مسؤوليه احد .

وكان مما يثير الانتباه ان فصائل الثوره لم تجرؤ على مواجهه الجماهير بالاخطاء ، ولا جرؤت على ممارسة اي نوع من النقد . وهناك تقرير من الجبهة الشعبيه الديمقراطيه تشريه الحريه ، لا يخرج عن اطار العموميات ، ولا يحدد الاخطاء وأسبابها بدقه . وسوف نناقش هذا التقرير في دراسه اخرى .

الاعضاء والكوادر والقيادات ليس من حقهـــم ان ينتقدوا ، وليس من حقهم ان يقيّموا ، والجماهير ليس من حقها ان يقال لها ما الخطأ وما الصواب ، ولماذا هاجمنا او تراجعنا ، ولماذا انتصرنا او هزمنا . ولكي «نلفلف» القضايا وتضيع يجري حديث عام عابر ، احيانا ، عن اخطاء ، هي في الواقع غير الاخطاء الحقيقية ، ولكن حتى هذه «الاخطاء الوهمية» يجري الحديث عنها تحت شعار : من يعمل يخطىء . وبالطبع من يعمل يخطىء وجلّ الذي لا يخطىء ، ولكن هنالك فرق بين الذي يعمل ويتخلل عمله اخطاء ، وبين من يعمل فيقود الى هزيمة حزيران . ثم من الطبيعي ان يحدث خطأ ، ولكن الاخطاء اذا لم تحدد وتناقش وتعرف اسبابها الحقيقية ، واذا لم يجر العمل على بتر الجذور التي ولدتها ، فانها ستكون صغيره وتكبر ، وسوف تؤدي الى انحرافات .

ولقد حان للثورة الفلسطينية ان تراجع مسيرتها مـــن حرب حزيران حتى الآن ، وان تناقشها استراتيجيتها وتكتيكها : خطها السياسي والتنظيمي والعسكري ، وان تعيد النظر في اساليبها وممارساتها ، فاذا تلكأت او امتنعت ، وأصرّت على اساليبهـــا وممارساتها ، على استراتيجيتها وتكتيكها ، على خطها السياسي والعسكري والتنظيمي ، فانها لا بد سائرة على طريق التراجع ،

كما هو حادث حاليا .

ان محاوله اسفغال الجماهير والاعصاء والكوادر والقيادات عمليه ليس من السهل ان نحدع احدا . والاحطاء الي يكتشفها العمل اليومى والممارسات اليوميه . ونفضحها الاحداث ليس من السهل احفاؤها . ولا من المصلحه احفاؤها . والنظيم التوري المقاتل الذي يجبن عن ان يكون سجاعا امام نفسه . يجبن عن مصارعه الاعداء : الداخليين والحارجين . الاساسين وغير الاساسبين ، الرئسيين والتانويين.

٧ ـ الجبهة والمؤخرة .

المقاتلون والميليشيا .

قوه الجبهه من قوه المؤحره . والجبهه الى لا مؤحره لها نحميها جبهه معرضه للسقوط والانهيار . ولهدا السبب بركز الفيانناميون . مثلا . على اهميه المؤحره .

واذا كانت الجبهه هي المقاتلون فى حطوط النار . فان المؤحره هي الجماهير المنظمه المسلحه القادره على حمايتهم وحمايه خطوط مواصلاتهم وامدادهم بالرجال والمال والمؤن والطمانينه والتفوق المعنوي.

ولئن كان هدا ينطبق على كل الثورات ، فانه اكتر اهميه بالنسبة لثورتنا . وذلك لسببين :

الاول : لان التوره لا تستطيع ان توجد جيشا متفرغا يضم الآلاف المؤلفة في وقت قصير ، لما يستلزمه ذلك من تكاليف ، بينما يمكن وضع اساس الجيش الشعبي بتدريب الجماهير وتسليحها .

الثانى : لان الثورة الفلسطينية ، ليست معرضه لهجمات جيش الاحتلال الصهيوني فحسب ، انها معرضة لهجمات الانظمة العربيه . وما رأيناه فى ايلول وبعد ايلول وقبله كاف لان يقنعنا بخطورة الوضع الذي نعيشه ، وبضرورة تسليح الجماهير للدفاع عن الثوره ولحمايتها .

وفيما عدا ذلك ، فان تسليح الجماهير وخلق الميليشيا الشعبية يحقق غايتين مترابطتين : الاولى : مشاركة الجماهير

الاوسع . والاكثر تطورا في القتال . والثانيه : توسيع الجبهه ضد العدو .

فالثورات الشعبيه هي من عمل الجماهير الشعبيه. والجماهير المسلحه (الميليشيا) هي التشكل الاكثر تقدما للنضال الجماهيري والمساهمة الجماهيريه . والثورات تقوى وتسمو وتتقدم على طريق الانتصار بمقدار ما تستطيع توسيع هذه المساهمه الجماهيريه وتطورها . ولهذا فاننا نجد الجنرال جياب يؤكد مرارا وتكرارا على دور الميليشيا واهميتها . انه يقول : «وعلينا ان نبدي اهتماما بزيادة القوه القتالية والقوه العدديه من ميليشيا الدفاع الذاتي . لنجعل ميليشيا الدفاع الذاتي تصبح قوات مسلحه قويه مستقره ومنتشره . وجاهزة لمحاربة العـــدو . ومحاربته جيدا بكـــل الاسلحة ...» (١)

وبخلق مثل هذه القاعده المقاتله الواسعة نفتح جبهه واسعه جدا على العدو ، ولا نسمح له بالسيطره على ارض المعركة ، ولا يكون من السهل عليه القيام باختراقات وضرب القرى والمدن وطرق المواصلات ..

ولعل الدور الذي تلعبه اليوم الميليشيا في جنـــوب لبنان . والذي برز عند العدوان على الصرفند ، ليدل دلالة قاطعة علـــى اهمية دور الميليشيا .

ولقد لعبت الميليشيا في الاردن الدور الاساسي فـــي احباط مؤامرات النظام . خلال كل الصدامات التي حدثت في السنوات الماضية، وخاصةصدامات ٤ـ١١و١٠ـ٢ و٧ـ٦ و١٧ـ٩ـ١٩٧٠ . وكانت الجماهير المسلحة ، في هذه الصدامات ، هي الدرع الواقي للثوره ، وهي قوتها الضاربة ، جنبا الى جنب مع قوات الثوره الاخرى ، وعلى رأسها قوات العاصفة .

---

١ ـ الجنرال جياب ، فونجوين : نصر كبير ومهمة عظيمه ، ص ١١٩ .

وكان مفررا للميليشيا ان تلعب دورا اكبر . في القتال ضد العدو . ولذلك فقد فرض على عناصر الميليشيا ان تقوم بمشاركة المقاتلين في الاغوار . وفي القطاعات الاخرى . في القتال ضد العدو. كما ان مجموعات الميليشيا كانت تتحرك كلما حدث اختراق او انزال . حدث هذا يوم معركة غور الصافي . وحدث عندما انزل العدو قوات في حمامات معين . وكنا نعتقد بان تطوير قوة الميليشيا وزيادة تدريبها وتحسين تسليحها ضروري جدا . بمقدار زيادة تآمر السلطه . وبمقدار زيادة العدو لعمليات اختراقه و انزاله وراء خطوطنا .

ولكن عمليه التطوير هذه كانت تصطدم بعقبتين :

الاولى : عقبه الافكار والاتجاهات التي تهتم بالجبهه اكثر مما تهتم بالمؤخره . بالمقاتلين اكثر مما تهتم بالميليشيا . هذه الاتجاهات التي كانت تركز على بناء قوة ضاربه مقاتلة. من المقاتلين المفرغين. دون ان تعير كبير اهتمام لبناء قوه شعبية مسلحه .

وهكذا كان هنالك من يستغرب وجود مسلحين في المدن . وكان التفريق بين مقاتلي القواعد ومناضلي المدن . الذين سموا سياسيين ، مصدر تحقير للاخيرين . «الذي يريد ان يمتلك السلاح لتراه ابنة خاله او خالته فليس له سلاح عندنا» هذا ما كان يقال احيانا .

الثانية : عقبه عدم تقدير خطر الصدام مع السلطه على حقيقته ، قبل صدام ٧–٦ ، ولذلك ، وحتى في هذا التاريخ . كانت اسلحة الميليشيا محدوده جدا ، وكانت في الواقع غير كافيه للمجابهه في صدام واسع النطاق .

وكانت هاتان العقبتان عقبتين اساسيتين أخرتا نمو الميليشيا وتطورها ، وادتا في ايلول الى ما يلي :

١ — سقوط مواقع هامة كجنوب الاردن ، بيد السلطة ، دون مقاومة تذكر ، وما ذلك الا لان الميليشيا الشعبية لم تكن قد سلّحت جيدا ، وكانت مدينة الزرقاء التي قاتلت قتالا بطوليا ،

نستطيع ان نصمد اكثر لو كان تسليحها احسن .

٢ ــ عدم الاستفاده من بعض الاسلحه الهامة . لان الظروف لم تسمح للتدرب عليها جيدا .

٣ ــ عدم القدره . في مدينه كعمان . على الانتقال من الدفاع الى الهجوم . وكان احد اسباب ذلك عـــدم التوازن بين القوات المهاجمه والقوات المدافعه . لقد كان الذين يهاجمون عمان . وبكل انواع الاسلحه . الثقيله والخفيفه . يملكون عددا متفوقا اضعافا مضاعفه .

واذا كان هنالك . وقبل مجزره ايلول . مـــن لا يرى ضرورة لتعبئه الجماهير . ومن يرى بان تعبئتها ماديا ومعنويا قضيه خطرة . فاننا سمعنا من يقول بعد ايلول : ما لنا وللمدن لنذهب الـــى القواعد .

ولقد لمس كثيرون نتيجه معارك ايلول مدى قوه الجماهير اذا سلحت . وعرفوا خطر قوات الميليشيا . ولذلك فليس غريبا ان نرى الملك حســن . يطالب . و ب مؤتمر القاهره الذي عقد خلال القتال . بنزع اسلحة الميليشيا . ولكن رد الاخ ياسر عرفات عليه كان واضحا ومقنعا : «تحمل جماهير شعبنا السلاح دفاعا عـــن ثورتها التي يهددها نظامك . ودفاعا عن اموالها واعراضها الـــتي يغتصبها جيشك» . ويومها سلم الملك حسين ببقاء اسلحـــة الميليشيا في ايديها . ولكن النظام كان قد قرر ان يصفي الثورة . وهو لا يستطيع تصفيه الثوره ان لم تصف قواعدها الشعبيه . ولهذا بدأ بهجماته المكرره . بعد ايلول . وبعد كل صدام كـــان رؤوس النظام يطرحون في الاجتماعات التي نظمها اللجنه العربيه قضيه سحب السلاح من الميليشيا .

ولقد جرت الموافقة اخيرا . على هذا الاجراء . وذهب المبررون في تبريره مذاهب شتى . فمنهم من قال : فرصه اخيره نعطيها للنظام ، فاذا سمح لنا بان نقاتل في الداخل حر وكـــان به والا قاتلناه . ومنهم من قال : ان اسلحه الميليشيـــا لم تسحب وان

العملية عملية ضبط وتنظيم وسيطرة : وتبريرات كثيرة شتى . ولكن الواقع هو ان اسلحة الميليشيا جمعت ووضعت تحت تصرف اللجنة المركزية ، في بيوت «محصنة» .

فما الذي يعنيه مثل هذا الاجراء ؟

انه يعني :

أ ـ تنازلا كبيرا امام السلطة ، وفي قضية مبدئية ، كقضية تسليح الجماهير وحماية الثورة .

ب ـ تحطيما لمعنويات كوادر الميليشيا وعناصرها التي ستتعرض لعملية «سحق» بطيئة منظمة .

ج ـ تدميرا لمعنويات الجماهير التي قاتلت وضحت وتحملت الكثير من الآلام من اجل ثورتها واسلحتها .

د ـ تسليم المدن والمواقع التي كنا نسيطر عليها للسلطة .

هـ ـ وضع قواتنا المقاتلة تحت رحمة النظام .

وهذا كله لن ينهي الصفة الشعبية الجماهيرية للثوره فحسب، بل سينهيها كليا . ان السلطة في الاردن ، ضمن مخطط عربي ودولي ، مصممة على تصفية قضية فلسطين ، ومنذ ايلول ، وهي سائرة على هذه الطريق ، ولن تتوقف الا لماما ، ولاهداف تكتيكية.

هل كنا مضطرين لمثل هذا التراجع ؟

اننا لم نكن مضطرين ، لاننا لم نهزم في معركة ايلول ، ولأن الامكانيات التي كانت تتوافر لدينا بعد ايلول : تأييد الجماهير الواسعة ، النقمة على النظام بسبب همجيته وبربريته ، قوات الثورة الفلسطينية بما فيها الفارون من الجيش ، تضعضع الجيش . اذ انه لم يفقد العدد الكبير من آلياته فحسب ، بل فقد سبعة عشر الفا ما بين قتيل وفار ، القناعة بضرورة الوحدة الوطنية بين قواعد المنظمات الخ .

ولكننا مع الأسف ، لم نحاول الاستفادة من هذا كله ، وبدأنا نراجع بلا انتظام ، ونتنازل بلا حساب مراهنين على حسن نية السلطة وعلى امكانية تعايش جديدة .

ان هذا الخطأ سوف ندفع ثمنه غاليا . فالسلطة ما زالت ، كما تكشف جريدة «فتح» التي تصدر في عمان ، وكما يظهر من الاخبار ، سائرة في مخططها : فرض سيطرتها الكاملة في المدن والارياف ، ووضع قواعد القاتلين تحت رحمتها ، وقصف قواعد القاتلين ما بين الحين والآخر ، والتضييق عليهم في تنقلهم ، وفي وصول التموين اليهم من اجل ارهاقهم واستنزاف قواهم واجبارهم على الفرار .

والسلطة قادرة ، بوسائلها الاجرامية الوقحة ، وبوسائلها الملتوية على تحقيق ما تريد . انها تضرب ثم تعد بالا يتكرر ما حدث . وقبل ان ينتهي الاجتماع تضرب من جديد وهكذا . وهي تفرج عن معتقلين ولكنها تعتقل اناسا جددا ، وهي تعتقل كوادر الميليشيا بتهم مختلفة تسميها جرائم عادية او مدنية . ومن السهل ان ينسب الى انسان انه خرّب او اعتدى على الاملاك العامة او اعتدى على حريات الآخرين الخ ما دام ان عناصر الميليشيا قامت خلال الصدامات باحتلال المباني العامة ، وما دام انها كانت تعتقل رجال الجيش والشرطة والمخابرات الخ ...

وان «حشر» اسلحة الميليشيا في المكاتب «المحصنة» للجنة المركزية ، في هذا الوقت بالذات ، الذي يزداد فيه تآمر النظام الاردني . وتتقدم فيه مسيرة «التسوية الاستسلامية» . لأمر جد خطر .

وما دام خط اللجنة المركزية هو خط تعايش مع النظام ، وخط النظام هو الهجوم المستمر ، فان النظام سيعزز سيطرته باستمرار ، وسيفرض شروطه باستمرار ، في الوقت الذي تكون فيه الميليشيا تتمزق في بيوتها ، واسلحتها تصدأ في « المخازن المحصنة » .

والخروج من الازمه لن تكون الا بانتهاج خط الهجوم سياسيا، بدلا من التراجع . وتوسيع القاعدة الجماهيريه المسلحه .

٨ ـ نحو استراتيجية جديدة : للثورة الفلسطينية

بعد مجزرة ايلول ، وبعد الهجمه الامبرياليه ـ الصهيونيه الرجعيه الشرسه . اخذت ثورتنا بالتراجع عبر المنظم . اتبع اسلوب الدفاع السلبي في الاردن . مما قاد الى خساره مواقع هامه . اهمها مواقعنا في المدن . وسيطرتنا على طرق المواصلات . كما انه قاد الى الموافقة على «حشر» اسلحة الميليشيا في الاردن والى اغلاق المكاتب في مخيمات لبنان .

ولقد جرت محاولات عديدة لتبرير «حشر» اسلحه الميليشيا في «اقبيه اللجنه المركزيه» . مثل ضبط السلاح وتنظيم السلاح وجمع السلاح المكشوف الخ . ولكن كل هذه التبريرات سقطت عندما اضرب السلطة ، بعد أحداث عمان الاخيرة . على ان تجمع اسلحة الميليشيا . وجمع اسلحه المليشيا في ايد امينة موثوقة يستهدف حرماننا من قوه جماهيرنا المسلحه من جهة . ويستهدف ضرب معنويات قواعدنا من جهة اخرى والسيطرة الكاملة على الاردن ، ووضع قواعدنا ومقاتلينا تحت رحمة النظام العميل .

اما اغلاق المكاتب في لبنان فقد تبرر بالعودة الى السرية والتخلص من روح الاستعراضات الخ ... ولكن هل نحن بحاجة الى العوده الى السريه . وما هو مفهوم السرية ، هل تعني السرية ان تغلق المكاتب في المخيمات وتفتح في المدينة ؟ وهل تنهي اغلاق المكاتب في المخيمات الروح الاستعراضية؟ ان الروح الاستعراضية ظاهرة مرتبطة بمجموعة من الممارسات وبأسلوب تفكير ، وهي لا تنتهي باغلاق مكتب ؛ وهي تبرز بالمكاتب وبدونها .

واذا كان «حتر» اسلحة الميليشيا ظاهره ستنحق الانتباه . فان اغلاق المكاتب في المخيمات ظاهره هامه اخرى . فالظاهرتان تدلان على محاوله لتقليص العمل الشعبي الجماهيري . وللاتجاه نحو الداخل .

صحيح ان العمل الجماهيري لا يحتاج الـــى مكاتب . ولكن المكاتب مكسب من مكاسب ثورتنا . ولقد اصبحت تمثل سلطـه الثوره في المخيمات . وغيابها لا يعني اننا عدنا الى العمل السري، فمن الممكن اذا اقتضى الامر ان نتخذ كل الاحتياطات اللازمه دون اغلاقها ، ولكنه يعني اننا قلصنا سلطتنا في المخيمات . وان حقنا المشروع في العلنيه الذي كسبناه بالدم وبالمعارك قد تخلينا عنه . لمصلحه من ؟ وهل كانت هنالك ظروف موجبه ؟ اذا كانت القضيه قضيه الروح الاستعراضيه فاننا نستطيـــع ان نعالجها والمكاتب مفتوحة . اذا اردنا . ولن نستطيع ان نعالجها . حتى لو اقفلنا المكاتب ، ان لم نقصد .

وهنالك قضايا اخرى طرحت تبريرا للخط الجديد . طرح مثلا ان الاهتمام بقضايا عمال العلاقل ليس من شغلنا . وطرح اننا نريد ان نتوجه الى الداخل . وطرح فوق هذا اننا نريد ان نمارس مسؤوليتنا . وان نمنع الانحراف .

لا باس . هذا كله من واجبنا . من واجبنا ان نحدد علاقتنا بباعة العلاقل وبالداخل والخارج. بالسلطة في الاردن وبالمنظمات. ومن واجبنا ان نقيم تجربه الماضي لنعرف الذين اخطاوا والذين اصابوا . الذين اساءوا للوحده الوطنيه والذين اخلصوا لها . من واجبنا ان نفعل هذا كله من خلال تقييم موضوعي. ودراسة معمقه شاملة ، اذا كنا نريد ان نصل الى الحقيقة ، وان نضع اسســـا صحيحة للعمل في المستقبل .

واعتقد ان فيما طرحته ، آنفا ، صوره يمكن الاستناد اليها للانطلاق نحو المستقبل .

والانطلاق نحو المستقبل بحاجة الى استراتيجيـــة جديدة ،

تتناسب مع وضع الثورة ، ومع امكانياتها ، وليسر لها امكانية التغلب على الصعوبات الذاتية والموضوعية ، ومواجهة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية الترسة التي نشهدها في هذه الايام .

وهذه الاستراتيجية لا بد من ان تنطلق مما يلي :

اولا : ان الثوره هي ثورة الجماهير ، وانها كثوره شعبية تخوض حربا طويلة الامد . تحتاج الى الانطلاق من الجماهير والالتحام بها . واستغلال كل طاقاتها وقواها .

وهذا يتضمن ما يلي :

ا ـ اختيار كوادر ثورية لقياده المنظمات الجماهيرية ، تستطيع ان تجعل هذه المنظمات منظمات شعبية من جهة ، وقادره على تعبئة الجماهير وقيادتها من جهة اخرى .

ب ـ توسيع نطاق المنظمات الجماهيرية . بحيث تشمل اكبر عدد ممكن من المواطنين ، في كل قطاع من قطاعات السكان .

جـ ـ ربط الجماهير بالثورة عن طريق العمل اليومي بمختلف اشكاله (دعاوة ، جمع تبرعات ، الاشتراك في مظاهرات ، التبرع بساعات عمل . تقديم خدمات ، الخ) .

د ـ تعميم التدريب على كل المواطنين القادرين ، نساء ورجالا، ووضع برنامج شامل سريع لتحقيق هذه الغاية ، والعمل المستمر من اجل رفع مستوى التدريب ، وتجديده باستمرار .

هـ ـ تسليح القطاعات الواسعة من الجماهير ، حيث يوجد فلسطينيون ، وخاصة في الاردن وسوريا ولبنان ، وتهيئة السلاح في اماكن امينة لهؤلاء الذين قد يصلون في اية لحظة للمشاركة في القتال دفاعا عن الثورة .

و ـ تعبئة الجماهير تعبئة يومية ، بواسطة الصحف والاذاعة والاسطوانات والاغاني والمسرحيات والقصص وكل اشكال الادب ، وبواسطة الندوات والمناقشات .

ثانيا : ان هذه التعبئة على صعيد الجماهير الفلسطينية يجب

ان تواكبها تعبئه للجماهير العربيه . فقوة الثوره الفلسطينيه ليست بجماهيرها المنظمة والمسلحه والمعباه فحسب، انها من قوه الجماهير العربيه ايضا . والجماهير العربية يجب ان تشارك مشاركه فعاله في الثوره الفلسطينيه من خلال ما يلي :

أ ـ المنظمات والاحزاب المستعدة للمشاركه .

ب ـ الجبهات الوطنيه التي تكوّن ، وضمن برنامجها هذه الغايه .

جـ ـ الشبكات التي نخلقها نحن من بين المتعاطفين والمتحمسين للقيام باعمال الدعاية وجمع التبرعات ، وايه اغراض أخرى نراها الثوره ضروريه . واذا كان بعض هذه التشكات علنيا فلا بد من ان يكون بعضها الآخر سريا .

وعلينا نحن ان نعمل بجد ونشاط لتحقيق هذا التلاحم . واتباع الوسائل التي تبعدنا عن الصدامات ، عندما لا يكون ذلك في مصلحة الثوره ، ولكن علينا ان نعتبر ان علاقتنا بالجماهير هي الاساس ، وان هذه العلاقه هي التي تضمن لنا الحمايه والقوه . اما علاقاتنا بالحكومات فتكون من خلال هذه النظره ، ومن خلال دراستنا لطبيعه موقف الحكومات ولاهدافها . ويجب ان تكون علاقتنا بالجماهير استراتيجية وعلاقتنا بالحكومات تكتيكا .

وعلينا ، في ميدان العلاقات مع الحكومات ، ان نحدد طبيعه كل نظام ، وحقيقة موقفه من قضيه التحرير خصوصا ومن الامبرياليه عموما ، كما ان علينا ان ندرس كل العوامل التي تؤثر في سياسة هذا النظام ازاء قضية فلسطين .

واذا كان بامكاننا بمثل هذه الدراسة ان نفرق بين نظام تقدمي وآخر ، فان بامكاننا ايضا ان نفرّق بين نظام رجعي وآخر . فعلاقتنا مع سوريا او ج.ع.م ، لا بد ان تختلف عن علاقتنا بالعراق والجزائر ، لا لاختلاف بين هذه الانظمة فقط ، بل لاختلاف مواقفها ، بسبب بعدها او قربها من ميدان القتال ، والاحتكاك المتبادل الذي ينشأ عن ذلك . وسنجد بالمقياس نفسه

ان علاقتنا بالنظام في الاردن تختلف عن علاقتنا بالانظمة في المملكة العربية السعودية ، او الكويت او تونس او المغرب . وفي الوقت الذي لا بد ان نصطدم فيه بالنظام في الاردن او لبنان ، فاننا نستطيع ان نبقي على مستوى من العلاقات مع الكويت او المغرب او موريطانيا .

ولا بد من ان يكون واضحا في اذهاننا اننا بمقدار ما نصعّد عملنا في الداخل ، وبمقدار ما نزيد من قوتنا في الخارج من خلال علاقاتنا مع جماهيرنا الفلسطينية والعربية ، ومن خلال قوة منظماتنا الجماهيرية ، وقوة مقاتلينا وميليشيانا ، فاننا نستطيع ان نحقق نجاحا اكبر في علاقاتنا مع الدول والحركات الوطنية لا في الوطن العربي فحسب ، بل في العالم كله .

ثالثا : ان الاردن هو القاعدة الاساسية للثورة في هذه المرحلة، بسبب وجود اكثرية ابناء شعبنا فيه ، ولانه منذ سنة ١٩٥٠ ، حين اتحد شرق النهر مع غربه ، اصبح كلا لا يتجزأ بغض النظر عن الاسلوب الذي تمت به الوحدة ، وبغض النظر عن سياسة السلطة المعادية لفئة من المواطنين اكثر من فئة اخرى .

ولهذا فان الاردن يجب ان يكون قاعدتنا الآمنة . وحتى يكون كذلك لا بد ان يطاح بالسلطة العميلة ، على ان تقام سلطة وطنية مكانها .

ان هذه المهمة ، هي من مهماتنا الاساسية في هذه المرحلة ، ونحن بدون هذه الخطوة : اقامة سلطة وطنية في الاردن لن نستطيع ان نبقى ، بله ان نطور عملياتنا فى الداخل ، وان نقوّي مواقعنا في الخارج .

وبالاضافة الى ذلك فان خسارة مواقعنا فى الاردن سيقودنا الى زعزعة مواقعنا في لبنان وفي الداخل ، والى تعريض انفسنا للاندثار .

يجب الا يعيقنا عن القيام بهذه المهمة خوفنا من انقسام المجتمع الى فلسطينيين واردنيين . فالفلسطينيون في الضفتين الغربية

والشرقية مواطنون اردنيون ، ولهم الحق كل الحق في تقرير مصيرهم واختيار النظام الذي يريدون . والمعركه التي يخوضونها ليست معركه ضد ابناء الضفه الشرقيه . بل معركه ضد النظام العميل . واذا كان هنالك من ابناء الضفة الشرقيه من يحمل السلاح ضد الثوره ، فهنالك اناس من الضفة الغربيه . ويجب الا ننسى ان في الجيش والسلطة والقياده والوزراء من ساهموا قبل ايلول. وخلال مجزره ايلول وبعدها ؛ في استغلال الجماهير واضطهادها وقتلها . واذا كان هنالك ايضا من قاتلنا من ابناء الضفه الشرقيه فهنالك الكثيرون ممن قاتلوا معنا .

وكيف يمكن ان ننسى مثلا مشهور حديثه ؛ الرجل النبيل الذي عمل كل ما في وسعه ليجنب بلادنا المجزره ؟ وكيف ننسى سعد صايل (١) وغيرهما وغيرهما ؟

فاذا قلنا اسقاط السلطة العميله في الاردن . فان هذا لا يعني ان نتسلم نحن السلطه ، بل يعني ان تقوم جبهة وطنيه اردنية هي التي تتولى هذه المهمه . ونكتفي نحن ان نكون قوة سياسيه وعسكريه هامه تستند اليها هذه الجبهة .

هل نستطيع ان نحقق هذه الغاية ؟

ان لدينا من القوى الجماهيرية ، والقوى الجماهيرية المنظمه والمسلحة ، ولنا من التأييد في اوساط الجماهير العربيه ما يجعلنا قادرين على تحقيق هذه الخطوة ؛ لاسيما ان النظام الذي نحاربه نظام رجعي عميل ، تمقته وتحتقره الجماهير. لا في الاردن فحسب ، بل في البلاد العربية ايضا .

ولكن علينا ان نقرر اولا ، وان نحسن استخدام قوانا ثانيا .

رابعا : ان تحقيق وحدة اداة الثورة الفلسطينية مهمة

---

١ – سعد صايل فلسطيني كان آمر لواء في الجيش الاردني وقد انضم خلال مجزرة ايلول الى قوات الثورة .

اساسيه وملحه . لاننا بدون مثل هده الوحدة لا نستطيع ان نشكل قوة ضاربة موحدة بجمع كل ابناء شعبنا ، وتحشد الرأي العام العربي والعالمي من حولنا .

وهده الجبهه يجب ان تلتقي حول برنامج محدد . على كل المستويات التنظيميه والسياسيه والعسكريه .

ولا بد ان يتضمن هذا البرنامج ما يلي :

١ ـ ان الثوره الفلسطينيه هي حركه الجماهير الفلسطينيه الطامحه الى التحرير والعوده . وعليه فانها حركة الطبقات صاحبه المصلحه في التحرير . وهده الطبقات هي البرجوازيه التجاريه والبرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحون ، وحتى ملاك الاراضي السابقون والبرجواريه الكمبرادوريه السابقه . وكل من يحنون الى الوطن مهما كانت طبقتهم .

٢ ـ ان هده الجماهير تلتقي على اساس وحده وطنية هدفها: التحرير والعوده . من خلال تعبئه الجماهير الفلسطينية وتنظيمها وقيادتها عبر الكفاح الشعبي المسلح حتى النصر .

٣ ـ ان الوحده الوطنيه ذات طابع وطني ديمقراطي وتقدمي . فهي تعمل لتحرير الارض من الاحتلال . ولاقامة سلطة وطنيه ديمقراطيه . متحررة من التبعيه والتخلف والاستغلال . يتمتع فيها المواطنون جميعا بحقوق متساوية . وهي في الوقت ذاته تفسح المجال داخل الوحدة لكل الآراء والافكار الثورية . وتتيح المجال لمشاركه كل الاحزاب والتكتلات والمنظمات المعاديه للاحتلال والصهيونيه . المؤمنة بالتحرير والعودة. ولا تتخذ اي موقف عدائي من اية نظرية ثوريه . او ايه جماعه ثورية . وهي تقدميه لا لانها تضم قوى التقدم في المجتمع . بل لانها ايضا معاديه للاستعمار والامبريالية والعرقية والصهيونية والاضطهاد والاستغلال . اينما كان .

٤ ـ ان الوحدة الوطنية تعتمد حرب التحرير الشعبيه اسلوبا للتحرير . ولهذا فان على اللجنه القيادية وفروعها ان تعد الجماهير

وتدربها وسلحها . وان نعمل ليل نهار من اجـــل خلق جيش شعبي مؤمن بالوطن . محب للشعب . مخلص لقضيه تحريره .

وهذا يقتضي ان يعاد النظر في بناء قوات الثوره الفلسطينيه على هذا الاساس . وان نحرر من عقلية العسكرتاريه . وان يعاد بناؤها على اسس تكفل تطورها ونموها تطورا سليما .

٥ ــ ان اعداء الثوره الفلسطينية هم : الاحتلال الصهيونـي والصهيونيه . الامبرياليه العالميه . وعلى راسها الولايات المتحده: القوى المضاده للثوره في الوطن العربى . اما حلفاؤها فهم : على الصعيد العربي : الجماهير العربيه . وحركه التحرر الوطنـــي العربية وكل قوى الثوره العربيه . وهى القوى المرتبطه معنا ارتباط مصلحة ومصير . وعلى الصعيد العالمى : كل القوى المقاتله ضـد الامبريالية في العالم . وبالاضافه الى حلفائنا فان كل القـــوى المحبه للعداله والسلام . المعاديـــة للاضطهاد والاستعمار هــي صديقتنا .

٦ ــ تتحقق الوحده الوطنيه على الشكل التالي :

ا ــ يتشكل مجلس وطنى فلسطيني مـــن كوادر المنظمات وقياداتها ، ومن ممثلي الاتحادات والمنظمات الجماهيريه . ومـن عدد محدود من المستقلين ، على ان لا يتجاوز ٥ بالمئة ، ويحـــل المجلس السابق .

ب ــ يكون عدد اعضاء المجلس مائه ، يوزعون كما يلي : ٣٥ فتح ١٥ الصاعقة ١٢ الجبهه الشعبيه ١٠ الجبهة الشعبيـــه الديمقراطية ، ٣ جبهة التحرير العربيه . ٢ لكل منظمه من المنظمات الباقية ، ٢ لكل من اتحاد العمال واتحاد المراة . ١ لكل من اتحاد المعلمين واتحاد الكتّاب واتحاد الطلاب وجمعية الهلال الاحمر . والباقي للمستقلين الذين يختارهم المجلس بالتصويت .

ج ــ يختار المجلس لجنة مركزية من ١٥ ؛ وتختار اللجنــه المركزية امينا عاما لها ومكتبا سياسيا من خمسه اعضاء .

د ــ يعين المجلس قيادة عسكرية من ٩ اعضاء .

هـ ـ يعين المجلس قياده للمليشيا من ٥ اعضاء .

و ـ تضع لجنه منبثقة من المجلس نظاما داخليا يضمن وحده القياده العسكريه والسياسيه وقياده قوات الميليشيا .

ز ـ توحد القوات العسكريه . من حيث الاداره والتموين والقياده والعمليات واللباس والسلاح والانضباط ولكن يسمح للمنظمات . التي ترغب في ذلك . في ابقاء مجموعاتها موحده . ضمن التقسيم العسكري . اي انه يمكن ان تكون هنالك فصيله في السريه تابعه لمنظمه من المنظمات . ويسمح لها بحريه التثقيف في مجموعاتها . شريطه الا يعارض ذلك الميثاق العام .

ح ـ توحد قوات المليشيا ايضا . وتعين لها قياده الميلشيا قيادات اقليمية . وتعين القيادات الاقليميه لجانا منطقيه. وهكذا.

ط ـ تخضع التنظيمات السياسيه في المدن والارياف لقيادات الميليشيا . وتبقى كل منظمه بتنظيمها . على ان يتفق . بالاضافه الى ثقافته الخاصه . ببرنامج الوحده الوطنيه وميثاقها .

ي ـ تكون الجبايه موحده . وتصرف الماليه المشتركه على كل القوات (المقاتلين والمليشيا) وتتولى التنظيمات الصرف على نشراتها ونشاطاتها ومكاتبها الخاصه من الاشتراكات .

ك ـ تفرض على اطراف الوحده الوطنيه ان يلتزموا بالميثاق . والا يقوموا بايه عمليه عسكريه او ايه مظاهره او اضراب او عمل سياسي دون موافقه اللجنة المركزيه . تستثنى من هذه المـــاده بالطبع النشرات الخاصه والدعايه السياسيه اليومية والمحاضرات والندوات .

ل ـ تشرف المنظمات الجماهيريه على قضايا الطلاب والعمال والنساء الخ. واللجنه العليا لهذه المنظمات هي التي تتخذ القرارات في كل ما يتعلق بهذه المنظمات . ولكي نضمن نمو حركه المنظمات الجماهيريه نموا طبيعيا . فلا بد من ان نشجع هذه المنظمات على ان تختار قياداتها اختيارا . ولا بد من ان تكون اللجنه العليـــا منتخبه من مؤتمر عام للنقابات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية.

م ـ تدمج كخطوة اولى قوات اليرموك بجيش التحرير الفلسطيني وقوات العاصفة بقوات التحرير الشعبية (١) .

ن ـ تأتمر كل هذه القوات بامر القيادة العسكرية . وتتبع القيادة العسكرية اللجنة المركزية مباشرة .

ص ـ تحل كل اجهزة الامن والرصد التابعة للمنظمات ويكون جهاز أمن واحد ، تابع للجنة المركزية . وتعوده لجنة من ثلاثة من اعضائها .

ع ـ توزع المهمات داخل اللجنة المركزية كما يلي : امانة سر . دائرة عسكرية . دائرة امن . دائرة اعلام وثقافة . دائرة الميليشيا. الدائرة المالية . دائرة العلاقات الخارجية . دائرة التنظيم الشعبي. ومحكمة امن الثورة . يرأس كل دائرة من هذه الدوائر عضو من اللجنة المركزية . مع لجنة من اربعة اعضاء من المجلس الوطني .

ف ـ يجتمع المجلس الوطني مرة كل اربعة اشهر . وتجتمع اللجنة المركزية مرة في الشهر . ويجتمع المكتب السياسي اسبوعيا .

س ـ يخطط المجلس الوطني للعمل الوطني . وتقوم اللجنة المركزية بالتنفيذ . ويحق للمجلس الوطني بدعوة خمسة عشر من اعضائه ان يطالب بعقد جلسة، ويحق له ان يناقش اللجنة المركزية او يعزلها كليا او جزئيا .

ق ـ المنظمة التي تخرج عن الميثاق ولا تلتزم به تنذر ثلاث مرات ، ثم يدعى المجلس الوطني لاتخاذ قرار بتصفيتها .

٧ ـ يعتبر اسقاط السلطة العميلة في الاردن واجبا اساسيا. ويجري العمل من اجل اقامة سلطة وطنية .

٨ ـ تختار احسن القيادات والكوادر للقيادات العسكرية وقيادات الميليشيا . وللعمل في دوائر الجبهة الوطنية المختلفة .

---

١ ـ يبدو لي هذا الاقتراح الآن غير سليم وغير عملي .

وبعد العناصر المتخلفة والمرتزقة عن مراكز المسؤولية .

خامسا : ان الثوره لا تستطيع الاستمرار والتقدم وتحقيق النصر بدون تنظيم ثوري . والتنظيم الثوري ضروري للشعب الذي تخوض معركة شرسة مع الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية ودولة الاحتلال الصهيوني والقوى العربيه المضادة للثوره .

ولا يكون التنظيم ثوريا الا اذا توافرت فيه الشروط التالية :

١ ــ ان يكون تنظيما مبثقا من الجماهير ملتحما معها .

٢ ــ ان يكون تنظيما موحدا ، خاليا من الاجهزه المتنافسة والتناقضات الداخليه والتكتلات والجنحات .

٣ ــ ان يكون تنظيميا ديمقراطيا ، اي ان قياداته تخضع للمؤتمرات ، ومؤتمراته تعبر عن آراء القواعد .

٤ ــ ان يكون تنظيما يمارس النقد والنقد الذاتي من القمة الى القاعدة .

٥ ــ ان يكون تنظيما قادرا على التحليل العلمي واتخاذ القرارات الصحيحة .

٦ ــ ان يكون تنظيما قادرا على المبادره ، فعالا ومتحمسا للتضحية والعمل .

٧ ــ ان يكون تنظيما متماسكا ، تترابط قواعده وقياداته وتتشابك خلاياه ولجانه القيادية ، وتتفاعل وتتكامل .

٨ ــ ان يكون تنظيما امينا وصادقا مع نفسه ومع جماهيره ، تتبادل قياداته وقواعده الثقة والمحبة والاحترام .

بمثل هذا التنظيم الفيتنامي نستطيع ان نواصل مسيرة الحرب التي نخوضها . واذا كان من الضروري ان تتوافر هذه المبادىء في كل تنظيم ، ضمن الجبهة ، فانه من الضروري ان يتوافر حد من هذه المبادىء في الجبهة ذاتها .

سادسا : ان الثورة ممارسات ، والممارسات هي التي تقنع الجماهير بعدالة الثورة وصحة خطها او تنفرهم منها . وما دامت الثورة ثورة الجماهير ، وما دامت لا تستطيع ان تتقدم ، وان

تنتصر بدون نضالهم . فلا بد من ان يولي موضوع الممارسات كل الاهتمام الذي يستحقه .

ولسنا بحاجة لان نعود الى الماضي ، لان الماضي قد اصبح معروفا . ولكن ممارساتنا في الماضي يجب ان تغيب الى الابد : العنجهية ، الاستعلاء ، العشوائيه ، الاساءه للجماهير ، المغامره ، التردد . اللامبالاة ، الاستزلام ، التسيب ، الضياع ، السفسطه، المكابره . الدعايه الخ ...

ولكن هذه الممارسات لن تغيب الا بوسيلتين :

الاولى : وضع مقاييس دقيقة للتفريق بين الثوري وغير الثوري وممارسه الرقابة الثورية والمحاسبه الثورية على اساسها.

الثانية : انتهاج ممارسات ثورية ، تقدم قدوه وتعطي مثلا في التضحيه والشجاعه ونكران الذات ، وقبول النقد وممارسته والابتعاد عن المزاجية الخ .

٨ ـ خاتمة .

ثورتنا تجتاز مأزقا . المأزق خانق . والقوى المعادية شرسه وبربريه لا تتردد ولا تتهاون . والمؤامرة لن تتوقف الا بدحرها وهزيمتها .

ولكي نستطيع ذلك لا بد لنا من ان نؤمن بقوه جماهيرنا . وقدرتها ، ولا بد لنا من اعاده بناء قواتنا كلها ، المسلحة وغير المسلحة ، بطريقة تجعلها قادره على احباط المؤامره وهزيمتها ودحرها .

وهذا لن يتحقق الا بخط سياسي صحيح ، وخط تنظيمي صحيح وخط عسكري صحيح .

ومع هذا ، فان قوة الثورات تكمن في انها تهاجم . حتى وهي في مواقع الدفاع : تربك القوى الكبيره بقوى صغيرة ، لتشتيت

قوى العدو . اذا حاول تركيزها . وتضربها ضربات قاصمة اذا وزعها .

وهذه الصفحات ليست الا محاوله رسم خطوط عامة . ولقد حاولت ان اكون فيها موضوعيا . وان كنت لم اقدم التفاصيل الضروريه . لانها كثيره وطويله . ولأن هذه الدراسه ليست المكان المناسب لها .

وهدف هذه الصفحات ان تثير قضايا الثوره الاساسيه . وان تطرحها ، ضمن اطارها ، وضمن التناقضات التي تحيط بها .

واذا كانت هذه الصفحات تركز على كثير من السلبيات ، فانها تفعل ذلك لانها تريد ان تضع يدها على المرض . وان تكشفه وتركز الضوء عليه .

اما الانجازات والمكاسب ، اما الانتصارات الكبيره فهي أكبر واجل واعظم من ان تنسى ... وهي ستبقى موجهي وملهمي في النضال ضد اعدائنا : الامبريالية والصهيونية وقوى الثوره المضاده في بلادنا العربية .

واعتقادي راسخ في ان الاخلاص لشهدائنا والاصرار على صيانة انتصاراتنا وانجازاتنا ، وحمايه ثورتنا ، يجب ان يدفع دائما للمزيد من القسوة على انفسنا ، وللمزيد من الدقة عند تقييم اعمالنا .

ولن نستطيع الانتصار اذا لم نكن قادرين على التحليل والتقييم والنقد ، واذا لم نقس على انفسنا في التقييم لا عند الهزيمة والتراجع فقط ، بل عند الانتصار ايضا .

وانا واثق ان جماهيرنا التي قاتلت ببطولة وشجاعة في عمان وفي الاردن كله ، والتي قاتلت في الارض المحتلة وما زالت تقاتل، سوف لن ترضى بغير التحرير والعودة بديلا ، وسوف تقاتل بضراوة حتى لا نعود الى ايام الظلمة .

الحل واحد : تصعيد معركة التحرير والاطاحة بالسلطة العميلة في الأردن

بدات بعض الاصوات تروج في اوائل سنة ١٩٧١، وبعد معركة ايلول في عمان ، للدولة الفلسطينية باعتبارها حلا . وقد كتبت هذا الرد في ٢١-٢-٧١ الذي نشر في «دراسات عربية» .

هنالك ثلاث ظواهر في الساحة العربية تستحق كل اهتمام:

الاولى : اتفاق اكثر الدول العربية على القبول «بالحل السلمي» ضمن قرار مجلس الامن ومشروع روجرز ومهمة يارنغ . وهذا الاتفاق لم يحدث ان بلغ ما يبلغه اليوم منذ سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٩ . وان هذا الاتفاق تجاوز الآن قرار مجلس الامن ومهمة يارنغ ومشروع روجرز وهو يتجه الى المفاوضات المباشرة او المباشرة من وراء ستار .

الثانية : ان الدول العربيه . وعلى راسها ج.ع.م لم يكن لديها من استعداد ما لديها اليوم من اجل اعلان موقفها واضحا : الاستعداد لوقف اطلاق النار ، عقد اتفاقيه سلام ، حدود آمنة

ومعترف بها الى آخر المعزوفه. ولقد تجاوزت الاندفاعة السياسية الجديده كل تعاليد السياسة العربية ، خلال عشرين عاما ، وكل مقررات مؤتمر الخرطوم : لا صلح ، لا اعتراف ، لا ...

الثالثة : اتجاه الجماهير الفلسطينية نحو الدولة الفلسطينية، لان كثرة منها (بالطبع ليس هنالك استفتاءات ولا اختبارات الخ) وهذا تقدير المراقبين ، بات يرى في الدولة الفلسطينية حلا .

وتنبع اهمية هذه الظواهر من عاملين :

اولهما : كون الاتجاه الرسمي العربي يعمل من اجل «تسوية سلمية» . ولهذا فان ما تطرحه الانظمه ليس تكتيكا كله ، وان كان فيه شيء من ذلك ، ولكن التكتيك الذي فيه : لا يخدم الحرب في النهاية بل يخدم مساعي السلام . و«السلام المطلوب» دوليا وصهيونيا واحتلالا ، هو «سلام نهائي» ، تصفية كاملة تستهدف انهاء القضية الفلسطينية لمصلحة دولة الاحتلال ولمصلحةالامبريالية الاميركية. وهذا يعني ان تحصل دولة الاحتلال على اعتراف من الدول العربية ، وان تتوسع بالقدر الذي تراه ضروريا لامنها ولسيطرتها في المنطقة .

ولهذا فان دولة الاحتلال منذ حزيران سنة ١٩٦٧ وهي تتعنت وتتصلب ، والدول العربية تتراجع ، وما تريده دولة الاحتلال هو ان تدفع الدول العربية الى مزيد من الاستسلام يوميا . ولكي يكون هذا ممكنا لا بد من ضرب قوى الثورة : عملية سحق واجهاز ومطاردة. وما كان في الاردن هو الضربة الرئيسية. وبينما تستمر حراب الضربة الرئيسية في الاردن في هجماتها، تبدأ حملات التشكيك بالثورة والتحريض ضدها . وتستخدم هذه الحملات كل سهامها: داخل المقاومة وخارجها . وهكذا يبدو خط المعركة واضحا : تنكيل بالثورة وجماهيرها وحملات تضليل وتشكيك وتحريض خارج الاراضي المحتلة ، تنكيل بالثورة وجماهيرها وحملات تضليل وتشكيك وتحريض داخل الارض المحتلة . واذا كانت بؤرة الصدام الآن هي عمان خارج الارض المحتلة صهيونيا وغزة داخل

الارض المحتله صهيونيا ـ فان الوطن العربي كله ميدان لهذه المعركة الشرسه .

وما تريده دوله الاحتلال ـ والامبرياليه الامريكيه وبعض الدوائر العربية الحاكمه هو ان تزول العقبه الرئيسية في وجه «مشروع التصفية» .

بايهما : ان اتجاه الجماهير الفلسطينيه نحو الدوله الفلسطينيه هو انحراف بنضال الجماهير الفلسطينيه عن مجراه الحقيقي. ومثل هذا سيقود الجماهير الفلسطينية الى الضلال والضياع. وسيوجهها الى غير الميادين . فبدلا من ان نتجه نحو التحرير ونحو اقامه سلطة وطنية في الاردن نتجه الى حيث يشاء لها العدو . ذلك ان الاتجاه نحو الدوله الفلسطينية لا يعني بقاء السلطة الهمجيه الوحشية في الاردن فحسب ـ بل يقود الى تفكير الجماهير الفلسطينيه بامكانيه تعايش مع العدو . وهذا ما تريده الصهيونيه والامبريالية ودوله الاحتلال. وهذا ما تدفع اليه السلطه الاردنيه باجراءاتها القمعيه الوحشية . ان المطلوب من الفلسطيني الآن هو ان ينسى عدوه الصهيوني ـ ان ينسى الاحتلال والتشريد ودير ياسين وقبيه الخ وكل سنوات البؤس والشقاء ـ وان يمد يده الى هذا العدو مطالبا «بالتعايش» ـ بدوله ـ بدويله ـ ببلديه كبيره ـ تعيش تحت رحمة بساطير جنود العدو . والفلسطيني المقهور امام همجيه السلطه الارديه الوحشية ، المخذول من الامه العربية ، دولا وجماهير بدأ يفكر ـ ويهمس، وحتى ينافش احيانا.

والمطلوب من الفلسطيني ايضا ان ينسى عدوه الثاني : السلطه الاردنية ـ التي تكن لها جماهيرنا عداء منذ سنة ١٩٢٢ ـ ما فتيء ينمو ويزداد مع الزمن ، نتيجة تآمر هذه السلطة وخيانتها . ولقد جاء ايلول الرهيب فزاد الجماهير قناعه بأن هذه السلطه مستمره في غيها لا ترعوي . كيف ننسى هذا العدو ؟ كيف نلغي برنامجنا للاطاحه به ؟ عن طريق الاتجاه نحو سراب الدولـة الفلسطينية . نحو بساطير جنود العدو الاول .

والفلسطيني اذا ما اتجه هذا الاتجاه ، فان ذلـــك يعني ان يسلم في الارض المحتلة ، وان يسلم في الخارج ، فــي الاردن ولبنان وكل مكان . وان يضع رقبته تحت اقدام عدويـــه الاول والثاني ، وتحت اقدام اعدائه كلهم .

فمن المسؤول عن ذلك ؟

ان المسؤول عن ذلك هو :

اولا : الدول العربية التي تدفع باتجاه «الحل الاستسلامي»، لانها باتجاهها هذا تهيء الظروف لخنق الثـــوره الفلسطينية ، ولسحق الجماهير الفلسطينية ، وتدفع الجماهير الفلسطينيـــة للركض وراء سراب الدولة ، الدويلة ، البلدية الكبيرة .

ثانيا : السلطة الاردنية العميلة التي تقوم بالحملة الرئيسية في عملية التصفية ، والتي تدفع وحشيتها القمعية الجماهـــير الفلسطينية الى البحث عن حل غير الموت والعذاب الطويل فلا ترى غير سراب الدولة الفلسطينية .

ثالثا : قيادات المقاومة التي تتردد في تحديد سبيل الخلاص العملي ، لان هذه القيادات بتركها الجماهير تتخبط في ضياعها تدفعها على طريق السراب . .

المطلوب من المقاومة اذن ان تطرح برنامج التحرير بديلا لبرنامج الدولة ، وان تطرح برنامج تحرير الجماهير الفلسطينية ــ الاردنية من بساطير جنود السلطة في الاردن ، حتى تحبط عملية الهروب من قيد الى قيد ، ومن عبودية الى عبودية .

واذا لم يطرح مثل هذا البرنامج ، ولم تعبأ الجماهير لتنفيذه، واذا لم تتخذ مواقف حاسمة وحازمة ضد الدولـــة الفلسطينية ودعاتها والعاملين من اجلها ، فان جماهيرنا ستشهد ، في الداخل والخارج ، مرحلة تمزق وضياع وخذلان جديدة .

فلنعمل بحزم وعزم ووعي لنجنب جماهيرنا المآسي الجديدة، بعد ما عانته خلال العشرين سنة الماضية .

مناقشة نقدية للجبهة الشعبية الديمقراطية

دراسة كتبت مـــا بين ١٨-٢١ شباط ١٩٧١ لمناقشه الجبهه الشعبيه الديمقراطيه . وكانت هذه الدراسه جزء من مشروع لنقد كل فصائـــل حركة المقاومة ، ولكن المشروع لـم يكتمل .

نشرت الدراســه في مجلــه «دراسات عربية» .

حين قرات مقالة خليل عواد ـ المعنونة : «الميليتسيا : ضحيه التراجع غير المنظم» احسست بانني أمام نايف حواتمة شخصيا. وتذكرته يوم حاضر في الجامعة الاردنية فتكلم ساعة وربعا فــي عموميات مكررة . وبعد انتهاء المحاضرة ساله احدهم سؤالا عــن المسالة اليهودية فهجم على السامعين بمقدمة للاجابة امتدت على مدى ثلاثة ارباع الساعة ـ خرجت انا بعدها دون ان اعلم ما جرى . والواقع ان أسلوب نايف ـ وهو الاسلوب الذي استشرى فـــي الجبهة الديمقراطية ، ووسم تراثها النظري ووصمه ـ تبرز فيه

الخصائص التالية :

١ ـ تجهيل الآخرين دائما ، والاغراق في الثمة بالنفس . اي انباع اسلوب المعلمين النمليديسن في الامرى .

٢ ـ الاغراق في العموميات دائما ، واعتبار العموميات مبادىء وقوانين ، وبناء الفرارات عليها .

٣ ـ عدم الاهتمام بدراسه الظواهر دراسة علمية ، وعدم اللجوء الى تحليلها . وهذا ما سنتبه في دراسة مستقلة . ولذلك فان المعلومات التي تعدمها الجبهة الشعبية الديمقراطية هي معلومات عامة وارقام عامه .

٤ ـ الاطالة المملة وخلط سعبان برمضان وامطار السامع او القارىء بسيل من القضايا والاسئلة والمعلومات العامة . وذلك من اجل تجنب التخصيص ، وايهام القارىء او السامع بالشمولية .

هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي فان الجبهة الشعبية الديمقراطية تسلك سلوكا منبثقا من هذه الخصائص النظريه . وهذا ما يقودها الى الطفوله اليساربة دائما والى الإنحراف اليساري او اليميني .

وترتب على هذه الصبيانية النظريه والعملية مجموعة ظواهر اهمها :

١ ـ الفصام بين الشعارات والعمل ، بين التنظير والسلوك .

٢ ـ تضخيم الدور الذاتي وتقليل ادوار الآخرين .

٣ ـ اتخاذ المواقف الاعتباطية ، فاما ان يضخم دور العوامل الذاتيه ويتصور الواقع الموضوعي تصورا ذاتيا ، او ان تضخم العوامل الموضوعية ويلغى العامل الذاتي نهائيا .

٤ ـ ممارسة النقد الذاتي ممارسة خداعة . فهو نقد عام ، يتعلق بالعموميات اولا ، ولا يناقش التفاصيل . وهو ثانيا نقد يتناول الآخرين ولا يتناول النفس . الآخرون هم المخطئون ، ونحن المصيبون ، هذا هو الوضع دائما .

وسوف اناقش هنا تقرير الجبهة الشعبية الديمقراطية حول

حملة ايلول (١) ومقالة خليل عواد المذكوره آنفا من خلال مناقشة القضايا التالية :

اولا : قضية النقد والنقد الذاتي .

ترهقنا الجبهة الشعبية الديمقراطية بالحديث عن النقد والنقد الذاتي ، ويندر ان يجري الحديث دون ان تعلن ضرورة اتخاذ موقف نقدي ، ضرورة اجراء محاكمة نقدية ، وهي اكثر من هذا تريد ان تسلح الجماهير بالنظرية لتجعلها قادرة «على المحاكمة النقدية والرقابة الثورية الصارمة» (٢) . واكدت الجبهة الشعبية الديمقراطيه هذه الحقيقة في تقريرها اذ انها ترى «ان التجربة التي وقعت بصورة مكثفة في حملة ايلول تفرض على كافة فصائل المقاومة مراجعة نقدية صارمة لممارستها السياسية والعسكرية والمالية والتثقيفية لمجابهة التطورات الجارية واللاحقة ...»

والنقد والنقد الذاتي في الواقع مقياس لامور عدة . انه يحدد قدرتنا على مواجهة أنفسنا بالحقائق ، وقدرتنا على اكتشاف الحقائق ومعرفتها . وهو يكشف ايضا مستوى ثقتنا بانفسنا ، وثقتنا بكوادرنا وجماهيرنا واحترامنا لها ، المراجعة المستمرة الصادقة مع النفس ، الامينة للحقائق هي التي تجعلنا قادرين على اكتشاف الخطأ والصواب ، وهي التي تجعلنا قادرين على تطوير برامجنا وتعديلها حسب مقتضيات الظروف . وهي التي تقودنا الى تصحيح اخطائنا في الوقت المناسب ، وقبل فوات الاوان . ودرجة الجدية في اجراء المراجعات النقدية ، هي التي تقرر درجة اخلاص اية قيادة وفعاليتها .

---

١ ـ صدر عن دار الطليعه بعنوان : المقاومه الفلسطينيه وحمله ايلول ، دروس ونتائج ، وسنرى ان التقرير بلا دروس ولا نتائج .

٢ ـ حركة المقاومة الفلسطينيه في واقعها الراهن : «دراسة نقدية» دار الطليعه ايلول ١٩٦٩ ص ٢٠ . انظر ايضا صفحه ١٢ وصفحة ٥٩ .

اذن نحن نتفق مع الجبهة الشعبية في ضروره النقد والمراجعة، ونتفق معها في ان المراجعة والنقد يجب ان يكونا صارمين . ولكن القضيه لا تقف هنا . ان القضية ، لكي تأخذ ابعادها الحقيقية ، لا بد من ان تتقدم خطوات الى الامام ، وهذا يعني :

١ - ان المراجعه والنقد يجب ان يتما، ولا يجوز ان يظلا شعارا يطرح ويمضغ ويبصق .

٢ - ان المراجعه والنقد يجب ان يتما بصدق وامانة . فـلا يكفي ان نمر بسرعه على كل القضايا ، ولا يجوز ان نذكر بعـض العوامل ونهمل عوامل اخرى . ولا يجوز بتاتا ان ننسى انفسنا ، لنبدأ بالآخرين وننتهي بهم .

علينا اذن ان نبدأ بانفسنا لننتهي بالآخرين ، وان نعامـل الآخرين كما نعامل انفسنا ، اذا لم نقس على أنفسنا اكثر مـن قسونا على الآخرين .

فهل فعل خليل عواد شيئا من هذا ؟

وهل فعلت الجبهة الديمقراطيه ، قبل خليل عواد ، شيئا منه؟

الجواب الواضح : لا .

ان ما فعلته الجبهة الشعبيه الديمقراطيه في تقريرها ، وما فعله خليل عواد ، لا يزيد عن ان يكون «تعميما» جديدا يضاف الى تراث كبير من «التعميم» .

لماذا حدث ذلك ؟

لقد حدث لان هذا هو اسلوب الجبهة الشعبية الديمقراطية في ممارساتها . ولان التقييم الدقيق يستلزم الانتقال من التعميم الى التخصيص ، ويتطلب وضع جدول للخطأ والصواب . خطأنـــا وصوابنا . وقيادة الجبهة الشعبية الديمقراطية غير مستعـــدة لذلك . لانها لا تثق بنفسها ولا تحترم جماهيرنا ، ولانها تخشى ان تكشف دورها .

ولانها تحاول ان تطمس معالم الجريمة ، ولانها تريد ان تنكر مشاركها ، وتريد ان تحمل الآخرين المسؤولية ، فان علينا ان

نكشف كل ما أخفنه ، وأن نحدد مسؤوليها .

يردد فاده الجبهة الشعبيه الديمقراطيه والجبهه الشعبية بان قياده فتح هي المسؤوله ، ولكن هل هي المسؤوله فقط ؟ وما هي مسؤوليه القيادات الاخرى ؟ ويردد قاده ج.ش.د و ج.س.ت.ف ان اليمين في حركة المقاومة هو الذي قادها الى المازق . هـــذا جزئيا صحيح . ولكن ما دور اليسار ؟ لماذا لا يحدد اليسار دوره؟

ثانيا : قضية «التعميم». عودتنا الجبهه الشعبية الديمقراطيه على ظاهرتين :

اولهما : الانسياب اللفظي .

وثانيهما : «التعميم» .

ولذلك فمن يقرأ تراث ج.ش.د . ومنه هذا التقرير حــول حملة ايلول ، يلمس هاتين الظاهرتين بوضـــوح . الكلام ينساب انسيابا لا يتوقف عند شيء . ولهذا فالقضايا كلها عامه : القضيه الفلسطينية ، حرب العصابات الفلسطينية او الحرب الشعبيـه الفلسطينية ، الجبهة الوطنيه الفلسطينية الخ ... (١) الارقام لا تستخدم ابدا . حتى عند الحديث عن الوضع في الاردن ، فاذا ما استخدمت كانت قاصره وناقصة وتمثل جانبا واحدا من الحقيقة. ولهذا فاننا لا نجد ارقاما في كتابي ج.ش.د : حركة المقاومــه الفلسطينية في واقعها الراهن ، وحول ازمه حركة المقاومـــــه الفلسطينيه . مع ان غلاف الكتاب الاول ممهور بهاتين الكلمتين : «دراسة نقدية» وغلاف الكتاب الثاني ممهـــور بهاتين الكلمتين : تحليل وتوقعات ، ولا يضيف التقرير حول حملة ايلول شيئا . اما كراس : «حول العفوية والنظريه في العمل الفدائي» فانه يضـــم ارقاما ، وهو يحاول ان يحلل بعض الظواهر ، ولكن ...؟ الارقام

---

١ ـ مرقص ، الياس : عفوية النظريه في العمل الفدائي ، دار الحقيقه ، ص ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، ٢٢٣ ، (٥٦-٦٠) ، ١٣٨ .

ناقصة وقاصرة . وهي تنطلق من «الاقتصاد» بمعناه الضيق لتستنتج قوانين سياسية ، وهي تنطلق من وضع طبقة معينة لتفسر كل شيء . انها تحلل البرجوازيه اليهودية مثلا ، ولا تحلل تركيب المجتمع الصهيوني الاحتلالي في علاقاته الطبقية المحلية والطبقية الدولية . كما انها تنسى خصوصية المجتمع الصهيوني الاحتلالي نسيانا كاملا مع انها الظاهرة الابرز ، التي تحدد وضع الطبقات داخل هذا الكيان .

وسوف اقدم مثلين على التعميم من هذا الكتاب :

الاول: يتعلق بالبرجوازية الاردنية: والكراس يذكر البرجوازية الاردنيه (٢) دون ان يفرق بين برجوازيه الضفة الغربية وبرجوازية الضفه الشرقيه وبين البرجوازية الفلسطينية المقيمة في الضفة الشرقية وبرجوازيه الضفة الشرقية ذاتها . البرجوازية الفلسطينية، سيان كانت في الضفه الشرقية او الضفه الغربية يعاملها النظام على انها من الدرجة الثانيه ، حتى عملاؤه منها . وهي فوق هذا تخضع لاحتلال شرس . اذا كانت في الضفة الغربية ، وتخضع لمنافسة البرجوازيه الصهيونية المتطوره والقويه والمسنودة من الدوله . اما اذا كانت في عمان ، فان «مصالحها» : البنوك والاراضي والشركات الخ خاضعة للاحتلال وهيمنته وتفوقه الاقتصادي . واختلاف اوضاع البرجوازية لا بد ان يقود الى اختلاف جزئي في مواقعها . البرجوازيه الشرق اردنية اكثر التصاقا بالنظام . والنظام حريص على تمييزها . اما البرجوازية الفلسطينية فهي ملحقة ، وهي تحس بذلك . وهي فوق هذا تخضع لاضطهاد النظامين نسبيا : الاردني والصهيوني ، ولذلك يجب ان نحدد حقيقة مواقف شرائح البرجوازية المختلفة بناء على دراسه الوضع الملموس ، فاين هو الوضع الملموس . هذا ما نكثر

---

٢ — ح.ش.د : العفويه والنظريه في العمل الفدائي ، ص ٥٣ .

ج.ش.د الحديث عنه . ولكنها لا تقدمه (١) .

الثاني : نسبه الفلاحين في اغلب الدول العربيه: يقرر الدراس ان «نسبه الفلاحين في غالبيه الدول العربيه حوالي ٨٠ بالمائه من السكان» (٢) . ولكن دون ان تذكر المرجع . ودون ان تقدم جداول لاي بلد عربي . وهذه النسبه بالطبع ليست صحيحه بالنسبه للبلاد العربيه . وهي لا تتجاوز ٦٠ بالمئه كما يبين ذلك اليـــاس مرقص (٣) .

ان مثل هذه التعميمات كثيره وكثره جدا لدى ج.س.د . لا في خطابات قادتها فحسب . بل في «تقاريرها» و«دراساتها» . وآخرها التقرير حول حمله ايلول .

وسوف اقدم بعض الامثله على «التعميم» في هذا التقرير :

اولا : يقول التقرير : «١ ــ ان السياسه الاقليميه التي اخذت بها بعض فصائل المقاومه طيلة السنوات الثلاث الماضيه (فلسطنه القضيه الفلسطينيه سياسيا . وطنيا . نقابيا . مهنيا في الساحه الفلسطينية ــ الاردنيه ، وشعارات عدم التدخـــل بالاوضاع الداخلية للاقطار العربيه) وقد دفعت باتجاه تعميق الانقسام بين ابناء الشعب الواحد (فلسطيني ــ اردني) (٤) . ولست انا بصدد الدفاع عن الخط الاقليمي لبعض فصائل المقاومة . ولكني اود ان انبه ج.ش.د الى الحقائق التالية :

أ ــ ان انتهاج بعض فصائل المقاومه خطا اقليميا يقتضي تسميه هذه الفصائل . والجبهة الديمقراطية عاده تسمي «فتح» . ولقد انتهجت فتح هذا الخط . ولكن ما هو الاكثر خطرا والابعد اثرا

---

١ ــ مرقص ، الياس : المرجع السابق ص ١٣٧ ــ ١٣٨ .

٢ ــ ج.ش.د : المرجع السابق ص ٦٧ ــ ٦٨ .

٣ ــ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ــ ١٩٢ .

٤ ــ ج.ش.د : حمله ايلول والمقاومه الفلسطينيه ص ٣٢ .

ان تنشىء فتح اتحادا للمرأة الفلسطينية مثلا، او ان تعلن ج.ش.د شعار : «كل السلطة للمقاومة» . والمقاومة بالطبع فلسطينية . ولماذا تذكر ج.ش.د ما ارتكبته «فتح» من اخطاء ، ولا تذكر ما ارتكبته هي . صحيح ان انشاء اتحاد للمرأة الفلسطينية مثلا يقود الى انقسام اقليمي ، ولكن الا يدفع شعار مثل : كل السلطة للمقاومة ، ولا سلطة فوق سلطة المقاومة الى انقسام اقليمي ؟ الا يفرض طرح مثل هذا الشعار على ابناء الضفة الشرقية الشعور بان ابناء الضفه الغربية ، الوافدين واللاجئين ، يريدون ان يحكموهم؟ لماذا لم يقيم تقرير الجبهة الشعبية الديمقراطية هذا الشعار عندما طرح قضية اثارة النعرات الاقليمية ؟

ب ـ ان ج.ش.د. و ج.ش.ت.ف ، وطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) و ج.ت.ع ، و م.ف.ع وقوات الانصار والحزب الشيوعي الاردني ليست منظمات اقليمية مثل فتح ، ولها نضالها وتراثها على صعيد الاردن كله . وهي ليست جديدة في الميدان ، كما يقول تقرير ج.ش.ع. فلماذا عجزت عن استقطاب جماهير الضفة الشرقية ؟ ولماذا لا تطرح ج.ش.د على نفسها هذا السؤال ؟ اذا كان السبب ذاتيا ، اي اذا كان متعلقا بعجز هذه الحركات عن تنظيم الجماهير ، فانه يستحق ان يناقش ، واذا كان السبب موضوعيا ، اي متعلقا بوضع الجماهير في الضفة الشرقية، فانه يستحق ان يناقش ايضا . واذا كان خليطا من الاثنين فانه جدير بالمناقشة .

ثانيا : يقول التقرير : «ان الحياة الاقتصادية للقوى الاردنية تعتمد في معظمها على اجهزة الدولة وخطط الرجعية الحاكمة . فان ٥٠ بالمئة من دخل القرية يأتي من المنخرطين في صفوف اجهزة الدولة وخاصة الجيش ... (١) » ولي على هذا النص

---

١ ـ ج.ش.د : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

الملاحظات التاليه :

أ ــ هنالك فرق اساسي بين «معظم» و٥٠ بالمئه . معظم تعني ٧٥ بالمئه ، ٨٠ بالمئه ، ٨٥ بالمئه ، ٩٠ بالمئه ؛ ومن لا يرى فرقا بين معظم و٥٠ بالمئه فهو لا يرى شيئا .

ب ــ من اين استمد التقرير هذه الحقيقه الهامه ؟ وهل هذه الحقيقه صحيحة ؟ لان نتائج خطيره وكبيره تترتب على صحتها او عدم صحتها .

ج ــ هل يعني الاعتماد على الدوله «اقتصاديــــا» الارتباط بالدوله ايديولوجيا . ان هذه «الواقعه» ، بغض النظر عن صحتها او خطاها ، لا يمكن فهم مدلولاتها الا اذا تم تحليل الريف فــــي شرق الاردن ؛ وتحليل العلاقات العشائريه فيه ؛ وتاريخ الارتباط بالدولة والتعبئه التي قامت بها اجهزه الدوله ؛ ولاسيما الجيش.

لقد كان تنظير ج.ش.د يقوم على ان الخاص بديل العــــام والعام بديل الخاص . العالم الثالث مثل البلاد العربيه والبـــلاد العربية مثل العالم الثالث (١) . ولكن العام لا يلغــــي الخاص ؛ والخاص لا يلغي العام . وتجاهل هذه الحقيقه يقود الى الضياع . واذا كان التاكيد على «التحليل الملموس للواقع الملموس» ضروريا، فان الهام ليس اطلاق الشعار بل تنفيذه ؛ وج.ش.د اكثر مــن شدد عليه ولكنها لم تنفذه ولو مرة واحده . ولذلك فقد ظـــل «ملموسها» غير ملموس .

ثالثا : لا ثورة بلا نظريه . هذا ما تؤكده ج.ش.د ، وهو ما تؤكده لينين وماو تسي تونج . ولكن ما هي النظريه ؟ ولمن النظرية؟

ان الماركسية والماركسيين هنا لا يخطئون . النظرية للحزب الماركسي ، على اساسها يقوم ، وهي الهادي ودليل العمل . ولكن النظريه ليست للجبهة، الا اذا كانت جبهة برجوازية او بروليتارية.

---

١ ـ ترجمة ، الياس : المرجع السابق .

ووفق ما جاء به المطرون الماركسيون . فان للجبهـــه برنامجا . والبرنامج غير النظرية . وعليه فاذا كان خلـــق الحزب الثوري يحتاج الى نظريه ثوريه . فان خلق الجبهه يحتاج الى برنامـــج ثوري .

واهميه هذا التفريق ضروريه . لانني بمقدار ما يجب ان اشدد على النظريه بالنسبه للحزب . عليّ ان اشدد على البرنامج بالنسبه للجبهة . ولكن ج.ش.د خلطت الحابل بالنابل . ذلك «ان تاريخ الثورات والشعوب يعلمنا ان لا ثوره بدون نظريه ثوريه . لا حركه ثورية بدون نظريه ثوريه» و«على حركه التحرر الوطني الفلسطينيه والعربيه ان تختار بين الايديولوجيه البرجوازيه والرجعية التـــي قادتها الى الفشل والهزائم على امتداد هذا القرن . او تاخـــــذ بايديولوجيه البروليتاريا . نظرية الطبقه العاملة للثوره الوطنيـــه الديمقراطيه . وحرب التحرير الوطنيه» (١) . وواضح هنا ان نايف حواتمه يريد نظريه البروليتارية لكل حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربيه . وهذا يعني :

ا ــ ان تجعلها حركة الاقسام المتقدمه من البروليتاريا فقط . ومن المثقفين المتنورين .

ب ــ ان تشطب دور البرجوازية الصغيرة والوطنية في حركه التحرر الوطني . وان تلغي كل التحالفات الممكنة .

وهو ما يخالف الاستراتيجيه الماركسية ــ اللينينيه لحركـــه التحرر الوطني . وما يخالف تكتيكها ، ومثل هذه الافكار لا تقود الى التحرير بل الى العزلة والتشرذم .

والماركسيه تصر على ضرورة وجود نظريه ثوريه للثورة ، لانها ترى ضرورة وجود منهج للتحليل ، منهج علمي ، قادر على دراسة القضايا دراسة علمية وتحليلها تحليلا علميا . فاذا لم تقم النظرية

---

١ ــ ج.ش.د : حركه المقاومه . مقدمه نايف حواتمه ، ص ٩ .

بهده المهمه . كما هو حاصل مع ح.ش.د . فعدت اهميتها .
وكانت متشكله ج.ش.د الاساسه انها اعلنت تبني الماركسيه دون ان تستطيع استيعاب هدا العلم وتمثله . ولدلك اصبح «التنظير» اجتهادات قاصرة . وتعميمات بدائيه لا علاقه لها بالنظريه لا من قريب او بعيد . ولقد قاد هدا الى شكل متخلف من «الاقتصاديه» . والى شكل مشوه من «المثالية» .
رابعا : قضايا الاستراتيجيه والتكتيك . ان مقدار استيعاب النظريه هو الذي يحدد مدى وعينا لقضايا الاستراتيجية والتكتيك . والثوري الذي لا يعي قضايا الاستراتيجيه والتكتيك جيدا ؛ لا يستطيع ان يقاتل نظريا او عمليا .
ومما يطرح عند بحث قضايا الاستراتيجيه والتكتيك : التناقضات الرئيسه والتناقضات الثانويه ؛ العدو الرئيسي والاعداء الثانويون . اسلوب الكفاح الرئيسي والاساليب الثانوية الخ ... طبيعة وضعنا . وطبيعه وضع العدو . خصائص ارضنا وشعبنا . وخصائص الارض والشعب لدى العدو .
ولان ح.ش.د لم تفعل شيئا من هذا فقد وقعت في اخطاء كثيرة . من هده الاخطاء :
١ ــ الاصرار «على ان الاعداء الرئيسيين المباشرين امام الشعب الفلسطيني وكل الشعوب العربية هي الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية» (١) . ولكن هل الرجعية العربيه عدو رئيسي مباشر ؟ ومن هي الرجعية العربية ؟ هل هي الاقطاع كله والبرجوازية كلها ؟ ان علم الاستراتيجية والتكتيك في الماركسية يعلمنا ان نفرق بين العدو الرئيسي والعدو الثانوي . العدو الحالي والعدو المقبل ، ويعلمنا ان الاصدقاء درجات والاعداء درجات (٢)

---

١ ــ ح.ش.د : حركه المقاومه ص ١٣٢ ، مرقص ، الياس : المرجع السابق ص٦٤
٢ ــ ثا ، شينو : حول الحرب الاهليه العشريه (١٩٢٧ــ١٩٣٧)ص ٦١ــ٦٢و٦٦ .

وفي داخل الرجعيه هنالك اعداء مندرجون : اعداء حاليون واعداء مقبلون ، اعداء على احتكاك معنا . واعداء بعيدون عنا . واعداء متحالفون. والرجعيه بالطبع ليست طبقه موحده . انها اقسام من طبقات مختلفه . بما فيه الطبقه العامله . ويختلف موقف الرجعيه باختلاف مصالحها ووعيها وتناقضاتها وتحالفاتها في مرحلة التحرر الوطني . ولا باس من التذكير بان فئات من الاقطاع والكمبرادور تحالفت مع الثوره الصينيه ضد اليابان . ولا باس من التذكير ايضا الى ان ماوتسي تونج اظهر بوضوح اهميه التحالف مع الرجعيه الصينيه المرتبطه بالدول الامبرياليه المعاديه لليابان . وعلى هذا الاساس فان اعتبار الرجعيه عدوا يستهدف كل الرجعيين ضد الثوره . ومن الواضح ان الاستراتيجيه الثوريه لا تقع في هذا الخطا . فاذا كنا مضطرين لمجابهه النظام في الاردن . فما من داع لاشهار الحرب على النظام في المغرب . مع ان النظام اخو النظام .

ومثل هذا التعميم لا يقود الى توسيع المعركه فعلا : انه يقود الى وحده الاعداء ضدنا . اعداء اليوم واعداء المستقبل . الاعداء القابلين بالتحالف . والقابلين بالمهادنه والحياد وغير القابلين بهما .

٢ ـ الاصرار على تضييق جبهتنا مقابل توسيع جبهه العدو . وذلك بالاصرار على اسقاط البرجوازيه الصغيره وانظمتها. ولم يكن يجري التفريق في البدء بين برجوازيه صغيره حاكمه وبرجوازيه صغيره معارضه. بين فئه وفئه من البرجوازيه الصغيره. واذا كان قد تم شيء من هذا بعد ذلك . فقد تم على عجل . ودون مناقشة مساله البرجوازيه الصغيره مناقشه علميه مستفيضه . وكان التركيز يجري دائما على ضروره قياده البروليتاريا للجبهه . ولكن ايه بروليتاريا ؟ اذا اخذنا النتائج باسبابها عرفنا ان البروليتاريا المقصوده هي ج.س.د.

ان عمليات «الردح» التي قامت بها ج.س.د ضد البرجوازيه الصغيرة عموما وبرامجها وانظمتها . لا يمكن ان تكون الا اخطاء

استراتيجية هامة ، مبعثها عدم تحديد دور كل طبقة ومهماتها في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي .

وكان مثل هذين الخطاين يدفعان الى تضييق جبهتنا باستمرار وتوسيع جبهه العدو ، بدلا من ان يحدث النقيض .

٣ ـ موضوع الجبهة الوطنية : تعتبر ج.ش.د «ان مسالة الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة والقوى الوطنية المناضلة مسالة لا تقبل الجدل ، فهي واحده من اهم مشكلات حركة التحرر الوطني الفلسطينية » (١) . ويطالبنا التقرير ب «صياغه برنامج عمل لجبهة وطنية موحدة ، برنامج للتحرر الوطني الديمقراطي على ضوء تجربة الثلاث سنوات بشكل عام وتجربة ايلول ودروسها ونتائجها بشكل خاص ، لمجابهة كافة الاخطار والمشاريع المتعلقة بقضية الثورة والقضية الفلسطينية خاصة وحركة التحرر العربية عامه» (٢) . ولكن الهامش يذكرنا بمشروع سابق للجبهه الوطنية وموضوعات اخرى ، منشورة في كتاب ج.ش.د : حركة المقاومة ... الخ ، وما دامت ج.ش.د لم تقدم شيئا جديدا ، وطلبت منا العودة الى مشروع سابق ، فمعنى ذلك انها ما زالت تتبناه . فما هي الاسس التي انطلقت منها الجبهة ؟ انها :

ا ـ العلاقات المتكافئة : اذ «ان العلاقة المتكافئة بين قوى حركة المقاومة هي الصيغة الصحيحة التي يمكن من خلالها ان يتم تجاوز التناقضات الذاتية وتوحيد عدد من القوى التي ليس هناك اي فروقات اجتماعية او سياسية بينها» .

ب ـ التمثيل المتساوي ، ولهذا : «تتشكل كافة قيادات وهيئات الجبهة الوطنية بتمثيل متساو بين كافة التنظيمات وتتولى التنظيمات المشتركة في الجبهة رئاسة هذه الهيئات دوريا» .

---

١ ـ ج.ش.د : حركة المقاومة ، ص ٤٤ .

٢ ـ ج.ش.د : حملة ايلول ، ص ٦٧ .

جـ ـ الاجماع ، و«تؤخذ القرارات داخل الجبهة بالاجماع ، بما يتفق وبنود البرنامج الوطني المقترح» (١) .

وهذه الاسس بالطبع لا تعود الى خلق جبهة وطنية ، بل الى «تنسيق هزيل» ، و«التنسيق الهزيل» لا يجدي في الحركات الثورية . وتعرف ج.ش.د قبل غيرها ان مشروع العلاقات المتكافئة والمساواة والاجماع ليست من مبادىء التنظيم الثوري ، ولا من قواعد الجبهات الثورية . وان الجبهات لا تبنى على مثل هذه القواعد والمبادىء ، وما من تجربه في التاريخ القديم او الحديث قامت على هذه الاسس .

وهنالك دائما عوامل تحدد حجم كل فئة أو قوة ضمن الجبهة وهذه العوامل معروفة ، اهمها : حجم كل فئة ، قوتها ، مدى النفاف الجماهير حولها ، دورها في النضال الخ . ولن نستطيع تجاوز هذه الحقائق .

اما العلاقات المتكافئة والمساواة والاجماع ، فانها تخلق في عالم العمل السياسي شللا ، وتفتح المجال للمناورة والتخريب ، وتربط العمل الوطني كله بمزاج واحد ، وربما بارادة واحدة ، او بمطمح واحد .

والذي يطرح مثل هذا الطرح لا يريد وحدة ، لانه لو كان يريدها لطرحها ضمن اطارها الواقعي . والذي يطرح مثل هذا الطرح لا يدرك معنى الوحدة الوطنية ومقوماتها ، ولا استراتيجيتها وتكتيكها .

و ج.ش.د حين تطرح مثل هذا الطرح ، تناور على الوحدة الوطنية من اجل مصلحة ذاتية هي تأكيد هويتها ومكانتها ومساواتها. وهي في الوقت عينه تعطي منظمات اخرى اصغر واضأل واهزل مثل هذا الحق . انها «تشرذم» الوحدة الوطنية .

---

١ ـ ج.ش.د : حركة المقاومة ص ١٤٢ .

خامسا : في الممارسات : اذا كان صحيحا ان لا ثورة بدون نظرية ثورية ، فان الاصح في ميدان العمل الثوري ان لا عمل ثوري بدون ممارسة ثورية . النظريه هي دليل الممارسه ، ولكن الممارسة هي المعيار : معيار الوعي والسلوك . وبالتالي فاننا لا يجوز ان نتحدث عن النظرية بدون الممارسة .

واذا كان «التنظير» ليس سهلا ، فان الممارسة اصعب واكثر تعقيدا . وعليه فان من يتسطح هكذا في التنظير لا يُتوقع منه ان يحسن الممارسة .

وانطلاقا من هذه الحقيقه ، فقد كانت الممارسة منفصلة عن الشعارات ، وكان الفصام حادا وعنيفا . ولهذا فاذا كانت الشعارات شعارات بناء الحزب الماركسي ــ اللينيني، والالتحام مع الجماهير، والنقد والنقد الذاتي والمراجعة النقدية الصارمة والتقشف ، فان الممارسة هي بناء التنظيم البرجوازي الصغير والعزلة عن الجماهير ورفض النقد والنقد الذاتي والاسراف الخ ...

وحين رفعت ج.ش.د شعار تبني الماركسية ، رفعته لانها تريد بناء تنظيم طليعي ، مركزي ديمقراطي فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة بعد اكثر من سنتين من الممارسة ، ان التنظيم الذي خلقوه بعناصره وكوادره لا يختلف عن التنظيمات الاخرى . هذا ما أثبتته معركة ايلول . ولقد كانت خيبة الامل بالقيادات ، لا بالعناصر ، لانها لم تثبت انها تتجاوز القيادات الاخرى . مع ان المفروض بالكوادر الماركسية اللينينية ان تكون أوعى واكثر استعدادا للتضحية ، واكثر جلدا وقدرة على القتال والابداع فيه.

ولهذا فقد اصبح الحزب الماركسي ــ اللينيني الطليعي نخبة منعزلة لا تربطها بالجماهير الا الشعارات والبيانات ، وبات الحزب الماركسي يشكو تخلف الجماهير التي تلتف حول «فتح» اليمينية. ولم تحاول الطليعة ــ الماركسية ان تدرس اسباب عزلتها ، وأسباب فشل منظماتها الجماهيرية .

وكانت قيادة الطليعة الماركسية تتحدث كثيرا عن التقشف،

وتنتقد اسراف المنظمات الاخرى (المكاتب ، الرواتب ، رياده المطاعم الفخمة) . ولكن الذي كان في عمان ، وعــــرف مكاتب المنظمات وسلوك القيادات كان لا يجد فرقا بين مكاتب التنظيم الطليعـــي الماركسي ومكاتب المنظمات الاخرى ، ولا كان يجد فرقا بين قاده البروليتاريا وقادة البرجوازية الصغيرة واليمين .

وليست هذه هي التناقضات الوحيده . ان هنالك تناقضات اخرى نذكر منها ادانه المبالغة لدى المنظمات الاخرى ، والاغراق في المبالغة من جهة أخرى . ماذا تقول ج.ش.د عن عملية «تشـــي غيفارا» مثلا ؟..!

وعلى صعيد الممارسة الم تكن تستحق تجربة الجبهة فـــي العلاقة مع الجماهير ، في جمع التبرعات ، في العمل النقابي ، في العلاقة مع رجال الجيش والشرطة الخ ان نقيم في التقرير ؟ ولماذا لم نقيم ؟

ثم ان الجبهة كانت ، كما يعرف الجميع بما فيه المخابـــرات الاردنية ، قد قررت القيام بانتفاضة في آب ١٩٧٠ (١) ، وهـــذا يعني ان الظروف كانت ناضجة ، فلماذا لا تذكر الجبهة هـــذه الحقيقة ولا تقيمها ؟ الا تستحق التقييم ؟ ماذا يكون لو ان الجبهة بادرت قبل ان نبادر السلطة ؟ وهل يدل تفكير ج.ش.د على شيء غير الابتعاد عن التحليل العلمي ؟

واذا كانت ج.ش.د تنتقد امتلاء «الساحة باكداس الجمـــل الثورية العصبية» (٢) اليوم فلماذا لا تشير الى مثل هذه الجمل فيما قبل ايلول .

وانا اذا كنت اطالب بمراجعة الممارسات ، فليس لاني اعتقد بأنها سبب المجزرة ، فالمجزرة كانت ستكون اسرع وافظع لو كانت

---

١ ـ الصحيح انها مررت في آب التحضير لانتفاضة .

٢ ـ عواد ، خليل : الحرية ، العدد ٥٥٣ ، ٨ـ٢ـ٧١ : الميليشيا ضحيه التراجع غير المنظم .

ممارساتنا اوعى وانضج واكثر ثورية ، لان العدو يخافنا كل ما كنا اكثر وعيا واكثر حزما . ولكني اطالب بذلك لاني اعتقد بان نسيان الماضي هو تفريط بالمستقبل ، ولاني اعتقد بان الذين يعجزون عن كشف اخطائهم ومحاسبة انفسهم لا بد عاجزون عن مواجهة العدو والانتصار عليه .

واذا كان الاخ خليل عواد ، يتحدث في مجال الرد على مقالي عن الميليشيا (١) عن الوحده البيروقراطية التي حدثت بعد ايلول ، فان التعرير يتحدث عن الموضوع نفسه ، وهنا لا بد من جلاء الامور التالية :

١ ـ ان الوحدة الوطنية التي تحدثت عنها في المقال المشار اليه ، هي الوحدة التي تمت خلال القتال ، وتبلورت بعده بقرار من اللجنة المركزية ، وبحضور نايف وخليل عواد نفسه . وهذه الوحدة لم تكن وحدة مكاتب ولا وحدة بيروقراطية ، كما يعرف خليل عواد نفسه ولو يا ....

٢ ـ ان بعض قادة ج.ش.د ساهموا في احباط هذه الوحدة الوطنية ، وفي تحويلها الى وحدة بيروقراطية مكتبية ، لانهم تخلوا عن مساندة الشكل الاول ، واهملوا في معالجة امر الشكل الثاني من البدء . وخليل عواد يعرف هذا كله ...

٣ ـ ان الوحدة التي تحققت كانت تستهدف : تعبئة طاقات الجماهير ، توحيد قوات الثوره ، ومقاومة المؤامرة الرجعية الشرسة ، وقد نجحت بعد ايلول في الحيلولة بين السلطة وبين فرض هيبتها . ولم تستطع السلطة ان تبدأ من جديد الا بعد احباط عملية الوحدة الفورية الثورية .

فلماذا تتجاهل ج.ش.د هذا كله ، وتنحرف بالحديث الى شيء آخر ؟ ولماذا لا تتذكر هذه القطعة الهامة من تاريخ ما بعد

---

١ ـ ملوش ، ناجي : الحرية ٥٥١ .

المجزرة ؟

ان الظرف عصيب فعلا وانه «يتطلب جهدا جماعيا منظمـــا لصياغة مجموع سياساتنا الوطنية الديمقراطية في هذه المرحلة» ولكن اية محاولة «للخروج ببرنامج يحدد المهمات الراهنة لحركة المقاومة ويضع الوحدة الوطنية الحقيقية على كافة المستويـــات السياسية والتنظيمية والعسكرية» (١) لا يمكن ان تتم دون اجراء تقييم حقيقي لا لتجربة ايلول فحسب ، بل لكل الممارسات النظرية والعملية ، منذ آب ١٩٦٨ حتى الآن ، بالنسبة لـ ج.ش.د ومنذ حرب حزيران بالنسبة لفتح .

ان الذي لا يقيّم الماضي تقييما امينا صادقا واعيا لا يستطيع ان يخطط للمستقبل .

خطوط أساسية
لمشروع برنامج سياسي للجبهة الوطنية الفلسطينية

ملاحظات كتبت قبل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في اوائل سنة ١٩٧١ ، وهي من الملاحظات التي اعدت للنقاش ، وجرت الاستفادة منها في حينه . ولكنها لم تنشر كاملة .

مقدمة

اصبح موضوع الوحدة الوطنية اكثر ضرورة في هذه الايام من اي وقت مضى لسببين :

أولهما : لان مؤامرة التصفية تستلزم وحدة كل القوى وحدة حقيقية ، ليكون بالامكان هزيمة القوى المضادة ، وفي الاردن خاصة ، ومواصلة مسيرة التحرير .

ثانيهما : لان استمرار «التشرذم» في هذه المرحلة الحرجة سيقود الى مزيد من الضياع والبلبلة ، وبالتالي الى التراجعات غير

المنظمة . التي نجر بدورها الى «تشرذمات» وانقسامات .

ولعل امكانيات الوحدة متوافرة اليوم اكثر من أي وقت مضى، لان قواعد المنظمات اكثر ايمانا بها ، واكثر اقتناعا ، واكثر شعورا بضرورتها . ولأن القيادات ، وهي تواجه مثل هذا الهجوم الشرس، باتت اكثر استعدادا للاتفاق (١) .

ولكن المسؤولية الكبيرة ، تقع علينا ، على حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) فاذا ما قررت انها تريد الوحدة ، وصممت على تنفيذها فانها تتحقق ، فكيف تتحقق ؟

علينا ان نقوم بما يلي :

اولا : وضع برنامج سياسي واضح ومحدد للجبهة ، يحدد المهام الاساسيه للحركة الوطنية الفلسطينية ، ويحدد واجب كل القوى في هذه المرحلة التاريخية .

ثانيا : وضع برنامج تنظيمي للجبهة يكفل الوحدة ، ويضمن بقاء التنظيمات التي ترى من الضروري ان تبقى، وهذا ممكن وليس مستحيلا .

الا ان هذا كله لا يتحقق الا اذا الزمنا انفسنا بشيئين :

الاول : احترام هذه الوحدة ، واحترام افكار المشاركين فيها ومنظماتهم وقبولهم شركاء في الجبهه وتوفير مشاركة ديمقراطية ثوريه في كل مؤسسات الجبهه .

الثاني : اختيار المؤمنين بهذا الخط للمشاركة في مؤسسات الجبهة ، وابعاد كل الذين يحملون آراء معادية للجبهة عن ميدان العمل الجبهوي ، والزامهم بقرارات المجلس الثوري ، وقرارات اللجنة المركزية لحركتنا ومؤسسات الجبهة الزاما تاما .

فاذا لم نلتزم بهاتين الموضوعتين لم يجد اي شعار نطلقه في

---

١ - لم تثبت الممارسات اللاحقة صحة هذه الموضوعة ، والا فلماذا لم تتحقق الوحدة الوطنية حتى الآن ؟

سبيل الوحدة الوطنية ، واصبحت كل خطوة نخطوها في هـذا السبيل فاشلة سلفا .

ا ـ مشروع البرنامج السياسي .

اولا : تمثل الجبهة الوطنية الفلسطينيـة جماهير الشعب الفلسطيني ومنظماته المقاتلة واحزابه وجمعياته وشخصياتـه الوطنية ، مهما كانت اتجاهاتهم وآراؤهم وافكارهم ، شريطة ان يلتزموا بهذا الميثاق .

ثانيا : يحق لاي منظمة او حزب او جمعيـة او شخصية ان تنضم للجبهة ، اذا وافقت على الالتزام ببرنامجها السياسـي ولائحتها الداخلية ، ولا يجوز استبعاد منظمة او حزب او جمعية او شخصية ، الا في الحالات التي تقتضيها مصلحة امن الثورة، وهذا يتم بقرار من اللجنة المركزية ، او المجلس الوطني في حالة انعقاده .

ثالثا : اهداف الجبهة :

ا ـ تحقيق التحرير الكامل للاراضي الفلسطينية والعربيـة المحتلة ، وهذا هو الهدف الاساسي والمركزي للثورة الفلسطينية .

ب ـ تعبئة الجماهير الفلسطينية تعبئة ثورية ، عسكريـة وسياسية واعلامية ، واشراكها كلها في معركة التحرير .

جـ ـ تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو وتصعيد كل اشكـال النضال السياسي والاعلامي .

د ـ توحيد كل قوى الجماهير الفلسطينية في الداخـل والخارج من اجل تصعيد الثورة وحمايتها والسير بها نحو النصر.

رابعا : اشكال النضال :

ا ـ ان الكفاح المسلح : حرب العصابات المتصاعدة على طريق الحرب الشعبية الشاملة هي الشكل الرئيسي للنضال .

ب ـ النضال السياسي : ان كل اشكال النضال الاخرى يجب ان تسير جنبا الى جنب ، مع الكفاح المسلح تعضده وترفده ، وتفعل ما لا يستطيع القيام به .

واذا كان هدف الكفاح المسلح ضرب قوى العدو العسكرية وتدمير منشآته ، فان هدف اشكال النضال الاخرى ارباك العدو سياسيا ، وارهاق قوات امنه وجيشه ، وشل اجهزته الادارية واحباط مشاريع الاستسلام التي يُعدّها ويقوم بها .

هـ ـ الحرب النظامية : ان الاستفادة من اية قوة نظامية ضرورة ملحة اذا كان ذلك ممكنا ، ولذلك فلا بد من تطوير قوى جيش التحرير الفلسطيني ، وزيادة كفاءتها العسكرية ، واشراكها اشراكا فعالا في القتال . كما لا بد من العمل باستمرار لدفع الجيوش النظامية العربية الى المشاركة في المعركة .

ان الحرب الشعبية تعني تجنيد الشعب كله ، واذا كانت الحرب الشعبية ذات تقاليد معروفة ، فانها لا تتعارض باي حال من الاحوال مع انشاء قوات نظامية ، شريطة ان تكون هذه القوات النظامية تدرك اهمية حرب الشعب ، وتثق بالجماهير وباهمية تدريبها وتسليحها ، وتعمل وفق استراتيجية حرب الشعب وتكتيكها .

خامسا : طبيعة الحركة الوطنية الفلسطينية :

ا ـ حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة تحرر وطني . ولذلك فاستراتيجيتها وتكتيكها هما استراتيجية حركة التحرر الوطني وتكتيكها : اي انها حركة كل الجماهير المناضلة ضد الاحتلال ، المؤمنة بضرورة التحرير ، المستعدة للانخراط في صفوف الجبهة الوطنية .

وهذا يعني ان كل الطبقات (العمال ، الفلاحين ، البرجوازية الصغيرة ، وكل فئات السكان الاخرى) مدعوة للانخراط في الجبهة ، مقابل الالتزام ببرنامجها السياسي والتنظيمي . كما يعني ان كل المنظمات والاحزاب والجمعيات ، مهما كانت افكارها

ومبادئها مدعوة للانخراط ايضا .

ب ــ حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة تقدمية ، لانها :

١ ــ تحارب احتلالا اسكانيا عنصريا ، هو جزء من قوى الامبريالية في عالم اليوم .

٢ ــ تحارب الامبريالية العالميه ، حامية الاحتلال الصهيوني ، المعادية لمطامح شعبنا وآماله .

٣ ــ تحارب كل العلاقات المتخلفة في مجمعنا لانها تعرقل مسيرة التحرير .

٤ ــ تستهدف بناء مجتمع تسود فيه مبادىء السلام والعدل والحرية والمساواة ، وتنتفي فيه العشائرية والسيطرة الاقطاعية والتفرقة الدينية او العرقية .

جـ ــ حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة ديمقراطية لانها :

١ ــ حركة كل القوى التقدمية في المجتمع .

٢ ــ تتيح المجال لكل الحركات والمنظمات والاحزاب للمشاركة في الكفاح من اجل التحرير .

٣ ــ تستهدف بناء مجتمع ديمقراطي يفسح المجال امام كل الحركات والمنظمات والافكار والآراء التي قاتلت لكي تبني مجتمع المستقبل .

سادسا : الجبهة الوطنية الفلسطينية والجماهير العربيه :

ان الجبهة الوطنية الفلسطينية :

أ ــ جزء من حركة التحرر الوطني العربية ، وطليعتها في هذه المرحلة التاريخية .

ب ــ فلسطين المستقبل ، المستقلة المتحررة ، جزء من الوطن العربي الموحد ، تخضع لما تخضع له الاجزاء الاخرى .

ولهذا فان مشاركة الجماهير العربية في القتال ، وفي حماية الثورة ، مهمة اساسية من مهمات الثورة العربية ، وعلى كل الطلائعيين العرب ، سيان كانوا من الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين ، او كانوا من الحركات والمنظمات العربية والمستقلين

العرب ، ان يعملوا بوعي وداب لجعلها حقيقه يوميه ملموسة .
وان اول واهم ما يجب ان يعمل له الوطنيون العرب هو ما يلي:
١ ــ احباط المتاريع النصفويه ، مثل قرار ٢٢-١١-٦٧ ، ومتروع روجرز ، وكل المشاريع الاخرى ، وعلى راسها مشروع الدولة الفلسطينية .
٢ ــ حماية الثوره من مؤامرات الانظمه العربية، ومن تحرشاتها وتضييقاتها .
٣ ــ توفير احتياجات المعركه ، لاسيما الدعم المادي والمعنوي والمسانده السياسية .
ويجب ان يكون واضحا دائما بان علاقتنا مع الجماهير العربيه هي الاساس . وان علاقتنا مع الانظمة لا تكون على حساب علاقتنا مع الجماهير . وان كان هذا لا يعني قطيعة مع الانظمة ، ولا يعني استفزاز الانظمة بلا مبرر او دخول معارك اعتباطية معها .
ويجب ان نضع في اعتبارنا ان الجماهير العربية هي التـــي تخوض معاركنا في البلاد العربية .
سابعا : الجبهة الوطنية الفلسطينيه والاردن :
اتحدت الاردن وفلسطين منذ سنه ١٩٥٠ . ومنذ ذلك الحين والبلدان بلد واحد ، هذا بالاضافه الى العلاقات التاريخيـــة والقومية والثقافية التي توحد الشعبين منذ القديم . وبما أن القسم الاكبر من جماهيرنا هم مواطنون في الضفة الشرقية ، فان وضعنا في الاردن يختلف عن وضعنا في اي بلد عربي .
وبالاضافة الى هذا فان الاردن بوضعه الجغرافي والاستراتيجي يستطيع ان يلعب دورا اساسيا في معركة التحرير . ولهذا فان وجود حكم وطني في الاردن ، هو مطلب جماهيري من جهة ، وهو حاجة استراتيجية من جهة اخرى .
ولذلك فان علينا :
أ ــ ان نخلق جبهة وطنية موحده فلسطينية ــ اردنية ، توحد النضال والجماهير ، وتحبط مخططات الامبريالية والرجعيـــة

الاردنية الهادفة الى سحق الحركه الشعبيه الوطنية وحركة المقاومة .

ب ـ ان نعمل من اجل اسقاط السلطة الخائنه العميلة واقامة حكم وطني ديمقراطي بدلا منها .

ولا يجوز ان يغيب هذا الشعار المركزي عن برنامجنا ، لان بقاء سلطة عميلة خائنه في الاردن سيقف حجر عثره في سبيل تقدم الثورة .

ثامنا : الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين والعالم :

ان الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية هما عدوان لدودان لشعبنا . وعلينا ان نطور نضالنا ضدهما . وهذا لن يكون الا بتحديد الاصدقاء والاعداء على صعيد العالم ، وبتطوير علاقاتنا مع اصدقائنا وحلفائنا .

ان اعداءنا على الصعيد العالمي هم :

أ ـ الامبريالية العالمية بقياده الولايات المتحدة .

ب ـ الصهيونية العالمية بقيادة المنظمة الصهيونية العالمية .

جـ ـ كل الانظمة الرجعية والعرقية الدائرة في فلك الامبريالية العالميـة .

اما اصدقاؤنا فهم :

أ ـ دول المعسكر الاشتراكي وكـل الاحزاب الشيوعيـة والاشتراكية والعمالية المعادية للامبريالية .

ب ـ حركات التحرر الوطني والشعوب المناضلة ضد الاحتلال والاستغلال والعنصرية والعرقية والاضطهاد .

جـ ـ القوى المحبة للعدالة المؤيدة للسلام .

ولا بد من ان نطبق مبادىء الاستراتيجية والتكتيك الثوريين على علاقاتنا بالعالم .

ان تطوير علاقاتنا على الصعيد العالمي ، وتعزيزها وتوسيعها ضروري في سبيل ارباك عدونا عالميا ، وزيادة قوة جبهتنا .

تاسعا : الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين والحل السلمي .

هنالك حل واحد لقضيه فلسطين هو تحريرها بالقتال . كل اشكال القتال . ولهذا فان طرح موضوع الحل السلمى او الدوله الفلسطينيه او الهدنه مؤقتا من اجل افساح المجال لاخراج دولـه الاحتلال غالبا طرح مرفوض . وعليه فانه من الواجب :

ا ــ شجب ايه محاوله لايقاف الثوره او عرقلة مسيرتها . لاي سبب من الاسباب . والقتال بحزم ضد مثل هذا المخطط .

ب ــ رفض مشروع الدوله الفلسطينيه رفضا حازما جازما. ومطارده كل دعاته والعاملين له .

جـ ــ رفض مشروع التصفيه تحت ايه صيغه جاء . ابتـــداء بقرار مجلس الامن المؤرخ ٢٢–١١–٦٧ او اي مشروع آخر .

وان محاربه هذه المشاريع والمحاولات تحتاج الى عمل اعلامي وسياسى واسع النطاق . فلسطينيا وعربيا ودوليا .

عاشرا : ج.و.ت.ف والدوله الفلسطينية الديمقراطية .

ان الكفاح العربى فى فلسطين ليس كفاحا عرقيا موجها ضد اليهود . ولهذا فان دوله المستقبل فى فلسطين المحرره ستضم جميع السكان الراغبين بالعيش بسلام، عربا كانوا ام يهود: وبتمتع الجميع بنفس الحقوق والواجبات ، ضمن اطار الدولة الواحدة .

ويجب ان يكون واضحا ان هذه الدوله :

ا ــ جزء من الوطن العربى الموحد ، وتتبع نفس النظام الذي تتبعه دوله الوحده .

ب ــ ان املاك المؤسسات الصهيونيه ومؤسسات دولـــــه الاحتلال ، ستصبح من املاك الدولة الجديدة .

جـ ــ يعامل اليهود فى الدولة معاملة ابناء القوميات الاخرى فى دولة الوحدة ، بما يضمن مساواتهم مع المواطنين وبما يكفل مشاركتهم الفعالة فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

د ــ تحارب فى دولة فلسطين المتحررة المستقلة كل النزعات الشوفينيه والعرقيه والطائفيه المعادية للمساواة .

حادى عشر : ج.و.ت.ف والعمل الشعبـــي والمنظمـــات

الشعبية : ان الكفاح الشعبي ، فلسطينيا وعربيا هو طريق الخلاص الوحيد ، وبدونه لن يكون نصر .

وعليه فان ج.و.ت.ف :

أ ـ تعتمد على الجماهير المنظمه المعباه في معركه التحرير والعوده .

ب ـ تعمل على تعبئه الجماهير وتدريبها وتسليحها لخوض معركة التحرير والعودة .

ج ـ تساعد النساء والعمال والطلاب والفلاحين وكل ذوي المهن على خلق منظماتهم الجماهيرية ، وتفسح امامها المجال لتشارك مشاركة حقيقية في العمل الوطني .

د ـ تخضع كل قيادات الجبهة وكوادرها وعناصرها اخضاعا تاما لمبدأ احترام الجماهير والتعلق بها ومساعدتها واعتبارها معلما وموجها لكل من يريد ممارسة النضال .

هـ ـ تعمم على قواعد المقاتلين مفوضين سياسيين مهمتهم ربط المقاتلين بالجماهير،واقامة علاقات وثيقة بينهم ، واشباعهم بحب الجماهير واحترامها والاخلاص لقضيتها .

نحو وحدة وطنية فلسطينية

يحتل موضوع الوحده الوطنيه اهميه خاصه في الثورة الفلسطينيه. وما زال موضوع الوحدة من المسائل الاساسية بالنسبة لثورتنا . وقد كتبت هذه الملاحظات في مناقشة هذه القضية في ١٧-٣-١٩٧١ ، وكان موضوع الوحدة مطروحا داخل الثورة وخارجها . ولم تنشر هذه الملاحظات من قبل .

ما دام عدونا اساسا هو الاستعمار الصهيوني ، فان حركتنا تظل حركة تحرر وطني . وما دامت حركتنا حركة تحرر وطني فان الوحدة الوطنية او الجبهة الوطنية تظل قضية استراتيجية من قضاياها . ومن أهم قضاياها على الاطلاق . وعلينا ان نعي جيدا ماذا تعني هذه الحقيقة ، وان نعمل كل ما نستطيع لوضعها موضع التنفيذ .

ولا بد لنا باديء ذي بدء ان ندرك ان الوحدة الوطنية تعنى

ما يلي :

اولا : لقاء كل جماهير شعبنا على برنامج محدد . ووحدة ارادته وقواه لمحاربة عدونا الاساسي والرئيسي : الاحتلال الصهيوني في ارضنا المحتلة . ولا بد ان تشمل هذه الوحدة كل الطبقات والحركات والاحزاب والقوميات والاديان، ضمن اي اطار ممكن .

ثانيا : اعتبار ان هذا اللقاء يستلزم وضع استراتيجية محددة للحركة الوطنية الفلسطينية . تضمن مرحليا وحدة القوى والطاقات في جميع المجالات ، وتعمل من اجل ما يلي :

أ ـ نمو قوى الثورة الفلسطينية . العسكرية والسياسية ، اي زيادة قواها المقاتلة والمنظمة والجماهيرية .

ب ـ تصاعد عملياتها ضد العدو، واتساع نطاق عملها العسكري والسياسي واشراك اوسع القوى الجماهيرية فيها .

ج ـ حماية الثورة من هجمات القوى المضادة وحشد كل امكانيات الجماهير الفلسطينية والعربية لدعمها واستمرار مسيرتها على طريق النصر .

ثالثا : ولا بد من ان تنطلق هذه الاستراتيجية مما يلي :

أ ـ اعتبار ان هنالك مصلحة حقيقية لكل هذه الطبقات والحركات والاحزاب والفئات في الالتقاء على برنامج محدد غايته تحرير الوطن .

ب ـ اعتبار ان هذا اللقاء مرهون بتحقيق عمليّة التحرير ، فالتحرير هو غايته .

ج ـ اعتبار ان هذا اللقاء لا يلغي الصراع الايديولوجي ، ولا يلغي الخلاف حول مختلف القضايا الاخرى ، ولكنه يكيّف كل اشكال الصراعات والخلافات لمصلحة الوحدة الوطنية .

د ـ اعتبار ان اي خروج على خط الوحدة الوطنية هو انحراف يميني او يساري لا يخدم الا الاعداء .

فاذا كان هذا ما تعنيه الوحدة فكيف نستطيع ان نحققها ؟

ان تحقيق الوحده يحتاج الى ما يلي :

اولا : برنامج سياسي ـ عسكري واضح ومحدد ، ينبثق من الوعي العلمي للمرحله ، ومن المتطلبات العمليه للنضال . ويجب ان يطرح هذا البرنامج على الجماهير ، وان تطالب المنظمات والحركات والطبقات بتبنيه والالتزام به .

ثانيا : لا بد من ان ياخذ هذا البرنامج مصالح الفئات المتحالفه وآراءها وافكارها وايديولوجياتها وتقاليدها ومثلها بعين الاعتبار، وان يحرص على احترام هذه الاراء والمثل والتقاليـــد . على ان يتحول الصراع فيما بينها الى نقد علمي والى حوار هدفه تعميق الوحدة واغناء الثقافة الوطنية .

ثالثا : بناء تنظيم موحد متماسك فعال يستطيع ان يقـــود المنظمات والطبقات المختلفة . وان يوجهها . وان يفرض احترامه عليها بحكمته وفعاليته وصلابته .

رابعا : تعميق مفهوم الوحده لدى الجماهير وتحويله الى قضية تناضل الجماهير يوميا من اجلها . وهذا يقتضي وضع برنامـــج اعلامي خاص بالوحده . وتعميقها في اذهان الجماهير .

خامسا : محاربة كل الاتجاهات الانعزاليه والانقساميه وضيقه الافق في تنظيمنا . وعزل غير المؤمنين بالوحده عن مجالات العمل الموحد والعمل الجماهيري . واخضاعهم لبرنامج تثقيف يستهدف القضاء على تخلف وجهات نظرهم في هذا المجال .

ان الوحده يجب ان تتجه الى الجميع . الى كل جماهيرنا . منظمة وغير منظمة ، حزبيه وغير حزبيه . وكل من يحاول ان يستثني فئة بسبب ايديولوجيتها الفكريه او انتمائها السياسي ، فانما ينحرف عن خط الوحده ، ويعمل على اثارة الريبة والشك والتنازع في صفوف الجماهير . وكما ان الغاء فكرة التحالف . باسم وحدة الثورة والجماهير خطا . فان محاولة الغاء فكـــره (الصراع من خلال التحالف) باسم الوحدة الوطنية الشاملة خطا ايضـــا .

اما القضايا التي يجب ان تركز عليها استرايجية الوحدة فهي نفس القضايا التي طرحها مشروع البرنامج السياسي الذي تبناه المجلس الوطني الفلسطيني ، في دوره انعقاده الاخيرة ، ولذلك فلا حاجة لاضافه شيء جديد . الا ان هناك حاجه للتأكيد على ضرورة تحويل تلك الافكار الى ممارسات .

فاذا انتقلنا الى موضوع الاطار الذي تتحقق من خلاله الوحدة الوطنية وجدنا منظمة التحرير جاهزة ومهيأة . ولكن منظمة التحرير حتى تصبح الاطار القادر على تمثيل الوحدة الوطنية ، فانها بحاجة الى ما يلي :

اولا : الغاء طابعها البيروقراطي . باجراء تغيير جذري في تركيبها . وفي العقلية السائدة فيها (الروح المكتبية ، الروح العسكرية المحترفة . التبذير . الاهمال ، عدم اختيار العناصر العاملة فيها اختيارا حسنا الخ) .

ثانيا : خلق مؤسسات قادرة وفعالة تمثل مقاتلي الشعب الفلسطيني واكثر عناصره وعيا ، ولا تمثل وجاهاته ومخاتيره السياسيين ، وعملاء الاستخبارات فيه .

وهذا يقتضي :

أ ــ تكوين المجلس الوطني على أسس جديدة ، بحيث تتمثل فيه القيادات الفعلية في حركتنا وفي المنظمات الاخرى ، على ان يختار هذا المؤتمر ، او المجلس الثوري ممثلي حركتنا في المجلس الوطني .

ب ــ اختيار نوعيات ثورية من المستقلين .

ج ــ اختيار اكفأ قيادات المنظمات وافضل المستقلين لقيادة العمل في مكاتب منظمات التحرير ودوائرها ، والغاء الصيغة الحالية، لهذه المكاتب والدوائر .

د ــ تكوين قيادات قطرية للعمل الموحد ، على غرار اللجنة المركزية . وقيادات مناطق واحياء .

هـ ــ انسجاما مع قرار المجلس الوطني الفلسطيني بضرورة

وجود استراتيجية موحدة للثورة الفلسطينية وقيادات موحده تنشأ الدوائر التالية :

١ ـ الدائرة العسكرية : تخطط وتعود كل القطعات العسكريه المقاتلة (قوات جيش التحرير الفلسطيني، قوات اليرموك(١)، قوات العاصفة وقوات الصاعقة وقوات التحرير الشعبية الخ) .

٢ ـ دائرة الميليشيا : تخطط لقطاع الميليشيا وتقوده . ويجب ان تكون دائرة مستقلة عن الدائرة العسكرية ، ومرتبطة بالقياده مباشرة ، لان المهمة الاساسية لها هي : حماية الثوره ، وتبقى هذه الدائرة مستقلة عن الدائره العسكريه حتى تتطور عقليـــة القياداتالعسكريه وحتى تصبح قادره على قيادة الجماهير .

٣ ـ دائرة التنظيمات الشعبية : تخطط للتنظيمات الشعبيه وتقودها .

٤ ـ دائرة الاعلام : تخطط للاعلام وتقوده . ومهمة هــذه الدائرة تنحصر في العمل لتعميق خط الوحدة الوطنية داخــل التنظيمات المختلفة وفي اوساط الجماهير ، وفي العمل الاعلامي الخارجي .

٥ ـ الدائرة المالية : تخطط للناحية المالية وتقود كل النشاطات الهادفة الى زيادة مداخيل الثورة .

٦ ـ دائرة قضايا أمن الثورة تهتم بجمع المعلومات عن العدو وعن اعداء الثورة ، وتضع المخططات لحماية الثورة (القــوات والقيادات والافراد) .

٧ ـ محكمة امن الثورة (المحكمه وهيئة الادعاء العام) وتحدد اختصاصاتها بلائحة .

٨ ـ دائرة العلاقات الخارجية .

٩ ـ دائرة الخدمات الصحية (يلحق بها الهلال الاحمر) .

---

١ ـ قوات اليرموك جزء من قوات العاصفة .

١٠ ـ دائرة الشؤون الاجتماعيه (تلحق بها مؤسسة رعاية شؤون الشهداء والاسرى) .

ان اي برنامج . مهما كان وضوحه . ومهما كانت تورينه لا يمكن ان يحقق للقضية شيئا ان لم تتوافر القيادات والاجهزة القادرة على تجاوزه في التطبيق . فاذا كانت القيادات والاجهزة قاصرة كان من المستحيل ان تعني البرامج شيئا . ان استمرار وجودنا في منظمة التحرير يجب ان يعني العمل لتطويرها بسرعة، وبكل الوسائل . لان استمرارها بما هي عليه سيفضر بالقضية الوطنية اولا . وسيسيء الى حركتنا ثانيا ، وسوف يكرس الشرذمة والتهاون والضياع في الساحة الفلسطينية .

ان هنالك خطا واحدا بالنسبة للثورة الفلسطينية في ميدان الوحدة الوطنية . وهذا الخط هو خط الوحدة . الوحدة على اساس الجبهة الوطنية ، على اساس برنامج حد ادنى محدد وواضح ، لان الخط الآخر . الخط «الجزائري» يقود الى كارثة حتما . لماذا ؟

١ ـ لان الخط الجزائري هو خط «النصفية الدموية» ، و«التصفية الدموية» الداخلية التي قد تستطيع ان تحقق وحدة شكلية في مرحلة يذهب ضحيتها عشرات آلاف الضحايا . ومن يقدم على مثل هذه التصفية رجعي ومتخلف واحمق ومجرم ، وضيّق الافق .

٢ ـ ان ظروف الجزائر مختلفة عن ظروفنا ، لان الجزائر لم تكن الصراعات الفكرية والسياسية فيها قد اتسعت اتساعها في بلادنا ، لان الثورة كانت «ريفية» ، ولأن الريف كان معزولا عن الثقافة والسياسة والاحزاب والتنظيمات نسبيا . اما الشعب الفلسطيني فقد امتدت اليه الافكار المختلفة والاحزاب المختلفة . وهذا يعني ان فرض «وحدة وطنية» على الطريقة الجزائرية سيذهب بضحايا من كل بيت . ثم ان المنظمات الفلسطينية هي في كثير من الاحيان امتداد لاحزاب عربية ، او امتداد لسياسات

عربية ، وفرض صدام على مثل هذه المنظمات بأسلوب التصفية الدموية سيعني الصدام مع هذه الجهه او تلك صداما مسلحا ، وليست الثورة الفلسطينية في وضع يسمح لها بارتكاب مثل هذه الحماقة .

٣ ــ لان الخط الجزائري الذي يستهدف وحدةتضم المستقلين وتستثني الحزبيين ، مثلا لا يقود الى نشوء تكتل او محـــور يضم معظم المنظمات ضد حركتنا وبعض قيادات جيش التحرير فحسب ، بل يقود ايضا الى استبعاد كل الكوادر الجيدة الممتازة التي تضمها المنظمات «الحزبية» من اطار الوحدة ، ويخرج العدد الكبير من كوادرنا وكوادر جيش التحرير الواعية من اطار حركتنا، ومن اطار جيش التحرير ، او يجعلهم في صدام مع هذا الخط الرجعي المتخلف .

لهذا كله يجب ان يكون واضحا لدينا ان الخـــط الجزائري خط لا يصلح لثورتنا ، وان تبنيه سيقود الى كارثة وطنية كبرى، ولن يحقق شيئا غير انتحار الثورة كلها .

ولكن هذا كله لا يعني ان نهمل العمل من اجل الاندماج بين المنظمات التي تقتنع بضرورة الاندماج ، فتقـــدم على تحقيقه . وعليه لا بد من ان تستمر المساعي للاندماج مع طلائع حـــــرب التحرير الشعبية . ان مثل هذا الاندماج سيحدث تحولا فـــي الساحة الفلسطينية ، لانه سيدمج قوى اكبر منظمتين فـــي الساحة (١) .

كما ان هذا كله لا يعني اهمال العمل مع الجماهير لتعبئتها في خط حركتنا . ان هذا واجب اساسي ، ولكن الذين يتحدثون عن مثل هذه المهمة يجب الا ينسوا ان تعبئة الجماهير وتنظيمها ، تحتاج الى ايمان بالجماهير اولا . القيادات التي لا تؤمن بالجماهير

---

١ ــ احبط هذا المشروع فيما بعد .

لا تستطيع ان تنظمها ، ولا ان تعبئها . وتحتاج الى ان نكون نحن مناضلين مؤمنين قادرين على ان نضرب المثل للجماهير ثانيا . فاذا كنا مناضلي مقاهي وصالونات نخشى على لمعان احذيتنا من غبار المخيمات والازقة فيجب الا نتوقع ان يكون بقدرتنا تنظيم الجماهير وتعبئتها . ثم ان الذين يستطيعون تعبئة الجماهير وقيادتها لن يعجزوا عن قيادة المنظمات والاحزاب والفئات المختلفة ، والذين يعجزون عن العمل مع المنظمات والفئات المختلفة لن ينجحوا في العمل مع الجماهير . هذا ما تثبته تجارب التاريخ المختلفة . ولعل تجربة الجزائر التي تضرب مثلا للوحدة مع الجماهير أحسن مثل لعجز الثورة عن التعامل مع المنظمات والفئات ولعجزها عن التعامل السليم مع الجماهير .

هذا وان الحديث عن الوحدة الوطنية لا يجوز له ان يتجاهل القضيتين التاليتين : اولاهما : ضرورة تعبئة الجماهير في الاردن من اجل اسقاط السلطة العميلة ، بكل الوسائل الممكنة ، وبأسرع ما يمكن ، على ان يتم التحضير لذلك جيدا ، وأن يجري تجنب الممارسات السابقة والاساليب السابقة ، ثانيهما: ضرورة العمل مع الجماهير العربية لاستقطاب مقاتلين ، ولخلق الجبهات الوطنية والشبكات القادرة على دعم الثورة حقا وعلى حمايتها .

ان هذا كله يجب ان يكون واضحا في أذهاننا عندما نتصدى لموضوع الوحدة الوطنية ، وعندما نتخذ اي قرار بشأنها .

معركة أيلول والحقائق التي اكدتها

دراسة كتبت في الذكرى
السنوية الاولى لمعركة ايلول ،
ونشرت في «دراسات عربية» ،
السنة ٧ ، العدد ١١ .

في الذكرى السنوية الاولى لمعركة ايلول (١٧–١٩٧٠/٩/٢٨)

قام النظام الاردني في ايلول من العام الماضي بهجمته الشرسة على الجماهير في الاردن ، وكان هدف المؤامرة مزدوجا :

١ – سحق الجماهير الشعبية المتمردة على الهزيمة والاستسلام ، المتمردة على المذلة والخضوع ، المعبرة من رفضها وتمردها من خلال التنظيم والتدريب والتسلح .

٢ – تهيئة الجو لعقد صفقة استسلامية باخماد روح المقاومة ، وبفرض روح الاستسلام والخضوع على الجماهير ، وباستحصال شهادة حسن سلوك من الامبريالية العالمية والصهيونية .

ولقد كان النظام الاردني يرتعد فزعا من نمو حركة الجماهير

المسلحة ، ومن نمو المنظمات الشعبية (طلابية وعمالية ونسوية وشبابية) ، ومن نمو الوعي الجماهيري واذكاء الروح الوطنية في الاوساط الشعبية . وكان هذا كله لا يهدد النظام باحباط مشاريعه الاستسلامية التصفوية فحسب ، بل يهدد بتصفية النظام الرجعي العشائري العميل عينه .

ولقد اكدت معركة ايلول ، وما تلاها ، مجموعة من الحقائق الهامة التي لا بد من ذكرها والاعتبار بها ، وأهم هذه الحقائق :

اولا : ان الجماهير المنظمة المسلحة قوة هائلة جبارة ، وأن هذه القوة قادرة على الصمود في وجه اعتى القوى العسكرية النظامية وأحدثها تسليحا، وقادرة على ايقاع أفدح الخسائر بها. وهذه الحقيقة الهامة والاساسية التي اكدها عباقرة الحروب الشعبية العظام (ماركس ، انجلز ، لينين ، ماو ، جياب ، غيفارا) اكدتها وقائع تاريخية عديدة منها معركة ايلول (١٧—٢٨) والمعارك التي سبقتها ولحقتها في الاردن .

ان القوى المتقابلة لم تكن متكافئة من حيث العدد والعدة . ذلك ان الجيش الاردني الذي كان يهاجم عمان كان عدده خمسة اضعاف المدافعين عن عمان (حوالي ٥٠ الف مقاتل ــ ١٠ آلاف). ولم يكن هنالك تناسب في العدة : دبابات وآليات ومدفعية ثقيلة ورشاشات ثقيلة مقابل اسلحة خفيفة وعدد محدود من الرشاشات المتوسطة ، وعدد أقل من الرشاشات الثقيلة وعدد محدود جدا من المدافع المتنوعة (١٠٦ و٧٥ ملم وهاون ٦٠ ، ٨٢ ، ١٢٠) ، وكميات محدودة من الصواريخ .

وعلى الرغم من ان الجيش بدأ بالهجوم ، وأجبر المقاومة على اتخاذ موقف الدفاع ، غير المهيأة له (عدم وجود ملاجىء ، عدم وجود خنادق واستحكامات ، عدم وجود ذخائر كافية ومؤن الخ) ومع انه كان من الخطأ القبول بموقف دفاعي ، فقد استطاعت عمان أن تصمد خلال اثني عشر يوما من المعارك الطاحنة دون ان تمكن الجيش من اقتحامها . وعلى الرغم من ان السلطة مهدت

لهذه المجازر بمعركة ترويع وتقتيل يومية استمرت من ٢٨ـ٨ الى ١٧ ـ ٩ .

ولقد صمدت عمان ، لا نتيجة وجود خطة عسكرية، ولا نتيجة تفوق في التدريب او التسليح ، ولا نتيجة البدء بالهجوم ، بل لان الجماهير قررت ان تقاتل .

وهذه حقيقة يجب ان تعمم ويجب ان تستوعب جيدا . لانها تضع يدنا في الجرح ، تدلنا على طريقنا الوحيد والمضمون لمقاومة اعدائنا .

هذه الحقيقة المعروفة من قبل ، التي اكدتها النظرية الثوريه والتجارب الثورية ، والتي اكدتها وقائع تاريخية عديده ، هـي الرد الناجع ، الجامع المانع ، على دعاة الاستسلام، وعلى المتنكرين للجماهير ، المشككين بصلاحيتها للقتال ، المصرين على ان القتال عمل الجيوش «النظامية المحترفة» المسلحة باحـدث مبتكرات التكنولوجيا .

ثانيا : ان الوعي الثوري والتنظيم الثوري والقيادة الثورية عوامل متداخلة متكاملة ، وان هذه العوامل هي العوامل الاساسية في القتال . فاذا ما وجد الوعي والتنظيم والقيادة لم يكن القتال ضد العدو ممكنا فحسب ، بل عملية مؤكدة . ولكن مستوى هذا الوعي ونوعيته ومستوى هذا التنظيم وطبيعته ومستوى القيادة ونوعيتها هو الذي يحدد مستوى القتال ونوعيته . وكلما ارتقى الوعي وتعمق ، وتماسك التنظيم وتطور وتمرست القيادة وافتنت بالخبرة كلما ازداد القتال عمقا واتسع افقا ، وكلما اصبح اكثر قدرة على استقطاب الجماهير ومواجهة الاعداء . فاذا ضعـف الوعي وتراخى التنظيم وعجزت القيادة اصبح القتال عملا فرديا او عمل شراذم مسلحة لا يوجهها الا اندفاعها ، ولا تقودهـا الا حماستها .

ولان الوعي كان محدودا ، والتنظيم كان في ادنى درجـات التماسك والقيادة كانت عاجزه استطعنا ان ندافع دفاعا شبه

عفوي ، ولم نستطع ان ننتقل الى الهجوم ، وخسرنا معارك كان يمكن الا نخسرها ، وتشرذم العدد الاكبر من العناصر والكوادر او تساقط .

ولقد انتصر من الناحية المعنوية في معركه ايلول خط الوعي الثوري ، التنظيم الثوري ، القيادة الثوريه ، وسقط الخط المعادي لتسييس القوات والجماهير ، خط احتقار الوعي والجماهير والقيم الثوريه وحرب الشعب .

ثالثا : ان وحدة الاراده ووحدة القياده اكثر ضروره في المعارك الشعبية منها في المعارك النظامية ، وان فقدان وحده الارادة ووحدة القيادة يقود الى الشلل والهزيمه . ولقد كانت المقاومة الفلسطينية متشتتة الارادة ، مشتته القيادة في معركتها.

كانت متشتته الارادة لانها لم نكن نعرف ما تريد ، ولأن بعض قياداتها اراد الناطور وبعضها اراد الحصرم ، وبعضها لم يكن يدري ما يريد وبعضها شغله ما شغل أخت بني عامر (١) . وبينما كانت المعركة محتدمة والقنابل تنصب على الاطفال والبيوت كانت القواعد والكوادر لا تعرف شيئا عن «الخطة» ، وكانت الكوادر واثقة من انه ليس هنالك خطة، وزادتها ايام المعركة الاولى قناعة بانه ليس هنالك استخدام للقوى خارج عمان والزرقاء ، وان القيادات العاجزة تزداد عجزا كل يوم .

وكان التحقق من هذا العجز يزعزع معنويات العناصر والكوادر

---

١ ـ يقول الجواهري : ولكن كما شغلت نفسها بنحيين اخت بني عامر. واخت بني عامر هذه كانت تبيع لبنا . ولديها «زقان» ، فجاء مشتر وطلب ان يذوق اللبن ففتحت الزق الاول ثم طلب ان يذوق الثاني ففتحته وامسكت به في يدها الاخرى. واستغل المشتري انشغال يديها الاثنتين فقبلها ولم تستطع حراكا لانها خشيت ان ترخي يديها عن الزقين . وذهبت القصة مثلا من الاهتمام بالقضية الصغرى والتفريط بالكبرى .

ويقودها الى الشعور بعدم جدوى استمرار القتال . ولعل هذا الشعور وحده هو الذي دفع الى قبول وقف اطلاق النار ، بعد عشرة ايام من المجازر . ولم تكن العوامل الاخرى (الشهداء ، نقص الماء والغذاء ، الجرحى الخ) الا عوامل مساعـــــدة ، كان يمكن تجاوزها لو ان القتال كان يسير في طريق النصر .

ولما كانت وحدة الارادة عملية تتحقق من خلال الممارســـة والتثقيف والتربية ، وكانت وحدة القيادة عملية تتحقق من خلال خط واضح والتزام بهذا الخط ، ومن خــــلال اختيار القيادات والكوادر الواعية الملتزمة بهذا الخط على صعيد الجبهة ، ومـــن خلال وضوح الخط السياسي ووجود تنظيم متماسك رُبّي على احترام قواعد المركزية الديمقراطية على صعيد الحزب او الحركة. فانه لم يكن ممكنا ان تتحقق وحدة الارادة والقيادة فعليا خلال القتال ، وان كان قد تحقق شعور بضرورتهما .

ان معركة ايلول تعلمنا بمداد من دم الشهداء ، وبنبرات من صرخاتهم واناتهم ومن عويل الامهات والاخوات ان وحدة الارادة والقيادة ضروريتان ضرورة مطلقة ، وان توافرهما لازم للنصر ، وفقدانهما نذير بالهزيمة .

وهذا يفرض علينا ان نتعلم كيف نحققهما وكيف نجسدهما في نضالنا المقبل .

رابعا : ان الانتفاضة علم ، وان الاعداد لها وتفجيرها وتحديد موعد التفجير وقيادتها امور تحتاج الى وعي ثوري اصيل والى معرفة واسعة بالتناقضات المحلية والدولية ، والى قدرة على فهم امكانيات التحالفات وضروراتها ومهماتها . كما ان كون الانتفاضة علما يعني ضرورة فهم معنى الحرب عموما والحرب الشعبيـــة خصوصا . وماذا تعني الاستراتيجية وماذا يعني التكتيك ، ومتى يكون الهجوم ومتى يكون الدفاع ، وكيف يتم القتال في المـــدن القرى والغابات ، في السهول والتلال والجبال . ثم ان كـــون الانتفاضة علما يستلزم ان نعرف كيف نعبىء الجماهير وننظمهـــا

ونفودها . فاذا لم يتوافر شيء من ذلك كانت الهزيمة مؤكدة .

ان علينا دائما ان نكون قادرين على معرفة التناقض الرئيسي والعدو الرئيسي ، وعلى معرفة الوقت الملائم للضربة القاضية . فاذا أخطأنا في تحديد التناقض الرئيسي والعدو الرئيسي وموعد توجيه الضربه قدنا انفسنا الى تهلكة .

ولقد أخطانا في ايلول في تحديد طبيعة التناقض ، وطبيعة العدو ، وظللنا نحاول تجنب المعركه في وقت اصبحت فيه مفروضة علينا ولازمة لنا ، وما كان ممكنا ان نخرج من مازق روجرز ، وان نسقط الاتجاه نحو التسوية والتصفية الا باسقاط أداه التصفية والتسوية : النظام الاردني .

وكان شباط او آذار او نيسان او حتى ايار سنه ١٩٧٠ الوقت الاكثر ملائمة . لان النظام لم يكن قد انهى استعداداته بعد، ولانه حتى ذلك الحين كان لا يستطيع الاستفاده من موافقة القاهره على مشروع روجرز .

ولكن الوضع اخذ يتدهور بعد ايار . فقد اكمل الطوق حول عمان . وفي أوائل حزيران بدات السلطة هجومها الشرس (٧-٦-١٩٧٠) . وحين توقف الصدام دون ان تستطيع السلطة دخول عمان ، وبعد ان خسرت سياسيا باقصاء الشريف ناصر والشريف زيد عن الجيش ونتيجة تهديد باستمرار المعركة اذا لم يقصيا ، طلبت السلطة من ممثلي المقاومة (ضافي جمعاني وسمير الخطيب) ادخال قوات الى مراكز معينة في عمان . ولقد وافق ممثلا المقاومة على ذلك مقابل وجود بعض عناصر الكفاح المسلح مع الجنود في المراكز الجديدة ، ولم تعترض اللجنة المركزية . وبينما كان وجود الكفاح الفلسطيني المسلح رمزيا، كان وجود جنود السلطة فعليا ومؤثرا كما ثبت في ايلول .

الا ان تدهور الوضع لم يخرج الامور من ايدي المقاومة . وما بين حزيران وآب كانت ما زالت تستطيع ان توجه ضربتها القاضية الى النظام . وكان خروج المظاهرة الجماهيرية في اواخر

تموز ضد مشروع روجرز مناسبة ملائمة لتوجيه ضربة قاضية للنظام ، كما كان اعلان الملك يوم ٩ـ٦ عن استعداده باقصاء خاله الشريف ناصر والشريف زيد وقتا مناسبا ايضا .

ولكن الفرصة ضاعت وظلت المقاومة تنتظر ـحتى دون اعداد ملائمـ ايامها الحاسمة .

وكان هذا كله يؤكد ان المقاومة لم تعـــرف ما معنى « ان الانتفاضة علم » . ولذلك لم تستطع فهم طبيعة التناقض ولا طبيعة تطور الاحداث ، ولم تدرك ما المعنى السياسي والعسكري للموافقة على مشروع روجرز . كما انها لم تستعد سلفا لهذا كله ، ولم تعرف عندما حدث الصدام كيف توجهه وتقوده .

خامسا : ان «علم الانتفاضة» يؤكد ان الروح الهجوميـــــة هـــي روح الانتفاضـــة ، وان الروح الدفاعية موتهـــا . واذا كانت هذه الحقيقة مؤكـــدة سلفا ومقررة بالوقائـــع ، فـــان تجربة ايلول فـــي الاردن تزيدها تأكيـــدا علـــى تأكيد وتوضحها . ذلك ان قيادة المقاومة انتهجت منذ ٤ـ١١ـ٦٨ خط الدفاع السلبي . ولم تستطع احداث ٤ـ١١ـ٦٨ واحداث ١٠ـ٢ـ٧٠ و٧ـ٦ـ٧٠ ان تقنعها بان الانتقال الى الهجوم هـــو العلاج الحاسم (١) .

وكان هنالك ما يثبت ذلك من خلال احداث ٤ـ١١ و١٠ـ٢ و٧ـ٦ عينها .

ففي ٤ـ١١ لم يتوقف النظام عن عدوانـــه الا حين وزعت البنادق القليلة المتوافرة ، والقنابل اليدوية المتيسرة ، وعبـــىء الجو بروح هجومية مضادة للنظام ، وتحركت الجماهير فـــي

---

١ ـ الروح الهجومية والروح الدفاعية شيء والهجوم والدفاع شيء آخر . لان الدفاع في علم الحرب والحرب الشعبية خاصة وارد وهام ويستطيـــع ان يحقق نتائج باهرة .

مظاهرات وفي عمليه استنكار شامله .

وفي ١٠-٢ لم يتوقف النظام عن مواصلة عدوانه الا حين استغلت الميليشيا للهجوم تكتيكيا وبدات هجومها الضاري على قافله الآليات في التاج يوم ١١-٢ . وعلى مقر قياده الباديه في اليوم التالي . ولقد حسم هذا الهجوم المحلي نتيجه الصراع .

اما في ٧-٦ فان نتيجه المعركه تقررت حين اعدت الميليشيا عدتها للقيام بهجوم ليله ٩-٦ . واصدرت قياده المقاومه انذارها للسلطه الذي طالبتها فيه :

١ - بالتوقف عن الاستمرار بالعدوان خلال ساعات محدده (ست ساعات تنتهي في الساعه ١٢ ليلا) .

٢ - باقصاء الشريف ناصر القائد العام للقوات المسلحـــــه والشريف زيد قائد الفرقه المدرعه انذاك .

وقد توقف العدوان خلال الفتره المحدده واقعيا ...

وكان استمرار الخط الهجومي فى تلك اللحظه التاريخيـــه سيحقق نتائج باهره .

وعلى الرغم من هذا كله فان المقاومه لم تتعلـم اهميه الروح الهجوميه . ولم تاخذ بها في معركه ايلول وبعدهـــا . لقد ظلت مدافعه . ولذلك فقد ظلت تتقهقر .

ان هذا كله يعلمنا اهمية الروح الهجوميه . اهميه تكويـــن المقاتلين والمناضلين على اساس الهجوم لا الدفاع . وتوفير القيادات القادره على التخطيط للهجوم وقيادته .

وهذا ما يعمل له عدونا منذ سنوات طويله .

وهذا ما تمارس به الصينيون والفيتناميون والكوريون . ومما تجعلهم قادرين على مواجهه اعدائهم والانتصار عليهم .

سادسا : ان قوتين سياسيتين ، متعارضتـــي الاهداف . متناقضتي المنشأ . لا يمكن ان تلتقيا في بلد واحد الا مرحليا ، وضمن ظروف معينه .

ولقد كانت المقاومه قوه سياسيه مناقضه للسلطه الاردنيـــة

العميلة من حيث الاهداف ، ومن حيث المنشأ . انها مـن حيث الاهداف تطرح قضية التحرير عن طريـــق الحرب الشعبيـــة المسلحة ، اما النظام فيطرح موضوع التسوية ؛ وهي من حـ المنشا تمثل ارادة الجماهير الوطنية ، الكادحة والمعادية للاحتا الصهيوني والامبرياليه ، اما السلطة فتمثل العائلة الحاكمـ وحاشيتها ومرتزقتها والفئات الطبقية المستفيدة من وجود والسلطة معاديه للجماهير . مرتبطة بالامبريالية . ومثل ه القوتين لا بد من صدامهما . من يجهل هذه الحقيقة يجهل ا السياسة والصراع السياسي ..

واذا كان ممكنا المناوره لتاجيل الصدام ، او العمل لعقـــد «هدنات مؤقتة» لسبب او آخر ، فما كان ممكنا جعل الصدام غير وارد .

ولقد فهم النظام هذه الحقيقة . حاول ان يستعيد من وجود المقاومة في الضغط على الولايات المتحدة الامريكية، وعلى الاحتلال الصهيوني . ولكنه في الوقت نفسه كان يستعد ، يهيء الجيش، ويعد قوات القمع ، ويشكك الجماهير ، ويسعى لاستقطاب عناصر مختلفة وفئات مختلفة باساليب ووسائل مختلفة ، وكان يستفيد من اخطاء المقاومة في هذا كله .

وعندما حان الحين وجه الضربة .

اما المقاومة فانها لم تدرك هذه الحقيقة جيدا ، ولذلك ظلت غير موحدة الارادة ، غير موحدة الخطة ، وكانت تتحدث عـــن التعايش وعدم التدخل في الوقت الذي يعد فيه النظام كل قواه للانقضاض . وحين أحست بالخطر الحقيقي بعد حزيران سنة ١٩٧٠ ، اخذت تستعد ببطء ، وتستعرض قواها ببلاهة، محتفظة بالموقف الدفاعي .

وهنا فاجأها النظام بضربته .

كان النظام يدرك أبعاد جدل صراع القوى السياسية ، ولم تكن المقاومة تدرك هذه الابعاد . وكان يعلم ان وجود المقاومـــة

ونموها وتصاعدها بلغيه سياسيا وعسكريا ، حتى بلا معركه .
ولهذا بادر الى القتال . الى الحسم .

ان معركه ايلـــول . جاءت لتؤكد مـــن جديد . ان قوانين سياسيين متعارضين الاهداف لا تمكن ان تتعايشا . وهـــذا القانون حاد وصارم مثل القانون القائل : لا يمكن ان يشغـــل جسمان حيزا واحدا في وقت واحد .

وكما هو الامر في الطبيعه . كذلك الامر في السياسه لا بد من ان تحل قوه محل الاخرى . او ان تتفاعلا وتستوعب احداهما الاخرى .

والقانون في الحالتين واضح : لا تحل قوه مكان اخرى الا بالقوه : باستخدام القوه او التهديد باستخدامها . واستخـــدام القوه معروف . ويمكن ان نضرب عليه امثله اسقاط الثـــوره البلشفيه للقيصريه ثم لحكومه كرينسكي البرجواريه . وحـــرب التحرير الصينيه. وحرب التحرير الفيانناميه ١٩٤٥ــ١٩٥٤ الخ.
اما اسقاط قوه لاخرى بالتهديد ، فلعل احسن مثل له استيلاء الفاشيين على السلطه في ايطاليا . انهم لم يطلقوا طلقه . ولـــم يقودوا معركه بل دخلوا روما بمظاهره منظمه : فما كان من الملك الا ان سلم موسوليني رئاسة الوزراء . وهنا تقول المعادله ان قوه سلمت لاخرى . وهنالك امثلة اخرى متشابهه في تاريخ النازيه ، مع بعض الفوارق (اقتسام بولندة : احتلال السوديت ، احتلال النمسا) . وقد تطور في علم الاستراتيجيه باب اسمه الـ... يبحث هذا الموضوع تفصيلا ويقرر مبادئه .

ويتم التفاعل احيانا بين قوتين سياسيتين ، فتلتهم احدى القوتين الاخرى . وتتحدان . وخير مثل على ذلك اتحاد حزب او حركة سياسيه مع سلطة معينه ، بحيث يصبح جزءا مـــن هذه السلطه . وهذه الاحزاب او الحركات اما ان تتنازل عن اهدافها وتحويها او ان تنحرف عن خطها الذي وضعته لنفسها .

وفي كل هذه الحالات لا بد ان يحسم الصراع ، وهو لا يحسم

بمعزل عن صراع المصالح والطبقات ، وعـــن قوانين الصراع السياسيه والعسكرية .
وكلما ازدادت احدى القوتين قوة ، كلما ازداد الصراع عنفا . ويزداد الصراععنفا ايضا لا كلما زادت قوةاحدى القوتين فحسب، بل كلما تعارضت المصالح والمطامح ايضا .
قد يعيش حزبان او قوتان في بلد ، اذا لم يكن بينهما تناقض جذري : مثل حزب العمال وحزب المحافظين فـي بريطانيا ، او الحزب الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة . وقد يعيش حزبان متناقضان جذريا من حيث الاهداف كالحزب الشيوعـي الفرنسي والحزب الديغولي ما دام الحزب الشيوعي الفرنسي لا يهب لاسقاط السلطه بالقوه ، وما دام يحتكم الى الانتخابـات والطرف الآخر يعرف نتيجة الانتخابات سلفا . ولكن جبهة تحرير فيتنام لا تستطيع ان تتعايش مع النظام العميل في الجنوب ، وحركه المقاومه لا يمكن ان تتعايش مع الاحتلال الصهيوني ، الا اذا القت السلاح . ولا يمكن ان تتعايش مع النظام الاردني الا اذا تخلت عن كونها حركه شعبيه وتحولت الى شراذم من رجـال العصابات المرتبطه به . الهادفة الى ارعاج الاحتـلال ، اذا رأى النظام ان مصلحته تقتضي ذلك .
سابعا : ان توزيع قوات العدو هو احسن وسيله لجعلهـا عاجزه عن تحقيق انتصار سريع ، او جعلها قادرة على احـلال مواقعنا واحدا وراء الآخر ، وان السماح للعدو تركيز قوانـه ومواجهتنا موقعا موقعا يقود الى هزيمتنا وانتصار العدو .
وكان هذا واضحا في شباط وحزيران وايلول سنة ١٩٧٠ ، كما كان واضحا في المعارك التي تلت . ففي شباط وحزيـران وايلول ، كان يتم استنفار كل القوى عندما يقوم العدو باستفزاز معين حتى ولو كان صغيرا، وكانت السيطرة تجري على كل المدن. ولذلك كان العدو يعجز عن السيطرة على البلاد كلها .
اما بعد ايلول فقد ناورت السلطة . اوهمت قيادة المقاومة

انها تريد نعايتنا ، ثم اخذت تحتل المواقع واحدا وراء الآخر . وكانت في كل مره تحتل فيها موقعا تصمت المواقع الاخرى . وتسلسلت الاحداث حتى اطبق العدو على عمان ، التي سلمت دون قتال ، وتحت عنوان : اخلاء العاصمة من السلاح والسماح للمقاتلين بالتفرغ للعدو الصهيوني من قواعدهم . وحين وصل الامر الى جرش وعجلون كان العدو يملك كل عوامل الانتصار : التفوق المعنوي نتيجة العديد من الانتصارات ، التفوق العسكري بالحشد والمعدات ، التفوق العملياتي (وجود الخطة، الهجوم الخ)؛ ضيق مجال المناوره بالنسبة للمقاومة واتساعها بالنسبة للعدو ، عدم وجود اتصال جغرافي بين منطقة القتال وقواعدنا الخلفية .

لقد منحنا العدو الفرصة للاستفادة من كل اخطائه السابقة، وسمحنا له ان يركز قواته بدلا من ان نجبره على تشتيتها ، وان يدخل في معارك صغيرة معنا بقوات متفوقة على قواتنا . ثم حشدنا الباقي من قواتنا في «مصيدة» ، وقدمناها لقمة سائغة للعدو ، دون ان نعدها تدريبا وتسليحا ومن حيث المعنويات والقيادات والخطة لمواجهة من هذا القبيل .

واذا كان الحشد ضروريا ، بالنسبة لنا ، فمن اجل التمركز والقيام بهجمات صاعقة وماحقة ، محدودة ولكن فعالة ، سياسيا وعسكريا ، اما اذا حشدنا قواتنا واتخذنا موقفا دفاعيا وسلبيا ، فان ذلك لا يعني شيئا سوى الهزيمة .

ثامنا : ان الجماهير المنظمة المسلحة تستطيع ان تلعب دورا فعالا في انتفاضة عامة شاملة تبدأ هي فيها بالهجوم ، كما انها تستطيع ان تلعب دورا فعالا في الدفاع عن المدن والاحياء ، وفي تشتيت قوى القمع وتدميرها ، ولكنها لا تستطيع ان تلعب دورا هجوميا في حرب نظامية . وعليه فان الجماهير المنظمة المسلحة بحاجة الى طلائع مدربة جيدا مسلحة جيدا ، قادرة على التخطيط والتنفيذ ، ذات قيادات تتمتع بالكفاية والوعي والاخلاص والالتزام، لتكون أداة الهجوم الضاربة . فاذا ما وقع هجوم من العدو على

الجماهير المنظمة المسلحة ، وهي لا تملك مثل هذه القوة لجأت الى الدفاع السلبي ، وهذا ما حصل في ايلول .

ولعل كان فقدان هذه الاداة الهجومية الضاربة او عدم قيامها بواجبها عاملا من العوامل الاساسية في تحديد نتيجة المعركة ، وتقليص امكانيات الانتصار الحاسم .

تاسعا : ان المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة ، وضد العدو الصهيوني ، بحاجة الى الجماهير المسلحة لحمايتها من العدو الصهيوني ومن عملاء الصهيونية والامبريالية . وان فقدان هذه الحماية يعرض المقاومة لتصفية شاملة ، او يقودها الى قبول الاحتواء والارتباط بالانظمة . وهذا يعني ان تفقد استقلاليتها ، وفعاليتها وثوريتها باعتبارها حركة مقاومة .

ولعل كل الاحداث التي حدثت بعد ايلول تؤكد هذه الموضوعة . ذلك ان التنازل عن «سلاح الجماهير» قاد الى البحث عن الخلاص بين ايدي الانظمة . ولقد قاد البحث عن الخلاص بين ايدي الانظمة الى مزيد من التراجعات . وهكذا دواليك حتى وجدت المقاومة نفسها في الاردن تخسر كل مواقعها ، وتخسر الكثير من ثقة جماهيرها .

كما ان تنازل المقاومة عن سلاح جماهيرها قادها الى ان تفقد احترام الانظمة التي نصحتها ورجتها وضغطت عليها لقبول هذا «التراجع الاستراتيجي المنحرف» ، واحترام الجماهير العربية التي رات في المقاومة قوة تحد للواقع العربي الفاسد وتمرد عليه.

عاشرا : ان اية مقاومة فلسطينية لا تستطيع ان تشرك الجماهير العربية معها في القتال ، وفي تامين الحماية اللازمة من هجمات العدو الصهيوني والعملاء العرب سوف تقود نفسها الى مازق . ذلك ان العزلة عن الجماهير العربية ، لا تكمن خطورتها في حرمان المقاومة الفلسطينية من طاقات الجماهير العربية وامكانياتها فحسب ، بل تعرضها لمؤامرات الخونة والعملاء واعداء الجماهير .

ولقد سقطت المقاومه في هذا الخطا . ذلـــك انها طرحت شعار عدم التدخل ، وبدلا من ان تعتبره تكتيكا . جعلت منـــه استراتيجيه . وفي الوقت الذي كانت تفتح الحدود العربيه امام نشاطاتها وتوحد عواطف الجماهير العربيه معها . ظلت عاجزه عن ان تحول عواطف الجماهير الى مشاركه حقيقيه فعاله . واعراها تملق الانظمه عن حماسه الجماهير . والدفعات التي تاتي مجمعه عن العروش التي تاتي مسعوره . ولكنها تحمل معها قلوب الجماهير ودفعات احاسيسها .

احد عشر : ان الانتفاضه لا تردد فيها ولا مساومه . وانهـا عندما تبدا فيجب ان تندفع فيها قوى الثوره بكل حماسها وكل قواها . وكل عنفوانها . فاذا ما حدث تردد او مساومه سقطت الانتفاضه .

ولقد اثبتت احداث ايلول وما تلاها هذه الحقيقه . وانه ليس هنالك حاله قتال وسلام في الوقت ذاتـــه . فللقتال اساليب عسكريه وسياسيه ومناورات ولكن ليس فيه تردد ولا تقاعس . وليس فيه مجال للضياع او الجبن . وللقتال فوق هذا اسبابه وحوافزه . مقدماته ونتائجه . فاذا جهلناه . او استخففنا باي منها سقطنا في شرك العدو .

وعلى هذا فان خطانا في ايلول لم يكن اننا تسرعنـــا . او استعجلنا ، او قاتلنا حيث يجب الا نقاتل . بل ان خطانا كامن في اننا لم نعبيء انفسنا وجماهيرنا كما يجب . وفي اننا باطنانـــا وتقاعسنا وتخاذلنا . وفي اننا لم نلجا الى السلاح بكل ما لدينا من عزم وحسم وقوه ...

ثاني عشر : ان الانظمه العربيه الرجعيه العميله كالنظـــام الاردني تعتبر ان تناقضها الاساسي والرئيسي هو تناقضها مع جماهيرها . وان مثل هذه الانظمه . التي لم تدخل معركه مـــع العدو ولو مره واحدة . مستعدة لدخول أعنف المعارك ضـــد الجماهير . اذا ما تنظمت وتسلحت . او هبت للمطالبة بحقوقها.

ويشهد تاريخ شعبنا في الاردن (الضفة الغربيــــة وشرق الاردن) على هذه الحقيقة . ان تاريخ هذه السلطة العميلة هو تاريخ صراع عنيف ودائم بينها وبين الجماهير الفلسطينية ــ الاردنية . ولقد خلق الاستعمار البريطاني هذه السلطة لتكون اداة قمع في المنطقة . ومنذ خلقت هذه السلطة سنة ١٩٢٢ وهي تمارس هذا الدور بعنف وشراسة ضد الجماهير في شرق الاردن وفلسطين . كما انها قامت بدور قمعي ضد الجماهير العربية (التدخل فــي العراق سنة ١٩٤١ ، التدخل في سوريا في عهد الوحدة ، دورها في حلف بغداد ، ومشروع ايزنهاور ، دورها في محاربة الحركة الوطنية الفلسطينيه قبل سنه ١٩٤٧ ، وخلال حرب ســنــة ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ ، ودورها في ضرب المقاومة الفلسطينية منــذ سنة ١٩٦٥) .

وهذا يعني ان تجاهل دور هذه الانظمة ، او محاولة التعايش معها استراتيجيا ليست الا محاولة لقبض الريح ومناورة لــذر الرماد في العيون . واذا كان هذا يعني تحديد موقف استراتيجي من هذه الانظمة ، والاستعداد لمواجهتهــــا وسحقها في الوقت المناسب ، فانه لا يعني بأي حال من الاحوال الا تجري المناورة عليها ، حين يكون ذلك ضروريا وممكنا . ولكن يجب ان تعرف الاستراتيجية وان يعــرف التكتيك ، والا تصبــح المناورات استراتيجية . فاذا ما حدث ذلك ، ووقع التشوش والبلبلة كان العدو قادرا على كسب المعركة .

واذا كان هنالك بعض الامراء الذين تحالفوا مع الافرنج خلال الحروب الصليبية ، دفاعا عن كراسي اماراتهم ، فهنالك انظمة عميلة تتعاون اليوم من اجل الهدف ذاته . وهذه حقيقة يفرضها منطق الصراع السياسي الذي تحدد التناقضات فيه المصالــح الطبقية . فاذا ما اغفلنا هذه الحقيقة كنا كمن يدفن رأسه في الرمال .

ولقد دفنا رؤوسنا في الرمال ، قبل ايلول ، وخلال ايلول

وبعد ايلول ، وحان الوقت لكي ننفض عن رؤوسنا تلال الرمال المتراكمة .

ثالث عشر : ان العناصر غير المعادية للنظام الاردني خاصة ، وللانظمه العميلة عامة داخل حركة المقاومة ، لعبت دورا كبيرا في عدم تعبئة الجماهير والكوادر والعناصر ضد النظام الاردني وغيره من الانظمة العميلة . كما لعبت دورا كبيرا في عدم دفع الصراع الى أقصى حدوده قبل ايلول وخلاله ، وقادت المقاومة الى التقهقر المشين بعد ايلول .

وهذا يفرض ان تتسلح المقاومة بموقف محـــدد من الانظمة العميلة ، وان يكون هنالك خط واضح في هذا المجال ، ملزم ولا تردد فيه . كما يفرض ان تطهر المقاومة نفسها من عملاء الانظمة ، لكي تحافظ على استقلاليتها ، ولكي تأمن شر الطعن في الظهر وشر التخريب والتخاذل والخيانة .

ان اية حركة تضم في صفوفها اناسا غير محددي الولاء ، او مزدوجي الولاء ، او انتهازيين ومرتزقة لا يمكن ان تأمن شرهم .

واذا كان من الضروري توسيع جبهة الاصدقاء وتضييق جبهة الاعداء ، فان التنظيم الثوري ، قاعدة المقاومة ، يجب ان يكون نقيا وسليما وثوريا ومحدد الولاء .

ونتيجة هذا كله تسير القضية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية نحو التصفية .

ولكن الفرصة ما زالت متاحة امامنا ، وما زال هناك شعبنا المقاتل الصامد في الداخل ، وجماهيرنا الناقمة المتحفزة فـــي الخارج ، وما زالت اسلحتنا بين أيدينا ورجالنا ما زالوا تحت السلاح ، وما زالت مخازننا «ملأى» .

واذا كانت جماهيرنا الفلسطينية والعربية قد بدات تنتقـــد وتتذمر فما ذلك لانها ضد المقاومة ، بل لانها تريد مقاومة اشد، اشجع ، اقوى ، اكثر حسما مع اعدائها ، اكثر بسالة ضدهـم واكثر جراة مع نفسها .

فاذا ما تعلمنا من تجربتنا، في ايلول وقبل ايلول وبعد ايلول، فان طريق النصر سيكون رحبا واسعا ، وستذلل كل العقبات التي فيه ، واذا لم نتعلم فسنقود شعبنا وقضيتنا الى الهزيمة مؤقتا. ولكن رجالا آخرين تعلموا من تجربتنا ســـوف يسيرون بالراية قدما .

ثلاثة خطوط : انتهازي واستسلامي وثوري داخل المقاومة الفلسطينية

ملاحظـــات كتبت في ٢-٣-٧٢ ، وكشفت عن مشروع الملك حسين ، قبل اعلانه . وقد ارسلت الى مجله روز اليوسف في حينـــه ونشرت في ٢٠-٣-٧٢ .

عاشت قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني شعورا بالتمزق والضياع بعد مجزرة ايلول سنة ١٩٧٠ . وكانت اسباب هـــذا التمزق والضياع واضحة اهمها الشعور بعجز الثورة الفلسطينية امام مؤامرة التصفية الكبيرة .

وبينما كانت الثورة تتراجع امام الهجمة الشرسة والتآمـــر اللئيم كانت اصوات ترتفع مبشرة بالاستسلام ، وكانت جماهير واسعة تتساءل الى اين ؟

ومن حق الجماهير ان تتساءل الى اين ؟ من حقها لان المصير

مصيرها ولأن القضية قضيتها . ومن واجب الثورة ان تجيب على هذا التساؤل لان اجابتها وقناعة الجماهير بهذه الاجابة هما اللذان يحددان مصير الثورة النهائي .

ولكن الثورة الجريحة المنهكة المحاصرة كانت تحاول تلافي الضربات ، وكانت تسعى جاهدة لتامين مجرد البقاء . وفي حالة التراجع والنزف والانكفاء هذه اخذت القضايا تطرح نفسها بالحاح وبدأ الحوار الداخلي . ولا بد من الاعتراف ان الحوار الداخلي لم يكن سهلا ولا بسيطا ، ذلك انه جاء تحت وطاة الهزيمة والتراجع والحصار . ولذلك فقد تحكمت به عوامل مختلفة، منها:

اولا : الخشية من الاعتراف بالخطأ ، والخشية من تحليل اسبابه . لان مثل هذا الاعتراف سيدين اشخاصا واتجاهات ولانه يعطي الاعداء «ممسك» وادلة تدين الثورة كلها .

ثانيا : محاولة اتهام الآخرين بالعجز والتقصير والتهاون الخ وتبرئة النفس من كل ذلك ، لان في هذا محاولة للتبرير ترضي النفس العاجزة ، وتجعل العاجزين يشعرون انهم اكتشفوا مكمن الداء ، وانهم وجهوا انظار الجماهير الى العلة .

ثالثا : الشعور بالعجز امام المؤامرة الشرسة ، وامام شراسة القوى المتالبة ، عربية وخارجية ، لاسيما بعد ان وقفت الجماهير العربية المغلولة متفرجة على «المذبحة المروعة» .

كانت الايام والليالي تمر والجماهير تنتظر الاجابة والثورة عاجزة ... يبلبل حوارها اغراق اليسار الطفولي في مزيد من الطفولية واليمين المتخلف في مزيد من الملاينة والمهادنة ، وخرج الانتهازيون والاستسلاميون في هذا الوقت بحلولهم . وكان اول ما حاولوا التركيز عليه هو ضرب ارادة شعبنا في الصميم ، وتحويل القضية من قضية تحرير الى قضية جزئية . ومع ان القضيتين قضية واحدة الا ان التعبير عنهما اخذ اسلوبين مختلفين :

الاول : حاول ان يسخف اصرار شعبنا على الرفض خلال سنوات نضاله وكفاحه منذ سنه ١٨٩٧ وحتى الان . ولذلك لم تعجبه «سياسه لا» التي واجه بها شعبنا كل المؤامرات والحلول الاستسلاميه . ولهذا احذ ممثلو هذا الاسلوب يدعون شعبنا الى قول كلمة نعم للحلول الاستسلامية .

الثاني : حاول ان يوهم جماهيرنا وقياداتنا الوطنيه ان شعار التحرير غير عملي،ولذلك فلا بد من «التكيف» وقبول شعارات «مقنعه» دوليا مثل شعارات التقسيم .

وخطوره هذا الاتجاه انه باسم «الواقعية» و«الروح العملية» يريد ان يجر جماهيرنا الى «الخيانة الوطنية» ، وهو اذ يفعل ذلك ، فانما يفعله من خلال تحطيم ارادة الرفض الفلسطينية ، هذه الارادة التي حمت القضية من التصفية خلال سنوات طويلة عجفاء ، وولدت ملاحم بطولية من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٧٠ .

وفي ظل هذين الاتجاهين الاستسلاميين برزت أفكار وآراء خطرة وسامة ، لانها التصفية بذاتها ، وان كانت تطرح نفسها ضمن اطار من التمويه والخداع . عبّرت هذه الافكار والآراء من ذاتها ضمن خطين ، ينطلقان من نقطة واحده ، وان كانا يفترقان ويلتقيان ، حسب ضرورات التمويه والخداع . وهما فوق ذلك يلتقيان في الهدف الاخير :

الخط الاول : يدعو الى العودة الى «السرية المطلقة» وبدء «حرب الاشباح» ضد دولة الاحتلال الصهيوني ، وضد العملاء المتعاونين معها . ومع ان هذا الخط لا يذكر كيف يمكن ان تتم العودة الى السرية المطلقة ، فانها تؤكد على ضرورة انهاء مظاهر العمل الحالية كلها : المكاتب والقوات والمنظمات . اما منظمة التحرير فتصبح جهازا رسميا يتصل بالانظمة ، واما الثورة فتصبح سرا من الاسرار . واستطاع هذا الخط ان يكسب انصارا في اوساط محدودة لانه يدعو الى «السرية» ، ولانه يدعو للتخلص من «المظاهر العلنية» ، من «الوجود العلني» للثورة ،

الذي تجسدت فيه نقائص الثورة وعيوبها .

ولكن الذين بهرهم هذا «الطرح» لم يسالوا انفسهم : لماذا تتراجع الثورة عن مواقع كسبتها بالعرق والدم ؟ وهل يكون في مصلحتها ان تتراجع ؟ الا يكون التراجع خدمة للقوى الاستسلامية في المنطقة ؟

ان المواقع العسكرية والسياسية التي كسبتها الثورة في داخل الارض المحتلة وخارجها تقف عائقا امام التصفية حتى الآن. ولذلك فان الاعداء المصممين على تصفية القضية يعملون على تصفية مواقع الثورة واحدا فواحدا . لهذا كان الهجوم الشرس في ايلول سنة ١٩٧٠ على مواقع الثورة في الاردن . ولهذا قامت قوات العدو الصهيوني بهجومها الشرس لتصفية مواقع الثورة في غزه ، بعد ايلول . ولهذا يقوم الاعداء جميعا بحملاتهم ومؤامراتهم لتصفية موافع الثورة في كل مكان .

وهذا يعني ان المحافظة على هذه المواقع والدفاع عنها هو الذي يحول دون التصفية او يؤخرها على الاقل . اما التراجع العشوائي واخلاء المواقع فلن يكون الا خدمة تقدم لعملاء التصفية. ولعل قضية النراجع في الاردن خير دليل على ما نقول .

ويموه هذا الخط نفسه بالدعوة الى السرية التي تجيء هكذا غفلا ، والتي تطرح دون شروطها العلمية والموضوعية . فالسرية ضرورية للحركة الثورية الناشئة ، عندما تكون صغيرة ومطاردة، اما حين تنمو وسط جماهير ، وحين تصبح قادرة على السيطرة على الشارع والمخيم ، وعلى الدفاع عن نفسها ، فانها لا يمكن ان تظل «سرية الوجود» ، وان كان لا بد لها من الاحتفاظ ببعض مظاهر السرية (سرية الاسماء ، الاجتماعات ، الاتصالات الخ) حسب حاجتها ، وبمقدار هذه الحاجة . ولهذا فان الذين يدعون الى العودة الى السرية اليوم ، لا يدعون الى سرية الاسماء والاجتماعات والاتصالات ، بل الى «سرية الوجود» . وهذا يعني

الغاء الوجود الشعبي ، الغاء المواقع ، المكاتب ، السلاح، المنظمات الجماهيريه . وهذا يستهدف عمليا تصفية الثورة لا العوده بها الى السرية .

ويلتقي هذا الخط مع خط عربي رسمي ورجعي ومعاد لا يريد ان يرى وجودا للثوره في الاراضي العربية ، ولا قواعد لها على امتداد خطوط النار ، وحيث توجد جماهيرها ، لا لانه يريد الثوره ان تقاتل داخل الارض المحتله ، بل لانه لا يريد ثوره على الاطلاق . ودلت تجربه الاردن على ان انهاء مواقع الثوره بهذا الشكل العشوائي لا يتيح بناء تنظيم سري ، ولا يتيح العودة الى «حرب الاشباح» ، بل يهيء الفرصة لانتصار القوى المضادة .

الخط الثاني : لا يتحدث عن النضال والقتال ، بل يتحدث عن الحلول . ذلك انه بانهزامينه بات لا يرى في النضال والقتال حلا . ولذلك فلا بد من البحث عن حل . وما دام حل المقاومة قد سقط في نظر هذا الاتجاه ، فليس هنالك الا حلول المساومة . ولقد حاول هذا الخط الانهزامي ان يسقط انهزامينه واستسلاميته على الجماهير . فالجماهير تعبت ، وهي لا تريد ان تقاتل ، ونحن ضعفاء. الغرب ضدنا ، والعرب ضدنا ، وقدراتنا محدودة . ولذلك فما الحل ؟ الحل احد ثلاثة :

١ ــ ان يقبل الشعب الفلسطيني دولة فلسطينية ، نطلبها من «العالم» ، الاتحاد السوفياتي او الولايات المتحدة او فرنسا او هذه القوى جميعا . نحن نريد دولة فلسطينية على رقعة من ارضنا ، لا نريد ان نقول لا بعد اليوم . وما دام التحرير بعيدا ، فلماذا لا نطالب بما هو معقول ؟ نطالب بالتقسيم ، فنعطى دولة في حدود حزيران سنة ١٩٦٧ او اقل . لا بأس . المواطن الفلسطيني بات يريد ان يرى شيئا عمليا . وحاول دعاة هذا الحل ان يصوروه ممكنا ، وان يجعلوه بديلا للتحرير في المرحلة الحالية . كما حاولوا ان يصوروه على انه لا يشكل تصفية للقضية .

ولكن هؤلاء اخطأوا فيما ذهبوا اليه ، وانحرفوا عن جادة النضال الفلسطيني . فما كان ممكنا ان يكون مثل هذا «الحل» غير تصفية لارادة القتال ، وغير تصفية للقضية ، وغير مدخل الى حلول اكثر تهاونا واستسلاما .

٢ ـ ان يقبل الشعب الفلسطيني حكما ذاتيا في ظل دولة الاحتلال . وهذا ما اخذت تلوّح به اجهزة الاحتلال ، من اجل صرف انظار المواطنين عن التطلع الى التحرير ، ومن اجل استقطاب اهتمامهم واشغالهم بقضايا « الحكم الذاتي » وتحويل قسم منهم على المدى القصير الى ادوات لقمع قوى المقاومة . كما ان اجهزة الاحتلال كانت تريد من ذلك اشعار الدول العربيةالمعنية ان هناك فريقا فلسطينيا «جاهزا» ، مستعدا للتفاوض في اية لحظة . ان هذه الفكرة لم تتبلور بعد ، وان كانت آخذة في التبلور . فالتحركات السياسية التي يقوم بها بعض الطامحين والانتهازيين في الارض المحتلة تسير في هذا الخط . كما ان التحركات السياسية التي تقوم بها اجهزة الاحتلال تهدف الى بلورة هذا الخط ، وان كانت تريد منه غير ما يريد . ودعاة هذا الخط وانصاره ، على قلتهم ، من المقيمين في ظل الاحتلال اساسا .

٣ ـ ان يقبل الشعب الفلسطيني حكما ذاتيا في ظل الاردن. وهكذا تظل وحدة الضفتين قائمة ، ولكن يعاد النظر فيها، ويحتل الفلسطيني مكانه ، فيصبح مولطنا من نفس المستوى ، مساويا لغيره ، وتصبح له مواقعه في الجيش والسلطة . ودعاة هذا الاتجاه لا يطرحون آراءهم علنا الا في الكواليس ، وهم يعبّرون عن اتجاههم هذا بالاساليب التالية :

أ ـ اثارة زوبعة حول مشروع الدولة الفلسطينية . فهم ضد الدولة الفلسطينية ، والدولة الفلسطينية هي الخطر الداهم ، وما من خطر غيرها . والهدف من ذلك تضليل الجماهير عن الخطر

الحقيقي واشغالهم بخطر وهمي ، كما ان الهدف من ذلك تشويه الارادة الفلسطينية المستقلة ووصمها بوصمة المشاريع المتسبوهة.

ب ـ المطالبة بالمحافظة على وحدة الضفتين في ظل العرش الهاشمي ، على اساس انه سيسقط بعد ذلك ، ومحاولة ايهام الجماهير باننا غير قادرين الآن على اسقاط النظام ، وبان هناك تسويه ، وبالتالي فماذا نصنع بالضفه الغربيه ؟ ويجيبون : نعود الى الحكم الهاشمي . وكل هذا من اجل اقناع الجماهير بان لا حل غير العودة الى «الحكم الهاشمي» .

ج ـ محاولة ابقاء الاراده الفلسطينيه ضمن اطار « اراده الانظمة العربيه» . ولهذا فدعاة هذا الاتجاه يحاربون كل توجه فلسطيني نحو تحويل المقاومة الفلسطينية الى حركة شعبية جماهيريه مستنده الى تنظيم طليعي ، متفاعلة مع الجماهير العربية تفاعلا حقيقيا ، ومتفاعلة مع القوى الوطنية والتقدمية والاشتراكية على الصعيد العالمي .

واتجاه الحكم الذاتي في ظل العائله الهاشمية هو الاتجاه الاكثر خطرا الآن ، لانه الاتجاه الوحيد الذي يحظى بتاييد القوى المسيطرة : دولة الاحتلال الصهيوني والحكومة الهاشمية ، والولايات المتحده من ورائهما . فالحكم الاردني يريد حلا ، يشارك فيه قسم من الفلسطينيين ، ودولة الاحتلال الصهيوني تريد حلا ، يشارك فيه قسم من الفلسطينيين ، ولا يكون حلا فلسطينيا ، لانها تريد حلا عربيا للقضية الفلسطينية ، يجعل من الضفة الغربيه صلة وصل ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي . والولايات المتحدة الاميركية تريد حلا يبقى النظام الحالي في الاردن ، ويكرس الانتصار الصهيوني ، وماذا غير الحكم الذاتي في ظل العائلة الهاشمية ، المتفق عليه بين حكومة الاردن ودولة الاحتلال ؟

ويروّج الاستسلاميون لهذا الحل ، باسم الدفاع عن وحدة

الضفتين وعدم قبول الحل الاسرائيلي والدولة الفلسطينية ، وهم بذلك يعملون لتصفية حركة المقاومة وقواعدها الشعبية ، ومن اجل اقامة استقرار في المنطقة نهيمن فيه العناصر المعتدلة عربيا وفلسطينيا ، ويقضى فيه على «العناصر الهدامة» ، وهذا ما الح اليه الرئيس نيكسون في تقريره الى الكونغرس خلال الشهر الحالي .

ان هذه «الخيانات الثلاث» تنطلق من منطلق واحد : روح الاستسلام ، وتقود الى نتيجة واحده : التصفية . واكثر دعاتها الذين يختلفون اليوم ، لن يختلفوا في حاله تحقق اي من الحلول الثلاثة .

ولقد ساهمت هذه الافكار الانهزامية المنحرفة في زيادة حالة الضياع والتمزق تفاقما . وكان لذلك اسباب عدة منها :

١ ـ انها دفعت قطاعات من الشعب الى التفكير بان هنالك «مخارج» لأزمتها ، ولكن اختلاف «الطروح» وضبابيتها وانحرافها عن الخط النضالي، وتناقضها مع تراث شعبنا الثوري جعلها عوامل ازمة ، اكثر مما جعلها عوامل حل .

٢ ـ انها اخذت سبيل التشكيك بالثورة وجدواها ، واستخدمت لغة الاعداء في الهجوم عليها ، مع ان الثورة ما زالت تقاتل في الداخل والخارج ضد الاستسلام والتسويات .

٣ ـ انها اخذت تشكك بالتراث الثوري لشعبنا ، فكل رفضه للاستسلام ومقاومته لصهينة ارضه اصبحت «عملا لاواقعيا» ، واصبحت مشكلة الشعب الفلسطيني ذاته . «فمشكلة الشعب الفلسطيني سياسة لا» هذا ما يقوله المشككون ، وعلى شعبنا الذي ظل يقاوم منذ سنة ١٨٩٧، وظل يقول لا للحلول الاستسلامية ان يقول اليوم نعم .

ويعيش الشعب الفلسطيني اليوم غمار أزمة التمزق والضياع هذه . فماذا يفعل ؟ انه يطالب ثورته بأن تحدد له معالم الطريق.

ان النقطه الاساسيه في معالم الطريق الجديد هي : «التمسك بسياسه لا» . ذلك ان التراث الثوري للشعب الفلسطيني قام عليها منذ سنة ١٨٩٧ ، لا للدولة الصهيونيـــــة ، لا للمجلس التشريعي في ظل الانتداب ، لا للهجره الصهيونيه الح ، لا للتقسيم، لا للصلح ولا للاعتراف بدولة الاحتلال . وليكن الموقف الآن ايضا لا للدوله الفلسطينية مع الصلح والاعتراف وضمن التصفية ، لا للحكم الذاتي ، في ظل دولة الاحتلال الصهيوني او في ظل الحكم الهاشمي . هذا هو المنطلق ، وهذا هو الموقف الايجابي الوحيد . اما نعم الاستسلاميين ، فهي السلبية .

و«سياسه لا» هذه كانت سياسة ثوريه اتبعها جماهــير الشعب الفلسطيني ، واجبرت بها قياداتها على عدم التفريط باي حق من حقوق شعبنا . ولذلك لم تستطع اية قيادة من قياداتنا ان تقبل حكما في ظل العدو ، او ان تقوم بدور اداه القمـــع لجماهيرنا . ولا يجوز ان نبرر لاحد ، بعد هذا النضال الطويــل والتضحيات الكبيره ، ان يقول : نعم لعظمـــــة يقدمها سماسره التصفية للكلب الفلسطيني . واذا كان هنالك كلب يريد عظمة من مأدبة الخيانة ، فعلينا ان نكتفه و«نقلع» اسنانــــه بدلا من ان نبرر له فعلنه .

ولكن علينا ، اذا اردنا ان نكون قادرين على عمل ذلك ، في جو الاستسلام والتصفية هذا ان نقوم بما يلي :

اولا : اعداد قوانا المنظمة والمسلحة للاستمرار في النضال من اجل التحرير ، وذلك بزيادة وعيها السياسي وكفاءتهــــا القتاليه ، وبتطوير طاقتها وفعاليتها وتصميمها .

ثانيا : تحقيق وحدة وطنية فلسطينية تضم كل القوى المعاديه للاحتلال الصهيوني ، والمؤمنة بالتحرير ، وتتجاوز الوضـــــع الحالي ، بتوثيق العلاقات بين الفصائل المسلحة، وبتوسيع المنظمة (منظمة التحرير) لتمثيل كل ابناء شعبنا وبناته وفئاته وطبقاته واتجاهاته .

واذا كان لا بد من انهاء «التشرذم» فلا بد من الاعتراف بحق اصحاب الايديولوجيات في التمسك بايديولوجياتهم ، والعمل ضمن الوحدة الوطنية في الوقت ذاته . فالوحدة الوطنية جبهة وطنية . والجبهة ، حتى تكون جبهة ، لا يجوز ان تفرض عليها ايديولوجية طبقة واحدة . والجبهة تضم اناسا مختلفين في عدد من القضايا ومتفقين في عدد آخر .

وفي هذا المجال لا بد من التاكيد على ضرورة محاربة الموقف السلبي الذي تقفه بعض الجهات الفلسطينية من الماركسية والدول الاشتراكية . كما يجب ان تحارب النزعات الطفولية اليسارية التي تريد ان تخضع الجبهة الوطنية لايديولوجية الطبقة العاملة.

ثالثا : العمل لاختراق الاسوار الصينية ما بيننا وبين الجماهير . هنالك اسوار وضعتها الانظمة ، وهنالك اسوار صنعناها نحن بجهلنا او عفويتنا ، او حرصنا على استرضاء هذا النظام او ذاك ، او بعدم ادراكنا لمعنى ان تحرير فلسطين جزء من معركة التحرر الوطني العربية . ويكفي ان ندرك ما معنى ان يكون تحرير فلسطين جزء من معركة التحرر الوطني العربية حتى نعرف كيف نقيم علاقات مع الجماهير العربية . ان اول ما يعنيه كون معركة فلسطين جزء من معركة الوحدة ، ومعركة تصفية الاستعمار والاقطاع ومخلفات القرون الوسطى في بلادنا . وهذه المعركة هي معركة الجماهير العربية . فاذا حاولنا عزل قضية فلسطين عن هذه المعركة الشاملة عزلناها عن الجماهير العربية .

ان ادراك المضمون القومي لمعركة فلسطين هو مدخلنا الى اشراك الجماهير العربية في المعركة ، وهو مدخلنا الى اتخاذ موقف صحيح وسليم من الانظمة العربية . فالجماهير العربية هي وحدها القادرة على تحرير فلسطين ، ويجب الا تبقى بعيدة عن الميدان ، وواجبنا ان نبدأ عملية التفاعل معها ، لا لنجعلها «فلسطينية» ، ولا «لنفلطسها» ، بل لنجعل المعركة مع الاحتلال الصهيوني عربية بالنظرية والممارسة ، ومن حيث الفكر والاداة .

رابعا : تحقيق التلاحم مع القوى المناضلة ضد الامبريالية والاستعمار والاضطهاد والتخلف على الصعيد العالمي. ويأتي على راس هذه القوى : الاحزاب الشيوعية والدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني والقوى العاملة من اجل التقدم والسلام(١). وما دام عدونا الرئيسي هو الامبرياليه والصهيونية واداتهما دولة الاحتلال الصهيوني ، فان القوى المذكوره آنفا هي حليفنا ، وعلينا ان نعلن هذا الحلف بلا تردد ، وان نتمسك به دون مساومه . ان عدم تحديد حلفائنا على الصعيد العالمي يضعف جبهتنا ، ويقودنا الى مزالق خطرة ، كما انه لا يتيح لنا فرصة الاستفاده من قوه حلفائنا على هذا الصعيد .

وهنالك بالاضافه الى هذا كله مهمات ملحة على الثوره الفلسطينيه ان تنجزها بسرعه هي :

١ ـ المحافظة على مواقعها ومكتسباتها وتطوير منظماتها ومؤسساتها . فلا يجوز التخلي عن موقع من هذه المواقع ، ولا يجوز التفريط بمكسب من هذه المكتسبات . ومن أهم هذه المواقع والمكتسبات : الوجود العلني ، الاسلحه ، القوات ، منظمة التحرير ، المنظمات الشعبية ، العلاقات العربية والدوليّه .

٢ ـ تصعيد الكفاح السياسى والعسكري في الارض المحتلة ، من خلال توسيع نطاق العمل السياسى ، وزيادة امكانيات العمل العسكري وفعالياته .

٣ ـ مباشرة العمل السياسي والعسكري وكل اشكال النضال لاسقاط الحكم الهاشمي العميل ، لانه اداة قمع اساسية ، ضد اراده القتال والتحرر في المنطقة ، ولانه يعمل بلا هوادة من اجل تصفية القضية .

---

١ ـ مع ان هناك خلافات اساسيه بيننا وبين بعض هذه القوى (راجع القسم الثاني من هذا الكتاب : «القضية الفلسطينيه وبعض الاتجاهات الماركسيه») .

بهذا ، لا بغيره ، تنتهي المتاهة ، وتستمر مسيرة التحرير والعودة ، وبهذا لا بغيره ينتهي الضياع والتمزق ، وتتحد صفوف الشعب الفلسطيني والجماهير العربية ، ويسقط الاستسلاميون والانهزاميون ووكلاء التصفية .

ولهذا فان كل جهودنا يجب ان تنجه في هذا السبيل .

الوضع الراهن .. ومهماتنا

ملاحظـــات كتبت في ١٠-٧٢
ونشرت في جريدة فتح دون ذكـــر
اسم الكاتب .

تقـــديم :

ان على القوى الثورية ان تتحلى بالقدرة على تحليل اوضاعها تحليلا علميا وتحديد مهماتها تحديدا دقيقا . والقوى الثورية التي لا تهتم بهاتين الحقيقتين ، ولا تولبهما الاهتمام اللازم ترتـــكب اخطاء فادحة وتتكبد هزائم كبيرة .

ومن هنا فان علينا ان نحلل ظروف الثورة الفلسطينية بايجاز، وان نحدد مهماتها في المرحلة الراهنة ، لاننا بذلك فقط نستطيع ان نواجه مؤامرة التصفية الشرسة ، وان ننتقل من التراجع الى

التقدم ، ومن الدفاع الى الهجوم .

خصائص الوضع الراهن :

ان الوضع الراهن، على الرغم من ملابساته العديدة وتعقيداته الكثيرة، يكشف عن خصائص محددة. واهم هذه الخصائص هي:

اولا : ان الهجمة الامبريالية تزداد حدة وشراسة وان الهدف الرئيسي لهذه الهجمة الآن هو تصفية الثورة الفلسطينية .. باعتبارها تهدد « الامن والاستقرار » والحكومات «المعتدلة» ، كما جاء في تقرير الرئيس نكسون الى الكونجرس في فبراير (شباط) من هذا العام .

ويعود عنف الهجمة الامبريالية وشراستها الى ثلاثة عوامل :

١ ــ اهمية منطقتنا بالنسبة للامبريالية من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية .

٢ ــ تحقق الدوائر الامبريالية الحاكمة في الولايات المتحدة من ان الهزيمة باتت محققة في فيتنام ، وان عليها ان تعيد ترتيب امورها في الشرق الاوسط ، لكي تكون مستعدة لمواجهة آثار الهزيمة المحققة في فيتنام والشرق الاقصى .

٣ ــ خشية الدوائر الامبريالية من ان يؤدي نمو القوى الفلسطينية المنظمة والمسلحة وزيادة خبرتها وكفاءتها وتفاعلها مع الجماهير العربية الى ثورة شعبية مسلحة في الوطن العربي كله ، والى قيام فيتنام ثانية في اكثر المناطق اهمية بالنسبة للولايات المتحدة .

ثانيا : ان دولة الاحتلال الصهيوني ، التي عاشت حتى الآن

في ظل غياب الحركة الشعبية المسلحة باتت تدرك اي خطر تواجهه بقيام مثل هذه الحركة . ولذلك فهي تعمل جاهدة من اجل ما يلي :

آ ـ سحق قوى الثورة داخل الارض المحتلة بكل الاساليب والوسائل الممكنة .

ب ـ مطاردة الثوار المرابطين على الحدود ومحاولة سحق قواعدهم .

ج ـ دفع الانظمة العربية الى ضرب قوى الثوره وسحقها ، كما حدث في الاردن ، وكما تريد دولة الاحتلال ان تحدث في لبنان .

د ـ اقناع المواطن سيان كان فلسطينيا او عربيا ، بان الثوره اعجز من ان تحرر فلسطين، وان الحل الوحيد هو «الاستسلام».
ولقد استغلت دولة الاحتلال الصهيوني مذابح الاردن جيدا ، وهي تستفيد من كل ظاهره من ظواهر التفسخ والاستسلام في البلاد العربيه .

ولا بد من الاعتراف بان المرحله التي تلت معارك الاردن خلفت مناخا مناسبا للتضليل « الاسرائيلي » .
ثالثا : ان الانظمة العربيه متردده في انتهاج سياسة حرب ، وان ترددها هذا يجعلها اميل لقبول « الحلول السلمية » ، كما ان هذا التردد يجعل الولايات المتحده ودوله الاحتلال الصهيوني اكثر تعنتا وتشددا واكثر عنجهية .
وينعكس هذا التردد سلبيا على اندفاع الجماهير وحماستها واستعدادها للبذل والتضحية .

ومع ان الانظمة العربية عموما تزيد من حجم قواتها المسلحة

زيادة ملحوظة . وتعمل على تحسين مستوى التدريب والتسليح. فان عدم الاهتمام بالتعبئة السياسيه للقوات وللجماهير وعدم تدريب الجماهير وتسليحها . وعدم انتهاج سياسة حرب في الحياه الداخليه . يجعل الجماهير الشعبيه لا تثق بالمستقبل. هذا، ثم ان محاولة جعل ثغرة معاويه بين الدول العربية والولايات المتحدة حبالا مريرة توحي بان الحديث عن الحرب ليس جادا، وان محاوله دخول خرم ابرة الحل السلمي ما زالت مستمرة على الرغم من انها تمثل منزلقا خطرا ، يهدد القضية كلها .

رابعا : ان قطاعا من الشعب الفلسطيني اخذ تحت ضغط هذه العوامل . ونتيجة شعوره بالعجز الذاتي للمقاومة ، يميل نحو قبول سياسة الامر الواقع .

ولهذا فان الاصوات التي كانت تعتبر شاذا فيما قبل ايلول اخذت تلقى في هذه الايام بعض القبول ، او بعض التبرير . كما ان الرفض الاجماعي الذي كانت تواجه به مؤامرات الاستسلام والحلول الجزئية اخذ يتزعزع .

ولعل مؤامرة الانتخابات ومشروع الملك حسين والموقف منهما خير دليل على ما نقول .

ان هذا « التخلخل » الذي حل بالجبهة الفلسطينيــة ليس غريبا ولا شاذا، ومع هذا فهو خطير، وذو آثار كبيرة على مستقبل الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية .

خامسا : ان القيادة الوطنية الفلسطينية امام هذه المؤامرات وهذه القوى الكبيرة الهائلة مطالبة بحل اشكالات كبرى مثل رد الهجمة الامبريالية الشرسة ، تصعيد القتال في الارض المحتلة ، اسقاط النظام الاردني ، مواجهة المشاكل الناتجة عن العلاقات مع الانظمة العربية في مرحلة قبول «الحلول السلمية» . واخيرا حل مشكلات الوحدة الوطنية الفلسطينية ضمن هذه الظروف .

كما انها مطالبة ايضا بتطوير قواها الذاتية لتكون قادرة على مواجهة مهمات المرحلة الجديدة في فترة انحسار وتراجع .

ان ضخامة هذه المهمات والعجز الظاهر عن تقديم حل لهـا يزيد من الشعور بالارتباك والخيبة .

ومع هذا كله فهناك الصورة المضادة التي تتلخص بما يلي :

اولا : فمقابل الهجمة الشرسة التي تقوم بهـا الامبرياليـة الامريكية . هناك الرد الحازم الذي تقوم به شعوب العالم ، وعلى راسها الشعب الفيتنامي وشعوب الهند الصينيـة . وهنـاك الانجازات والانتصارات التي تحققها الدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني والحركات العمالية .

واذا كانت الامبريالية الامريكية تقوم الآن بأعنف حملاتهـا العسكرية في فيتنام ، فان الشعوب تقوم بأعنف ردودهـا الآن ايضا وفي فيتنام ذاتها .

وان الرد الفيتنامي ليقدم دليلا جامعا مانعا على ان الآلـة العسكرية الامبريالية ليست اعتى من ان تقهر ، وان شعبا متخلفا، ولكن منظم وواعي ومصمم ، ويحظى بتأييد الدول الاشتراكيـة وقوى التقدم والعدالة والسلام في العالم ، يستطيع ان ينتصر وان يهزم اعـداءه .

ثانيا : ان الامة العربيه . وعلى الرغم من التجزئـة والتخلف والسيطرة الامبريالية ، قد حققت انجازات في السنوات الماضية، وان من اهم هذه المنجزات : تطور مستـوى الوعـي السياسي واتساع رقعة الجماهير ذات الاهتمامات السياسية ، زيادة الحقد على الاحتلال الصهيوني والسيطرة الامبريالية وزيـادة الاحساس بخطورة الاحتلال الصهيوني ، تطور الجيوش وزيـادة عددهـا وامكانياتها ، توثيق العلاقات مع الدول الاشتراكية الخ..

ولقد كشفت الجماهير العربية بالتاييد الذي منحته للعمل الفدائي ، عن استعداد اصيل لمقاومة المحتل ، ولتقديم كل اشكال التضحيات في سبيل القضايا الوطنية .

وعلى الرغم من عدم الاستفادة من هذا الاستعداد ، وعلى الرغم من السلبية التي تبدو في موقف الجماهير احيانا ، ومن حالات الارتفاع والهبوط التي تظهر واضحة جلية ، فان الوقائع تثبت كل يوم ان الجماهير العربية مع المقاتلين دائما ، وانها لا تخذلهم ، ولا ترضى بغيرهم قيادات الا حين يغيبون عن المسرح .
ان هذه الظاهرة ظاهرة ايجابية وهامة ، ولا يجوز ان يجري تجاهلها عندما يجري الحديث عن قضية مقاومة الصهيونية والامبريالية .

ثالثا : ان الشعب الفلسطيني قد اكتسب خبرات تنظيمية وسياسية وعسكرية خلال السنوات الماضية ،كما انه حقق منجزات كبيرة اهمها : منظماته الشعبية ، اسلحته ، مؤسساته الرسمية ، الاعتراف العالمي بنضاله وبمنظماته وحقوقه .

وهذا كله يكو ن رصيدا هاما وكبيرا لجميع الثوار والمناضلين.
والشعب الفلسطيني فوق هذا كله يقيم الدليل كل يوم على اصراره على استعادة ارضه وعلى استعداده للتضحية والبذل والفداء. ولعل استمرار القتال في غزة واستمرار آلاف الفدائيين ـ البنادق والشجاعة التي يبديها مقاتلونا في كل المعارك التي يخوضونها ، حتى في هذه الايام الحالكة ، لخير دليل على ما نقول .

المهمات العاجلة للثورة الفلسطينية :

على ضوء هذا كله علينا ان نتساءل ما هي المهمات الراهنة

للثورة الفلسطينية ؟

مع ان المهمات الراهنه هي جزء من المهمات البعيده المدى . فان علينا الآن ان نحدد المهمات الراهنه . حتى لا يضيع الخاص في العام والمرحلي بغير المرحلي .

ان هذه المهمات تتلخص بما يلي :

اولا : العمل للمحافظه على مكتسبات الشعب الفلسطيني واهمها منظماته . منظمة التحرير . اسلحته . قواته المقاتله . الشرعيه الفلسطينية والعربيه والدوليه التي كسبها بالدم والكفاح.

ان المحافظه على هذا كله اهم مهمات المرحله الراهنه على الاطلاق . لان التفريط بهذه المكتسبات تفريط بالشعب وبالقضيه وبدماء الشهداء، وخيانه للشرف الوطني والقضية الوطنية واندفاع على طريق التصفية .

ثانيا : احباط مؤامرات التصفيه والاستسلام . كل مؤامرات التصفيه والاستسلام : وعلى راسها مشروع الحكم الذاتي في ظل العرش الهاشمي العميل . ان هذا المشروع هو الصيغه العمليه للتصفيه في المرحلة الحاليه . ويجب ان تتجه كل السهام الى مقاتله الحساسه . وهذا لا يعني ان تتجاهل الثورة الفلسطينيه مشاريع التصفيه الاخرى . ولا ان نتغاضى عن اي مشروع استسلامي . انما ان ندرك الهدف الاساسي لمعركتها في هذه المرحلة . مع بقائها بقظه وحذره .

ثالثا : المحافظه على شعله الكفاح المسلح: والعمل على تصعيد الكفاح المسلح . في الارض المحتله . ذلك ان استمرار شعلة الكفاح المسلح يبدد ظلمات المنطقة ويخلق المناخ الملائم لاستمرار الثورة وتصاعدها .

رابعا : محاربة النزعات التصفوية والاستسلامية بشدةوعنف

وشراسة وفضح المتخاذلين والانهزاميين وكشف تبريراتهم واضاليلهم ومزايداتهم ، لان مكمن الخطر في هذه النزعات والتبريرات والاضاليل والمزايدات .

خامسا : المحافظة على استقلالية الثورة الفلسطينية ، لان ضياع استقلاليتها يعني ضياعها ، ولان استقلاليتها هي التي تضمن استمرارها فاعلة ومؤثرة عربيا ودوليا . فاذا فقدت استقلاليتها تحولت من ثورة الى ثورة مضادة .

ولكن هذا كله لا يتحقق الا بما يلي :

١ ـ المحافظة على وحدة الثورة والنضال لجعل تنظيمنا أصلب وقواتنا على مستوى المهمات الجديدة . واذا كان هذا يقتضي المحافظة على الاشكال العلنية والدفاع عن المواقع التي كرسها نضال شعبنا خلال سنوات ، فانه لا بد من ان يبدا العمل فورا لمواجهة اسوا احتمالات المستقبل : اي بناء التنظيم السري الثوري في ظل الشرعية والعلنية . كما ان المحافظة على وحدة الثورة تقتضي محاربة النزعات الانشقاقية والتكتلية وتكريس كل القوى لخوض المعركة مع اعداء الثورة .

٢ ـ العمل لتوطيد دعائم الوحدة الوطنية في صفوف شعبنا . ولترسيخ العلاقات داخل منظمة التحرير ، باعتبارها اطار جبهتنا الوطنية الواسعة . ان توطيد دعائم الوحدة الوطنية في صفوف شعبنا وترسيخ العلاقات داخل منظمة التحرير مهمتان اساسيتان من مهمات المرحلة ، ولا يمكن بدونهما مواجهة الهجمة الشرسة التي تشنها علينا الامبريالية والصهيونية والقوى المضادة للثورة.

٣ ـ بناء الجبهة الوطنية الفلسطينية ـ الاردنية والعمل على تنفيذ الشعار الهام : اسقاط النظام الهاشمي العميل ، باعتبار هذا النظام عقبة في سبيل تحرير فلسطين ، ولانه نظام معاد لاماني جماهيرنا ، وخائن لقضيتنا ومجرم بحق شعبنا .

٤ ـ البدء بالعمل من اجل قيام الجماهير العربيه بواجباتها القوميه نحو قضية فلسطين . من خلال استقطاب مناضلين عرب للثورة . ومن خلال وضع صيغ ملائمة للتفاعل مع الجماهير العربية والقوى الوطنية العربيه .

٥ ـ العمل على تعبئه جماهيرنا في الداخل . تحت الاحتلال. من اجل استمرار القتال والصمود . وتعبئه جماهيرنا المتردده من اجل الدفاع عن منجزات الثوره والتمسك باهدافها .

ولهذا لا بد من ان يكون شعارنا الآن : القتال كل اشكال القتال ولا شيء غير القتال . ولا بد لنا حتى لا نضيع عن اهدافنا في السراب او المزايدات من ان نحدد بدقه ساحات القتال . واذا كانت المعركة شاملة ضد العدو . فان ساحتيها الرئيسيتين الان هما الارض المحتلة والاردن . ولا بد من ان نسعى لتلافي المعارك والصدامات خارج هذا الاطار . الا اذا فرضت علينا معارك لا يمكن تجنبها لحماية الثورة ومنجزاتها .

ان الذين لا يفرقون بين الساحات الرئيسية للقتال والساحات الثانوية هم الساسة الاغرار . اما الذين يحاولون تحويل المقاتلين عن اهدافهم . واصطناع اهداف وهمية فهم حتما مخطئون . اما الذين يملأون الجو قعقعه عن الحرب في كل مكان فهم الذين لا يريدون ان يحاربوا . ويريدون في الوقت عينه ان يثيروا الكثير من الغبار لكي يهربوا من الحرب . ويريدون زياده على ذلك ان يوسعوا نطاق المعركة حتى تتبدد القوى وتعم الفوضى فلا تصل سهام الثوره الى اهدافها المحددة .

اهدافنا اذن في هذه المرحلة :

اولا : المحافظة على قواتنا . والعمل على تطويرها ، وتحقيق مستوى ارقى من الوحدة الوطنية وزيادة مشاركة جماهيرنا الفلسطينية والعربية .

تانيا : تصعيد القتال ، كل اشكال القتال في الارض المحتلة، والعمل بكل الوسائل لاسقاط النظام الهاشمي العميل .

ثالثا : تجنب المعارك الجانبية واتخاذ كل الاحتياطات لاحباط مؤامرات جرنا الى معارك جانبية .

رابعا : الاستعداد للدفاع بتراسه عن كل انجاز حققناه :عن منظمة التحرير ، عن البنادق ، عن حق التنقل بالاجازات ، عن الاعفاءات الجمركية ، عن حق التنظيم والعمل في اوساط الجماهير الخ ..

القسم الثاني

القضية الفلسطينية وبعض الاتجاهات « الماركسية »

يسار لا يعرف اليمين من اليسار

«المقالة كتبت في ٢٢-٩-٦٧ ، ردا على بعض الاتجاهات الاستسلاميه في الحركة الوطنية العربية ، ونشرت في مجلة الآداب ، العدد العاشر ، السنة ١٥ ، ١٩٦٧» .

طرحت معركة الخامس من حزيران المنصرم قضية الثـورة العربية من جديد، لانها كشفت تهافت الاحلام التي بناها المنظرون المختلفو الاتجاهات على أساس من الرمال ، ولانها فضحت نظمـا اعتقد منظرون ماركسيون ، يجرؤون على اعتبار انفسهم بوصلة حساسة ، تستطيع تحديد الاتجاهات بدقة من يمين اليسار الى يسار اليسار ، تجربة تاريخية رائدة وفاتحة « عهـد تاريخـي جديـد » (١) .

---

١ ــ مجلة «الكاتب» ــ اسماعيل المهدوي ــ «معالم العصر الحديد» ، ص٩٤ .

ومع هذا ، فيبدو ان المتصدين لمعالجة القضية بعد النكسة ، ممن يسمون انفسهم « اليسار الثوري » ، وعلى رأسهم الحزبان الشيوعيان في سورية ولبنان ، وكتاب ماركسيون تحدثوا عن ضرورة تجديد الماركسية حديثا طويلا مثل اسماعيل المهدوي — يبدو ان هؤلاء لم يأخذوا من الدرس الكبير عظة ، وانهم ما زالوا يصرون على معالجة الامور معالجة غير جدلية ، ترسم الواقع على ضوء معطيات تقتضيها ضرورات سياسية او ذاتية .

وقد تجلى هذا واضحا في عدد من الدراسات والمقالات والتعليقات التي صدرت بعد الهزيمة النكراء . ولا بد لي هنا من ان ابرز الخطوط العامة لهذا الاتجاه ، قصد تمزيق ثوب الثورية الذي يتستر به .

وتتمثل الخطوط العامة لهذا الاتجاه فيما يلي :

اولا : عدم القدرة على رؤية الابعاد الحقيقية للمعركة ، ولتحديد الاستراتيجية الصحيحة للعمل الثوري ، ذلك ان اليسار الماركسي الملتزم ظل يهوّم ، منذ نشأ ، في تناقضات وتخبطات ، كانت على الاكثر بعيدة عن الماركسية بعد الثريا عن الثرى . ولذلك فقد ظل ضعيفا ومنعزلا ، ولم يستطع ان يحرك الجماهير او يقودها لتحقيق اهدافها . وكان هذا اليسار الملتزم ينظر الى الواقع من الخارج ، ولم يتمكن من النفاذ الى اعماقه أبدا . وكان يخطىء حيث تكون الامور واضحة ، ويقف ضد اتجاه الجماهير في كثير من الاحيان ، كما حدث في قضيتي الوحدة وفلسطين .

ولعل اهم سببين لعزلة اليسار هما :

١ — عدم وجود الالتحام بالجماهير والتفاعل معها .

٢ — عدم امتلاك الوعي النظري القادر على اكتشاف اتجاه التطور الموضوعي والذاتي .

وحين حلت التنظيمات الشيوعية في الجمهورية العربية

المتحدة ، برز تيار ماركسي جديد ، من أبرز دعاته اسماعيل المهدوي ، المفكر الماركسي المعروف ، أخذ على عاتقه مسؤولية تطوير الماركسية ، بالانطلاق من تحليل الوقائع . ومضى دعاة هذا التيار قدما حتى أصدروا فتوى ماركسية ، بأن ثورة ٢٣ يوليو تجاوز للنظرية الماركسية ، وان « التطبيق العربي للاشتراكية العلمية في عصر تصفية الاستعمار وانتصار الاشتراكية » يمكن ان يطلق عليه « اسم النظرية الجديدة للثورة الاشتراكية في البروليتارية » (٢) . وكان واضحا ان هذا التيار الذي تعلق بأذيال ثورة ٢٣ يوليو ، كان يحاول أن يكرسها لا أن يغيرها . وانه خلع عليها من الالقاب والاوصاف ما لا يقبل ولا يصدق ، باسم الفلسفة الماركسية وباسم تجاوز الماركسية التقليدية (٣) .

كان هذا الاتجاه ايضا بعيدا عن روح الماركسية التحليلية ، وعن ثوريتها .

والتقى هذان التياران في عدم القدرة على رؤية الوقائع رؤية ثورية ، وان اختلفا في النتائج . ذلك ان التيار الماركسي الملتزم اتخذ موقفا نظريا جامدا ومتزمتا من الثورة في العالم الثالث . وبينما كان أحيانا يؤيدها تأييدا لا حدود له على المستوى التكتيكي ، كان في أحيان أخرى يناصبها عداء لا حدود له . أما على المستوى الاستراتيجي ، فقد حاول ان يجد لها تصنيفا ، فسماها الطريق اللارأسمالي الى الاشتراكية بعد ان اكتشف

---

٢ - المصدر السابق ، ص ٩٧ .

٣ - (أ) اسماعيل مهدوي «الطريق العربي والماركسية التقليدية» مجلة «الكاتب» - العدد ٤٨ ، السنة الرابعة مارس ١٩٦٥ ، ص ٧٦ .

(ب) اسماعيل مهدوي «الطريق الجديد للاشتراكية» - مجلة «الكاتب» ، السنة الرابعة فبراير ١٩٦٥ ، ص ٤٧ .

المنظرون السوفيات هذا الاسم . وعلى الرغم من ذلك ظل هذا التيار ينظر اليها نظرة الريبة والشك ، وظل يعتقد بأنها لن تستطيع ان تحقق أهداف الثورة الديمقراطية الاشتراكية ، وان اليسار الماركسي التقليدي هو البديل حتما ، بكل ما هو عليه من ضعف وعزلة وعجز وجمود . اما التيار الاخر ، فقد اعتبر ان التيار الاول فاشل وعاجز ، وان القيادات الوطنية في العالم الثالث تقوم بالدور الذي عجز عن القيام به .

راى دعاة هذا التيار الماركسي غير الملتزم، ان القيادة الجديدة « لم تنجح فقط في كشف معالم هذا العصر الجديد ، بل نجحت ايضا واساسا في شق الطريق امام مولد هذا العصر الجديد»(٤).

كانت نتيجة ذلك ان عزل اليسار الماركسي الملتزم ، وقعد أسير لزمته وتحفظه وعجزه عن التفاعل مع الاحداث وقيادة الجماهير في اتجاه التطور والتقدم . وقد قنع بأن يبقى حيث هو ، فاكتفى بتأييد الاوضاع القائمة ، حيث كانت تميل نحو التقدم ، مع بعض النقد اللطيف غير الجذري . اما اليسار الماركسي غير الملتزم، فقد انجرف في عملية تأييد وتبرير وتكريس، انسته واجبه الاول والاساسي ، وهو العمل على دفع القيادات الوطنية التقدمية نحو اليسار ، وهو ما كانت تقتضيه ظروف المرحلة ، وما كان يقتضيه الدفاع عن المنجزات الوطنية ، وتحويلها الى انجازات اشتراكية شاملة .

لقد وقع اليسار غير الملتزم أسير عجزه النظري ، عن رؤية الابعاد الحقيقية للانظمة التقدمية في العالم الثالث ، وأسير اسلوبه الفوقي في العمل الذي جعله يعتقد ان بامكانه أن يثقف الجماهير من مكاتب الدولة الواسعة المرفهة ، وبالمحافظة على رضا

٤ ــ اسماعيل مهدوي ، معالم العصر الجديد ، مجلة «الكاتب» العدد ٤٤ ، نوفمبر ١٩٦٤ ، ص ١٠٤ .

كل الاجهزة البيروقراطية والمباحثية الخ ...

ولهذا فان اليسار بشقيه لم يعمل على تحديد برنامج واضح للثوره العربية ، ولم يتعرض لطرح قضاياها الاساسية طرحا ثوريا مترابطا .

لقد ظل اليسار الملتزم يلتزم خطه التقليدي من قضيتي الوحدة وفلسطين دون تغيير ، ولم يحدث تغيير الا في موقف الحزب الشيوعي المغربي (٥) . اما اليسار غير الملتزم ، فانه تبنى شعارات الثورة العربية في الوحدة وقضية فلسطين ، ولكنه لم يستطع، نتيجة وضعه ومنطقه، ان يحول هذه الشعارات الى ثورة.

وانعكس هذا كله في موقف اليسار ، ملتزما وغير ملتزم ، بعد هزيمة حزيران . ذلك ان الطرفين لم يناقشا الهزيمة مناقشة موضوعية ، ولم يحاولا كشف جذورها واصولها ، ووضع استراتيجية بديلة للمستقبل . فالحركات السياسية التقدمية لم تتعرض للتحليل والنقد ، والنظم التقدمية لم تشرّح ، ولم تطالب الا بمطالب محدودة وسطحية ، ولم ترفع الا شعارات عامة ليست من مستوى المعركة . ان شعار الوحدة مثلا على مستوى الحركات التقدمية، او على مستوى الحكومات التقدمية، لم يرفع ابدا (٦). وابدي اهتمام كبير بمؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد في الخرطوم ، ولم يجر اي نقد له او لنتائجه . وبدأ حديث طويل عن اهمية النضال السياسي وضرورة استعمال الاسلحة الاقتصادية. وقام اسماعيل المهدوي داعية تجاوز الماركسية التقليدية بضرب

---

٥ ـ حدث تغير في مواقف كل الاحزاب الشيوعية العربية بعد هذا التاريخ وهو ما عالجناه في موضوع : الاحزاب الشيوعية العربية والقضية الفلسطينية بعد عدوان ١٩٦٧ ، شؤون فلسطينية .

٦ ـ خالد بكداش «في سبيل سحب القوات الاسرائيلية وتصفية آثار العدوان» ، «الاخبار» اللبنانية العدد ٦٨٢ ، ٣ ايلول ١٩٦٧ .

امثلة على الوحدات الوطنية التي حدثت في الصين بعد الاحتلال الياباني ، وفي فرنسا بعد الاحتلال الهتلري (٧) ، دون ان يهتم باختلاف الوقائع ، ودون أن يعي معالم العصر الجديد الذي تحدث عنه كثيرا .

ولقد قامت في الوقت ذاته حملة على ما اسمي الاتجاهات اليسارية المنحرفة ، فشنت حملة على خط غيفارا المغامر ، تعليقا على مؤتمر تضامن شعوب اميركا اللاتينية ، الذي عقد في كوبا في شهر آب الماضي (٨) ، وظهرت مقالات عديدة خصصت فقرات طوالا لمهاجمة ما اسمي الاتجاه الصيني في البلاد العربية (٩) .

الشيء الوحيد الذي لم يعالج ولم يحلل هو الثورة العربية الشاملة واستراتيجيتها الجديدة ، بعد هزيمة الخامس من حزيران .

وهل كان ممكنا معرفة يمين من يسار دون تحديد استراتيجية جديدة ، ودون تحديد مقاييس لمعرفة اليسار من اليمين ؟.

هذا ما يجب ان يجيب عليه الذين يسمون انفسهم « يسارا ثوريا » .

ثانيا : رفض النقد الذاتي . آن اليسار الماركسي في الوطن العربي لم يعرف النقد الذاتي . وهو في ذلك امين للستالينية . وهو حتى عندما ينعطف انعطافات كبرى ، لا يحمل نفسه عناء

---

٧ – اسماعيل مهدوي ، «الحركةالوطنية ... والتجاهات اليسار»، «الآداب» السنة ١٥ ، العدد التاسع ، ايلول ١٩٦٧ ، ص ٩ .

٨ – حول مؤتمر منظمة تضامن شعوب اميركا اللاتينية ، «الاخبار» اللبنانية، العدد ٦٨١ ، ٢٧ آب ١٩٦٧ .

٩ – خالد بكداش – المرجع السابق – واسماعيل المهدوي – المرجع السابق.

ايضاح ما حدث ، بل يحاول «تمريره» وسط ضجة ، اية ضجة. ويبدو ان كل الاحداث التي حدثت لم تقنع قادة هذه الاحزاب بضرورة مراجعة مواقفها ، وتقييم انجازاتها ، اذا كان لها شيء من هذا ، او دراسة اخفاقاتها ، وهي لا بد من ان تكون موجودة وكثيرة .

الا ان ما هو ادهى من هذا وامر ، ان نجد من يصر على صحة خطه السياسي السابق . يقول خالد بكداش، الامين العام للحزب الشيوعي السوري ، في دراسة له نشرتها « الاخبار » واشرنا اليها فيما سبق : « ان الحياة نفسها برهنت بالتجربة صحة الخطة السياسية التي انتهجها الحزب والشعارات السياسية التي رفعها » . ولكني لست ادري اية خطة يقصد ، واية شعارات يعني . ان الحزب الشيوعي السوري تبنى شعارات متناقضة تتراوح ما بين المطالبة بالاصلاح الزراعي ومهاجمة الاصلاح الزراعي ، وتتارجح ما بين تأييد الوحدة سنة ١٩٥٨ ، واعتبار الانفصال عملا ديمقراطيا ، فاية شعارات من هذه يعني ؟ والحزب الشيوعي السوري، مثله مثل غيره من الاحزاب الشيوعية العربية، تبنى موقفا منحرفا في قضية فلسطين ، وما زال يصر عليه ، فهل يعني ان خطته هذه هي الصحيحة ؟ ..

كيف يجرؤ الاستاذ خالد بكداش ان يقول هذا الكلام ؟ انه يكرس بهذا كل خط الحزب الشيوعي السابق ، ويؤكد الاصرار على الاستمرار فيه . وهذا يعني ان الحزب الشيوعي السوري لا يعنى بجدل الاحداث والوقائع ، بقدر ما يعنى بالدفاع عن خط متارجح متذبذب ثبت اخفاقه ثبوتا قاطعا .

ويلتقي الاستاذ اسماعيل مهدوي مع هذا الخط الذي يخاف النقاش ويخشاه . وهو لا يسعه الا ان ينتقد الاصوات اليسارية المنحرفة التي تشكك في جدوى « السياسة الثورية الحكيمة » ، وهي سياسة مؤتمر الخرطوم ... ويؤكد « ان العناصر اليسارية

المتطرفة التي تبدأ بمفهوم منحرف عن ظروف المرحلة الحاضرة واهدافها ، تصل بالضرورة الى الخلاف مع السياسة الحكيمة التي تتبعها القيادة » .

يتكشف هنا خط واضح هو خط الدفاع عن الاخفاق والهزيمة باسم حكمة القيادة ، تصريحا او تلميحا . قيادة بكداش لم تخطىء ... هذا ما اثبتته الاحداث ، وقيادة الاستاذ اسماعيل المهدوي حكيمة لا تخطىء ... أما من الذي يخطىء ؟ انه الاخرون الذين يناقشون ويذهبون الى اليسار هذه المرة .

هذه هي الستالينية بعينها . القيادة لا تخطىء ... لانها حكيمة ، الاحداث دائما تثبت صحة الخط الذي حددته القيادة . والنقاش ممنوع وخطر وهدام لانه « يشكك » بالقيادة . وواجب الجماهير ان تجوع وتعرى وتضطهد وتحتل اراضيها ، وان تصمت مؤمنة بحكمة القيادة ، فاذا ما انتقدت وطالبت بالقتال كانت منحرفة تتجه الى اليسار اكثر من اللازم .

ثالثا : سياسة التخويف من الاتجاه نحو اليسار . يلحظ القارىء بوضوح ، في هذه الايام ، حملة على ما يسمى الاتجاه نحو اليسار . يقوم بهذه الحملة كتاب شيوعيون وماركسيون .

وتقوم الحملة على اساسين :

الاول : التخويف من الاتجاه نحو اليسار ، على اساس ان الاتجاه نحو اليسار الان انحراف .

الثاني : ربط الاتجاه نحو اليسار بالصين .

وقبل ان اناقش هذه « السياسة الثورية » التي يدعو لها ماركسيون ثوريون ، اود ان اوضح بعض ما يندرج تحت عنوان الانحراف نحو اليسار ... منه مثلا (١) شجب وقف القتال (٢) المناداة بتحرير فلسطين (٣) المطالبة بسلوك سياسة اشتراكية حازمة (٤) المطالبة بموقف حازم من الدول العربية

الرجعية الخ.(٥) المطالبة بحرب تحرير شعبية شاملة في فلسطين والوطن العربي .

هذا هو معنى الانحراف نحو اليسار . وهو يدلنا على ان اليسار الذي يدعي الثورية ، قد سقط في وحل اليمين ، وانه في محاولة منه لتمزيق الموجة الثورية التي اعقبت هزيمة حزيران النكراء ، يلصق بهذه الموجة صفة غريبة عنها ، ولا علاقة لها بها هي الانتماء للاتجاه الصيني .

انني واثق ان الجماهير المندفعة التي تطالب بسياسة ثورية اشتراكية حازمة في كل الميادين ، جماهير صادقة مخلصة ، ادركت بحسها ووعيها طريق الخلاص . وانا واثق ايضا ان هذه الجماهير لا تعرف عن الاتجاه الصيني شيئا ، ولا تفكر بالتحيز له او ضده .

ثم انني المس سوء نية وراء ربط هذا الاتجاه بالاتجاه الصيني، لانه نشا قبل بروز الاتجاه الصيني . ان شعار تحرير فلسطين ليس جديدا ، وقد رفع منذ سنة ١٩٤٨ قبل ان تتحرر الصين ، وما زال مرفوعا وسيظل مرفوعا حتى تتحرر فلسطين . فكيف يصبح هذا الشعار صينيا ؟ وهل اذا أيدته الصين أصبح صينيا يجب التخلي عنه ؟

ولست ادري كيف يسمح شيوعيون وماركسيون لانفسهم بتسمية المطالبة الجماهيرية بمقاتلة الاعداء الغزاة، وسلوك سياسة اشتراكية حازمة انحرافا نحو اليسار .

ان مطالبة جماهيرنا باستمرار القتال وسلوك سياسة اشتراكية حازمة مائرة لها ، يجب ان تقدر ويستفاد منها . فاذا كانت الظروف حاليا لا تسمح باستئناف القتال مثلا ، عبئت الجماهير الى يوم موعود تخوض فيها معركة خلاصها . اما ان تجري محاولات لتسفيه هذه المبادرات الجماهيرية ، والصاق اسماء غريبة عنها بها ، فليس من اليسار في شيء . انه تآمر على

الثـورة (١٠) .

ان حملة التخويف من اليسار حملة يقودها اسماعيل المهدوي لانه لا يريد الدخول في معركة حاسمة مع اليمين والامبريالية . ويقودها بعض الشيوعيين ، اندفاعا في الخط السوفياتي العالمي، وخشية ان يعني الاندفاع نحو اليسار التقاء مع الصين ، عـدوة الشيوعيين السوريين واللبنانيين رقم واحد !!.

أيها السادة « المتيسرون » الخائفون من الاتجاه نحو اليسار. ان الاتجاه نحو اليسار يجب ان يكون شعار المرحلة ، لان الوقوف او التراجع هو الهزيمة . وان كل ظروف المعركة تحتم الاندفاع نحو اليسار ، ولذلك فليس هنالك من يسمع كلامكم . انكم تعودتم ان تقفوا على الصخرة لتخاطبوا النهر ، ولكنه كان يصل البحـر قبـل ان تنهوا خطاباتكـم . انتم الان علـى الصخرة والنهر يجري ... ولسوف يضيع صدى اصواتكم في الفضـاء الواسع . لقد ناديتم بقبول التقسيم ، و « ناضلتم » من اجـل ذلك ، ولكن «نضالكم» ذهب ادراج الرياح ، وظل شعار تحريـر فلسطين مرفوعا . فلماذا تحاولون اليوم ان تشدوا الجماهير الى الوراء ؟ ولماذا تتحدثون عن مؤتمر الخرطوم ، ولا تحرضون عـلى النضال الجماهيري الشامل لتحقيق اهداف الامة العربية ؟

انا افهم ان يكون هذا خط السياسة السوفياتية ، ولكني لا افهم كيف يكون هذا خطكم . فليس صحيحا ان تتحدثوا الان كما يتحدث كوسيغين ، ان الصحيح هو ان تتحدثوا ، كما كان يتحدث

---

١٠ ـ نشرت الاخبار في عددها رقم ٦٨٥ ، ٢٤ـ٩ مقالا لنقولا شاوي وآخر لابراهيم مصطفى يهاجمان الدعوة لحرب ثورية ، دون ان يتحدثا عن استراتيجية الحرب المقبلة . وقد اكد ابراهيم مصطفى ان استعادة الارض المحتلة تكون بواسطة الامم المتحدة لا بواسطة الحرب .

لينين في اذار ونيسان وايار سنة ١٩١٧ ، او بعد فشل ثورة ١٩٠٥ ، مع الاهتمام بفارق الظروف ، والتطور التاريخي الخ.

رابعا : قضية العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . لا اظن ان هناك تقدميا واحدا ، يجادل في ضرورة اقامة علاقات وطيدة ومستقرة ورفاقية مع الاتحاد السوفياتي . ولقد تبلورت هذه الحقيقة خلال النضال الذي خاضه العرب ضد الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة . ولا خوف ابدا من تراجع التقدميين العرب . لانهم ان تراجعوا سقطوا في شرك الامبريالية ، وقام مقامهم من يحمل المشعل على طريق الثورة . ان علاقات وطيدة ومستقرة ورفاقية مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي قضية اساسية من قضايا الثورة ، وشعار اساسي من شعاراتها ، يجب ان يظل مرفوعا ، وان يحتل مكانه اللائق به خلال نضالنا ضد الاستعمار والامبريالية . ولكن الايمان بهذه الحقيقة ، وجعلها شعارا هاما من شعارات النضال العربي ، يجب الا يخفي خلافنا مع الشيوعيين والماركسيين احزابا وافرادا حول قضيتين :

الاولى : ان علاقتنا مع الاتحاد السوفياتي علاقة كفاح ونضال ، وليس علاقة مجاملة او تبعية ، وبالتالي ، فيجب الا تقوم على اساس التسليم المطلق بحكمة القيادة السوفياتية ، والتبني التام لسياساتها . ومن هنا فان النقد والحوار ضروريان لجعل هذه العلاقة رفاقية ومثمرة ، وقادرة على اجتياز كل العقبات . وعليه فان رفض النقد ، ومحاولة فرض اتجاه السياسة السوفياتية على الحركة الوطنية العربية ، سيقود الى تمزيق هذه العلاقة الرفاقية ، وانتعاش الروح القومية المغلقة في بلادنا . وهذا ما نخشاه ونحذر منه .

ان الحرصاء على العلاقة مع الاتحاد السوفياتي يجب ان يستفيدوا من قصة الصراع السوفياتي ــ اليوغسلافي خلال العهد الستاليني ، وقصة الصراع السوفياتي ــ الصيني اليوم ،

وقصة الخلاف السوفياتي – الروماني . فاذا اصروا على عدم الاستفادة . فانهم سيكونون حرصاء على المزيد من الخلافات والصراعات . وسيعملون على تدمير العلاقات الرفاقية بين الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية والتقدمية .

ولقد كان واضحا منذ البدء ان خط الاحزاب الشيوعيه ، لاسيما في سورية ولبنان والاردن ، هو الخط السوفياتي . ولكن الاهم من هذا ان قيادات هذه الاحزاب ، الستالينية العقلية ، كانت دائما ترفض اية مناقشة للسياسة السوفياتية ، وتعتبرها خيانة وتخريبا وخدمة للامبريالية .

وجاءت الازمة الاخيرة لتعطي امثله جديدة على هذا الاتجاه . ونكتفي هنا بالاشارة الى مثلين اثنين :

المثل الاول : استنكار بعض الشيوعيين مطالبة الاتحاد السوفياتي بمزيد من الدعم السياسي والعسكري . لقد استثيروا استثارة لا حد لها . وتطوعت جريدة « الاخبار » للرد على هذه الخيانة قائلة : « ومن ناحية اخرى ، فانه رغم ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية للبلدان العربية ، ينبري البعض للحديث عن ضرورة الضغط على الاتحاد السوفياتي ، لحمله على تزويد العرب بالاسلحة اللازمة وذلك دون رادع من حياء » (١١) .

ولن اناقش هنا موضوع ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية ، فهذا موضوع آخر ، انما أريد ان أطرح على جريدة « الاخبار » وعلى نديم عبد الصمد وعلى كل الشيوعيين في العالم هذا السؤال : هل تتعارض ضخامة المساعدات العسكرية السوفياتية ، مع المطالبة بالمزيد ؟ ولماذا تكون المطالبة بالمزيد

---

١١ – نديم عبد الصمد، الدعم السوفياتي والمواجهه العربيه للعدوان الاستعماري، «الاخبار» العدد ٢٨١ ، ٢٧ آب ١٩٦٧ .

« دون رادع من حياء » ؟ الا يعتقد الاستاذ نديم عبد الصمد بأن المزيد من السلاح والمزيد منه هو الرد الوحيد على المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية الرجعية ، وان المطالبة هي واجب ثوري؟ ما وظيفة الثوري اذا لم تكن المطالبة والمزيد من المطالبة والعمل والمزيد من العمل ؟ واذا كانت المطالبة واجبنا ، فهي لا تشين الاتحاد السوفياتي ، ولا تضير علاقاتنا معه . الا ان العقليه الستالينية الخانعة لا تعرف النقد ولا المطالبة . انها تسلم دون مناقشة ، وهي توهم نفسها بأن القيادة الحكيمة تقوم بواجبها ، ومن يتجرأ على المطالبة فهو مجدف كافر بالجميل .

المثل الثاني : التاكيد بأن الاسلحه التي كان يملكها العرب كافية ، وتزيد على ما تملكه اسرائيل ، وان سبب الهزيمة هو الخيانة فقط . ولن اناقش هنا اسباب الهزيمة (١٢) ، ولكني اود ان اسال نديم عبد الصمد ان كان يعرف بان دولة عربية دخلت الحرب، وطيرانها لا يملك صواريخ ... لان الاتحاد السوفياتي لم يزوده بها ، وان هذه الدولة كانت تملك دبابات متخلفة لان الاتحاد السوفياتي لم يزودها بالدبابات الجديدة . واعتقد انني لا استطيع ان اتحدث اكثر في هذا المجال، ولا استطيع ان اتحدث عن مرحلة ما بعد العدوان ، التي يعرف بعض القادة الشيوعيين عنها اكثر مما اعرف . وستكشف الايام القادمة كل شيء .

الثانية : قضية الموقف من الصين وكوبا وتشي غيفارا الخ.. ذلك ان الشيوعيين العرب التزموا موقفا معاديا للصين ولتشي غيفارا وخط الكفاح المسلح في اميركا اللاتينية ، وبدأوا يهيئون للهجوم على القيادة الكوبية . ونحن نرى ان هذه الخلافات في

---

١٢ ـ ناقشتها في دراسة لي بعنوان : «جدل الهزيمة والنصر» ، «دراسات عربية» العدد ١١ ، ايلول ١٩٦٧ .

الحركة الشيوعية العالمية . خلافات مضره وخطره . وانها يجب ان تعالج معالجه جدية وحازمه ، لانها تضعف القوى الاشتراكيه وقوى حركة التحرر الوطني . وتشجع الامبريالية على مغامراتها وغزواتها . ولكننا نرفض الاسلوب الستاليني في مواجهة هذه المشكلة . ان الاسلوب الستاليني لا يعترف الا بوجهة نظر واحدة. ولا يقبل بتعدد الاراء وتعدد التجارب ضمن الحركة الاشتراكية العالمية ، وهو لذلك يحارب كل اتجاه جديد ، ويعادي كل الاتجاهات المختلفة معه . وهذا الاتجاه الخطر يهدد حركه التحرر في العالم بالتمزيق او بالمسخ . وواجبنا الاول ان نقاومه مقاومة لا هوادة فيها .

اننا يجب ان نكون حرصاء على اقامة علاقات ونيعه ورفاقيه مع كل المعسكر الاشتراكي ، وكل الحركات الثورية في العالم ، حتى لو اختلف الاتحاد السوفياتي مع الصين ، او كاسترو مع الحزب الشيوعي الفنزويلي . اما خطنا فيجب ان يكون خطا واعيا مستقلا ، يحرص على التفاعل مع كل الاتجاهات الثورية . ولكنه لا يتبنى ايا منها .

ان الثورة العربية بحاجة الى هوية . تنبثق من الوعي العلمي لظروفها الموضوعية . وهذا يعني اننا نرفض تبني اي خط . صينيا كان او سوفياتيا ، كوبيا او فنزويليا ... الا اننا ، اولا واخيرا ، مع الثورة ، كل اشكال الثورة ، ضد الامبريالية ، وفي كل مكان .

ونحن لا نرى مبررا للهجمات التافهة التي يقوم بها كثير من الشيوعيين العرب ضد الصين وتشي غيفارا لمصلحة الاتحاد السوفياتي ، ونعتقد بانها لن تكسبهم احترام احد هنا ، ولن تمنع الخط العربي الثوري من التبلور .

ان التقدميين العرب ، ماركسيين وغير ماركسيين ، مطالبون بعد هزيمة حزيران النكراء ان يعيدوا النظر في مواقفهم وسياساتهم ، منطلقين من الواقع العربي . وواقع حركة التحرر

في العالم الثالث .

فاذا لم يفعلوا ذلك ، ولم يستوعبوا مضمون خط الجماهير.. خط الكفاح الثوري ضد الرجعية والامبريالية ، ضد التجزئة والاستغلال ، ومن اجل بناء حياة اشتراكية ، واقامة علاقات اشتراكية مع كل بلدان المعسكر الاشتراكي ، وكل الحركات الثورية ، فانهم سوف يسقطون .. وسيسقط اليسار ، ملتزما وغير ملتزم ، قبل غيره .

الماركسية والمسألة الصهيونية

«دراسة حول المسألة الصهيونية والموقف الماركسي منها عموما ، وموقف بعض الماركسيين خصوصا . وقد استهدفتُ في هذه الدراسة تقديم وجهة النظر الماركسية من الصهيونية ودولة الاحتلال . نشرت هذه الدراسة في مجلة «دراسات عربية»، السنة السادسة ، العدد ٩ ، تموز ١٩٧٠ » .

نشرت « دراسات عربية » دراسة لصادق جلال العظم حول موضوع الماركسية والمسالة اليهودية (١) . ودراسة الدكتور العظم

---

١ ــ «دراسات عربية» كانون الثاني ١٩٧٠ .

هي مقدمة لمجموعة دراسات « ماركسية » ستصدر عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولما كنت قد قرات تلك الدراسات ، وكنت اختلف مع صادق العظم فيما ذهب اليه، فانني رايت نشر هذه الدراسة (١) .

كان لا بد من مقدمة لهذه الدراسات . ذلك انها « دراسات » اجنبية تعالج قضية فلسطين من جهة ، وهي من جهة ثانية « دراسات » كتبها منظرون يعتبرون انفسهم ماركسيين . وانه لمطلوب في هذا الوقت بالذات ، الذي يسيء فيه فهم قضيتنا وتحليلها اكثر من تيار ماركسي ، والذي يحاول فيه كثيرون استغلال سوء الفهم هذا من اجل الربط بين الماركسية والصهيونية واليهودية العالمية ، ان نحدد موقف الماركسية الحقة من هذه القضية ، وان نناقش اخطاء التحليلات الماركسية في ميدان القضية الفلسطينية ، وان نحاول ، اخيرا ، اختبار مدى انسجام هذه الدراسات مع المنهج الماركسي في التحليل ، ومع قضية الماركسية واهدافها وقيمها .

– ٢ –

وقبل ان نبدأ بمناقشة هذه الدراسات لا بد لنا من بعض المقدمات الضرورية . وتتلخص هذه المقدمات فيما يلي :

---

١ – يبدو ان مركز الابحاث قد عدل عن نشر مجموعة الدراسات المشار اليها في الوقت الحاضر وقد كان العنوان المقترح لها : «مواقف يهودية ماركسية ضد الصهيونية» .

اولا : الفكر الماركسي والمسالة اليهودية .

يربو تاريخ الفكر الماركسي على مائة عام ، وبما انه مر بتطورات في هذا المجال ، فلا مناص من ان نقسم هذا التاريخ الى ثلاث مراحل :

الاولى : وتبدأ سنة ١٨٤٤ ، وتنتهي سنة ١٩١٧ . وكان الفكر الماركسي، خلال هذه الفترة ، يعتبر ان حل المسالة اليهودية يكون بتحرير المجتمع من « اليهودية » . « فحين ينجح المجتمع في الغاء الجوهر العملي لليهودية ، المتاجرة وشروطها ، عندئذ يصبح وجود اليهودي مستحيلاً ، ذلك لان ضميره لم تبق ثمة من حاجة اليه ، فالاساس الذاتي لليهودية ، الحاجة العملية ، قد اتخذت شكلا انسانيا، لان المنازعة بين الوجود الفردي والمحسوس للانسان ووجوده الاجتماعي قد الغيت . التحرر الاجتماعي لليهودي ، انما هو تحرير المجتمع من اليهودية » (١) .

وتؤكد دراسة ماركس حقيقتين اساسيتين :

١ ـ ان المسالة اليهودية ليست مسالة قومية ، وانها مسالة مرتبطة بتطور المجتمعات التي يعيش اليهود فيها ، لانها جزء من العلاقات الاقتصادية ، وبالتالي الاجتماعية والسياسية في هذه المجتمعات . ولهذا فقد وقف ماركس مع تحرر ايرلنده وبولنده ، وايد الوحدة الالمانية والايطالية ، ولكنه اعتبر قومية اليهودي ، قومية وهمية .

٢ ـ ان المسالة اليهودية تطورت من مسالة لاهوتية في عهود سيطرة الاقطاع الى مسالة سياسية في عهد صعود البرجوازية ، وان حلها مرهون ، بناء على ذلك، بحل مشكلة النظام البرجوازي، اي القضاء عليه .

---

١ ـ ماركس ، كارل : المسالة اليهودية ، ترجمة محمد عيتاني .

واذا ما انتقلنا الى لينين ، وهو ماركسي المعي ، يمثل مرحلة اخرى من التاريخ السياسي (١٨٩٧ – ١٩٢٤) ، فاننا نجده قد طور الموقف الماركسي وبلوره . وتجسد الموقف اللينيني في ثلاثة اعتبارات :

١ – الكفاح ضد الصهيونية : وقد اعتبرها لينين « رجعية كليا ، لا عندما يدعو لهـا دعاتها « الصرحاء » (الصهيونيون) ، ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون ان يمزجوها بافكار الديمقراطية الاجتماعية (البونديون) . ان فكره القومية اليهودية ضد مصالح البرولناريا اليهوديه ، لانها تروج في صفوفها ، مباشرة او بشكل غير مباشر ، روحا معادية للتمثل ، انها روح الغيتو » (١) .

٢ – ان اليهود ليسوا امة : « فاليهود المقيمون في العالم المتمدن لا يشكلون امة . فقد تمثلوا اكثر من غيرهم ، كما يقول كاونسكي وباوير . كذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا امة ، فليسوا في هذين البلدين مع الاسف (لا للذنب منهم ، بل للذنب البور يشكيفتشين) سوى فئة مغلقة معزولة . وهذا هو الراي الثابت الذي يقول به اولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة ، ويأخذون بالحسبان الوقائع المذكوره اعلاه » (٢) .

٣ – ان التمثل ، والتمثل وحده هو الحل الوحيد للمسالة اليهودية . وقد شن لينين حملات على الذين : « يقيمون الدنيا

---

١ – Lenin: Collected Works Vol. 7. P. 101, Moscow.

٢ – لينين : ملاحظات انتقادية حول المسالة القومية ، دار التقدم – موسكو ص ١٩ .

ويقعدونها » ضد « التمثلية » واصفا اياهم بانهم : « انما هم اولئك اليهود الرجعيون التافهون الضيقو الافق ، الذين يريدون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى وراء ، ان يجبروها على السير ، لا من النظـام القائم في باريس ونيويورك بل بالاتجاه المعاكس » (١) .

الفرق بين ماركس ولينين ان ماركس طرح القضية نظريا ، وان لينين اعطى القضية مضمونها السياسي العملي . ماركس يرى ان المسألة اليهودية لا تبحث خارج اطارها التاريخي والسياسي ، ولينين يرى ان المسألة اليهودية لا تحل خارج اطارها التاريخي والسياسي . واذا كان ماركس قد قرر بان المسألة اليهودية جزء من مشاكل المجتمعات التي يعيش فيها اليهود ، فقد قرر لينين ان حل هذه المسألة مرهون بحل مشاكل المجتمعات التـي يعيش فيها اليهود . وكما اعتبر ماركس ، من الناحية النظرية ، انه ليس هنالك مسألة يهودية منفصلة ومنعزلة ، فقد اعتبر لينين انه ليس هنالك حل خاص ويهودي للمسألة اليهودية : من الناحية العملية.

ولقد ظل موقف الماركسية ، حتى هـذا التاريـخ ، موقفا ماركسيا ، واضحا وثوريا .

الثانية : وتبدأ سنة ١٩١٧ وتنتهي في ٢٩ اكتوبر سنة١٩٤٧ . وقد دخلت الماركسية ، بقيام ثورة اكتوبر ، مرحلة التطبيـق العملي . وكان وراء هذه المرحلة العملية تاريخ نظري عظيم قدمه ماركس ولينين وآخرون للحركات الثوريـة في العالم . ولكـن التطبيق الماركسي قد مر ، رغم هـذا التراث العظيم ، بتعرجات وذبذبات واجتهادات ، على صعيد الممارسة الداخلية في الاتحاد السوفياتي ، وعلى صعيد السياسة الخارجية السوفياتية ، وعلى

---

١ – لينين : المرجع السابق ، ص ١٩ .

صعيد سياسة الاحزاب الشيوعية ، في العالم عامـــة ، وفـــي فلسطين خاصة . ويمكــن ايجاز هـــذه الذبذبات والاجتهادات والتناقضات فيما يلي :

اولا : استمرار الخط المعادي للصهيونية ، على اعتبار انهـــا حركة رجعية ، واداة للاستعمار البريطاني . ولكن هذا الخط لـــم يكن في نفس المستوى مـــن الحدة والوضوح دائما . وكـــان في بعض الاحيان يتعرض لتجاوزات جزئيـــة . وكانت تشن احيانا حملات على الصهيونية ، لا تتناسب مع اهميتها ، اذا ما قيست بالمشاكل التي تواجه الثورة السوفياتية ، كما حدث سنة ١٩١٨ وسنة ١٩١٩ . وكانت الحملات ضد الصهيونية تتصاعد وتفتر لتتصاعد من جديد . ومن الملاحظ ان الحملة على الصهيونيـــة فترت في السنوات ٢٠ ــ ٢٨ ، ثـــم تصاعدت بعـــد الانتفاضة العربية في فلسطين سنة ١٩٢٩ ، لتفتر خلال الحرب العالميـــة الثانيـــة .

ولكن هذه التارجحات لم تكن تعني ان الموقف السوفياتي من الصهيونية قد تغير . وهنالك وثيقة نشرت سنة ١٩٤٦ تدل دلالة قاطعة على ان الموقف السوفياتي لم يتغير ، وان الحركة الصهيونية ظلت موضع اتهام وتجريم (١) .

ومن القرارات الهامة في هذا المجال ، القرار الذي اتخذته الاممية الثالثة ، والذي نشر سنة ١٩٢٢ في مجلـــة « المراسلات العالمية » . ينسجم هذا القرار ، مع الموقف اللينيني ، ويرجـــح بأن لينين نفسه هو الذي وضعـــه . يرفض القرار طلب حزب « ماركسي » صهيوني ، من احزاب اوروبة الشرقية ، الانضمام الى الاممية الثالثة . ويعلل القرار الرفض بان الحزب قائم على

---

١ ــ لاكور ، ولتر : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ص ١٧٣ .

حق اليهود في تكوين دولة ، على اساس ان هذه الدولة لن تكون الا على حساب قومية اخرى . ولهذا فان الاممية الثالثة لم تكتف برفض الطلب المذكور بل اتهمت الحزب المشار اليه بانه حزب برجوازي صغير ، وليس شيوعيا ، ووجهت نداء لمناضليه كي ينخرطوا في بروليتاريات بلدانهم ، ويناضلوا في سبيل الثورة الاشتراكية (١) .

ثانيا : على الرغم من استمرار الخط المعادي للصهيونية ، وعلى الرغم من وضوح موقف لينين ، بصدد التمثلية ، فان السياسة الداخلية السوفياتية شهدت تداخل خطين متعارضين ، الاول : خط التمثل ، والثاني : يمكن ان يعتبر خطا « قوميا اشتراكيا» . وقد ادى تداخل هذين الخطين الى تشوش نظري وسياسي ، احبط اية محاولة جدية لحل المسالة اليهودية حلا جذريا . وتمثل الخط الثاني في قرارات واجراءات ، استهدفت. بدءا من سنة ١٩١٧ ، خلق شكل من «الشخصية القوميةاليهودية» عن طريق فتح مدارس لليهود ، والتدريس بلغتهم ، وانشاء جمعيات ومنظمات لمساعدتهم على التحول الى الزراعة ، ومحاولة حشدهم في اماكن معينة . تتوّج هذا كله سنة ١٩٢٧ بالدعوة الى حشد يهود الاتحاد السوفياتي ويهود العالم في منطقة بيرابدزان. وعلى الرغم من ان المحاولة الاخيرة ، مثل المحاولات التي سبقتها، قد اعطيت الاهتمام المناسب ، فانها فشلت مثل غيرها ، لينتصر في نهاية هذه المرحلة الخط الاول : خط التمثل .

ثالثا : شهد الموقف من الحركة الوطنية في فلسطين تأرجحا بين اعتبار كفاح العرب في فلسطين كفاحا وطنيا تقدميا احيانا ، واعتباره عملا رجعيا في احيان اخرى . ولقد تغيرت التقييمات

---

١ ــ علوش ، ناجي: الماركسية والمسالة «اليهودية، دار الطليعة بيروت، ص٣٢.

السوفيانية مرات عدة ، من سنة ١٩٢٠ عندما اعتبر الزعيم اليهودي ديمانشتين ان الحركة العربية : «نضال ثوري وطني»(١) الى سنة ١٩٤٧ عندما ايد الاتحاد السوفياتي مشروع تقسيم فلسطين . ففي سنة ١٩٢٩ عندما انفجرت انتفاضة شعبية على ارض فلسطين ضد الاستعمار الصهيوني وقف الكومنترن في البدء داعيا الى التآخي ونبذ القتل «وعممت الصحافة السوفياتية بيانا طويلا للشيوعيين الفلسطينيين ، يدعون فيه الجماهير العربية واليهودية الى المسالمة فيما بينها ، والوقوف معا في وجه الاستعمار والصهيونية والخونة من الوطنيين العرب» (٢) . وقد وقفت الصحافة الشيوعية ، خارج الاتحاد السوفياتي موقفا مختلفا ، فاعتبرت ان المقاومة العربية من تدبير الاستعمار البريطاني ، واظهرت تعاطفها مع اليهود . ولكن الكومنترن عاد فاعاد النظر في موقفه من انتفاضة سنة ١٩٢٩ واعتبرها ذات طبيعة تقدمية ، شاجبا التأثير الصهيوني على بعض الشيوعيين . وحظيت ثورة سنة ١٩٣٦ بتأييد حار في البدء ، وقد اعتبرت كفاحا من اجل التحرر القومي . ولم يفت المعلقين السوفيات ان يميزوا بين ما يحدث لليهود في فلسطين ، وبين ما كان يصيبهم، خلال العهد القيصري في روسيا. وكان اتجاه السياسة السوفياتية يؤيد «حركة التمرد العربي الباسلة» ويدعو الى وقف الهجرة اليهودية من المانيا ، والمحافظة على عروبة فلسطين . وحدث تحول قبل بداية الحرب العالمية الثانية ، صحب اتجاه بعض القادة الفلسطينيين نحو دولتي المحور . ومع ان مشروع التقسيم قد هوجم ، الا ان الاتجاه العام للسياسة السوفياتية تبدل من تأييد الثورة العربية الى الدعوة لقيام تعاون بين القوى التقدمية

---

١ ــ لاكور ، ولتر : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

٢ ــ لاكور ، ولتر : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .

العربية واليهودية لمقاومة العناصر الفاشية بين العرب واليهود . وتبدل الموقف السوفياتي مرة اخرى عندما اعتبر النضال العربي تقدميا سنة ١٩٤٦ .

الثالثة : وتبدأ في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ وتمتد حتى الآن. ويمكن ان يوجز الموقف الماركسي خلالها بما يلي :

اولا : ابتدات هذه المرحلة بتأييد مشروع التقسيم في الامم المتحدة ، ثم الاعتراف بدولة «اسرائيل» التي تجاوزت مشروع التقسيم باحتلالها قرابة ٨٠ بالمئة من ارض فلسطين . وظل هذا الاعتراف قائما حتى الآن .

ثانيا : ظلت الحملة ضد الصهيونية تتصاعد وتختفي او تفتر. وقد زادت هذه المعركة عنفا بعد الخامس من حزيران .

ثالثا : تبلورت الدعوة للاخاء العربي ـ اليهودي التي كانت تطرح احيانا في المرحلة السابقة ، في ادانة السلطات الحاكمة الاسرائيلية ، دون الاشارة للطبيعة العدوانية للدولة الصهيونية والكيان الصهيوني ، ودون اعتبار ان هنالك قضية وطنية بالنسبة للعرب .

ان الفكر الماركسي ، وخاصة ما يمثل منه الاتجاه السوفياتي، ابتعد عن الماركسية ـ اللينينية في هذه المرحلة ، فيما يتعلق بقضية فلسطين ، تحليلا ومواقف . وهو ما زال حتى الآن يتخبط في ازمته . فهو من جهة يشجب عدوان الخامس من حزيران خاصة والحركة الصهيونية عامة ، وهو من جهة ثانية يدعو الى الاعتراف بدولة «اسرائيل» وحل مشكلة اللاجئين الخ..

- ٣ -

وما دامت هذه الدراسات التي نكتب عنها ، تمثل في معظمها،

اتجاها تروتسكيا ، فلا بد لنا من ان نشير الى موقف التروتسكية من المساله اليهودية . ويمكن ان يوجز موقف الاتجاهات الرئيسية للتروتسكية بما يلي :

اولا : كان تروتسكي ، منذ اول هذا القرن ، وحتى صعود النازيه الى السلطة في المانيا ، ضد الحركة الصهيونية ، وضد انشاء دوله يهودية . وقد اوضح تروتسكي موقفه هذا في مؤتمرات حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، وفي الاسكرا . وكان تروتسكي يعتبر ان حل المسالة اليهودية يكون بالتمثل ، « وليس في تاسيس دولة يهودية ، ضمن دول اخرى غير يهودية ، ولكن في اعادة تركيب المجتمع تركيبا امميا متماسكا » .

ولقد تعرضت الآراء التي تبناها تروتسكي كل عمره لهزة ، بعد الجرائم التي ارتكبتها النازية ضد اليهود . وكان من نتيجة ذلك ان خفف هجماته على الصهيونية ، وعدل ، فيما بعد عن فكرة تمثل اليهود ، ولكنه اكد : «بان الصهيونية بذاتها سوف لا تحل المشكلة ، وقد يكون ، حتى في ظل الاشتراكيه ، من الضروري لليهود ان يقيموا على ارض منفصلة» (١) .

وحين توفي تروتسكي ، واصلت الاممية الرابعة والمنظرون التروتسكيون خط تروتسكي ذاته في محاربة الصهيونية . ولكنها وقعت في الخطأ نفسه الذي وقعت فيه «الماركسية الرسمية» ، واحزابها المختلفة ، بما فيه بعض احزابها العربية . ذلك ان هؤلاء

---

1 — Deutscher, Issac, **The Prophet Armed**, Oxf. University, Press, London P. 75.

Deutscher, Isaac, **The Prophet Outcast** (1929 - 1940) P. 154, 368 - 9.

وعلوش ، ناجي : الماركسية والمسالة اليهودية ، ص ٣٦-٣٩ .

كأولئك حاولوا ان يفرقوا دائما بين الصهيونيه و « اسرائيل » . فالصهيونيه رجعية وعميلة للامبرياليه ، وسياسة «اسرائيل» عدوانية توسعيه ، ولكن الحل ليس الا قيام فيدرالية اشتراكية عربيه يهودية .

ولو عدنا الى تراث المنظر التروسكاوي الكبير : اسحق دويتشر ، لوجدنا هذا الموقف مجسدا . انه ضد الصهيونية ، ولكنه يعتبر : «ان الدولة اليهودية قد اصبحت بالنسبة لبقايا اليهودية الاوروبيه ضروره تاريخية وهي ايضا حقيقة حية» . وهو يتساءل بجملة اعتراضية وردت في النص ذاته : «اهي بالنسبة لهم فقط ؟» (١) . وهو يؤكد «ان العالم ارغم اليهودي على اعتناق فكرة الدولة ـ الامة ، وان يجعل منها كبرياءه وامله ، في الوقت الذي لم يبق فيها شيء من الامل او قليل منه . ولكنك لا تستطيع ان تلوم اليهود على هذا ، ان عليك ان تلوم العالم» (٢) . ودويتشر لا يفوته ان يعرب عن ندمه على مناقشاته ضد الصهيونية قائلا : «لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات والثلاثينات ، حثثت اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين، فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض الحيوات التي اطفئت في غرف الغاز الهتلريه» (٣) . وفوق هذا فان فلسطين بالنسبة لدويتشر : «الصحراء الفلسطينية التي لم توجد فيها مجتمع متماسك» (٤) والانسان لا يستطيع ان يلوم اليهود على ما حل بالعرب في فلسطين «فالناس الذين يطاردهم وحش وهم يركضون لانقاذ

---

1 — The Non-Jewish Jew, Deutscher, Isaac, Oxf. University Press, 1968, P. 112.

٢ — المرجع السابق ، ص ٤١ .

٣ — المرجع السابق ، ص ١١٢ .

٤ — المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

حيواتهم ؛ لا يستطيعون الا ان يؤذوا هؤلاء الذين في الطريق ، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا على ممتلكاتهم» (١) .

والحل بالنسبةللدويتشر هو فيدرالية شرقاوسطية اشتراكية عربيه ـ يهودية ، او محاولة ايجاد لغة تفاهم مشتركة بين اليهود ومن حولهم (٢) .

وان انس لا انسى الدراسة التي نشرتها مجلة سبارتكوس الاميركية التروسكاوية ، بعد حرب حزيران ، والتي ناشدت فيها العمال العرب واليهود ان يحملوا السلاح ضد حكامهم .

- ٤ -

سنطيع ان نقرر بعد هذا :

١ ـ ان التيارات الماركسية المختلفة بعد ١٩٤٧ ، خاصة ، التي تشجب الصهيونية والعدوان ، وتطالب باعتبار «اسرائيل» امرا واقعا ، والتي تؤيد الثورة الفلسطينية وتقف موقفا ثوريا من حركة التحرر الوطني في فلسطين ، ان هذه التيارات لم تقدم دراسات ماركسية للمشكلة ، وللجانب العربي منها خاصة ، لانه الجانب الثوري .

٢ ـ ان اكثر التيارات الماركسية ، ومنها الخطان الرئيسيان السوفياتي والتروتسكوي ، ترتكب خطأ ماركسيا فاحشا ، باتخاذها موقفا متساويا متماثلا من اليهود في فلسطين ومن شعب فلسطين ، دون ان ينظر الى حقيقة الوجود الصهيوني العدواني .

٣ ـ ان اكثر التيارات الماركسية تحكمها اليوم نزعات اصلاحية

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ١١٦ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ١١٦ و١٢٥ .

وانسانية ، ولكنها نزعات عوراء ترى ظلما ولا ترى ظلما آخر ، وتتحسس اضطهادا ولا تتحسس اضطهادا آخر . وهي حتى بموقفها هذا منحازة الى الامبريالية ضد حركات التحرر الوطني ، انها تفعل ما فعل اسلافها من منظري الامم الثانية .

وانني ارى الا بد ، قبل ان ابدأ مناقشة ، «الدراسات» التي يضمها هذا الكتاب ، ان اؤكد بعض حقائق اساسية ، فيما يتعلق بالماركسية ، وهذه الحقائق هي :

اولا : ان الماركسية ايديولوجية للتحرر الانساني . ولقد تبلور هذا المضمون فيما يلي :

أ ـ مقاومة استعباد الطبقات المستغِلة الطبقات المستغَلة .

ب ـ مقاومة استعباد امة لامة .

جـ ـ محاولة تحرير الانسان من عبودية الحاجة والفقر الخ .

هذا من حيث المبدأ ، ولا يضير هذا المبدأ ان يكون الاجتهاد او تكون الممارسة او يكون التكتيك قد تناقض معه او اساء اليه، او اختلف عنه .

ثانيا : ان الماركسية ايديولوجية تحرر طبقي ، ولكنها في الوقت ذاته ايديولوجية تحرر قومي وطني . ولم تطرح الماركسية القضيتين على انهما متناقضتان او متعارضتان ، بل على انهما متداخلتان ومتكاملتان . وكان برنامج الثورة الديمقراطية في نظر ماركس ، كما كان في نظر لينين ، جزء من برنامج الثورة الاشتراكية . وعلى هذا الاساس كان ماركس مع الثورة الايرلندية والثورة البولندية ، وكان لينين مع حركات التحرر الوطني في الشرق .

ويمكن تلخيص برنامج الماركسية اللينينية بصدد القضية القومية فيما يلي :

أ ـ «ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون حرا» . وهذا مبدأ اساسي في الماركسية ، اكده ماركس ، واكده لينين من بعده في مناسبات عدة ، ذاكرا «ان ماركس ظل دائما

امينا له» (١) . ولقد حاول لينين ان يرسخ هذا المبدأ في الحركة الاشتراكية العالميه ، وكان يعتقد عن حق : «انه كلما زاد نضال البروليتاريا ضد الجبهة الاستعمارية العامـــة ، نقاوه وصفاء ، ازدادت ، بالطبع ، حيويه هذا المبدا الاممي القائل : ان شعبـــا يضطهد شعوبا اخرى لا يمكن ان يكون حرا» (٢) .

ونعتبر «الماركسية ــ اللينينية» ، انطلاقا من هذا المبدأ : «ان مبدأ القوميات امر محتم تاريخيا في المجتمع البرجوازي» وانــه «بالنظر الى هذا المجتمع ، يعترف الماركسي صريـــح الاعتراف بالشرعية التاريخية للحركات القومية» (٣). ومع ان لينين يتحفظ ازاء سلبيات الحركات القومية فانه يقول : «اجل ، ينبغي النضال ضد كل نير قومي ، ذلك امر لا ريب فيه» (٤) .

ب ــ ان المبدأ السابق الذي اكدته الماركسية ــ اللينينيـــة فرض بالضروره تبنى مبدأ حق تقرير المصير والانفصال وانشـــاء الدول القومية . ولقد خصص لينين مئات الصفحات لمناقشتـــة هذه القضية ، ولتاكيد اهميتها ، وحتميتها وضرورتها ، ولفضح الذين يريدون ان يجعلوا منها شعارا شكليا ، مثل روزا لوكسمبرغ، على اساس انها تتعارض مع وحدة البروليتاريا ووحدة كفاحها (٥).

جـ ــ واذا كانت الماركسية اللينينية ترى ان شعبا يستعبـــد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون حرا ، وكانت ترى ان الانفصال وحق تقرير المصير مبدأ اساسي يترتب على المبدأ الاول ، فانها

---

١ ــ لينين : ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنيه ــ حق الامم في تقرير مصيرها ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية ــ موسكو ، ص ١٩٢ .

٢ ــ لينين : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

٣ ــ لينين : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

٤ ــ لينين : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

٥ ــ يراجع بهذا الشأن المصدر السابق كله .

استخلصت من هذين المبدئين مبدأ ثالثا ، لا يقل عـــن المبدئين السابقين اهمية . وهذا المبدأ هو النضال ضد كل شكل مـــن اشكال الاضطهاد والاستعمار والالحاق على الصعيـــد القومي . ويؤكد لينين ان«التبرير للالحاق ليس من الماركسية في شيء»(١). وكان لينين يرى ان مقاومة الالحاق تستلزم :

١ ـ تأييد اشتراكيي الامم الغاصبة المضطهدة لحركـــات التحرر الوطني . ولهذا كان دائم الانتقاد «لنفاق اشتراكيي الامم الغاصبة ونذالتهم» (٢) . وكان يعتبر الذين يدافعون عن الالحاق خدما للبرجوازية .

٢ ـ تأييد العنف الثوري الذي يقوم به المضطهَدون ضـــد المضطهِدين ، واعتبار ان الدفاع عن«الوضع الراهن ـ الستاتيكو» شعار : «خاطىء اساسا ولا يتوافق مع الماركسية» (٣) .

د ـ ان اللينينية تفرّق بين الصراع القومي بين برجوازيتين استعماريتين ، تتنازعان على سيطرة على الاسواق ، وبين «ثورة المناطق المغصوبة» على «البلد الغاصب» . وهي اذ ترفض الصراع الاول وتعتبره رجعيا ، وتطالب البروليتاريا بمقاومته ، تؤيـــد «ثوره المناطق المغصوبه» وتعتبرها جزء من مهمة البروليتاريا في البلدان الغاصبة والبلدان المغتصبة ، واهم مهمة في مرحلة من مراحل النضال .

ثالثا : ان الماركسية ايديولوجية ثوريـــة وليست ايديولوجيه اصلاحية . ولقد رفضت كل النزعات الاصلاحية وحاربتها بشدة. وكان ماركس وانجلز ولينين شديدي الوطأة على هؤلاء الذيـــن

---

١ ـ لينين : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

٢ ـ لينين : المرجع السابق .

٣ ـ لينين : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

حاولوا تبرير اضطهاد امه لأمة او طبقه لطبقة . وما كان ماركس يرضى بان يطلب من ايرلندا ان «تتفاهم» مع الاستعمار البريطاني. او من الهند ان «تتفاهم» مع التاج . ولا كان ممكنا ان يطلب لينين من الشعوب المضطهده في اوروبا وآسيا ان تتنازل للامبرياليين عن حق تقرير المصير .

وتقرر الماركسيه . بوضوح ودون اي لبس او ابهام ان هذه الصراعات تحل بالعنف ، بانتفاض المظلومين على الظالمين . سيان كان المظلومون شعبا او طبقـــه او طبقات . وسيان كان الظالمين شعبا او طبقة او طبقات . ولم يحدث في تاريـخ الماركسية ، ان قبل الماركسيون الثوريون «التسويات» على صعيد الاستراتيجيه.

- ٥ -

يحق لنا بعد هذا المدخل الطويل ان نطرح على انفسنا هذا السؤال : الى اي حد تنسجم هذه الدراسات مع روح الماركسية؟

انها في الواقع ليست سليلة الماركسية ــ اللينينية ، انهــا سليلة ماركسية الاممية الثانيه . ولذلك فاننا نجدها على تناقض تام مع الخط الذي اوضحناه .

وينجلي هذا التعارض فيما يلي :

اولا : موقف الماركسية ــ اللينينية من الاستعمار والالحاق وحركات التحرر الوطني واضح ، لا لبس فيه ولا ابهام ، ولكن كتاب هذه الدراسات لا يعتبرون ان هناك حركة تحرر وطني في فلسطين ، على الرغم من انهم جميعا يؤكدون ان «اسرائيل واقع استعماري» والصهيونية حركة استعمارية .

ولقد حاولت هذه الدراسات تشويه الحركة الوطنيه فـــي فلسطين ، وتجريدها من مضمونها الثوري ، وذلك بمحاولـــة

اقناعنا بمعطيات ثلاثة :

أ ـ ان السلطات البريطانيه كانت تعمد الى اثاره العرب ضد اليهود . هذا ما يؤكده ناتان واينتستوك . والمنظمة الاشتراكيه الاسرائيلية مثلا (١) .

ب ـ ان الكفاح العربي ضد الصهيونيه شوفيني . وانه ليس كفاحا معاديا للاستعمار (٢) .

ج ـ ان «القيم القوميه» هي المسيطره في الصراع العربي ـ الصهيوني . وان هذه الناحيه تثير الخوف والقلق .

وتتعارض هذه المعطيات ، بالطبع ، مع ابجديات الماركسيه ـ اللينينيه التي اعطينا عنها لمحه فيما سبق . ويتضح هذا التعارض من خلال حقيقتين :

الاولى : ان الماركسيه ـ اللينينيه لم تحارب حركات التحرر الوطني . والحركات القوميه المعاديه للاستعمار . بـــل حاربت الصراع القومي بين برجوازيين استعماريين . والصراع فـــي فلسطين لم يكن بين برجوازيين استعماريين قطعا : فلقد كان بين شعب فلسطين المهدد وطنه بالاغتصاب وبين المهاجريـــــن الصهيونيين والاستعمار البريطاني . ان عدم رؤيه هذه الحقيقه خطأ فادح ، انطلق من المساواه بين المهاجرين الصهيونيين وبين شعب فلسطين. وجر الى اعتبار الحركه الوطنيه العربيهشوفينيه وغير معادية للاستعمار .

وهذا الخطأ الفاضح يزداد فداحة عندما نجد كل هـــــذه الدراسات تشير او تؤكد الى ان الوجود الصهيوني في فلسطين وجود كولونيالي .

---

١ ـ اسرائيل والصهيونيه والصراع الطبقي ، وخصوصيـــات الاستعمار الصهيوني لفلسطين .

٢ ـ المرجعان السابقان .

الثانية : ان التناقض بين الغزو الصهيوني والاستعمار البريطاني لم يكن اساسيا . وكيف يكون كذلك وبريطانيا هي مانحة وعد بلفور والمشرفة على تنفيذ البرنامج الصهيوني . ولكن صدامات كانت تحصل نتيجه تعجل الحركة الصهيونيه ومحاوله البريطانيين ان يخضعوا تنفيذ البرنامج الصهيوني لمقتضيات سياستهم . وكان العرب في فلسطين وخارجها يدركون ان الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني مترابطان ، وان ايا منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر . لان الصهيونيون يريدون بقاء الاستعمار البريطاني ليساعدهم على تحقيق برنامجهم . وكان البريطانيون يريدون استمرار التدفق الصهيوني الى فلسطين من اجل تحقيق الاستراتيجية التي رسموها .

وكان على العربي ان يحارب الاستعماريين : البريطاني والصهيوني . وكان دائما يوجه الضربات لهذا ولذاك . ولم يكن يفرق بين ثكنة بريطانية ومستعمرة اسرائيلية، لان الثكنة والمستعمرة يمثلان شيئا واحدا بالنسبة له .

وحين كان العربي يركز هجومه على احدى الجبهتين فلم يكن ذلك عن تحريض من الجبهة الاخرى ، بل لادراكه ، وعفويا في اكثر الاحيان ، ان الحرب على جبهتين صعبة ، وانه مفيد تركيز الضربات في جهة واحدة ان كان هذا ممكنا (١) .

ولكن تاريخ الثورات والانتفاضات والنشاطات السياسية في فلسطين يثبت بشكل قاطع ، ان العرب كانوا يحاربون على الجبهتين : البريطانية والصهيونية ، وان الصدام في جبهة كان يقود فورا الى صدام مع الجبهة الاخرى .

ثانيا : ان القضية المركزية التي تستهدفها هذه الدراسات هي

---

١ ـ بحثت هذا الموضوع بتفصيل في كتابي : «الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية» الذي صدر عن مركز الابحاث .

قبول اسرائيل اشتراكية في وطن عربي اشتراكي . وهذه النتيجة الخاطئة ، بالطبع ، انطلقت من المقدمات الخاطئة : المساواة بين الغزاة الصهيونيين والمواطنين العرب . وادانة الحركة الوطنية في فلسطين بالشوفينية وعدم معاداه الاستعمار .

وتقوم هذه النتيجة على ثلاث فرضيات :

١ ــ ان بالامكان توحيد الكفاح الطبقي للعرب والصهيونيين في فلسطين وخارجها .

٢ ــ ان هنالك امكانية لتحول «اسرائيل» الى بلد اشتراكي .

٣ ــ ان تحول «اسرائيل» الى بلد اشتراكي ــ لو فرضنا انه تم ــ يغير من طبيعتها الكولونيالية .

وفيما يتعلق بالفرضية الاولى . فان الموقف الماركسي واضح. ولقد حرص ماركس ، كما حرص لينين ، على تأكيد اهمية التحرر الوطني من الاستعمار ، ليكون توحيد الكفاح الطبقي بين اي شعبين ممكنا . ومع ان الاحتلال البريطاني لايرلنده اقل بشاعة بمئات المرات من الاغتصاب الصهيوني لفلسطين ، فان ماركس اعتبر مهمة تحرير ايرلنده وانفصالها عن بريطانيا مهمة اساسية ، سابقة على توحيد الكفاح الطبقي . ولقد كتب في هذا قائلا :

«لقد حاولت جهدي بجميع الوسائل اثارة العمال الانجليز للتظاهر في سبيل تأييد الحركة الفينيانية (حركة ثورية سرية استهدفت تحرير ايرلنده من الانجليز) ... فيما مضى ، كنت اعتبر انفصال ايرلنده عن انجلترا امرا مستحيلا . اما اليوم ، فاني اعتبر هذا الانفصال امرا محتوما ، ولو ادى الامر ، بعد الانفصال ، الى الاتحاد» (١) .

---

١ ــ لينين : ملاحظات انتقادية حول المسالة الوطنية ، حق الامم . دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية ، موسكو ، ص ١١٣ ــ ١١٤ .

وعليه فان المهمة الاولى ، في مثل هذه الحالة ، هي التحرر الوطني .

وكان لينين يعي ابعاد هذه القضية جيدا . ولذلك فانه رفع شعار حق تقرير المصير ، وجعله شعارا موازيا لشعار وحدة الكفاح الطبقي ، لا حين يضطهد شعب باكمله شعبا آخر باكمله . كما هي الحال في فلسطين ، بل عندما كانت برجوازيه قومية تضطهد شعبا آخر .

وانه لمستحيل ان نرفع شعار وحده الكفاح الطبقي ، بين طبقتين عاملتين تحرم احداهما الاخرى من حق الوجود . هذا ما لم يفهمه احفاد الاممية الثانية .

ولكن لنفترض جدلا ، ان العرب والصهيونيين كانوا مستعدين لتجاوز هذه الحقيقة . فهل بامكان اسرائيل الصهيونية ان تتحول الى دولة اشتراكيه ؟ ان الاجابة مرهونة بمعرفه حقيقتين :

الاولى : ان «اسرائيل» تطرح نفسها على انها مشروع «اليهودية العالمية» . ولقد ساهمت «اليهودية العالمية» بخلقها ، مساهمه فعالة ، وما زالت تلعب دورا اساسيا في تغذيتها وحمايتها . واليهودية العالمية ، ممثلة بالمنظمة الصهيونية العالمية، مؤسسة رجعية محافظة . لها عقلينها ومصالحها ، ويدعمها الراي العام الاشد تخلفا بين اليهود . وتستطيع اسرائيل ان تتحول الى دولة اشتراكية في الحالات التالية : اذا تحولت اليهودية العالمية الى الاشتراكية ، اذ استغنت اسرائيل عن اليهودية العالمية ، اذا دعمت الدول الاشتراكية اسرائيل . وكل من هذه الاحتمالات غير وارد في المدى المنظور .

الثانية : ان «اسرائيل» قامت حسب خطة وضعها الاستعمار البريطاني . وساهمت في تنفيذها الراسمالية الاميركية . وان هذا الارتباط ما زال قائما . وما اكثر ما يتحدث عنه الماركسيون جميعا . ولا تستطيع اسرائيل ان تستغني عن هذه العلاقة ، بسبب ضآلة امكانياتها البشرية والمادية ، وبسبب عدائها للجماهير

العربية كلها . فهل يمكن ان تبقى «اسرائيل» على ارتباطهـــا بالامبريالية العالمية وتتحول الى دولة اشتراكية ؟!

اعتقد ان الاجابة على السؤال الذي طرحتـــه قد اصبحت واضحة .

اما اذا تحولت اسرائيل الى «دولة اشتراكية» — وهـــذا افتراض غير قائم على معطيات معقولة — فانها ستبقى بالنسبة للعرب «واقعا كولونياليا» .

لقد ادرك مكسيم رودنسون هاتين الحقيقتين : حقيقــة ان اسرائيل لن تصبح دولة اشتراكية ، وحقيقة انها ستظل واقعـا كولونياليا . حتى لو اصبحت . وقد عبر عن ذلك تعبيرا لا ابهام فيه . ولقد قال فيما يتعلق بالناحية الاولى : «يمكننا ان نناقش ان من الصعب جدا على اسرائيل ان تقيـم اقتصادا اشتراكيا ذا استقلال ذاتي في ركن صغير من الشرق الادنى . وان مـــدى اعتمادها على الموارد الخارجية ، الذي يشهد عليه المراقبـــون الثقاة حتى اولئك الذين يميلون الى اسرائيل ، هو خير دليل على ذلك ... فالاتجاه نحو الغرب الذي تتبناه السياسة الاسرائيلية، على الرغم من محاولات عدم الانحياز التي حاولتها عند تأسيسها كدولة ، ليس امرا عارضا» (١) .

ويقول رودنسون ، فيما يتعلق بالناحية الثانية : «وحتى لو تحولت اسرائيل الى دولة اشتراكية تماما ، فان ذلك لن ينزع عنها طابعها الكولونيالي من وجهة النظر الخارجية ، وبالتالي فلن يكون ذلك حلا للنزاع» (٢) .

ان مكسيم رودنسون ، الماركسي الاصلاحي المستقل ، يدرك

---

١ — رودنسون ، مكسيم : الحرب الاسرائيلية — العربية . ومستقبـــل الاشتراكية .

٢ — رودنسون ، مكسيم : المرجع السابق .

هذه الحقائق الجوهرية ، ولكنه عندما يستخلص النتائج يطالب باسرائيل غير صهيونية ، وبقبول اسرائيل علــى اساس تنازلات متبادلة ، مع انه يؤكد بان قبولها غير محتمل الوقوع . ومكسيم رودنسون يؤكد بذلك انه ماركسي من حيث منهــج التحليل ، ولكنه ليس ماركسيا من حيث المواقف . اما الآخرون فهم ابعد ما يكونون عن الماركسية تحليلا ومواقف .

القسم الثالث

المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربي

المقاومة : مواقع نقدها والهجوم عليها

دراسة كتبت في منتصف تموز سنة ١٩٧١ ، ونشرت في «دراسات عربية» ، السنة ٧ ، العدد ١٠ ، وهي تناقش الياس مرقص في هجمته الشرسة على المقاومة ، والتي رافقت آخر عمليات التصفية في الاردن .

١ ـ تصفية المقاومة ماديا لتصفية القضية الفلسطينية :

منذ ايلول وحتى هذه اللحظات تتعرض المقاومة لمؤامرة سحق وتصفية . ومؤامرة السحق والتصفية هذه شرسة ودموية أشد ما تكون الشراسة والدموية . وهي ذات شقين :

الاول : عسكري تقوم به السلطات الاردنية، تساندها اوساط عربية معادية للثورة ، وتدعمها وتخطط لها الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة . وتستهدف الحملة العسكرية لا احتلال مواقع المقاومة فحسب ، بل القضاء على عناصر المقاومة قضاء تاما ، بالقتل والاعتقال والتشريد . ولا تقف الحملة هنا ، فهي

بعد ذلك تعمل على تحطيم معنويات المعتقلين وتشويه اجسادهم وتعطيل فعاليتهم المادية والمعنوية ، لكي يخرجوا من المعتقل جواسيس او مشلولين . وهي لا تكتفي بهذا ، لانها تعلم ان وجود شعب متذمر ناقم يعني ظهور مقاومين جدد كل يوم ، ولهذا فانها تعمل ما تستطيع لاخضاع الشعب كله ولتحطيم معنوياته وفرض الذل والاستسلام عليه .

وقد لجأت السلطة في سبيل تحقيق هذه الغاية الى استخدام ما يلي :

١ ــ قامت بحملات التقتيل والرعب الشهيرة ١٠ـ٢ ، ٧ـ٦ ، ١٧ـ٩ ، الهجوم على الرصيفة وجرش واربد بعد ايلول ، وكانت تهدف من وراء حملات الابادة والترويع هذه الى سحق معنويات الجماهير سحقا تاما ودفعها الى الاستسلام واليأس .

٢ ــ اعادت فرض الاحكام العرفية والمحاكم العرفية واجرت تغييرات في قانون العقوبات ، لكي يلائم اهدافها التصفوية القمعية . ولهذا اعادت فرض عقوبة الاعدام على كل من يملك سلاحا ، مع ان تطبيق هذا القانون يخدم سلطات الاحتلال الصهيوني ، لانه قانون يعتبر بمجرد اقراره ساري المفعول في الضفة الغربية . ومع ان نقابة المحامين في الاردن قد نبهت السلطة الى خطورة اقرار مثل هذا القانون ، الا ان السلطة استمرت في اصرارها واقرت القانون .

وكان ان قامت السلطة ، بعد اللجوء الى الاحكام العرفية ، باعدام البطل غالب سعيد ابراهيم ، وحكمت على آخرين بالاعدام قبل ايام ، وما هذه الا اول الغيث .

٣ ــ قامت بشق جماهير الشعب على اساس اردني وفلسطيني ، واستخدمت كل وسائل الترغيب والترهيب لتحريض فئة على فئة ، ولتشكيك الصديق بصديقه والجار بجاره والاخ بأخيه والزميل بزميله .

وهكذا يسير القمع جنبا الى جنب مع سياسة الافساد وشراء

الدمم والضمائر . انها سياسة مدروسة ومخططة تستفيد من كل خبرات حرب العصابات المضادة وتجاربها ، ومن كل خبرائها واساتذتها وهيئاتها المختصة .

واذا كان النظام الاردني العميل هو الذي يقوم بالهجمة الرئيسية الآن ، فانه لا بد لنا من ان نشير الى ان هذه الهجمة قد تمت بتخطيط الدوائر الامبريالية وبمشاركة اوساط سياسية عربية . وكان هدفها يتلخص فيما يلي :

اولا : سحق ظاهرة المقاومة ، لان المقاومة تعني ان تقاتل الجماهير ، وانتشار هذه الروح ، وهذه الممارسة ، لا يهدد مصالح الامبريالية فحسب ، بل يهدد «الضبط» الذي تمارسه الانظمة المختلفة على المنطقة ، ويهدد الانظمة الخانعة والمسالمة والعميلة .

ثانيا : فتح الطريق امام الحلول الاستسلامية . وهذا لا يتم الا بتصفية القوى المصممة على القتال ، وضرب الجماهير المسلحة التي تقف عائقا دون عقد الصفقات الاستسلامية (١) .

---

١ ـ قالت معاريف يوم ٢٥ـ٩ـ٧٠ : «جرى الحديث في واشنطن عن ضرورة القتال بين الملك حسين والمخربين الفلسطينيين قبل قضية خطف الطائرات ودون اية علاقة بها . وقد ثارت هذه القضية بعد زيارة الملك حسين للقاهرة ، حيث نسق مع عبد الناصر خطوط عمل مشتركة من اجل انجاح مشروع روجرز . وقد سر المسؤولون الامريكيون في وزارة الخارجية بالتفاهم الذي تم بين حسين وناصر ، وسمعت منهم في احاديث غير رسمية ، انه لربما تقترب اللحظة لكي يكون الجيش الاردني مجبرا للقتال ضد الفلسطينيين ، لمنح الملك حسين حرية العمل في مفاوضاته بواسطة الدكتور يارنغ لتنفيذ مشروع روجرز (معاريف : بقلم اوري دان) . وقالت هآرتس يوم ٥ـ١٠ـ٧٠ : ان دايان قابل عددا من الشخصيات الفلسطينية ـ الاردنية وقال لهم : «ان الملك حسين في طريقه للسيطرة على الموقف» وطلب منهم ان يذهبوا الى الاردن للاشتراك في الوزارة لكي يكون من «السهل على اسرائيل والعرب اجراء مفاوضات مباشرة» واضاف،

٢ ـ التصفية السياسية والايديولوجية .

الثاني : سياسي ايديولوجي . ذلك ان التصفية الجسدية المادية لا تكفي ولا تنفع وحدها . فاذا كان العملاء والجلاوزة يريدون سحق المقاتلين ، فانهم يحسون بأن عليهم ايضا ان يسحقوا الفكرة . وهكذا ، بينما اتجهت قوات القمع لسحق المقاتلين ولتصفية التنظيمات الشعبية كان هنالك من يعمل لتصفية الفكرة: فكرة حرب التحرير الشعبية .

وبينما بدات اجهزة الاعلام والمخابرات حملاتها المدروسة ، كان منظرون مثل هيكل وامين الاعور وأمثالهما يحاولون التهوين تارة من شان الحرب الشعبية وتسخيفها تارة اخرى ، لمصلحة الحرب النظامية ، ولمصلحة هذا النظام او ذاك .

وكانت هذه النبرات والنغمات «المعادية» تتغلف باغلفة شفافة من الحرص والتكلف ، ولكنها كانت مع هذا عارية ومكشوفة ومفضوحة .

ولكن هذه الحملة ازدادت ضراوة بعد ايلول . ولقد ازدادت حدتها مع ازدياد عنف التصفية الجسدية . وبرز في هذا المجال دعاة واثقون من انفسهم ومما يقولون .

وجاء الهجوم في هذه المرة باسم اليسار ، لا من اجل «التيسير» و«التثوير» ، كما كان الامر فيما مضى ، ولا لمصلحة الحرب الشعبية الحقيقية ضد «الحرب الشعبية الاذاعية» بل لمصلحة «الحرب النظامية الكلاسيكية» نظريا ، ولمصلحة الاستسلام والنكوص عن الحرب عمليا .

وشاء الكاتب «الماركسي» الياس مرقص ، حامل لواء

«وخاصة عندما يكون لي الحكومة الجديدة اشخاص عرفناهم وعرفونا» رفض الاشخاص بالطبع ، كما تقول الجريدة طلب موشي دايان .

«الماركسية اللينينية العربية» و«منظرها» ، أن يزج نفسه في هذه المعركة ، وان يحمل لواء قيادتها . ولقد بدا قبل ايلول حمله مسخفا يسار المقاومة ومهاجما استراتيجيتها وتكتيكها . كان هدفه ، كما يقول : «نعد هذا التيار «اليساري» المتمثل في الجبهة الشعبية الديمقراطية ، تفنيده ، لانه على ضلال جوهري» (۱) . ولكن الياس مرقص الذي اراد تفنيد «الضلال الجوهري» قادنا نحو «ضلال جوهري» اخطر يتمثل في ناحيتين:

الاولى : تجسدت في عدم فهم معنى الحرب الشعبية ، ومحاولة النيل منها بحياء احيانا ، وبجراه احيانا لمصلحة الحرب النظامية .

الثانية : تجسدت بمحاولات نقد وتحليل هاجمت اليسار من نقاط ضعفه : الارتجال ، العفوية ، الاقتصادية ، النظرة الاحادية الجانب ، ولكنها بالمقابل اتخذت موقفا احادي الجانب : من الجمهوريه العربية المتحده وقيادتها . واذا كان كل شيء خاضعا للنقاش العشوائي حينا ، الجيد حينا ، المضطرب احيانا ، فان هنالك ثلاثه اقانيم لا تخضع للنقاش ولا للنقد هي : مصر عبد الناصر والحكم في ج.ع.م ، الحرب النظامية .

بدا الياس اذن حربه هكذا . وكان واضحا انه كان يريد اسقاط اقانيم : الحرب الشعبية ، الثوره الفلسطينيه ، الممارسة اليساريه الطفوليه وعفوية النظريه ، ليكرس اقانيم : مصر ، القيادة الناصريه ، الحرب النظامية . وبينما كانت الاقانيم الثلاثه الاولى في نظر الياس تحاط بلعنة «القطيعة» مع الماركسية والوحدة العربيه ، كانت الاقانيم الثلاثة الثانية تحاط بهالة الماركسيه

---

١ ـ مرقص ، الياس : نقد الفكر المقاوم ـ١ـ عفويه النظريه في العمل الفدائي ، دار الحقيقه ، آب ١٩٧٠ ص ١٥ .

اللينينية العربيه والوحدة العربية (١) .

ولكن الياس مرقص لم يكتف بمحاولته هذه ، فلقد بادر بعد مذبحة ايلول ، الى تطوير افكاره ونظرياته «الماركسية ــ اللينينية العربية» ، وقام بنشر دراستين هامتين :

الاولى : «المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن» (٢) .

الثانية : «مرة اخرى حول المقاومه الفلسطينيه والموقف الراهن » (٣) .

وخطورة هاتين الدراستين انهما تحاولان الاجهاز كليا على مفاهيم الحرب الشعبية والثورة الفلسطينية يمينا ويسارا ، ونضالات الجماهير في الارض المحتلة والاردن وتكريس مفاهيم : **الحرب النظامية ، القيادة الناصرية ، السلم** ، من خلال هجوم شامل على المقاومة الفلسطينية .

وقد ارتكب ، من اجل تثبيت هذه «الاقانيم» اخطاء منهجية وسياسية وعسكرية فاحشة وفاضحة ، لا يمكن ان يرتكبها من قرأ ماركس ولينين وماو ، فكيف من يطرح نفسه رائداً لاتجاه «الماركسيه ــ اللينينية العربية» ضد كل الانجاهاتَ اليمينية واليسارية الاخرى .

فمن الناحية المنهجية : لم ينهج الياس مرقص نهجا ماركسيا في التحليل ، في دراسة الظواهر واسبابها والقضايا وعلاقاتها.

---

١ ــ صدر كتاب الياس مرقص المشار اليه سابقا في آب سنة ١٩٧٠ ، قبل ايلول ، وكتب بين اذار وحزيران ، اي بعد شباط ١٩٧٠ في الاردن وحزيران، وكان كل شيء في هذا الوقت واضحا ، وخاصة اين يقف حنين والحرب النظامية ، ولكنه اوضح بشكل قاطع اين تقف «الماركسية ــ اللينينية العربية»!

٢ ــ اصدار دار الحقيقه ــ بيروت ، نيسان ١٩٧١ ،

٣ ــ المقاومه الفلسطينية ــ الواقع والتوقعات ، دار الطليعة ، تموز ١٩٧١، ص ١٧٣ .

المنهج الماركسي يدرس «الواقع الملموس» والقضايا وعلاقاتها دراسة جدلية . ولكن الياس مرقص اتبع منهجا : **ذاتيا وانتقائيا واحادي الجانب** . ذاتيا لانه نظر الى القضيه من خلال ذاته ، من خلال موقفه المسبق . ولهذا كان موقفه المسبق من الجمهوريه العربيه المتحده . والقياده الناصريه هو اساس نظريه . وبما انه مع الجمهوريه العربيه المتحده وقيادتها الناصريه كيفما كانت . وضد غيرها مهما كان . فهو لا يرى الامور الا من هذا المنظار . ولهذا فقد كان عاجزا عن ان يرى القضيه الموضوعيه بكل ابعادها . وان يرى القضايا بكل علاقاتها . وبكل جدليه هذه العلاقات . مع انه يتحدث كثيرا عن الجدلية . وهكـــذا كانت مقاييس الياس الذاتيه هي دليله ومرشده . وهي بالتالي قائدته الى «الضـــلال الجوهري» . وكان الياس انتقائيا . لانه حكم على ظواهر وترك ظواهر اخرى . سلط نيرانه على الاقانيم الثلاثه الملعونه وترك في الظلمه اقانيمه الثلاثه المقدسة . هاجم «ديماغوجيا» المقاومة و«كلامولوجيا» حرب التحرير الشعبيه ، ولكنه لم يشر الـــى الديماغوجيا الأم و«الكلامولوجيا» الأم ، حاول ان يفضح تلامذه الديماغوجيا والكلامولوجيا الصغار . ولكنه لم يشر الى اساتذه الديماغوجيا والكلامولوجيا الكبار . والياس مرقص يتخذ موقفا احادي الجانب . ينظر الى الامور لا نظره حولاء ، بل نظره عوراء لا ترى من القضيه الا مساحه معينة . والنظره الاحاديه الجانب هي بنت الذاتيه والانتقائية . منبثقة عنهما . ومرتبطه بهما .

ومن الناحية السياسية : وقف الياس مرقص مـــع الانظمه ضد الجماهير ، ومع عفوية الانظمة ضد عفوية الجماهير ، ومع اخطاء الانظمه ضد اخطاء الجماهير ، ومع استسلام الانظمه ضد وطنيه الجماهير . ولقد كان ماركس ولينين ضد العفوية، ولكنهما كانا مع عفوية الجماهير ضد عفوية الانظمة ، وحتى عقائديـــة الاحزاب والمنظرين . ولقد وقف ماركس وانجلز بشجاعة مـــع جماهير باريس سنة ۱۸۷۰ – ۱۸۷۱ ، وقبل ذلك سنة ۱۸۳۰

و١٨٤٨ ضد تيير والنظام والبرجوازية . ووقف ماركس وانجلز مع وطنيةالجماهير وحربها ضد خيانة النظام واستسلاميته، بينما كانت جحافل الالمان اقرب الىباريس من جحافل ديان عنالفاهرة، وبينما كان وضع الجيش العرنسي النظامي اسوأ كثيرا من وضع الجيش المصري حاليا . ولم يعل ماركس وانجلز لجماهير باريس سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ان الالزاس واللورين الضائعتين اليوم ستعودان بعد خمسين او مائة او الف سنة كما يقول الياس مرقص اليوم لجماهيرنا . ولم يبحثماركس وانجلز سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ موضوع حتمية عودة الالزاس واللورين الى فرنسا، حسب علمي ولا طالبا الجماهير الفرنسية المتمردة لن تنتظر نابليونا جديدا يطور القوات الفرنسية ويعدها لحرب قادمة مع المانيا بعد عشرين ، خمسين ، سبعين او مائة عام . وعندما سقطت الكومونة حيّى ماركس وانجلز شجاعة رجالها ووطنيتهم ولعنا خيانة النظام واستسلامه ، وقد حذا حذوهما لينين فيما بعد وكل الماركسيين الحقيقيين . اقول هذا وانا اعلم الفرق بين جماهير باريس والجماهير العربية وبين عبد الناصر وتيير .

ولكن لماذا وقف الياس مرقص الماركسي - اللينيني غير موقف ماركس وانجلز ولينين ؟ لماذا وقف ضد الجماهير ، وضد حربها الشعبية ، وضد وطنيتها ، بينما وقفوا هم معها ، مع وطنيتها وعفويتها وحربها الشعبية ؟ السبب واضح وبسيط : لان الياس مرقص مع النظام ضد الجماهير ، ولأن ماركس وانجلز ولينين كانوا مع الجماهير دائما ضد الانظمة دائما ، الا في الحالات التي تصبح فيها الجماهير أدوات للرجعية (١) . ولقد اختار الياس الا يكون مع الجماهير ، مع انتفاضاتها وحركاتها السياسية والمسلحة ، انه نظريا ضد كل ما هو قائم - ما عدا الناصرية -

---

١ - لينين : حول حق الامم في تقرير مصيرها - دار التقدم موسكو

ومع نشوء حزب ماركسي – لينيني عربي ، ولكنه عمليا ضد الجماهير وحركتها ونضالها . لانه مع النظام الطوباوي المعصوم عن الخطا ، الوطني جدا ، الثوري جدا ، الذي لا ياتيه النقد لا من بين يديه ولا من بين رجليه ، ولان حزبه الموهـــــوم الماركسي – اللينيني العربي لن يكون ما دام هو منظره ودليله (٢) وما دامت هذه الافكار اساس دعوته .

موقف الياس السياسي منحرف اذن ، وهو موقف ضـــد الماركسية اللينينيه . والماركسية ليست منهجا للتحليل فحسب، ولا هي نتائج وتعميمات فقط ، انها موقف سياسي ، وهذا الموقف السياسي مع الجماهير ضد الانظمة ، ومع حرب العصابـــات والحرب الشعبيه ضد الحروب الكلاسيكيه ، ومع القتال ضـــد الاستسلام ، ومع تجذير الحركات الوطنيه ضد التصفية ، ومع محاربه الاستغلال القومي والطبقي ضد الاستسلام القومـــي والطبقي . اما خط الياس فهو على النقيض : النظام والاستسلام والتصفية ضد الجماهير .

واذا كان الياس ذاتيا من حيث التحليل فهو تصفوي من حيث السياسة .

ومن الناحية العسكرية : ارتكب الياس مرقص اخطاء فاحشة فاضحة ايضا ترتب على اخطائه المنهجية والسياسية . ولعـــل اكبر هذه الاخطاء وافدحها انه :

ا – لم يفهم طبيعة المعركة مع الاحتلال الصهيوني .

ب – لم يفهم مضمون حرب التحرير الشعبية وطبيعتها .

لقد توهم الياس مرقص ان المعركة مع الاحتلال الصهيوني هي معركة نظامية بالمعنى التقليدي : جيش مقابل جيش وطيران مقابل

---

٢ – لاعتقد انه قائم في ذات «حزب العمال الثوري» المجيد ولكن ... ويتبنى هذا الحزب خط الياس مرقص في كل المجالات .

طيران وتكنولوجيا مقابل تكنولوجيا . وعليه وبما اننا متخلفون والعدو متقدم ، فان علينا ان نستعد ونستعد ونعد حتى نبلـغ مستوى العدو او نتفوق عليه . هذا منطق الحرب النظاميـة التقليدية . ولكن من هو العدو ؟ هل هو اسرائيل فقط ؟ الياس يعرف انه ليس كذلك ، وهو يصر انه ليس كذلـك ، وان الامبريالية العالمية تقف وراء عدونا بقضها وقضيضها ، بامكانياتها المادية والسياسية مالا وسلاحا وتكنولوجيا وتأييدا وخبرة وتآمرا. وهذا يجعل امكانية المباراة التكنولوجية خاسرة خلال المدى المنظور، ولقد فهم حزب ماو وحزب جياب وحزب كيم ايل سونغ هـذه الحقيقة . ولذلك فانهم لم يرفضوا التكنولوجيـا ولا الجيوش النظامية ، الا انهم اعتبروا ان الانسان والجماهير والحزب الطليعي هي الاساس ، وليس الجيش النظامي التقليدي والسـلاح والتكنولوجيا . وبالانسان والجماهير والحزب الطليعي حـارب هؤلاء وانتصروا ، وهم ينتصرون كل يوم . وهم يرون انه : «مهما كان تطور الاسلحة الحديثة والمعدات التكنيكية ، ومهما تعقدت طرق الحروب الحديثة فان نتيجة الحرب ، في نهاية التحليـل سوف يقررها القتال المتواصل الذي تقوم به القـوات البرية ، وسوف يقررها القتال على المسافات القصيرة في ساحة القتال ، وسوف يقررها الوعي السياسي لدى الانسان وشجاعته وروح التضحية لديه» (١) . «ان القنبلة الذرية المعنوية التي تمتلكهـا الشعوب الثورية هي سلاح اكبر قوة واكثر فائدة من القنبلـة الذرية المادية» (٢) . ويضيف لين بياو : «لقد اثبت التاريـخ ولسوف يثبت باستمرار ان الحرب الشعبية هي اكثر الاسلحة

---

١ ــ بياو ، لين : عاش انتصار الحرب الشعبية ، دار النشر باللغـات الاجنبية ، بكين ، ص ٦٦ .

٢ ــ بياو ، لين : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

فعالية ضد الامبريالية الامريكية وعملائها .... ان الامبريالية الامريكية المندفعة بطيش من مكان الى مكان آخر كثور هائج . ستحرق في نيران الحرب الشعبية التي اشعلتها هي . حتى تصبح رمادا» (١) .

يقول لين بياو بهذا . بعد ان امتلكت الصين القنابل الذرية والجيش النظامي وقطعت خطوات على طريق امتلاك القنابل الهيدروجينية والصواريخ عابره القارات ، وبعد ان اعدت شعبها كله للقتال وخلقت اساسا متينا متقدما في الصناعة والزراعة والتعليم والحياه الاجتماعيه . ويصر الياس مرقص على رفض مفهوم الحرب الشعبيه . حتى ونحن لا نملك شيئا من هذا كله .

معركتنا اذن هي معركة مع الصهيونيه والامبريالية ، وهي على هذا الاساس ليست معركة قصيرة صاعقة ، ليست معركة «نظامية» نخاض في يوم او شهر ، بل معركة طويله المدى شاقة دمويه وشرسه . ولانها كذلك فهي لا بد من ان تكون حربا شعبية.

الياس مرقص يقول : «ولن تكون هنالك حرب شعبية تحرر فلسطين ، سيكون هنالك حرب نظاميه وجبهة شرقيه ونمو عربى ووحده عربية ، او سيكون هنالك لا أقول «سلام» و«حل سلمي» بل مزيد من التدهور والهزائم» (٢) . ونحن نقول لالياس : لن تكون هنالك حرب نظامية ، بل حرب شعبية طويلة المدى قاسية ومريرة ، حرب من اجل فلسطين ، ومن اجل الوحدة العربيه ، ومن اجل النمو والتقدم وانهاء مخلفات القرون الوسطى .

واذا كان الياس قد اخطا فى فهمه طبيعة المعركة بيننا وبين الصهيونية والامبرياليه والرجعية ، فانه لم يستطع ايضا ان يفهم مضمون الحرب الشعبية وطبيعتها ، ولا يبدو انه قرا ماركس

---

١ ــ بياو ، لين : المرجع السابق ص ٦٨ .

٢ ــ مرقص . الياس : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، ص ١٢٤ .

وانجلز ولينين وماو وجياب وهوشي منه في هذا المجال . ولو كان فعل لما سقط في هذا الخلط العجيب . انه يتسطح ويسرح ، يتحدث عن فرنسا ويوغسلافيا والاتحاد السوفياتي وأوروبا (١)، خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكنه لا يتحدث عن الصين وكوريا وفياتنام . لماذا ؟ مع ان وضع الصين وكوريا وفياتنام أقرب الى وضعنا الحاضر من وضع يوغسلافيا واوروبا والحرب العالمية الثانية ؟ لان الياس يريد نتيجة محددة ومثَل أوروبا والحرب العالمية الثانية يساعده على الوصول بمنطق صوري الى النتيجة التي يريد : الحرب النظامية لا الحرب الشعبية . وهو لذلك يجرجرنا عبر فصل كامل ، يعنونه «حرب التحرير الشعبية : الاسطورة بدلا من الواقع» ، ويحتل الصفحات (٢٩ ـ ٥٧) ولكن دون ان يحدد لنا مضمون حرب التحرير التعببة تحديدا علميا ، يتحدث عن كثير من الامور ، ينط ، يستطرد ، يتذكر ، يردد ، تم يصل الى القسم ـ٢ـ من الفصل . يبدأ هذا القسم بالكلمات: حرب ، التحرير ، الشعبية . ولكنه لا يحدد معنى الحرب تحديدا ماركسيا ولا معنى التحرير ، وعندما يصل الى كلمة الشعبية يقول: «ولكن كل هذه الاوصاف ليست سوى «أقارب فقراء» للجوهر : «الشعبية» فلننظر الى هذا الجوهر . يقال : الحرب النظامية فشلت ، الحرب النظامية ستفشل ، اذن : حرب التحرير الشعبية !. هذا المنطق يصرح بالجوهر المضمور . ان « حرب التحرير الشعبية» هي نقيض الحرب النظامية ، الحرب الكلاسيكية ، حرب الدول والجيوش . هذا هو الاساس الجوهري»(٢) . ويسنطرد الياس ويستطرد ويستشهد بالباهي محمد، ويقدم ما يقوله صادق جلال العظم ، ولكنه يقدم لنا تحديدا لما

---

١ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٤١ـ٤٧ .

٢ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٣٦ـ٣٧ .

يفهمه من حرب التحرير التعبية ، دون ان ينسى تقديم اقتراح للمقاومة الفلسطينية بان : «نقيم لنظرية (؟) حرب التحرير التعبية الاحتفال المهيب الذي يليق بها : احتفال الدفن» (١) .

ولكن الياس يؤكد خلال هذا الفصل ، وغيره :

أ ـ ان الذي حقق النصر في الحرب العالمية هو الجيوش «النظامية جدا» «ومعها المقاومة وقوات الانصار (الساعية مع نموها الفعلي نحو مزيد من النظامية) » (٢) .

ب ـ ان حرب التحرير التعبية لن تكون الا حيث تتوفر اكثرية من السكان فهي في «فلسطين اليهودية السكان» ، «مستحيلة ..٢٠ بالمئة» وهي لن تكون في سيناء «لعدم وجود ارياف او مدن» وكذلك في الجولان وجنوب لبنان لان البشر باتوا قليلين (٣) .

جـ ـ ان حرب التحرير الشعبية «ضد الاحتلال الاسرائيلي في وادي النيل ، في جبال كردستان وكسروان وكور دوفان واوراس وحضرموت» مستحيلة لان «هذه المناطق ليست تحت الاحتلال الاسرائيلي» (٤) .

ويفضح هذا التلخيص عيوب افكار الياس حول حرب التحرير التعبية . فلقد رفض ان يعرف الجملة «حرب التحرير التعبية» مجتمعة وحاول ان «يمررها» كلمة كلمة ، ليتخلص من التعريف العلمي والتحديد العلمي . وعندما تحدث عن الحرب أهمل التعريف العلمي للحرب وتقسيم الحروب الى حروب عادلةوحروب ظالمة ، حروب تقوم بها الشعوب وحروب تقوم بها الطبقات

---

١ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

٢ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ص ٤ .

٣ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ٤٧ .

٤ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

الحاكمة ، حروب تنظمها الاحزاب الثورية وتقودهـا ، وحروب تنظمها الطبقات الرجعية وتقودها . لان متل هذا التحديد هـو الذي يقودنا الى النتيجة الحاسمة .

ثم ان الياس أفاض في الحديث عن الحرب العالمية الثانية ودور الجيوش والمقاومة فيها ، مع ان هذه الحرب كانت بين الامم المتقدمة ، اساسا ، التي تملك الاسلحة والجيوش النظامية ، ولم تكن بين الامبريالية العالمية والشعوب المتخلفة ، كما هي الحرب الفياتنامية اليوم ، وكما ستكون الحرب المقبلة بين الامة العربية والصهيونية والامبريالية . وطبيعي لهذا كله ان يقرر ان الجيوش «النظامية جدا» هي التي حققت التحرير ، ولكنه تجنب الحديث عن الصين وفياتنام لكي لا يبحث موضوع الجيوش التي حققت التحرير فيهما ، ولكي لا يذكر اسمها : الجيش الشعبي الصيني والجيش الشعبي الفياتنامي والجيش الشعبي الكوري . ولكي لا يتحدث عن كيفية نشوء هذه الجيوش ، وكيف حققت التحرير، وهل كانت «نظامية جدا» ام لم تكن .

والياس فوق هذا يفهم موضوع حرب التحرير الشعبيـــة والجيش الشعبي فهما «أعور» . انه لا يفرق بين حرب العصابات، حرب الغوار ، وحرب التحرير الشعبية ، بين قوات العصابات وقوات الجيش الشعبي . وهو يرى ان حرب التحرير الشعبية لا تحقق التحرير ، لان التحرير يحتاج الى جيش «نظامي جدا» ، وحرب التحرير الشعبية لا تحقق التحرير لانها ليست حربـــا نظامية . ولكن العصابات ، يا استاذ الياس ، هي نويات الجيش الشعبي ، والجيش الشعبي ليس جيشا نظاميا تقليديا ، انـــه جيش في احسن حالاته شبه نظامي ، وهو كما اثبتت الوقائع : الاتحاد السوفياتي في اكتوبر ، الصين ، فياتنام (مع ما هنالك من فروقات) ، قادر على تحقيق التحرير .

وليس من الضروري ان تتوافر الاكثرية السكانية في كـل مكان من الوطن ، او ان يتعرض الوطن كله للاحتلال حتى تمارس

حرب التحرير الشعبية . لان حرب التحرير الشعبية هي حرب الجماهير كلها في الوطن كله ضد العدو : الذي يحتل الوطن كله او جزءا منه . واذا كانت فياتنام الشمالية غير محتلة ماديا ، فليس معنى ذلك انها لا تخوض حرب تحرير شعبية ضد الاحتلال في الجنوب . وضد الطيران والغارات على الشمال (١) .

وهنا لا بد لنا من ان نحدد مضمون الحرب الشعبية وطبيعتها :

انها :

اولا : حرب الجماهير كلها في بلد متخلف . ضد عدوان امبريالي . وهنا يكون الانسان والجماهير والقيادة (الحزب الطليعي) في جهة وجيش العدوان والتكنولوجيا المتفوقة والامكانيات المادية الضخمة في جهة اخرى .

ثانيا : حرب عادلة . ضد حرب ظالمه . وطابعها العادل هذا يصبح اساس التعبئة السياسية في الداخل والخارج . في الداخل توحد الجماهير على هذا الاساس . وفي الخارج تسق قوى الخصم على الاساس نفسه .

ثالثا : حرب طويلة المدى . ليست حربا خاطفة . ولا حربا «نظامية» . ضد حرب عدوان يحاول العدو الامبريالي ان يجعلها سريعة وخاطفة . وهي حرب طويلة المدى . لان البلد المتخلف (حتى لو نال مساعدات عسكرية حديثة) لا يستطيع ان يعبىء جماهيره . ويكتسب الخبرة العسكرية . ويكوّن جيشه القادر على هزيمة العدو الا خلال سنوات الكفاح الطويل .

رابعا : حرب يلعب فيها الخط السياسي الصحيح والخط

---

١ ـ هناك المواطنون مسلحون ، وهم يساهمون في مقاومة الطائرات ببنادقهم وبصد غارات الكوماندوز وباعتقال الطيارين الذين تسقط طائراتهم ، وهم على استعداد لصد اي هجوم من العدو .

العسكري الصحيح الدور الاول ، وليس عدد القوات وحجم الاسلحة ونوعها .

خامسا : حرب تحتاج الى قيادة واعية وصلبة وثورية منبثقة من الجماهير ومؤمنة بها ، وممثلة لارادتها ومصالحها ، قادرة على التعبئة والتنظيم والقيادة ، شجاعة ومصممة ؛ وفي هذا المجال لا تنفع القيادات المعادية للجماهير ، المؤمنة بالحرب «النظامية» فقط ، العاجزة عن خلق قوات نظامية قادرة على العمل وعن قيادتها في القتال .

سادسا : حرب تتطور من حرب العصابات والتخريب الى مراحل اكثر تقدما حتى تصل الى التحرير ، ولكنها تحافظ على مبادىء حرب العصابات ، على استراتيجيتها وتكتيكها . ويظل شعارها : المبادرة دائما ، النضال دائما ، التعبئة الشعبية دائما. ويظل قتالها : على الجبهة وخلف خطوط العدو : بالوحدات الصغيرة (العصابات) والوحدات الكبيرة (الالوية والفرق) . وتظل على الرغم من ذلك مستعدة للتكيف مع ظروف المعركة ، فتتفرق اذا هاجمتها قوات كبيرة متفوقة ، وتحتشد لتقوم بهجوم كبير . ولكنها على الرغم من ذلك لا تنتظر ان تتفوق على عدوها بالمدافع والطيران والدبابات .

فاذا ما بلغ اي شعب مرحلة التحرير : الاتحاد السوفياتي ، الصين ، فياتنام الشمالية ، كوريا الشمالية ، بنى قوات نظامية، ولكنها شعبية تؤمن بالجماهير وتثق بها ، وتعتبر ان انتصارها يكون بالحرب الشعبية الشاملة . وهي لهذا تدرب الشعب كله وتعدّه كله للقتال حتى في المناطق التي يسيطر عليها **الجيش النظامي** ، وتنسق تنسيقا حقيقيا بين القتال في المناطق التي يسيطر عليها الجيش النظامي ومناطق العصابات ، وهي تقاتل دون ان تنتظر التفوق على عدوها بالطائرات والدبابات والاسلحة : والحرب الفياتنامية الامريكية خير دليل .

والياس مرقص ، اخيرا ، يتحدث عن الحرب «النظاميةجدا»

دون ان يذكر شيئا عن طبيعة القيادة ، عن طبيعة تكوين الجيش النظامي المحارب . وتجاهل هذه القضية يبدو مقصودا ، لان بحثه يفضح مقاصد الياس . فالجيش الاردني جيش نظامي وهو يملك اسلحة حديثة ، ولكنه بطبيعة تكوينه وتكوين قيادته لا يستطيع ان يدخل حربا معادية للصهيونية والامبريالية ، ولا يصمد فيها اذا خاضها . ولقد اثبتت وقائع واحداث تاريخ العالم الثالث في السنوات العشر الماضية ان «الجيوش الوطنيه النظامية» ليست عاجزه فقط عن خوض معارك ضد الامبريالية ، بل عاجزة عن حماية انظمة الحكم الوطنية فيها . وكانت تستخدم ادوات للثورة المضادة (اندونيسيا ، غانا ، مالي) بينما اثبتت وقائع واحداث الخمسين سنة الماضية ان الجيوش الشعبية وحدها ، في العالم غير الامبريالي ، هي التي كانت قادرة على خوض معارك كبرى والانتصار فيها : الجيش الشعبي السوفياتي (١٩١٧ — ١٩٢٢) و(١٩٤١ — ١٩٤٥) ، الجيش الشعبي الصيني (١٩٢٧ — ١٩٤٩) والجيش الشعبي الفياتنامي (١٩٣٩ — ١٩٤٥) و(١٩٤٥ — ١٩٥٤) و(١٩٦٠ — ١٩٧١) .

ويتجاهل الياس مرقص كل هذه الحقائق ليدافع عن «الحرب النظامية جدا» وليتبنى تبنيا طوباويا عشوائيا مهووسا نموذجا مخالفا لخط الحرب الشعبية : خط شعراوي جمعة وسامي شرف ومحمد فوزي .

وسوف نقدم لالياس مرقص مقارنة بسيطة :

خاض الشعب الفياتنامي حربا شعبية من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٤ ضد الجيوش الفرنسية والجيوش العميلة . ولقد انتصر الجيش الشعبي الفياتنامي انتصارا حاسما على الجيش الفرنسي والجيش العميل والمرتزقة القادمين من كل المستعمرات.

وخاض الشعب العربي في مصر معركة ضد اسرائيل وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فهزم فيها خلال ايام ، مع ان القوى الاسرائيلية — الفرنسية — البريطانية التي استخدمت لا تساوي

الا جزءا ضئيلا من القوات الفرنسية التي كانت تقاتل في فياتنام. والسبب بالطبع ان مصر خاضت حربا «نظامية» ، بقيادة «نظامية جدا» ودون اعداد للجماهير الشعبية . ومع هذا فقد كانت هنالك مبادرات جماهيرية في منطقة القنال ازعجت المحتلين .

وخاض الشعب الفياتنامي حربا ضد الامبريالية الامريكية وعملائها من سنة ١٩٦٠ حتى الآن، وهو يحقق كل يوم انتصارات، وقد اصبحت هزيمة الامبرياليين واضحة ، عدد القوات التي تقاتل بقيادة الامبريالية الامريكية لا يقل عن المليونين وهي قوات «نظامية جدا» تملك من الاسلحة الحديثة ما لا يملكه الشعب الفياتنامي ، وهي تستخدم هناك من الاساطيل البحرية والجويه والدبابات ما لا تملك دولة الاحتلال الصهيوني الا جزءا ضئيلا منه، لا يستحق الذكر ، ومع ذلك فان فياتنام تنتصر ، ونحن ننكسر .

عدد سكان فياتنام بشمالها وجنوبها مثل عدد سكان مصر ، وما لدى مصر من الاسلحة الحديثة يفوق ما لدى فياتنام او مثله على الاقل . فما سبب الانتصارات هنالك والهزائم هنا ؟ لقد استقلت فياتنام سنة ١٩٥٤ ، وقضت ثورة مصر على حكم فاروق سنة ١٩٥٢ ، ومع هذا فقد بدات فياتنام الحرب ضد الولايات المتحدة وعملائها سنة (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) ، وهوجمنا نحن سنة ١٩٦٧ فهزمنا هزيمة ساحقة بسرعة فائقة . ماذا يقول الياس مرقص في هذا كله ؟ ولماذا ما زال يدافع عن خط المشير وشمس بدران وشعراوي جمعة ؟!

٣ ـ الدعوة للسلام تحت شعار استحالة السلام

والياس مرقص بعد هذا كله يدافع دفاع المستميت عن مشروع روجرز وعن تكنيك مصر في هذا المجال ، متحدثا عن

«المنظور التاريخي للصراع» (١) . ويرى الياس «ان موافقة مصر على قرار مجلس الامن – وعلى مقترحات الاميركي روجرز الخ – تكتيك ، ولكنه تاكتيك بالغ الجد» وهو يرى‌ان «من لا يطرق الباب الضيق ، لا يطرق اي باب ، ومن طرق الباب الضيق ، هو الذي طرق الباب العريض» . وهو يرى فوق ذلك «ان السلام بين العرب واسرائيل مستحيل» و«قضية فلسطين لا يمكن ان تصفى » (٢) .

ونحن هنا نجد الياس مرقص يبحث هذه القضية بمعزل عن ظروفها التاريخية والسياسية الواقعية . فهذا « التكتيك الشجاع» «البالغ الجد»ما هي استراليجيته؟ هل هي استراليجية قتال ، تعبئة جماهيرية ، خلق قوات مقاتلة ثورية ، تسليم القيادات لابناء الشعب الثوريين الشجعان ، اعداد البلاد لحرب طاحنة ولسلام اكيد ؟ اذا كان الامر كذلك فان هذا التكتيك «بالغ الجد» ومفيد جدا ، واغبياء هم الذين ينتقدونه ، واذا كان الامر على النقيض من ذلك : اهمال التعبئة الجماهيرية وعدم الثقة بالجماهير ، اهمال تسيس القوات العسكرية، الايمان بالتكنولوجيا بدلا من الايمان بالجماهير ، اعتبار الرتب والمظاهر والبيروقراطية المزايا الاساسية للقيادة العسكرية ، فان هذا التكتيك ، هذا الباب الضيق سيقود الى هزائم جديدة ، حتى لو اكتسب بعض التعاطف العالمي . ان فياتنام طرقت ابواب اضيق منه ، ولكن من خلال مهاجمة الباب الواسع : باب الحرب الشعبية بايد حديدية لا تكل . فهل يفهم الياس مرقص هذا «الديالكتيك الثوري» في الحرب والسياسة ؟

ولقد كان ميزان الارباح والخسائر بالنسبة لمشروع روجرز

---

١ – مرقص ، الياس : المرجع السابق ، ص ٦١–٩١ .

٢ – مرقص ، الياس ، ص ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٣ .

كما يلي :

تأييد عالمي واسع لموقف مصر ولكنه تأييد لفظي غير مجدي في ميدان الصراعات الدولية دون القوى السياسية والعسكرية القادرة على دفعه الى الامام والاستفادة منه .

بالمقابـــل :

١ ـ زاد التعنت الامريكي ، بدلا من ان يزيد الضغط الامريكي على اسرائيل ، وزادت المساعدات المالية والعسكرية من الولايات المتحدة لاسرائيل ، وزاد التأييد الامريكي السياسي لدولة الاحتلال.

٢ ـ قام النظام في الاردن بتصفية حركة المقاومة ، الحليف الطبيعي للجماهير المصرية وللجيش المصري في القتال ضد العدو الصهيوني .

٣ ـ يستعد الاردن لعقد صلح منفرد، تكون مصر من ضحاياه.

٤ ـ خسرت مصر تأييـــــد قطاعات من الوطنيين العرب ، وكسبت شك قطاعات أخرى ، وكسبت تأييد الاوساط العميلة : حزب الكتائب وشمعون في لبنان (١) . واذا كان الياس مرقص يرى ان مصر قد كسبت وحدتها بقرار روجرز فانه واهم ، ويبدو انه لا يعرف من مصر الا حسنين هيكل وشعراوي جمعة . فمصر لا تكسب وحدتها الا بالخط السياسي والعسكري الصحيـــح ومشروع روجرز ليس هذا الخط ، وطريق روجرز ليست هذه الطريق .

ولسنا بحاجة لمقارنة الارباح بالخسائر ، لان ميزان الارباح والخسائر واضح .

فهل كانت أحداث ايلول «نتيجة التشنجات التي واجهت بها المقاومة قبول مصر المبادرة الاميركية المتمثلة بمشروع روجرز؟»(١).

---

١ ـ مرقص ، الياس : المرجع السابق ، هامش الصفحة ٩١ .

ان الياس يؤكد هذه الحقيقة بكلمات غيره ، وهو يستشهد في هذا المجال بالانهازي الكبير ابراهيم بكر ، صاحب نظريات التراجع والسليم المفسره ماركسيا ، والذي سلم عمان والمدن للسلطة الأردنية ، واخذ يدعو لحرب عصابات في الارض المحتله ، ومسالمه النظام ، مع انه كان يأخذ على المقاومة قبل ايلول فلسطينينها ، ولا يهم الياس بمن يستشهد ، المهم ان يأتي بامثلة تؤيد وجهه نظره (١)

والحقيقه غير ما يؤكده الياس في الاساس ، ان الموافقه على مشروع روجرز اعطت النظام الاردني الضوء الاخضر فقط ، لان خط روجرز التاكتيكي نقيض لخط القتال النظامي والشعبي ، ولأن الذين وافقوا عليه كانوا بحاجة لاسكات كل البنادق ، وعملوا كل ما وسعهم لاسكاتها (اتصالات بمنظمات فدائية وتحريضها على منظمات اخرى وبدء صدامات مسلحة ، تحريض اليمين على اليسار الثوري لا اليسار الطفولي الخ) ، وسيكشف التاريخ قريبا كل المعلومات التي لا يعرفها الياس مرقص والتي لم يحاول معرفتها . وعندما ذهب احمد زعرور رئيس منظمة فلسطين العربية لمقابله عبد الناصر ، بعد الموافقة على مشروع روجرز ، وسأله عما اذا كانت الموافقة استراتيجية ام تكتيك قال له عبد الناصر : استراتيجية . وعاد الرجل من القاهرة واجتمع الى

---

١ – نود ان ندل الياس مرقص على انتهازي كبير آخر ، يساري جدا ، لا يحب الجمل الثوريه ، ولكنه مؤمن بالحل السلمي ومشروع روجرز ، وداعيه لانتفاد التشنج الثوري وقبول الحلول الواقعية ، وهو ضد وقف اطلاق النار في عمان يوم ٢٨–٩–٧٠ ومعه يوم ٢٩–٩–٧٢ ومع لينين وماركس وانجلز وماو نظريا ومع الاستسلام والتصفيه عمليا . انه «المناضل» سعيد الحمامي عضو حركة فتح وعضو المجلس الوطني الفلسطيني – اقرأ روز اليوسف ، العدد ٢٢٤٨ ، تاريخ ١٢–٦–١٩٧١ «فرسان الجمل الثوريه» .

اللجنة المركزيه وابلغها هذا الكلام ، واوقف صدام منظمته مع المنظمات الاخرى .

ولم يكن الموضوع موضوع تشنج المنظمات الفدائية ، بل كان موضوع خط روجرز : استمرار القتال او عدم استمراره ، قبول خط الحرب الشعبية او رفضه . وكان هنالك من يريد وقف نمو الحركة الجماهيرية الشعبية حول حركة المقاومة وتحويل المقاومه الى رجال كوماندوس تحت امرة القيادات العربية . وما جرى في ايلول كان تنفيذا لهذا الخط .

اما المقاومه وفتح بالذات ، الاكبر تنظيما والاكثر قوه ، فقد التزمت قيادتها موقفا مهادنا للجمهورية العربية المتحدة . وكان ابو عمار وابو اياد وابو لطف مصرين غير مساومين على ضروره اللقاء ، وكانت العناصر التقدمية في حركة فتح مع فضح خط روجرز ـ حسنين هيكل ، ومع العمل على استمرار التفاهم مع الجمهورية العربية المتحدة . ولكن استمرار التفاهم كان غير ممكن ، لان الخط الآخر ، خط روجرز، وخط المؤامرةالامريكية ـ الاردنية لا يبيح المجال لتفاهم .

ان خطأ المقاومة لا يكمن في انها تتشنجت ، ان خطأها الحقيقي يكمن في انها لم تستعد جيدا للقتال ، ولم تكن قادرة على احباط المؤامرة الرجعية ، ولقد تبنت المقاومة خط ابراهيم بكر بعد ايلول ، ولكنها صفيت في الاردن على الرغم من عدم التشنج ضد القاهرة والمملكة العربية السعودية ايضا. فما رأي الياس مرقص؟

٤ ـ مواقع النقد ومواقع الهجوم

لقد كنت خلال السنوات الخمس الماضية حريصا على نقد يسار المقاومة ويمينها ، داخل حركة فتح وخارجها ، وحرصت خلال السنوات الماضية على محاولة ترسيخ خط سياسي وتنظيمي وعسكري سليم . ولكني فعلت ذلك من اجل تطوير المقاومة ،

وتحويلها الى حركة شعبية عربية ثورية ، لا من اجل تصفيتها . وكنت ارى اخطاء المقاومة واخطاء غيرها ، عوامل ضعفها وعوامل ضعف غيرها . ولهذا كنت اخضع كل الاقانيم للنقد ، من اجل الثورة ومصلحتها ، ولكن الياس يمسخ اقانيم ليمجد اقانيم ، من خلال هجوم شامل على اخطاء اليسار واليمين ، ليكرس حلا اصلاحيا طوباويا تصفويا .

وهكذا تتحول الماركسية ـ اللينينيه العربية الى خط تصفوي مضاد للماركسية اللينينية ولمبادئها واهدافها ، ويتحول النقد الشامل الى عداء شامل ، ومحاولة التصحيح الى تخريب اكيد .

وانا في هذا كله لم انحدث عن المقاومة او القاهرة ، فلكل منهما حديثها ، ولكل منهما نقدها ، لا من اجل الغاء دور القاهره وتأكيد دور المقاومة ، ولا العكس ، انما من اجل ثورة عربية وطنية ديمقراطية ، تعمل لتحرير فلسطين ولتحقيق الوحدة واسقاط مخلفات القرون الوسطى .

واذا كان رفاقنا يتساقطون صرعى الآن في الاردن ، وكانت الدوائر المتآمرة تعد مذابح جديدة ، فاننا نقسم بدم هؤلاء الابطال اننا سنقاتل التصفية : السياسية والعسكرية والايديولوجيه قتالا مستميتا .

نقد المقاومة عربياً

ازدادت الهجمات على المقاومة مع نهاية عام ١٩٧١ . واخـــذ «المنظرو» التصفية يخرجون «الافاعي» مـــن اكمامهم . وكان ان كتبت هـــذه الدراسة في ١٢–١٢–٧١ ، و١٥–١٢–٧١ ونشرت في شؤون فلسطينية بتوقيع ن.ع.

تتناول الصحف والاقلام العربية موضوع المقاومة ، منـــذ ايلول ، تناول الذي يتفرج على كارثة ، الا فيما ندر . ولقد زاد هذا الاتجاه في الصحافة العربية خلال الشهرين الاخيرين . ويرى الذي يتابع ما تكتبه هذه الصحف حقيقتين بارزتين :

اولاهما : ان هنالك نقصا في المعلومات عن المقاومة ، وان ما ينشر ليس قليلا فحسب ، وضئيلا فحسب ، بل هو مزوّر حينا ومشوه في حين آخر ، ومختلط في كثير من الاحيان .

واذا كان هذا حسنا من حيث انه يدل على ان هناك نوعا من السرية ، يحفظ الاخبار والمعلومات الاساسية بالنسبة للاعداء ،

فانه يخلق مشكلة للاصدقاء الذين يحكمون على الامور من خلال معلومات ناقصة او مشوهة او مشوشة . وطبيعي ان يقود هذا الى الوقوع في اخطاء ، والى ايقاع الأذى بالمقاومة بدلا من افادتها.

ثانيهما : ان هنالك قصورا في التحليل ، تحليل الظاهـــره نفسها ، وعجزا عن ربط الظواهر بعضها ببعـــض واستخلاص النتائج الصحيحة من المقدمات الصحيحة ، ويعود ذلك في قناعتنا الى ثلاثة عوامل اساسية :

١ ــ نقص المعلومات واختلاطها (البند رقم ١ اعلاه) .

٢ ــ اعتماد اساليب الدراسة العشوائية والانتقائية .

٣ ــ اتخاذ موقف مسبق ، ذاتي وعدائي من المقاومة ، يعبر عن التشاؤم والياس وعن الطفولية والعجـز وتقديس الشعارات والجمل الثورية .

ونتيجة لما ذكرناه اعلاه ، فاننا نجد كثيرا من الاحكام الجائرة او العشوائية ، ونجد كثيرا من الذين ارادوا خدمة المقاومة قـد تحولوا الى «قتلة» كالدب الذي اراد ان يطيّر الذبابة عن وجـه صاحبه فقتله .

وبما انه ليس ممكنا مناقشة كل الآراء والافكار المطروحة ، فاننا سنقدم هنا نماذج ذات دلالات . ومن النماذج التي سنقدمها مقالة سمير فرنجية المعنونة : «المقاومة الفلسطينية فشلت فـي تثوير المخيمات وفي استقطاب الجماهير العربية معها ضد الانظمة» (النهار ٢٦ــ١٠ــ٧١) . وتقوم الفكرة الاساسية لهذه المقالة على «ان اللاجئين ، بصفتهم فئة مجتمعية ، كانوا القوة الاساسيـة والقائدة للثورة الفلسطينية» ، وهذه الفئة «خارج الزمن» ، وبما ان «المفكرين الفلسطينيين المتطرفين شبهـــوا اللاجئين ، خطأ ، بالبروليتاريا ، فقد دفعوهم الى صف الطبقة النضالية ، في حين ان هؤلاء كانوا عاجزين عن تحمل مثل هذه المسؤوليات» . «وعلى هذا الاساس فان اللاجئين كانوا عاجزين عن ادراك ضرورة تغيير العلاقات القائمة وعاجزين عن فهم اولوية السياسة على الجندية» .

ولهذا فهمت الحرب الشعبية بانها حرب انصار على الطريقة الجزائرية ، ولهذا الاسباب «عجزت المقاومة عن تعبئة فلاحي الضفة الغربية» وجنوب لبنان .

وكان سمير فرنجية قد تعرض لموضوع المقاومة في مقال سابق بعنوان : « موقف سوربة الجديد تجاه المقاومة الفلسطينية » (النهار ١٥ ــ ١٠ ــ ٧١) . ولكن المقالة الثانية ليست باهمية الاولى لانها تقوم على معلومات مشوهة ، استهدفت النيل من ياسر عرفات شخصيا ، كما استهدفت الدفاع عن مواقع ضد مواقع اخرى بالخلط بين اليمين واليسار .

وتنبع اهمية مقالة سمير الاولى من انه ، بتجاهله او جهله لابعاد الصراع العربي ــ الصهيوني ، وبعجزه عن وضع قضية الشعب الفلسطيني وقضية اللاجئين ضمن اطار الصراع العربي الصهيوني والصراع الوطني ضد الامبريالية العالمية ، انحدر الى اقتصادية بدائية وساذجة ومبتذلة . ومثل هذه الاقتصادية لا ترى الا العلاقات الاقتصادية بمعناها البسيط ، العمل في المصنع ، العمل في المزرعة ، اما الاستغلال على صعيد امبريالي ، سحق الامم والشعوب ، سلب الشعوب أرضها واموالها وارزاقها وتحويل اقسام منها الى جماهير لا تملك الا قوة سواعدها ، فهو « خارج الزمن » ، وخارج علاقات الانتاج . والجماهير المسحوقة على هذا لا تستطيع ان تقاتل ، ولا ان تقوم بدور البروليتاريا .

ان هذا لا يعني ان المسيرة السابقة قد فشلت فحسب ، بل يعني ان المسيرة المقبلة فاشلة حتما ، ما دام ان الذين يخوضونها ويقودونها هم اللاجئون ، الناس الذي حكم عليهم ان يكونوا « خارج الزمن » حسب ما يرى سمير فرنجيه .

ويحاول رياض فرحات في مقالته : « المقاومة الفلسطينية بين تيارات اليأس وتيارات التصحيح » (المجاهد ٦ ــ ١١ ــ ٧١) ان يحدد المشاكل الاساسية للثورة . وهو يرى ان أهم هذه المشاكل :

١ ـ ان الثورة فشلت خلال السنوات الاربع الماضية « في تحقيق وحدة صفوفها » ذلك ان الثورة لم تستطع « ان تسلك طريق الوحدة الاندماجية للثوره التحريرية ، اي طريق الجبهة الواحدة والبرنامج الواحد والقيادة الواحدة ، وتذويب كل الفصائل في تنظيم واحد. ولا استطاعت بالمقابل ان تسلك الطريق الفيانتامي ، فتشكل من الفصائل المتعددة تنظيما جبهويا موحدا » .

٢ ـ ان العمل الفدائي عجز عن «استغلال التناقضات العربية، لمصلحة الثوره » بينما نجحت الانظمة العربية « في استغلال الخلافات الفلسطينية وتوظيفها ضد الثورة » .

٣ ـ ان « اكبر متاعب الثورة في الايام المقبلة ستنبع من ازدياد النشاط الديبلوماسي والسياسي لحركة المقاومة على حساب النشاط العسكري والثوري » .

٤ ـ « استمرار وقوف المقاومة ، على مفترق هذه المتاعب حائرة مترددة ، لا هي تقرر الخروج من هذا الطوق » ، « ولا هي قادره على استمرار المراوحة في المكان الذي وجدت نفسها فيه او ارادها الآخرون ان تقف على ارضيته » .

٥ ـ محاولة الهرب من المتاعب . وتزداد خطورة عملية الهروب هذه « عندما تتخذ لها خطوط سير معاكسة ومناقضة للمجرى الاساسي للثورة . وهذا ما بدات بعض التيارات في الثورة الفلسطينية تتجه نحوه باسم الواقعية احيانا وباسم اليأس احيانا أخرى » .

ويرى رياض فرحات ان النقد الذي وجه الى المقاومة « يحمل كثيرا من الظلم ، لانه يحجب كل الآفاق التى ما زالت مفتوحة امام حركة المقاومة ... »

وهو يرى ان : « المقاومة الفلسطينية هي الوحيدة المؤهلة في المشرق العربي ، على اعادة بناء وتوجيه الحركة الشعبية العربية ... » .

واذا كان العجز عن حل مشكلة الوحدة الوطنية والوقوع في براثن التناقضات العربية والتردد والهروب من مشاكل المقاومة ، من مشاكل المقاومة الاساسية فانها ليست المشاكل الوحيده ، ولا يجوز ان نبحث بمعزل عن المشكلة الاساسية ، مشكلة الخط السياسي والعسكري ، مشكله النظرية والممارسة .

وليس صحيحا ، بالاضافة الى ما ذكرنا ، ان اكبر متاعب الثوره ستنبع من ازدياد النشاط السياسي والدبلوماسي على النشاط العسكري . لان هناك تقصيرا في الاثنين من جهة ، ولان ازدياد اي منهما لا يضر بالآخر . ويجب الا يضر به . ولان ازدياد النشاط السياسي والديبلوماسي ضروري وهام في هذه المرحلة والمرحلة المقبلة، بسببشراسة الهجمةالسياسية المضادة،ولانالحملة السياسية والدبلوماسية الواسعة النطاق ضرورية للمساهمة فى الرد على حملات القمع والتصفية الدموية . ان زيادة العمل السياسي والديبلوماسي ضروريه في كل الحالات شريطة الا تصبح بديلا للعمل العسكري .

وعلى الرغم من هذه الملاحظات فان مقالة الاخ رياض فرحات تبقى من اكثر المقالات جدية وابتعادا عن الخطأ والانحراف .

ولعل اخطر ما نشر فى هذا المجال رسالتا جلال السيد الى ياسر عرفات والى الملك حسين (النهار ٢٢ — ١٠ ، ٢٣ — ١٠ — ٧١) . وتعبر هاتان الرسالتان عن موقف من المقاومة جدير بالكشف . لانه موقف خطر ، يحظى بتأييد فئات معينة داخل حركة المقاومة . فماذا يقول جلال السيد ؟

انه يقول :

اولا : ... « ان كل حركة جماعية او جماهيرية ذات اهداف ومثل عليا لا بد وان يندس فيها بعض من لا يؤمن بمراميها » . فاذا توفر الانضباط والحزم والوعى« فان العناصر الخيرة ستحفظ للمنظمة سيرتها المثلى » والا « فان عناصر الشر هي التى سوف تتغلب وتسيطر فتحرفالحركة عناهدافها وتسىء الى سمعتها».

ويضيف ان قيادة الفدائيين العامة لم تكن مسيطرة ، ومع ان القيادة لم تكن مطلعة او موافقة على « التصرفات الشاذة والاعمال المستهجنة » فانها كثيرا ما كانت « تتستر عليها وتخفيها جهد المستطاع تجنبا لطعن العمل الفدائي » .

ثانيا : ان تعدد المنظمات الفدائية سيجعل مصيرها مصير الجيوش العربية،« وستمنى بالهزائم ما دامت مفككة غير متدافعة، ولا موحدة القيادة ، وما دام هناك تضارب في الاجتهادات والنظريات والخطط » .

ثالثا : ان العمل الفدائي يكاد ان يصبح جيشا نظاميا علنيا « مع ان المفروض ان السرية الكاملة هي الطابع الغالب على العمل الفدائي ، لان العمل العلني اي عمل الجيوش النظامية العربية – قد فشل » .

رابعا : ان تحول العمل الفدائي الى ما يشبه الجيش النظامي « ليس الا استعدادا وتهيئة يجريه بعض الفدائيين عن معرفة وتصميم وتخطيط ليكون نواة الدولة الفلسطينية ... » .

خامسا : ان هدف المنظمات تحرير فلسطين . « ويجب ان يبقى هذا الهدف وحيدا تستغرق فيه المقاومة استغراقا كاملا »، وانه لاضعاف للهدف ان يشرك معه هدف آخر . وهناك « من بين منظمات التحرير من سلك عقيدة جديدة جعلها هدفا آخر لتحركاته ، ان لم يكن الهدف الاول والاهم » . وهذا المسلك مناقض لشعار منظمة التحرير وللارادة العربية عامة ، وهو «يضعف الاندفاعين العربي والاسلامي في تأييد قضية فلسطين» . ويلي ذلك هجوم على الماركسية .

سادسا : « ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تقف على الحياد في المنازعات التي تقوم بين حكام الاقطار العربية ، خلافا لشعارها ومدعياتها المستمرة ، كذلك لم تقف عند وعودها بالا تتدخل في شؤون الاقطار العربية، والا تنحاز الى فئة في الداخل ضد الفئات الاخرى » .

سابعا : اهتمت المنظمات بالعمل السياسي اكثر من اهتمامها بالعمل الفدائي نفسه .

ويقدم في النهاية الملاحظات التالية :

أ « ... وجوب الاكتفاء في هذه الايام بالفداء وحده والاستغراق فيه . دون اشراك اي امر آخر معه مهما يكن هذا الامر مهما » .

ب « ... الابتعاد عن الفلسفات العقائدية وتجميد كل النزعات الاخرى ، حتى لا تنطلق تلك النزعات على حساب العمل الفدائي » .

ج ـ « ... التعايش مع حكومة الاردن ، لان الاردن هو المنطلق الرئيسي للعمل الفدائي . وهذا يقتضي تطمين الحكم واشعاره بصدق ان الفداء لا يستهدفه ، ولا يحاول النيل منه والانقلاب عليه » .

د ـ « ان تقوم محاولة جادة لتوحيد العمل الفدائي ، ووضع ميثاق تبين فيه الخطوط العريضة التي هي الحدود الدنيا من الاتفاق ، وتحقيق هذا الغرض ولو لزم الامر الاستغناء عن بعض الاشخاص والفئات اذا لم تتقبل مثل هذه الاهداف والعبرة فى الكيفية لا في الكمية » .

هـ ـ « فرض النظام والانضباط ومعاقبة الذين يسيئون الى سمعة العمل الفدائي ... » .

و ـ « التزام الحياد التام بين الحكام العرب والانصراف الكلي الى المهمة العظمى التي نذر الفداء لها نفسه ، وعدم التورط في منازعات داخلية فرعية مهما تكن الاسباب مثيرة لهذه المنازعات » .

وواضح من الرسالتين ان جلال السيد الذي يتغزل بحسين وبالعائلة الهاشمية ، لا يدعو الى التعايش مع النظام الاردني فحسب ، بل يطالب بأن يتكيف العمل الفدائي مع متطلبات الخطة الاردنية . وتقتضي متطلبات تلك الخطة ما يلي :

١ ـ ان ينتهي الوجود العلني للثورة الفلسطينية ، لانه مركز

استقطاب من جهه . وتعبير عن شرعية مكتسبة من جهه احرى .

٢ ـ أن تضمر العوه المسلحة والمنظمة للثوره خارح الارض المحتله ، لان وجودها يعرقل مؤامرات النصفية والاستسلام، ولان الاشتباك معها ، يخلق للانظمه مشاكل كثيرة وكبيره ، كما حدث للنظام الاردني .

٣ ـ ان تتخلص حركة المقاومه من « التسيس » ، لانه يقود الى خلق حركة شعبية جماهيريه ، منظمه وواعيه ، تتصدى للمؤامرات والمتآمرين .

٤ ـ ان نصفي حركه المقاومة نفسها من « المتسيسين » الواعين . لتبقى حركة العناصر المتخلفة او الجامدة والعاجزه عن فهم حركه التاريخ ومتطلباتها .

٥ ـ ان تحصر المقاومة هدفها بالعمل داخل الارض المحتلة ، لا لتحقق التحرير ، بل لتكون عامل ضغط في حل استسلامي ، ولتكون قوة غير فعالة في ميدان السياسة العربية ، لان الذين يكتفون باعمال مسلحة محدودة داخل الارض المحتلة ، ويتركون انفسهم تحت رحمة هذا النظام او ذاك ، لن يحققوا في النهاية الا اهداف هذا النظام او ذاك .

ومن أجل هذا كله يتحدثون عن الاخطاء ، ويذكرون بعض القضايا الصحيحه ، ويهاجمون العلنية لمصلحة السرية ، والتجييش لمصلحة حرب العصابات . ولكن رب كلمة حق اريد بها باطل . فالسرية لا تكون بالتنازل عن الوجود الشرعي العلني ، وعن المواقع التي تكون قواعد ارتكاز ضروري لتامين الحماية والتدريب والاستقطاب والعمل داخل الارض المحتلة . ولقد برر الانسحاب من المدن في الاردن ، بانه تخل عن العلنية لمصلحة السرية . الا ان ما حدث بعد ذلك لم يكن لمصلحة شعبنا . ثم ان وجود قوات كبيرة ، لا يضر بالثورة ، لا يلغي اهمية العمل السري ولا ضرورته، ومع هذا فهو يفيد ، ويجب ان يفيد في احباط الحلول الاستسلامية ، وفي تصعيد العمل في الداخل ، وعلى الحدود .

اما ان يكون هذا الجيش نواة الدولة . فهذا يعتمد على خط القيادة لا على طبيعة الجيش . فقد يكون هناك جيش عصابات سري ، وتقبل القيادات بدولة او حل استسلامي . ولا تقتضي مقاومة الدولة الفلسطينية والحلول الاستسلامية ان نحل قوانا المنظمة ونتنازل عن مكتسباتنا ، بل تقتضي الدفاع عن هذه المكتسبات وتطويرها وتطوير كل اساليب العمل اللازمة لتحقيق النصر .

وهناك قضية اخرى تستحق الانتباه وهي قضية الاكتفاء بهدف التحرير وحده والابتعاد عن الفلسفات . وتبدو هذه الدعوة حريصة على القضية الاساسية ، وحريصة على سلامة المسيرة وعدم الانجرار الى معارك جانبية . ولكن الحقيقة هي غير ذلك . صحيح ان التحرير هو القضية الاساسية التي يجب ان تناضل من اجلها كل القوى بلا تردد ولا مواربة ، ولكن التحرير قضية سياسية، وهو ككل القضايا السياسية لا يمكن عزله عن الصراعات الايديولوجية في المجتمع ، ولا نستطيع ان نجعله فوقها . والذين يطلبون منا وضعه فوق الفلسفات والايديولوجيات يفعلون ذلك خدمة لوجهة نظر ايديولوجية تنكر على الآخرين حقهم في ان يكون لهم رأيهم المعبر عن مصالحهم . والتحرير قضية تعبئة سياسية وثورية وشعبية . وهذه التعبئة تتناقض كليا مع نظام كالنظام الاردني يكرس سلطة مطلقة لعائلة حاكمة ، ويعتبر ان بقاءها اهم من الوطن نفسه . ولذلك لا بد ان يحسم الامر ، فلا تعبئة شعبية ولا فلسفة ولا عقائد لان الفلسفة الوحيدة التي يجب ان تسود هي « الفلسفة الملكية » : استمرار التخلف والخضوع للامبريالية واستمرار العجز والقصور والتخاذل والاستسلام وتكريس سلطة عائلة ضد الشعب كله .

وهكذا تنكشف ابعاد هذه الدعوة واهدافها ، ويظهر واضحا جليا ماذا يريد امثال جلال السيد من دعواتهم المكشوفة : انهم يريدون تصفية الثورة شعبيا وسياسيا وعسكريا لمصلحة النظام

الاردني والاحتلال الصهيوني والمصالح الامبريالية في المنطقة .

وما يقوله الاردن الرسمي لا يزيد عما يقوله جلال السيد ، الا من حيث الصفاقة . فالاردن حريص ، مثل جلال السيد « على نقاء العمل الفدائي من الشوائب المعطلة » وعمليات القمع الدموية في الاردنية ليست الا من اجل ازالة الشوائب هذه ! . والاردن حريص على « ضرورة انصراف هذا العمل الى المهمة الوحيدة التي من اجلها يجب ان يوجد حتى اذا لم يكن موجودا » ، وهذه المهمة طبعا هي « التحرير » . ولكن عن اي « تحرير »يتحدث الاردن الرسمي ؟ عن تحرير الاردن من ارادة القتال طبعا . والاردن الرسمي يرى انه من الضروري ان يتم ذلك « بالتنسيق التام مع كافة الاطراف العربية التي تؤمن باستمرار معركتها المصيرية مع العدو الاسرائيلي » (١) .

والاردن الرسمي لا يرى ان ما كان في الاردن يمكن ان يسمى مقاومة . « لان المقاومة ليست موجودة الا في المناطق المحتلة » اما « ما كان موجودا في الاردن آنذاك » فيمكن « ان يسمي اي شيء الا مقاومة » (٢) .

وهكذا يبرر الاردن الرسمي لنفسه أمرين :

الاول : عدم الاعتراف بالمقاومة الموجودة ، وهي مقاومة موجودة ، قدمت آلاف الشهداء شرق النهر وغربه ، ودخلت معارك طاحنة ضد المحتلين الصهيونيين والعملاء الأردنيين ، وضد كل المستسلمين والمتآمرين العرب .

---

١ ـ الراي ، العدد ١١٣ ـ الافتتاحية ١١ـ١٠ـ١٩٧١ .

٢ ـ الراي ، العدد ١٢٠ ـ الافتتاحية ١٩ـ١٠ـ١٩٧١ .

الثاني : تبرير مذابح الاردن ، ابتداء من ٤ ــ ١١ ــ ٦٨ وحتى اليوم ، وتبرير اعمال القمع والاضطهاد التي تمارس ضد شعبنا ومناضلينا .

وطبيعي ان يكون جلال السيد ، وكل الذين يتحدثون عن ضرورة وجود المقاومة في الارض المحتلة فقط ؛ وعن عدم الحاجة الى وجود قوة سياسية وعسكرية ثورية خارج نطاق الاحتلال ، يعملون ضمن مخطط التصفية . منطق التصفية اذن يقوم على تصفية المقاومة خارج دائرة الاحتلال لتسهل عملية تصفيتها في الداخل . وما حدث في الضفة الغربية وغزة بعد مجازر ايلول خير دليل . ذلك ان الجماهير العربية الرازحة تحت وطأة الاحتلال اخذت تشعر بالخيبة والمرارة والاسى ، وبدأت تحس ان الطريق مسدود ، لان المقاومة تضرب وتسحق على الارض العربية . كما ان العدو استغل فرصة المطاردة الماحقة التي قام بها النظام الاردني ضد المقاومة ، فبدأ عملية مطاردة مماثلة في الارض المحتلة ، كما ان العدو استغل الفرصة لبناء تحصينات على الحدود ، ولانشاء طرق تسهل عمليات المطاردة .

وشهدت غزة عمليات وحشية ، لم ينس العدو فيها ان يذكر مقاتلينا هناك بأحداث الاردن الدامية .

ولقد انخفضت ، بعد هذا وذاك ، عمليات قوات الثورة في الداخل وعلى الحدود ، نتيجة عمليات الملاحقة والسحق . وكان ان عادت الحياة الى مستعمرات الحدود والاغوار ، وتلألأت مصابيح النيون الكهربائية في مستعمرات عاشت اكثر من عام ونصف تحت الارض .

ولقد « زاد عدد سكان بيسان منذ استتباب الهدوء في المنطقة ، نحو الف نسمة ، ويبلغ عددهم الآن نحو ١٢ الف نسمة، وكان عدد سكان بيسان قد انخفض في ذروة التوتر الامني الى ١١ الف نسمة . ومصدر الزيادة في الاساس هو العائلات التي نزحت

عن المدينة ايام التوتر، وتعود اليها حاليا، بمعدل عائلة يوميا»(١).

والغيت القيود الامنية التي كانت مفروضة على طول طرق الشمال ، منذ سنة ونصف ، بسبب « تقلص النشاط التخريبي» في المنطقة (٢) .

وبعد عمليات التصفية في الخارج ، وتفرغ العدو الصهيوني للمقاومة في الداخل علت اصوات الانهزاميين والاستسلاميين في الداخل والخارج ، واخذوا يطرحون شعارات التصفيه والاستسلام التي تبدأ بالدولة الفلسطينية وتنتهي بالفدرالية مع الاردن .

ولعله من الضروري ان نحتم هذا العرض بتقديم وجهة النظر « العربية القومية » في هذا المجال ، ونحن نسميها «عربية قومية» لا لانها في الحقيقة كذلك ، بل لان أصحابها يرون انفسهم وحدويين من حيث المنطلق والمرمى ، ومن هؤلاء من هم وحدويون فحسب، مثل منح الصلح وعصام نعمان ، ومنهم من هم وحدويون « ماركسيون » مثل لطفالله سليمان وياسين الحافظ والياس مرقص . وسنناقش هنا « الوحدويين الماركسيين » اساسا .

ويمكن تلخيص اطروحاتهم بما يلي :

اولا : هناك نظريتان حول علاقة قضية فلسطين بالوحدة ، وهاتان النظريتان هما ١ ــ الوحدة هي الطريق الى فلسطين ٢ ــ فلسطين هي طريق الوحدة . وليست النظرية الثانية «فلسطين هي طريق الوحدة» ... «سوى لعبة استعمارية أريد بها ويراد بها القضاء على مصر ، وعلى مصر فقط » (٣) .

---

١ ــ دافار ، ١ــ٨ــ١٩٧١ ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، السنة الاولى العدد ١٠ ، آب ١٩٧١ ، ص ١٧٣ .

٢ ــ معاريف ، ٥ــ٨ ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

٣ ــ لطف الله ، سليمان : حركة الوحدة العربية ومصر والمقاومة ، الثقافة العربية ٧١ ، تشرين ثاني، العدد ٦ السنة الخامسة عشرة، ص ٣١ــ٣٢ .

المقاومة هي التي تتبنى النظرية الثانيه . وهذا ما يسميه ياسين الحافظ المنظور الاقليمي الذي يجعل « منظمات المقاومة تنظر الى قضية الثورة العربية من خلال مشكلة فلسطين ، في حين ان الموقف الصحيح والسليم باعتبار الغزو الصهيوني غزوا موجها ضد الامة العربية كلها ، ان تنظر الى القضية الفلسطينية من خلال مصالح الثورة العربية عموما » ... (١) . ويضيف منح الصلح « ان تبني الاقليمية الفلسطينية يضع الفلسطينيين على مائدة واحدة مع الانظمة » (٢) .

ثانيا: هناك ايضا المنظور التاريخي للصراع العربي ــ الصهيوني المقاومه لم نفهم هذا المنظور . « فالافق العام للصراع العربي ــ الاسرائيلي يتجه الى التفاقم ، ولا يتجه الى الركود » . وبالتالي فان موقف المقاومة من « الحل السلمي » او «الحل الاستسلامي» خطأ . وهذا الخطأ هو الذي جعل المقاومة «مشغولة فقط بمطاردة الحل السلمي حتى اصبح الحل السلمي يطاردها » . القضية في رأي ياسين الحافظ لا تصفى ، « واذا افترضنا انه حدث اتفاق ، او حدث توقيع صك جرى بموجبه الاعتراف باسرائيل ... فان هذا الصك سوف يمزق ، واذا لم يمزق خلال ايام فخلال اشهر ، فخلال سنين بأسوأ الحالات » (٣) .

ثالثا : هناك ، بالاضافة الى ما سبق ، منظور الكفاح المسلح. « والخطأ في موقف المقاومة ناجم اولا عن الاصرار على وحدانية الكفاح المسلح » وثانيا : «عدم تمييز المسائل ، كفاح مسلح اين؟ وضد من ؟ لا شك ان حزبا يستبعد العمل الثوري المسلح بصورة مسبقة ومطلقة لا يمكن ان يعتبر ثوري بل انتهازيا . ولكن جدوى

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

٢ ــ المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٣ ــ المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

الكفاح المسلح ونجاحه انما يرتبط بظروف موضوعية وذاتية . اما فكره الكفاح الشعبي المسلح غير النظامي كوسيلة لتحرير فلسطين، فاني اعتقد اعتقادا جازما ان هذه الفكرة بالاساس هي فكرة اسطورية بحتة اسطورية لسبب بسيط هو ان سكان اسرائيل مع دولة اسرائيل . لذلك الوسيلة الوحيدة لضرب اسرائيل هو ان تواجه بقوة نظامية . وسيبني العرب القوة النظامية عندما يبنون ثورتهم » (١) .

ويبدو بوضوح ان افكار لطف الله سليمان وياسين الحافظ افكار متكاملة . كما يبدو واضحا وجليا ان هذه الافكار هي نسخة طبق الاصل عن افكار الياس مرقص (٢) .

وتستهدف هذه الافكار التي يطرحها « المنظرون القوميون المتمركسون » ما يلي :

اولا : معارضة المقاومة الفلسطينية بالوحدة العربية واظهارها على انها عمل « اقليمي » لا ينظر الى الوحدة العربية من خلال فلسطين فحسب ، بل يؤدي بالضرورة الى الاساءة لقضية الوحدة ، والى ايقاع الاذى بالدول التي تحمل لواءها ، مثل مصر. ويقود هذا الى نتيجة واحدة هو ان هنالك « مخرجا واحدا » . وهذا المخرج هو : « الوحدة اولا لنرتب اوضاعنا ، ثم نرى ما نستطيع لفلسطين » (٣) .

ثانيا : تبرير اي « حل سلمي » ، « حل استسلامي » بالقول ان المنظور التاريخي للصراع يسير نحو التفاقم ، وبان اي صك يوقع اليوم يمزق غدا او بعد غد او بعد سنين ، لا تخافوا .

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

٢ ـ الياس مرقص : المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ، دار الحقيقة ، نيسان ١٩٧١ .

٣ ـ المرجع السابق ، ص ٣١ .

فرنسا خسرت الالزاس واللورين سنة ١٨٧١ واستعادتهما سنة ١٩١٨ ، كما يقول الياس مرقص . ويضرب الياس مرقص مثلا آخر وآخر واخر(١) ليثبت ان القبول بمعاهدة والتنازل عن جزء من الوطن لا يعني التصفية ، وان ما نخسره اليوم نستعيده في يوم من الايام . كل هذا من اجل ماذا ؟ تبرير الدعوة الى « حل استسلامي » . وياسين الحافظ يأخذ مصطلح الياس مرقص نفسه : « المنظور التاريخي للصراع » ، ويقدم الافكار عينها والمبررات عينها ، ولكنه يؤكد بشجاعة انه وهو يفعل ذلك انه لا يبرر « اي حل تصفوي ، او اي حل فيه تراجع او مكاسب لاسرائيل ... » (٢) فماذا تراه يفعل ؟ وعن اية تصفية يتحدث ؟ أعن التصفية بالمعنى التاريخي المحض ؟ وماذا عن التصفية السياسية ؟ هذا ما سنجيب عليه فيما بعد .

ثالثا : الرفض المطلق للكفاح الشعبي المسلح ، ومعارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية . وذلك من اجل اسقاط فكرة الكفاح الشعبي المسلح . وبينما يرى ياسين الحافظ ان فكرة الكفاح المسلح اسطورية ، وان التحرير لا يكون الا بقوة «نظامية»، فان الياس مرقص ، قبل ياسين الحافظ لا يرى الحرب الشعبية اسطورة ، بل يراها خدعة (٣) .

ولنعد الى هذه القضايا الثلاث واحدة فواحدة ، ولنحاول ألا نبحث عن الخطأ والصواب في هذا « الحوار العشوائي » الذي لم يخنه المنطق العلمي فحسب ، بل خانه المنطق الشكلي ايضا .

واول هذه القضايا قضية المقاومة والوحدة العربية ، قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية . وتحتل هذه القضية المرتبة

---

١ ــ الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٦٦ــ٧٢ .

٢ ــ مناقشات حول الوحدة العربية ، ص ٢٣٤ .

٣ ــ الياس مرقص : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الاولى من بين القضايا المطروحة ، لانها من صلب قضية الوحدة وتحرير فلسطين . فالوجود الصهيوني في فلسطين قام لمنع الوحدة ، وهو يلعب حاليا هذا الدور . ثم ان قضية التحرير هي قضية الجماهير العربية . واذا كان المنظرون الوحدويون المتمركسون يصرون على هذه الحقيقة ، فان المقاتلين الفلسطينيين اكثر اصرارا . وتنص المبادىء الاساسية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) على « ان الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه جزء من كفاحها » . واذا كانت هنالك افكار اقليمية او ممارسات خاطئة، او استراتيجية غير واضحة في هذا المجال ، فهل يعني ذلك ان المقاومة الفلسطينية ضد الوحدة ، وان التحرير ، التمسك بالتحرير ، النضال من اجله ، مناقض للوحدة ، ومعاد لها ؟

هنا تكمن المشكلة .

ذلك ان هناك من يرى بأن الوحدة ، هي طريق التحرير . وهذا يعني ان ينام التحرير حتى نرتب امر الوحدة اولا كما يقول لطفالله سليمان . وكان هنالك شعار خاطىء في الميدان الفلسطيني يقول : فلسطين طريق الوحدة ، اي ان النضال من اجل الوحدة يجب ان يوضع في دُرج حتى تتحرر فلسطين . والنظرية الاولى كالثانية سخيفة وتافهة واحادية الى درجة تجعلها لا تستحق الالتفات . ولكن خطر كل من هاتين النظريتين يفرض ضرورة مناقشاتهما . ومناقشة الافكار الخطرة التي تقف وراءهما .

واذا كانت النظرية الاولى تسقط مشروع تحرير فلسطين من البرنامج اليومي للثورة العربية ، فان الثانية تسقط مشروع الوحدة من برنامج النضال اليومي للمقاومة الفلسطينية . وهكذا تبدو الوحدة شيئا والتحرير شيئا آخر ، وتبدو قضية الوحدة شيئا غير قضية تحرير فلسطين .

ولكن الواقع يفند هذا كله . فقضية تحرير فلسطين وقضية

الوحدة قضية واحدة . والوحدة لا تتحقق بقرار ولا باستفتاء وتحرير فلسطين لا يتحقق بقرار ولا باستفتاء . ان تحقيق الوحدة يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية . ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة .

كما ان تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل ، كفاح ضد الصهيونيه ، وضد الدوله الصهيونية ، كفاح ضد الرجعيه العربية وضد الامبريالية العالميه . وهو كفاح من اجل وحده القوى العربية المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتلال الصهيوني والامبرياليه العالميه منع وحدتها .

ولان هذا الكفاح طويل ومرير وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من ان يصبح قضيه الجماهير العربية كلها .

كيف ؟

هذا ما كان يجب ان يبحثه «المنظرون» الثوريون المخلصون ، الحريصون على التحرير وفلسطين والوحدة . وهذا ما لم يبحثه ياسين والياس ولطف الله سليمان الخ . ولقد اكتفى هؤلاء بان اخذوا موقفا سلبيا وعدائيا من المقاومة ، وذهبوا الى حد اعتبارها نقيضا للوحدة والنضال الوحدوي .

ومع هذا فانهم لم يناضلوا من اجل الوحده ، هدفهم العزيز الغالي الذي ابتذلوه ، عندما افرغوه من محتواه النضالي .

وكانت النتيجة الطبيعية انلا يفعلوا شيئا للوحدةاو للتحرير، وان يعملوا على عزل المقاومة الفلسطينية عربيا . لماذا ؟ لانهم ارادوا المقاومة غير ما كانت . ارادوها من مكان فجاءت في مكان آخر ، وارادوا ان تكون لها قيادة ، فكانت قيادة اخرى، وارادوها ان تكون حربا نظامية فلم تكن . ولكن الثورات لا تصنعها اهواء المثقفين وامزجة المنظرين . ان الواقع هو الذي يصنعها . والثوري الذي لا يستطيع معرفة مكان الانفجار والاتجاه ، ولا يشارك فيه،

وفي توجيهه وتصعيده ، يبقى على رصيف التاريخ يطلق الاحكام ويعيش الاوهام .

ولقد انفجرت المقاومة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ ، عندما كانت الحركة العربيه في مرحلة جزر شديد ، وعندما فشلت برامج النضال الوحدوي مؤقتا ، ولم تستطع الاحزاب والانظمة وحدويه وغير وحدوية ان تقنع الشعب الفلسطيني بانها تجد من اجل معركه التحرير . وجاءت حرب حزيران فزادت المعركه تأججا والجماهير استعدادا للمشاركة ، واصبحت المقاومه الفلسطينية ظاهرة اندفاع عربي واجماع عربي شعبي ، لا يمثل الوحدة فحسب ، ولا يعبر عنها فقط ، بل يمثل الاصرار على التحرير ومحاربة الصهيونيه والامبريالية ايضا .

واذا كانت المقاومة قد عجزت عن تثوير هذا المد الزاخر ، وعن تحويله الى وحدة جماهيرية حقيقية ، والى نضال من اجل الوحدة والتحرير معا ، فليس ذلك نتيجة عجزها وحدها . انه نتيجة عجز الحركة الوطنية العربية ، بكل اجنحتها ودولها وانظمتها وفلاسفتها ومنظريها اساسا .

ومن هذا العجز لا يريد ان يتحدث ياسين والياس والآخرون: لانه عجزهم، عارهم، فشلهم، هروبهم(١). وما دامت القضية كذلك فلماذا لا يكابرون ولا يهاترون ؟

لقد عجزوا عن وعي ابعاد معركة الوحدة ومعركة التحرير ، فاختاروا مفهوما مبتذلا للوحدة ، واعطوها مضمونا شكليا وضيقا وغير وحدوي بالخلط بين الامكان والواقع ، وبعدم تحليل القوى السياسية ومجالات عملها تحليلا علميا .

كما انهم عجزوا عن معرفة مكان قضية فلسطين في معركة الوحدة ، فأجلوها بجرة قلم ، وقرروا وضعها باحتقار في درج من ادراجهم المظلمة ، وطالبوا الجماهير ان تعاملها كذلك ، بينما كانت الجماهير تموت وتقاتل وتتمزق من اجلها .

ووقفوا بعد هذا كله ، يتكلمون بحنق الاساتذة الذين لم

١ـ وعجزنا وعارنا وهروبنا وفشلنا جميعا بالطبع،ما دام هذا وضعنا وهذا نضالنا.

نسمع كلمتهم ، بينما ظلت الحركة التاريخية نعيش صراعاتها وانفجاراتها .

واذا كان هؤلاء قد هزموا ، وسقطوا ، فان طرف المعادلة الآخر : فلسطين طريق الوحدة قد سقط ايضا ، وها هي الوقائع كتبت سقوطه .

القضية الثانية هي قضية المنظور التاريخي للصراع ، ويقوم هذا المنظور في رأي الياس وياسين وغيرهما على ان الصراع بيننا وبين العدو يتفاقم ، ولذلك لا خطر من التصفية . واذا ما حدثت اتفاقيات فانها ستمزق . ومع ان هذه نقطة الخلاف الرئيسية فاننا سنناقشها .

واول ما نقوله في هذا المجال هو ان التاريخ لا يحدد اتجاهه بتوقعات غير قائمة على تحليل ، ولا بشواهد مقتطفه من هنا وهناك ، والذي يسمح لنفسه بالحديث عن المنظور التاريخي للصراع لا بد من ان يدرس الظواهر والوقائع دراسة نفاذة وواعية ، وهذا ما لم يحدث .

ولكن الذي يخيفنا الآن في الواقع ، ليس «التصفية التاريخية» بمعنى ان نضيع فلسطين نهائيا . كما ان الذي يشغلنا ليس تحرير فلسطين بعد خمسين او سبعين سنة . ونحن لسنا «قدريين» لنقنع انفسنا بان القضية لن تصفى وان البلاد ستعود يوما ، لان الثوري لا يكون «قدريا» ، وفهم «المنظور التاريخي» وسيلة لتغيير الواقع ، وللاسراع بعملية التغيير ، لا لترك الواقع يسير سيره المتعرج البطيء . واذا كانت الحتمية التاريخية تؤكد ان الاشتراكية ستخلف الراسمالية ، فلماذا لم يقل ماركس للعمال عموما ، ولجماعات من العمال انتفضت هنا وهناك : رويدكم ، رويدكم ، لا تتعجلوا ، ولا تخافوا النصر لكم في النهاية ، بعد سنة ، اثنتين ، عشر ، عشرين ، مائة ؟ ولماذا لم يقل ماركس لمناضلي كومونة باريس ، الذين دخلوا المعركة رغم تحذيره ، لا تقاتلوا ، واقبلوا بتنازلات تيير ، لان الالزاس واللورين ستعود

سنة ١٩١٨ ؟ ولماذا اعتبر نضالهم الفاشل بطولة ، واعتبر انتفاضهم على المهانة القومية والاستغلال الطبقي درسا خالدا ؟

نريد من الذين يتحدثون باسم ماركس ولينين ان يقراوهما جيدا .

ان مشروع التصفية الذي خافته المقاومة ، وحسبت له الف حساب ، وكانت معها في تحوفها كل القوى الطليعية والمناضلة ، وكل الجماهير العربية هو مشروع التصفيه الراهن ، مشروع سحق قوى المقاومة والقوى الوطنية واحلال سلام مع دولة الاحتلال . ولقد طاردت المقاومة مشروع «الحل الاستسلامي» ، لان هدفه الاساسي كان ، كما كشفته الاهرام وغيرها من الصحف العربية والعالمية ، سحق المقاومة .

ولقد دفعت المقاومة والامة العربية ثمنا غاليا لمشروع الحل الاستسلامي . واهم ما دفعت زعزعة قوى المقاومة وسقوط مواقعها في الاردن ، وبدء بروز اصوات الخنوع والاستسلام .

ولعل مصر تعرف الآن ، وهي ترى الاردن يتجه بخطى حثيثة نحو الصلح المنفرد ، وترى بعض الوجهاء والعملاء يطرحون حلا فلسطينيا ، اهمية ما خسرته هي بالذات نتيجة مؤامرة سحق المقاومة . وستدرك اذا ما تجددت الاشتباكات مع قوى الاحتلال ماذا خسرت .

وهناك اعتراف رسمي بان الولايات المتحدة مارست دورا تضليليا . ولعل من الواضح الآن ان المقاومة اضطرت الى خوض المعارك الدموية ، لانها رفضت ان تقع في شراك التضليل .

ويبدو ان الذين يحاربون المقاومة باسم مصر ، ودفاعا عنها، ويشجبون الحرب الشعبية ، لا يعرفون ان المقاومة اقامت اوثق العلاقات مع مصر ، قبل الموافقة على مشروع روجرز ، وان عبد الناصر نفسه كان يرى في المقاومة عملا ضروريا ولازما ، وان بعض العمليات كانت تتم بالتنسيق ما بين قيادة المقاومة وقيادة الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن روجرز عرف كيف يلعب لعبته ، ولقد نجح مؤقتا ، وبينما نجد مصر الرسمية تكتشف التضليل الذي مارسته الولايات المتحده ، نجد مهاجمي المقاومه باسم مصر ما زالوا مستمرين في مهاجمة المقاومه .

وهنا يريد دعاه المنظور التاريخي للصراع ان يجرونا بعيدا عن الواقع . هم يقولون لنا اقبلوا التصفية اليوم ، لا تحاربوها ، ولا تقدموا الضحايا ، لان التاريخ سيضمن لكم المستقبل .

ونحن لا نملك الا ان نقول لهؤلاء : لا بد ان نقاتل اليوم وغدا ودائما اذا اردنا ان يكون المنظور التاريخي للصراع في مصلحتنا . ومثلنا ليس تيير بل مقاتلو باريس الشجعان. مع ان قضيتنا ليست كالالزاس واللورين والعصر غير العصر ، وقضية اقامة دولة متقدمة دينية على ارضنا ، ليست كقضية التنازع على مقاطعة حدود بين دولتين كبريين .

القضية الثالثة : قضية حرب الشعب . ويبدو ان هناك التباسا في هذه القضية ، وان هنالك خلطا بين حرب الشعب وحرب العصابات . والذين يقعون في هذا الخلط يحتاجون الى دراسة ألفباء الحرب والسياسة والماركسية في القرن العشرين . ومع ان ماو وهوشي منه وجياب لم يتركوا زيادة لمستزيد ، فاننا سنحاول ان نوضح بعض الحقائق الهامه ، وهذه الحقائق هي :

اولا : تمر حرب الشعب بمراحل اولها حرب العصابات وآخرها حرب الشعب الشاملة . ولكن هذه العملية كلها تسمى حرب الشعب ، لانها تنطلق من الشعب وتعتمد عليه لتحقيق الاهداف ، ولانها ليست حربا نظامية كلاسيكية في طابعها ، وان كانت تأخذ في آخر مراحلها شكل حرب شبه نظامية ونظامية مع احتفاظها دائما بخصائص حرب العصابات : الاعتماد على الانسان اكثر من الاعتماد على الآلة ، الاعتماد على التعبئة السياسية والمعنوية بدلا من الاعتماد على القرارات والاوامر الفوقية ، الاعتماد على الجماهير الواسعة المنظمة والمشاركة في القتال ،

مقابل اعتماد العدو على الاسلحة الحديثة والامكانيات المادية الوفيره ، استخدام المفاجاه وسرعة الحركة والبسالة الخ .

ثانيا : تبدأ حرب الشعب في اكثر المناطق تفجرا ، وما تلبث ان تمتد وتتسع عبر الوطن كله ، من اقصاه الى اقصاه ، عبر صراع طويل ودام تتكون فيه قوات الشعب المقاتلة . ولقد اثبت التاريخ الحديث ان الجيوش الشعبية الجبارة ، التي كانت قادرة على هزيمة المحتل ، وهزيمة الرجعية الداخلية ، جيوش بدأت عصابات ، ثم تطورت من خلال القتال . ولم تطلب من العدو ان يمهلها حتى تنمو وتتسلح وتستعد . ولعل خير الامثلة على ذلك جيش الشعب الصيني ، وجيش الشعب الفياتنامي وجيش الشعب الكوري . ولم تثبت وقائع التاريخ الحديث ان جيشا شعبيا جبارا نشأ في ظل احتلال ، او بمسالمة عدو خارجي .

ثالثا : تسبب حرب الشعب قيام القوات المضادة بحملات واسعة ، وبتدمير كبير للامكانيات الاقتصادية والقوى البشرية . ولم يكن هذا في يوم من الايام سببا يفرض على المغاورين او الجيش الشعبي ان يؤجلوا المعركة حتى يتفوقوا عدديا وتكنولوجيا. ولم يدع الفياتناميون الى وقف اطلاق النار ولا الى هدنة ، عندما بدأت اسراب الطيران الاميركي تقذف فياتنام الشمالية ، مع ان القوة العسكرية «النظامية» في فياتنام الشمالية ، لا تساوي شيئا امام قوة الولايات المتحدة الاميركية .

رابعا : ان معارضة الحرب الشعبية بالحرب النظامية ، تتضمن ما يلي :

أ ــ تسخيف فكرة الحرب الشعبية ، مع انها الحرب الوحيدة الممكنة بالنسبة للشعوب المتخلفة في مجابهتها للامبريالية ، والمعركة مع الاحتلال الصهيوني جزء من هذه المعركة الشاملة مع الامبريالية .

ب ــ تقديس الحرب النظامية بالمعنى الكلاسيكي ، وتقديس المفهوم البرجوازي للحرب ، المناقض للمفهوم الثوري والماركسي ،

لان الحرب النظامية من وجهة النظر الماركسية الثورية ، غير الحرب النظامية من وجهة النظر البرجوازية .

جـ ـ عدم ادراك معنى الحرب النظامية والشعبية في النصف الاخير من القرن العشرين ، وضمن اطار العلاقات الصدامية مع الامبريالية .

فما الذي يعنيه هذا كله بالنسبة لفلسطين والقضية الفلسطينية والثوره العربية ؟ انه يعني :

اولا : ان «المنطقة الفلسطينية» هي منطقة تفجر ، وقد نمت فيها الآن قوى مسلحة ، وتنظيمات شعبية ، تخوض حربا شرسة ضد قوى الاحتلال الصهيوني ، وخاصة في غزة ، وضد قوى القمع العربية ممثلة بالنظام الاردني . وقد لعبت هذه القوى دورا في احياء القضية الفلسطينية ، وفي تنشيط الشعب الفلسطيني، وزيادة ثقته بنفسه ، وبقدرته على المساهمة في معركه التحرير ، وما زالت القوىالفلسطينيه تقف حائلا في وجه التسويات والحلول الاستسلامية .

ثانيا : تعاني المقاومة الفلسطينية مجموعة من الصعاب والعقبات ، أهمها :

أ ـ المشكلة الديموغرافية، المتمثلة في نقصعدد الفلسطينيين عن عدد اعدائهم من جهة ، وفي خلو مناطق كاملة من سكانها الاصليين من جهة ثانية .

ب ـ المشكلة الذاتية ، المتمثلة بنوع القيادات وطبيعةالتركيب الحالي للتنظيمات ، وبنوع الايديولوجيا القائدة .

جـ ـ مشكلة علاقة القضية الفلسطينية بالانظمة العربية .

ولكل مشكلة من هذه المشاكل حلها . وحل المشكلة الديموغرافية يكون بتعبئة قوى الشعب الفلسطيني تعبئة ثورية شاملة ، وباشراك الجماهير العربية في المعركة اشراكا فعالا . اما المشكلة الذاتية ، فليس لها حل غير النضال والمزيد من النضال، والعمل على تجذير الخط السياسي وتعميق الخط الجماهيري ،

وبترسيخ الخط الثوري السليم وكشف الخطوط المتخاذلة والفوضوية والعفوية والمنحرفة والانتهازية . وتبقى المشكلة الاخيره : مشكلة العلاقة مع الانظمة العربية . وحلها واضح . انه الالتجاء الى الجماهير العربية والالتحام معها .

ثالثا : تجابه المقاومة الفلسطينية مشكلة حادة ، في هذه الايام ، هي مشكلة انحسار الحركة الوطنية العربية . وهذا الانحسار يجعل المقاومة الفلسطينية «وحيدة» ، تحظى بعطف الجماهير العربية او قسم منها ، وتنال بعض رضا هذا النظام او ذاك ، ولكنها لا تستطيع ان تجد رفدا لها في حركة جماهيرية منظمة ، تعتبر النضال من اجل تحرير فلسطين قضيتها ، كما ان بناء المجتمع المتحرر المتقدم قضيتها ايضا . واذا كانت المقاومة الفلسطينيه قد اثبتت عجزا حتى الآن في مجال تعبئة الجماعير العربية ، فان مشكلة هذا العجز كانت ستحل لو وفرت الحركات الوطنية العربية المناخ الملائم ، ولو استطاعت هي ان تكسر «طوق العزلة» المفروض على المقاومة الفلسطينية .

خاتمة :

ما زالت المقاومة تواجه معركتين متداخلتين : معركة التصفية الجسدية ومعركة التصفية السياسية والايديولوجية . وتتخذ التصفية الجسدية مظهرين :

الاول : السحق بالعنف الدموي والقمع الوحشي .

الثانى : الاحتواء وتجميد القوى .

اما التصفية الفكرية والسياسية فتتخذ مظهرين ايضا :

الاول : تسخيف المنطلقات الاساسية وتشويهها .

الثاني : إغراق المقاومة بالاضاليل والاشاعات المتناقضة وذلك من اجل شل ارادتها وبلبلة افكارها . ولذلك نجد المقاومة تتهم

اليوم بانها انصرفت عن العمل العسكري الى العمل السياسي ، بينما نجدها تنتقد غدا على انها تعتبر العمل العسكري ، او الكفاح المسلح اسلوب العمل الوحيد . ونجد قيادة المقاومة متهمة اليوم بانها سلمت للانظمة ، ونجدها غدا متهمة بانها لم «تحسم» ، ولم تصفّ مع الانظمة !

وتبرز من وسط دوامة التصفية الجسدية والسياسية هذه اصوات فلسطينية وعربية نكراء ، تدعو الى الاستسلام ، وتطالب بقول نعم للحلول التصفوية (۱) .

وعلى الرغم من ذلك فما زال هنالك مقاتلون مصممون على مواصلة المسيرة ، وما زال شعبنا يقول لا بملء فيه وبملء قلبه .

---

۱ – فيصل حوراني : مشكلة العمل الفلسطيني ، سياسة لا سروز اليوسف العدد ۲۲٦۹ ، تاريخ ٦–۱۲–۱۹۷۱ .

الثورة الفلسطينية ومهمات حركة التحرر الوطني العربية

كتبت هذه الدراسة في ١٣-٥-٧٢
ونشرت في العدد ٨ من «دراسات
عربية» ، السنة الثامنة .

قام «حاجز» بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية ، منذ انطلقت الثورة الفلسطينية . ولقد لعب هـــذا «الحاجز» دوره الكبير في دفع الامور الى ما وصلت اليه الآن . ذلك انه حرم الثورة الفلسطينية من امكانيات النمو الطبيعي من جهة ، كما انه حرمها من امكانيات الحماية من جهة اخرى . لقد كانت الثورة الفلسطينية ـ بحكم الواقع السياســـي والتاريخي والجغرافي والثقافي ، اي بحكم الواقع القومي العربي ـ طليعة عربية ، او فلنقل فصيلا طليعيا من فصائل الثورة . وكان ادراك هذه الحقيقة ، وتجسيدها في الممارسة ، هو الذي يفسح للثورة الفلسطينية امكانيات النمو والتقدم . وان هذا الفصيل الطليعي، سيكون محكوما بالعزلة والموت اذا حرم من بعده الاستراتيجي:

الجماهير العربية بثريا والاراضي العربية جغرافيا والامكانيات العربيه ماديا . ولكن «الحاجز» قام ، واستطاع ان يمنع عملية التعاعل . وبقيامه ، وبالدور الخطير الذي لعبه، تكرست مجموعة من الحقائق والمواقف ، فلسطينيا وعربيا ، اصبحت تحكم الآن العمل الوطني الفلسطيني والعربي .

ولا بد لنا ، ونحن ندرك خطورة الظاهره وخطورة المازق ، ونحاول ان نجد «الحل النوري» لا «المخرج السهل» ان نبحث عن الاسباب . ان تحديد اسباب الظاهره هو اول المسيره الى تخطيها. وتجاهل الاسباب ، او محاولة القفز من فوقها ، لا يقود الى حل الاشكال بل الى زيادته تعقيدا ، ولذلك فاننا سنحاول هنا ان نحدد الاسباب بوضوح ولكن بايجاز ، فما هي هذه الاسباب ؟

ان هذه الاسباب تتلخص فيما يلي :

اولا : ولدت الثورة الفلسطينية وهي تعاني اشكالا كبيرا . ويتلخص هذا الاشكال في ان الثورة الفلسطينية طرحت منذ البدء شعارين اساسيين هما: ١ـ ان قيام كيان فلسطيني ضروري للانتصار في معركة فلسطين ، ٢ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية .

ولقد اخفى هذان الشعاران خلفهما حقيقتين هامتين : اولاهما : ان الدعوة لقيام كيان فلسطيني كانت تحولا من الدعوة القومية الى الدعوة القطرية «فمعركة فلسطين التي اتخذت شكلا قوميا في البداية فشلت، لا بد ان نردها الى مرتكزاتها الاساسية وعواملها الفاعلة في حدودها القطرية لنضمن لها النجاح والنصر في الجولة الثانية» . اذن فالنصر في الجولة الثانية يكون برد القضية الى «مرتكزاتها الاساسية وعواملها الفاعلة ضمن حدودها القطرية » .

ثانيهما : ان عدم التدخل في الشؤون الداخلية اخذ طابع الحياد في الصراع الايديولوجي القائم ، مع ان الصراع الذي كان قائما كان صراعا بين التخلف والتقدم وصراعا بين الوطنية

والخيانة .

كان لهذه الاشكالية اثرها على مسار الثورة وتطورها فيما بعد. ذلك ان الموضوعات التي اعتبرت ، فيما بعد ، مبادىء اساسية ، وعلى راسها : «الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه جزء من كفاحها» لم تستطع ان تحل الاشكال .

لقد ظلت هذه المبادىء الاساسية مبادىء ، ولكنها لم تتجسد في النضال العملي ، ولا وجدت طريقها الى الممارسة . وجاءت الممارسات اليوميه ، فاعطت القضيه بعدا «فلسطينيا» من جهة، وبعدا «قوميا» عفويا من جهة اخرى . اما البعد الفلسطيني فيتلخص في ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تعيد خلق الهوية الفلسطينية ، وان تطرح القضية الفلسطينية طرحا جديدا على الشعب الفلسطيني والامه العربية والعالم . وبات الشعب الفلسطيني ، لاول مرة ، منذ سنة ١٩٤٩ ، هو حامل لواء قضيته اساسا . واثبت انه قادر على ان يحييها بعد موات ، وعلى ان يحقق ما لم تستطع تحقيقه الانظمة العربية خلال قرابة عشرين عاما (١٩٤٧ ـ ١٩٦٧) .

واستجابت الجماهير العربية للطرح الجديد، ولكن استجابتها ظلت عفوية . لقد دخل الفارس الفلسطيني الميدان ، قائلا للامة العربية انا فارس الميدان والقضية قضيتي ، واستطاع الفارس الفلسطيني ان ينتزع الاعجاب والتاييد ، كل الاعجاب والتأييد . ولكنه في غمرة الاعجاب والتاييد والانتصارات لم يسال نفسه ماذا بعد ؟ لم يطرح على نفسه بجدية هذا السؤال : هل استطيع وحدي ان اسير بالمعركة الى نهاية الشوط ؟ وماذا يحدث لو بقيت وحدي ولم يهرع الفرسان العرب كلهم الى الميدان ؟

ولأن الفارس الفلسطيني لم يطرح على نفسه هذا السؤال بالجدية المناسبة حافظ على شعاريه الاساسيين : ضرورة الكيان وعدم التدخل ، ولم يعط لمبادئه الاساسية وعلى راسها المبدأ الذي ذكرناه : «الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية وكفاحه

جزء من كفاحها» بعده الثوري الحقيقي .

ولذلك ظلت الاستجابه العفويه العربية تتلاطم خلف«الحاجز» وحين اعطيت التفاتة كريمة ، كان الاسم الذي ينتظرها : الجبهه العربية المسانده . ومع هذا فما كانت هذه الجبهه في الواقع جبهه ، ولا كانت مسانده . انها في الحقيقة لم تبلغ مستوى الجمعية الخيرية .

كان مطلوبا من الثوره الفلسطينيه ان تعي دورها العربي سلفا ، وان تعي ايضا كيف تجعل من شعاريها الاساسيين التكتيكيين المذكورين سابقا غطاء لعلاقه حقيقية مع الجماهير العربية . ولكن الاشكال الحقيقي يكمن في ان هذا لم يحصل . لا الثورة الفلسطينية وعت دورها العربي سلفا ، ولا هي وعت كيف تدخل الى اعماق الجماهير العربية . وشعاراها اللذان كانا مدخلها الى العمل ، اصبحا قيدا عليها فيما بعد . قيدا نفرضه هي على نفسها، وقيدا تحاصرها به الحركات والاحزاب الوطنية، وتلاحقها به الانظمة العربية المختلفة الاسماء والانماط .

وكان هنالك عامل آخر ، لا يقل اهمية عن هذا العامل ، وهو ان اتجاها يكاد يكون عاما في الثوره، كان ينظر باستخفاف وريبة الى الاحزاب والحركات الوطنيه العربية والى الجماهير عموما . وكان هذا يتجلى فيما يلي :

أ ـ الاصرار على ان الاحزاب فشلت ، وان تجربتها لا تحمل سوى الفشل في ثناياها . ولم يكن يجري تقييم علمي لتجربة الاحزاب ، ولا كانت تجري الاشارة الى نضالاتها وتضحياتها .

ب ـ تسخيف ما يسمى الصراع العقائدي والايديولوجي ، والتاكيد على انه صراع غير مجدي ، وعلى انه مجرد مهاترات لا طائل وراءها .

ج ـ التحفظ ازاء الحركات التقدمية وازاء قوى اليسار عموما ، والتهجم في كثير من الاحيان على القوى التقدمية والانظمة التقدمية ، وعدم التفريق بين الرجعية والتقدمية ومساواة الرجعي

بالتقدمي عموما ، واخذ حركة التقدم عموما والافكار التقدمية بجريرة ادعياء التقدمية .

د ـ اللامبالاة بالعمل السياسي في اوساط الجماهير ، ومحاولة تسخيف العمل السياسي واظهار عدم جدواه : لقد كانت البندقية تطرح دائما بديلا للعمل السياسي . وكان شعار : «السياسة تنبع من فوهة البندقية» يفهم على ان السياسة هي دخان البارود وازيز الرصاص ودوي القنابل لا غير .

ولقد التقى هذا العامل ، مع العامل الاول ، ليزيد من حدة الاشكال ، وتعقيد المسألة .

الفارس الفلسطيني يقود نفسه الى الاشكال ، الى شبكة العنكبوت ، وسط الاعجاب والتاييد ، يقع فيها ، ثم ياخذ بالدوران ضمن اطارها .

ثانيا : ان قوى حركة التحرر الوطني العربية عموما اخذت موقفا متشككا ومشككا في البدء . وكان الشك والتشكيك يقومان على ما يلي :

أ ـ ان هذه العمليات ستقود دولة الاحتلال الى مهاجمة الدول العربية المجاورة . وسيكون هذا توريطا للعرب في حرب لا يريدونها . وهذا الموقف ناتج في الاساس عن الخشية من دولة الاحتلال ، ولكن هذا ليس كل ما في الامر ، اذ ان عمليات الثورة لا بد من ان تقود الى رد من دولة الاحتلال ، وهذا سيفرض على الدول العربية ان ترد ايضا .

ولما كانت دولة الاحتلال تخشى مغبة هذا «التوريط» ، فقد ارادت ان تجعل النتائج منذ البدء سلبية جدا، لتدفع اوسع قطاع ممكن الى الاعتقاد بان نظرية «التوريط الواعي» تقود الى نتائج مروعة . ولهذا ـ من جملة الاسباب ـ كانت حرب حزيران . ومع ان حرب حزيران فتحت آفاقا جديدة للثورة الفلسطينية ، الا ان بعضا من الوطنيين ظلوا يعتقدون بان هذه الهزيمة كان يمكن الا تكون ، لولا «المزايدة بحرب التحرير الشعبية» .

ب ـ طرح قيام الثورة الفلسطينية قضية كبيرة وخطيرة على القوى الوطنية في المنطقة العربية . وتتلخص هذه القضية في السؤال التالي : استراتيجية مَن ستقود المنطقة وستوجه الصراع ؟ اهي استراتيجية الانظمة والاحزاب ام استراتيجية الحركة الجديدة ؟. وكانت الاستراتيجية الرسمية المعلنة ، وخاصة استراتيجية القاهره ، تقوم على الاستعداد لحرب نظامية، تبدأ عندما يحين حينها . وهذا يقتضي ان يبقى كل شيء ساكنا راكدا حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه . وكانت الاستراتيجية الجديدة تطرح معطيات جديدة : انتم استعدوا اما نحن ، شعب فلسطين ، فسوف نبدأ اليوم لا غدا ، سنعكر صفو السلام القائم ، وهذه وسيلتنا الوحيدة وطريقنا الوحيد . وطبيعي الا يلتقي الخطان . فلقد كان الخط الاول الرسمي ينظر الى الخط الثاني على انه خروج على استراتيجيته . وكان الخط الثاني ينظر بارتياب الى ما يعلنه الخط الاول . وكان هذا « الخلاف الاستراتيجي» يزيد من تعقيد العلاقات .

ظل الامر كذلك حتى حرب حزيران ، حيث حدث تحول في العلاقات ، جزئي ، ولكنه هام .

فلقد اصبح هنالك حاجة ، بعد حرب حزيران ، الى ان يكون هنالك «عمل فلسطيني» . وبانت الانظمة تحاول ان تجعل هذا العمل ضمن استراتيجيتها .

وظل الامر كذلك الى ان جاء مشروع روجرز ، فحدث «الصدام» من جديد . وتلت ذلك مجزرة ايلول التي استهدفت «تقليم» أظافر الثورة الفلسطينية ووضعها ضمن اطار الاستراتيجية الرسمية . ولقد اتضح هذا بعد ايلول جيدا . وما زالت المساعي تبذل من اجل فرض الاستراتيجية الرسمية على الثورة الفلسطينية . ان هذا الخلاف الاستراتيجي خلاف هام مهما كانت اخطاء هذه الجبهة او تلك. ومهما كانت نقائص هذه الفئة او تلك. وهو في الواقع والحقيقة الخلاف بين استراتيجية الحرب الشعبية

والحرب النظامية نظريا ، وبين استراتيجية الحرب والمهادنة عمليا .

وخطوره هذا الخلاف تكمن في جانب من جوانبه ، لان احزابا وحركات وطنية تتبنى الخط الرسمي . واذا كانت قد حصلت بعض التحولات الجزئية ، فان هذه التحولات الجزئية ، على اهميتها ، لم تكن تحولا عن الخط بل ضمنه .

ج ـ اصبحت الثورة الفلسطينية ، وبعد حرب حزيران خاصة ، مركز استقطاب لكل القوى الفلسطينية والعربية ، وعلى الرغم من الهجمات او المواقف المتحفظة ، فان قواعد الاحزاب والحركات السياسية اخذت تزداد اعجابا «بالفدوه الفلسطينية». وكان هنالك ، فوق هذا ، الاعجاب الجماهيري الكبير الذي حظيت به الثورة الفلسطينية على صعيد الوطن العربي كله .

ان القوى السياسية هي قوى متصارعة ، او قوى متناقضة. وكل قوه سياسية تسعى من اجل سحق الفوى المعاديه ، واستيعاب القوى المتناقضة معها .

ومع ان الثورة الفلسطينية حاولت الا تدخل الميدان العربي تنظيميا ، الا انها كانت تصطدم مع الاحزاب والقوى الوطنية العربية من خلال :

١ ـ كونها قوة استقطاب للقواعد والكوادر والجماهير .

٢ ـ كونها تطرح نفسها نفيضا لهذه الحركات والاحزاب ، باصرارها على ان الصراعات العقائدية لا جدوى منها ، وانها خارج اطار هذه الصراعات .

٣ ـ كونها تطرح نفسها بديلا متفردا بتبنيها خط الكفاح المسلح وممارستها له .

٤ ـ كونها تطرح تجربتها على انها تجاوز لفشل الاحزاب والحركات السياسية العربية .

٥ ـ كونها جعلت قضية تحرير فلسطين قضيتها الاولى والاخيرة ، وارادت ان تجعل هذه الفضية قضية كل العرب دون

ان تحاول وضع هذه القضية ضمن اطارها القومي العربي فعلا .

د ــ مارست القوى الوطنية العربية عمليات نقد واتهــــام قاسية ضد الثورة الفلسطينية . وبينما كان بعض هذا النقـــد صحيحا مثل النقد الموجه الى عدم الاهتمام الجدي بالعمـــل السياسي . عدم الاهتمام الجدي بالتنظيم ، محاولة عزل الثورة الفلسطينية عن اطارها القومي العربي ، التضحية بالعلاقة مــع الجماهير في سبيل علاقات عابرة مع الانظمة الخ ، فان كثيرا من هذا النقد جاء متجنيا وهداما ، مثل اتهام الثورة بالعلاقة مــع حلف السنتو ، او اتهام قيادة الثورة بانها تعمل لمصلحة الانظمة الرجعية ، او اتهام الثورة بالمغامرة .

ولقد عجزت الثورة عن ان تفهم النقد الصحيح ، وان تجد فيه مدخلا الى القوى الوطنية العربية ، وسبيلا الى المراجعـــة النقدية لمسيرتها . ولذلك فقد اعتبرته تجريحـــا وتشويها ، واعتبرت انه لا يستهدف تصحيح مسيرتها بل تدميرها .

وكانت القوى المتخلفة في الثورة ، تحاول ان تستخدم هذا النقد لتعميق شقة الخلاف ، ولزيادة قناعة الجماهير الفلسطينية بأن القوى الوطنية العربية ، لا امل يرجى منها ، لمصلحة العلاقات مع الانظمة .

اما الاتهامات العدائية فقد خلقت ردود افعال مرة عند قواعد الثورة وجماهيرها ، بينما اعطت للمتخلفين والمعادين في اوساط الثورة الفلسطينية حججا دامغة على القوى الوطنيـــة العربية ، ومبررات مقنعة لاتهامها ومهاجمتها ، وحتى معاداتها .

ثالثا : ان الجماهير العربية محضت الثورة كل تأييدها . لقد لمست فيها طريق الخلاص ، ولذلك اقبلت بحماسة وسخـــاء تؤيدها وتساندها . ولقد جاء التأييد الجماهيري عاما وشاملا . ولكن هذا المد الجماهيري عانى من الاشكالات التالية :

أ ــ كان عفويا الى ابعد الحدود ، وابعد ما يكون عن التحليل والتنظيم . كان عطاء واحسانا ولكنه لم يكن عملا دؤوبا واعيا .

واذا كان سره في عفويته ، فان مقتله كان في عفويته ايضا . ولقد كان هذا العطاء العفوي سببا اساسيا من اسباب نمو الثـــورة واستمرارها ، ولكنه لم يلعب دورا في توجيهها وفي تطويرها .

ب ـ كان عاما وشاملا حتى ان بعض القوى ارادت استخدامه ضد انظمتها ، او ضد قوى اخرى منافسة . وكانت القـــوى المتخلفة احيانا تحاول الاستفادة من هذه الموجة العارمة لمحاربة القوى الوطنية ، كما كانت القوى الوطنية تحاول ان تستفيد منه لضرب قوى وطنية اخرى . والامثلة على ذلك كثيرة ، وهـــي معروفة لا تحتاج الى ذكر .

جـ ـ كان حماسيا ، ولكنه في الوقت عينه كان عاجزا عن ان يتحول من المساندة الى المشاركة . ولهذا ظلت العملية تبدو على انها عملية مساندة من الخارج . كما ان عملية المساندة هذه لـم يكن واضحا الى اية درجة تلتزم بالثورة .

د ـ كان منذ البدء معرضا للتبعثر والتراجع ، بسبب بروز التناقضات بداخله ، او بسبب المصاعب التي اخذ هذا المـــد يجابهها ، او بسبب الممارسات الخاطئة في الثورة ، او بسبب الهجمة المعادية الشرسة ،وما فرضته من هزائم او خسائر على الجماهير العربية .

ولهذا كله لم يستطع هذا «المد الجماهيري» ان يجعل الثورة الفلسطينية قادرة على تخطي «الحاجز» القائم بينها وبين قوى حركة التحرر الوطني العربية .

- ٢ -

بدات ، مع أواخر عام ١٩٦٩ واوائل عام ١٩٧٠ ، عمليـــة مراجعة داخلية من الثورة الفلسطينية ، واخذت بعض القـــوى العربية تعيد النظر في مواقفها السابقة . وكان من نتيجة ذلك ان كثيرا من الاتهامات سقطت او خفت ، وان موقف القوى الوطنية

العربية من الثورة الفلسطينية اخذ يتحسن لمصلحة الثورة . وكان من اهم هذه التغيرات التبدل الايجابي في مواقف عدد من الاحزاب الشيوعية العربية ، ثم انشاء قوات الانصار ، التابعة للاحزاب الشيوعية في لبنان وسوريا والاردن والعراق .

لقد حدث هذا التحول ، ولكنه لم يستطع مع ذلك ، ان يفود الى تبدل جذري في العلاقات . ولهذا ظلت العلاقات كما كانت، وكان هذا التبدل لم يحصل . واذا كانت القوى الوطنية العربية لم تبذل ما يلزم من الجهد لاحداث التطور اللازم في العلاقات ، فان الثورة الفلسطينية لم تبذل من جانبها ما يدل على انها اصبحت اكثر وعيا بضرورة علاقات اكثر رسوخا وتلاحما . ويعود ذلك كله الى ان كلا من الثورة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية قد ظلت تتعامل انطلاقا من رواسب الماضي وعقده ، ودون ادراك واع وجدي لمخاطر المرحلة ومتطلباتها .

ثم ان الثورة الفلسطينية كانت في هذا الوقت تعاني اشد المعاناه من شروخ في داخلها احدثتها تشنجات المتخلفين وصبيانيات اليساريين . وكانت هذه الشروخ تنعكس سلبيا على الثورة وجماهيرها وعلاقاتها مع الجماهير العربية والقوى الوطنية العربية .

وحين جاءت مجزرة ايلول لم تستطع الجماهير العربية العفوية المؤيدة ان تفعل شيئا ، وكذلك حدث بالنسبة للقوى الوطنية العربية .

ثم جاءت تراجعات الثورة الفلسطينية بعد ايلول . وكان لهذه التراجعات ثلاثة عوامل :

الاول : العجز الذاتي للثورة الفلسطينية .

الثاني : عجز القوى والحركات الوطنية العربية .

الثالث : ضغط الانظمة عموما باتجاه التراجعات بعد ايلول .

ومع بداية التراجعات بدأت حملة الشك والتشكيك من جديد . واخذت تتصاعد ، متجاوزة كل ما كان من قبل . ولقد

النفت هذه الحملات ، مع حملات الضغط الرسمية ، لتولد شعورا بالانكفاء والعزلة ، ولنفود الى مزيد من الشك بالقوى الوطنية العربية ، ومزيد من النفور منها .

ومن الانصاف ان نقول :

ان حملة ايلول وما تلاها لم تولد الشك والانكفاء في الصفوف الفلسطينية فحسب ، بل ولدت لدى قطاعات واسعة نسبيا شعورا عميقا بضروره الالتحام بين الثورة الفلسطينية والثوره العربية . هذا على الصعيد الفلسطيني ، اما على الصعيد العربي الشعبي فان رد الفعل مشابه ولكنه غير واضح ولا محدد. وان كان على الصعيد الرسمي واضحا ومحددا . فعلى الصعيد الرسمي تستهدف الانظمة وضع الثوره الفلسطينية ضمن المكان المناسب في استراتيجيتها . واذا كان واضحا هذا من الوقائع ، فان الرئيس السادات لم يترك اي لبس في ذلك عندما تحدث في افتتاح المؤتمر الشعبي الفلسطيني بالقاهره (١) . وهذا الوضع ما هو الا استمرار لواقع ما بعد ايلول الذي حاولت الانظمة فيه احتواء الثوره الفلسطينية .

ولا بد هنا من القول بان الثورة الفلسطينية التي تتعرض لمؤامرات التصفية والاحتواء منذ ايلول ، ما زالت لا تلقى المساندة المطلوبة من القوى الوطنية العربية .

- ٣ -

وهكذا تتحدد ملامح المازق الحالي ، فهو :

١ ـ مازق ذاتي تلعب فيه عوامل القصور الذاتي والعجز

---

١ ـ جريدة الجمهورية القاهرية ٧-٤-١٩٧٢ .

الذاتي الدور الاساسي . وتتلخص عوامل القصور الذاتي هذه فى الآتي :

أ ــ العجز عن تجديد الذات واعادة بناء القوى الذاتية بما يكفل مواجهة متطلبات المرحلة الحالية ومتطلبات المستقبل ، والعجز عن تحديد طبيعة المرحلة الحالية والمرحلة المقبلة ومهماتها.

ب ــ العجز عن اقامة علاقات صحيحة ضمن الحركة الوطنية الفلسطينية . وهذا ناتج عن عدم القدرة على وعي اهمية الجبهة الوطنية الواسعة وضرورتها ، وعن وعي دورها ومهماتها في هذه المرحلة الراهنة .

جـ ــ العجز عن تصور البعد القومي للقضية الفلسطينية وبالتالى للثورة الفلسطينية ، وبالتالي عن اعطاء الثورة الفلسطينية بُعدها القومي في النظرية والممارسة .

٢ ــ مأزق موضوعي ناتج عن شراسة الهجمة الامبريالية فى هذه المرحلة وعن شراسة الهجمة الصهيونية . وتتلخص العوامل الموضوعية في الآتي :

أ ــ اشتداد الهجمة الامبريالية ــ الصهيونية ــ الرجعية فى المنطقة وفي العالم .

ب ــ انحسار قوى حركة التحرر الوطنى العربية وتراجعها وتفككها .

وفي هذا الجو تبدو الثورة الفلسطينية عاجزة كل العجز ، وتبدو القوى الوطنية العربية عاجزة . ويحس المناضل ، فلسطينيا كان او عربيا ، كما يحس المواطن ، ان مسيرة الثورة مهددة بالتوقف ، وان القضية مهددة بالتصفية .

ولهذا بدأت بعض الاصوات النشاز ترتفع مبررة الاستسلام تحت شعارات مختلفة : التكيف الدولي ، الحل الواقعي ، الحكم الذاتي في ظل الملك حسين ، الحكم الذاتي في ظل دولة الاحتلال الخ .

ومهما كانت حدة المأزق الموضوعي ، فان المأزق الذاتي هو

الاساس . فاذا ما اظهرت الثورة انها قادرة على التخلص من عوامل قصورها الذاتي كانت قادرة على مواجهة المازق الموضوعي وحله .

وعلى الثورة الآن ان تقاتل بشراسة دفاعا عن بقائها ، لتكون قادره على معالجة قصورها الذاتي ، وعلى معالجة مازقها الموضوعي .

- ٤ -

بعد هذا كله ما هي خيارات المستقبل ؟

ان خيارات المستقبل تبدو واضحة ، وهي محددة في خيارين لا ثالث لهما :

الاول : ان تصبح الثورة جزءا من الواقع الرسمي العربي ، وان تساهم بالتالي بتصفية القضية ، وفي قمع ارادة الشعب الفلسطيني وسحقها .

الثاني : ان تجدد الثورة ذاتها ، وان تحافظ على قواها ومواقعها واستقلاليتها ، وتستعيد ثقة جماهيرها لتكون قادرة على المساهمة في تغيير الظروف الموضوعية ، والاستمرار بالقتال حتى النصر .

ولكي تستطيع الثورة ان تفعل ذلك لا بد لها من :

أ ـ تحديد مهماتها وتحديد اساليب عملها القادرة على انجاز هذه المهمات (سنتحدث في مرة مقبلة عن ذلك) .

ب ـ تحديد استراتيجية سياسية وعسكرية صحيحة ، ومنبثقة من فهم واع للواقع الفلسطيني والعربي والدولي .

ولا بد ان يحدد ، ضمن هذه الاستراتيجية ، برنامج عربي للثورة الفلسطينية وبرنامج فلسطيني لقوى حركة التحرر الوطني العربية ، وعلينا ، حتى لا نقع في الالتباس او الخطأ ، من ان نؤكد ما يلي :

اولا : ان القضية الفلسطينية هي القضية القومية العربية الاولى . وهي القضية القومية الاولى ، لان الامة العربية تواجه في فلسطين اكبر تحد مصيري ، واكثر مظاهر العدوان اثارة وصلفا وتحديا . ولهذا فالمشاركة العربية الفعالة ليست احسانا ولا تكرما بل هي واجب .

ثانيا : ان المطالبة ببرنامج عربي للثورة الفلسطينية وبرنامج فلسطيني لقوى حركة التحرر الوطني العربية ، لا ينطلق من ان هناك ثورتين مختلفتين تلتقيان في نقطة واحده فقط هي قضية فلسطين ، بل ينطلق من ان وحده برنامج قوى حركة التحرر الوطني العربية ، بما فيها الثورة الفلسطينية ، يجب ان تبدأ من تحديد برنامج واضح ومحدد لكل هذه القوى ، لا تضيع فيه قضية فلسطين باسم القضية القومية ، ولا تضيع فيه القضية القومية باسم قضية فلسطين ، كما كان يحصل فيما مضى ، وكما هو حاصل الآن .

ثالثا : ان مناقشة قضية فلسطين ، خارج اطار فهم علمي لحركة تحرر وطني عربية ، تقدمية وديمقراطية ، تحكم على قضية فلسطين بالتصفية ، لانها تحرمها من بعدها القومي : البشري والجغرافي، وتجعلها قضية اقلية محكومة بالهزيمة سلفا. ولهذا، فاننا اذ ننتقد المواقف الفلسطينية القطرية ، ننتقد المواقف القومية العربية العامة ، «الما فوق فلسطينية» . لان هذه المواقف الفلسطينية والعربية واحدة في الجوهر ، وان اختلف المنطلق .

رابعا : ان المضمون القومي الديمقراطي الشعبي لحركة التحرير الوطني العربية يتلخص في :

أ ـ التحرير : تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة من الاحتلال الصهيوني ، انهاء كل اشكال السيطرة المباشرة وغير المباشرة عن الوطن العربي .

ب ـ الوحدة القومية : انهاء التجزئة واقامة دولة الوحدة .

جـ ـ الثورة الديمقراطية : انهاء مخلفات القرون الوسطى ،

الاصلاح الزراعي الجذري ، تحرير الاقتصاد من السيطـــرة الاجنبية .

ان هذه القضايا الثلاث قضايا متداخلة ومتكاملة . انها لا تنفصل ولا تنفصم . والنضال في سبيلها نضال لا يتجزأ . فاذا ما قسم ووزع لم يستطع تحقيق اي هدف من اهدافه .

ولقد دفعت التحولات التي حدث بعد الحرب العالميه الثانية باتجاه تجذير الثورة الوطنية الديمقراطيه ، فزاد تلاحـم الثوره القومية بالثوره الاجتماعية ، وسقطت قيادة الاقطاع والبرجوازية الكبيرة في مرحله قصيره جدا ، وتسنمت البرجوازية الصغيره دست الحكم . ولكنها اثبتت مع ذلك عجزها عن حل المشاكـل القومية والاقتصاديه والاجتماعية الكبرى .

واثبتت وقائع القرن العشرين ان الكادحين بحزبهم الطليعي وجبهتهم الوطنيه الواسعة هم القادرون على حل هذه المشاكـل (الصين ، فياتنام ، كوريا ، يوغسلافيا) .

وهذا كله يجب ان يكون واضحا ومفهوما لدى الذين يعملون في صفوف الثورة العربية عموما ، لانهم ان لم يعوه فقدوا القدرة على قيادة المعركة الطويلة نحو النصر . ولانهم ان لم يعوه ، لـم يستطيعوا تحديد قوى الثورة ومهماتها تحديدا صحيحـا ،.ولا استطاعوا تحديد اهدافها واعدائها ، وفي كل مرحلة تاريخية .

— ٥ —

نجد انفسنا مطالبين بعد هذا بتحديد الخطوط العامةللبرنامج العربي للثورة الفلسطينية . فهذا البرنامج وحده هو الذي يضع الثورة الفلسطينية في مكانها الصحيح من الثـــورة العربية . وبدونه تصبح الثورة الفلسطينية انتفاضة محكومة بالعزلةوالموت.

ويتلخص هذا البرنامج في النقاط التالية :

اولا : ضرورة ان تعي الثورة الفلسطينية حقيقة كونها جزء من

قضية قومية ، لا قضية قومية مستقلة . ان وعي هذه الحقيقة يقود الى وعي ابعاد معركتنا الحقيقية . وهنالك فرق كبير بين ان تكون القضية الفلسطينية جزءا من قضية قومية عربية وبين ان تكون قضية قومية مستقلة . ان الذين لم يولوا هذه الموضوعية الاهتمام اللازم قادونا الى الضياع ، مفرغين القضية الفلسطينية من مضمونها الحقيقي ، ومعطين للقضيـــــة العربية مدلولات مشوهة .

ثانيا : ضرورة ان تعي الثورة الفلسطينية حقيقة كونها جزء من قضية قومية في النصف الثاني من القرن العشرين ، بكل ما يحمله النصف الثاني من القرن العشرين من مدلولات . ذلك ان وعي القضية ضمن اطارها الزماني والتاريخي ، وضمن ظروفها الموضوعية ضروري جدا لادراك مدلولاتها السياسية ، ولوضـع الخطط من اجل حل اشكالاتها . والذين لا يفرقون بين القضايا القومية في القرن التاسععشر وفي أوائل القرن العشرينومنتصفه ونصفه الثاني اعجز من ان يتحملوا مسؤولية حل هذه القضايا .

ثالثا : ان هذا كله يستلزم ما يلي :

أ ــ ان تعمل الثورة الفلسطينية لكي تاخذ بعدها القومـــي العربي .

ب ــ ان تعمل على تعبئة الجماهير والقوى الوطنية العربية ضمن هذا الاطار .

جـ ــ ان تجند مقاتلين عربا لكي يشاركوا في معركة التحرير ومعركة تصعيد الثورة وحمايتها .

د ــ ان تعتبر نفسها دائما جزءا من قوى حركة التحرر الوطني العربية ، وجزءا من الثورة القومية الديمقراطية العربية ، وان تقيم تحالفاتها على هذا الاساس ، وان تحدد مهماتها دائما مـــن هذا المنطلق .

هـ ــ ان تلعب دورا فعالا ، من حيث هي طليعة تحظى باحترام كل قوى حركة التحرر الوطني العربية ، في تحقيق جبهة قوى

حركة التحرر الوطني العربية .

ان على الثورة الفلسطينية ان تجتاز «الحاجز» الذي يفصلها من الثورة العربية . ان تجتازه بوعي ومهارة ومرونة ولكن بسرعة، لان بقاء هذا «الحاجز» اصبح يهدد مجرد بقائها .

- ٦ -

اذا كانت الثورة الفلسطينية مطالبة بتحديد برنامج عربي لها، فان قوى حركة التحرر الوطني العربية مطالبة ايضا بتحديد برنامج فلسطيني لها . وتحديد هذا البرنامج من اولى مهماتها باعتبارها قوى حركة تحرر وطني .

وتتلخص الخطوط العامة لهذا البرنامج بما يلي :

اولا : اعتبار قضية الاحتلال الصهيوني القضية القومية الاولى ومواجهتها على هذا الاساس .

وهذا لا يعني ان يؤجل النضال من اجل الوحدة ، او من اجل انهاء مخلفات القرون الوسطى وسيطرة الاقطاع او سيطرة راس المال الاجنبي ، بل يعني ان تأخذ قضية الاحتلال الصهيوني مكانها بين هذه القضايا ، وان تكون على راسها ، متفاعلة معها ، لا منفصلة عنهـا .

ثانيا : ان تضمن قوى حركة التحرر الوطني العربية برامجها النظرية والعملية ما يدل دلالة واضحة على ما ذكرناه آنفا .

وهذا يعني ان ينسجم الوعي النظري مع الممارسة العملية ، وان يستوعب الوعي النظري أبعاد القضية ، لتجسد الممارسة ما استوعبه الوعي .

ثالثا : ان تبدأ قوى حركة التحرر الوطني العربية بما يلي :

أ ــ اعادة النظر في برامجها وممارساتها لتكون منسجمة مع هذا الخط .

ب ــ الانتقال الى المشاركة الفعلية في القتال ، كل اشكـال

القتال من اجل تحرير فلسطين . وهذا يقتضي اعادة بناء القوى على اسس سليمة تكفل لها القدرة على المشاركة ، كما يقتضي بناء جبهة وطنية واسعة عريضة تضم كل قوى حركة التحرر الوطني العربية ، على اساس برنامج حركة تحرر وطني ديمقراطيـــــة وتقدمية .

رابعا : ان تلتزم قوى حركة التحرر الوطني العربية مرحليا بالتالي :

ا ــ مقاومة مخططات التصفية والاستسلام مقاومة جدية .

ب ــ حماية الثورة الفلسطينية وامدادهـــا باسباب البقاء والنمو .

- ٧ -

المطلوب في المرحلة الحالية ان تبقى الثورة الفلسطينية اولا ، لان البقاء هو شرط العلاج ، فاذا ما صفيت كان الحديث عـــن العلاج عبثا .

ولكي تبقى لا بد من ان يبدأ سقوط «الحاجز» . وسقــوط الحاجز لا يتم الا بعمل من الداخل والخارج ، من قوى الحركة الوطنية الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية .

فلنبدأ العمل قبل فوات الاوان .

القسم الرابع

المقاومة الفلسطينية والواقع العربي

الاوضاع العربية ومستقبل المقاومة الفلسطينية

ملاحظات أعدت للمناقشة فـي ٢٨-٥-٧٢ ، ولم تنشر .

مدخـل :

ان التداخل ما بين القضية الفلسطينية والاوضاع العربية ليس تداخلا عارضا . انه حصيلة العلاقة القومية ما بين فلسطين والامة العربية . وهذا التداخل هو الظرف الموضوعي الذي تدور الإرادة الفلسطينية في فلكه . ومن هنا تأتي اهميته البالغة في تقرير مصير فلسطين .

وهذا التداخل عامل قوة وعامل ضعف . انه عامل قوة لان قوة الامة العربية وطاقاتها البشرية والمادية واتساع رقعة اراضيها وموقعها الاستراتيجي ودورها العالمي يمكن ان تكون في خدمة التحرير . وهو عامل ضعف لان الانظمة العربية والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي لا تستطيع ان تعزل نفسها عما يجري في

فلسطين ، لانه يقرر مصيرها .

ولهذا فان علينا ان ناخذ هذا التداخل بعين الاعتبار ، في كل خططنا الاستراتيجية والتكتيكية . لاننا ان لم نفعل ذلك اهملنا الظروف الموضوعية التي تدور القضية في فلكها ، وبهذا نكون قد اهملنا أهم شروط الانتصار .

والواقع اننا في السنوات الماضية لم نولِ هذه القضية حتى ابسط اشكال الاهتمام . ولهذا فنحن نعيش المأزق الاستراتيجي الذي نعيشه الآن .

خلفيات الوضع العربي الراهن :

سنلخص خلفيات الوضع العربي الراهن بما يلي :

اولا: هنالك امة يبلغ افرادها مائة واربعين مليونا، وتمتد على مداخل آسيا وافريقيا ، وتحتل ما يقرب من نصف الشواطىء الممتده على طول البحر الابيض المتوسط ، وهي بهذا ذات موقع آستراتيجي هام . كما ان هذه الاراضي تحتوي على ثروات هائلة منها النفط الذي يشكل ركنا اساسيا في الصناعة الحديثة. وهي فوق ذلك ، سوق كبيرة للتجارة الرأسمالية . ولكن هذه الامة ، ذات الماضي العريق ، والتاريخ العظيم ، مجزاة مفككة متخلفة ، وما زالت الامبريالية العالمية تعمل جاهدة لابقائها كذلك . وتلعب دولة الاحتلال الصهيوني دورا هاما لتكريس هذا الواقع .

ثانيا : عندما ظهرت فكرة انشاء دولة صهيونية في فلسطين، كان الحافز وراءها هو خلق دولة تلعب دور الأداة للاستعمار الغربي من اجل منع تحقق الوحدة العربية والمحافظة بالتالي على التخلف ، وعلى المصالح الامبريالية في المنطقة .

ثالثا : ولهذا فان النضال العربي كان منذ بداية هذا القرن يربط بين النضال في سبيل الوحدة وضد التخلف وبين النضال

ضد الحركة الصهيونية . ولكن النضال العربي الذي اخفق قبل سنة ١٩٤٧ في تحقيق اية خطوه على طريق الوحده ، وفي ارساء اساس للتقدم . اخفق في مواجهة الحركة الصهيونيه التي تدعمها الاستعمار .

ونتيجة هذا الاخفاق قامت دوله الاحتلال الصهيوني .

رابعا : وظل النضال العربي . بعد قيام دوله الاحتلال الصهيوني مفككا ومجزأ . وعاجزا عن تحقيق مهماته الوطنية الديمقراطيه . وعن تعبئة الجماهير لمقاومة السيطره الصهيونيه – الامبرياليه . ولذلك كانت هزيمه ١٩٥٦ وهزيمة ١٩٦٧ .

خامسا : وحين انطلقت الثوره الفلسطينية سنه ١٩٦٥ كان هنالك عاملان هامان ، من جملة العوامل التي تتحكم بالمنطقه . وهذان العاملان هما :

١ – تراجع حركة الجماهير العربيه وانحسار المد الجماهيري في البلاد العربية وتقلص الدور الذي تلعبه الجماهير .

٢ – عجز الحركات القومية القائده (الناصريه ، البعث خاصه) عن تحقيق الوحدة القوميه او ، على الاقل ، خطوات هامة واساسية على طريق الوحدة القومية . كما عجزت هذه الحركات عن تهيئة اي قطر عربي لمجابهة الهجمات الامبريالية – الصهيونية. ولقد انفصمت اول وحدة نتيجة لهذا العجز .

ولهذا كانت الثوره الفلسطينية تنمو في جو انحسار عربي . وظل هذا الانحسار يزداد يوما بعد يوم .

سادسا : كان من نتيجة الصراع بين الامبريالية العالمية والحركة الوطنية العربية ، ان وجدت الحركة الوطنية العربية في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية حليفا لها .

وقد ظلت العلاقات تنمو وتتطور ، حتى اتجه الاقتصاد في بعض البلدان العربية نحو الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية، بعد ان كان مرتبطا كل الارتباط بالغرب . كما ان جيوشا عربية نشأت في ظل هذا التعاون : مصر ، سوريا والى حد : العراق

والجزائر وليبيا .

وبهذا اصبح هذا التعاون جزءا من حقائق الصراع ، واصبح الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية طرفا في صراعنا مع الصهيونية والامبريالية ، وان كان هذا لا يلغي ما يمكن ان ينشأ من خلافات ضمن اطار التعاون هذا .

•

ملامح الوضع العربي الراهن :

صحيح ان الوضع العربي الراهن معقد ، ولكن سماته وملامحه واضحة وهي تتلخص فيما يلي :

اولا : هنالك حركة وطنية ، حققت انتصارات خلال العقود الثلاثة الماضية . واهم هذه الانتصارات : ١ـ استقلال سوريا ، لبنان ، السودان ، بلدان المغرب العربي ، واليمن الديمقراطي وبلدان الخليج ، ٢ـ ضرب الاقطاع ومواقع الاستعمار السياسية والاقتصادية في سوريا ، العراق ، اليمن الديمقراطية ، مصر ، ليبيا ، الجزائر ، ٣ـ احراز تطور اقتصادي جزئي ـ انشاء صناعات وطنية الخ ، ٤ـ انشاء جيوش كبيرة نسبيا ، في سوريا والعراق ومصر والجزائر .

ولكن الحركة الوطنية العربية ما زالت تعاني مما يلي :

أ ـ تجزئتها وتفككها : فهي مجزاة مفككة ، داخل القطر الواحد ، وما بين قطر وآخر . الحزب الواحد اصبح احزابا (حزب البعث) . والحركة الواحدة اصبحت حركات (الناصرية) .

ب ـ عجزها عن استقطاب الجماهير وتنظيمها وقيادتها .

ج ـ عجزها عن تحديد خط استراتيجي سليم ، يحدد سلم الاولويات ، ويحدد مهمات النضال واساليبه في كل مرحلة .

ولهذا كله فان الحركة الوطنية العربية ما زالت عاجزة عن تحقيق مهماتها الاساسية في هذه المرحلة وهي :

ا ــ تحرير الاراضي المحتلة ، وعلى راسها فلسطين .
ب ــ تحقيق الوحدة العربية .
جـ ــ انهاء التخلف الاقتصادي والاجتماعي ، ووضع اساس سليم للتقدم والنمو .

والحركة الوطنية العربية فوق هذا ، اخذت منذ اوائل الستينات ، تفقد طابعها كحركة شعبية ، واخذت تتلاشى في الانظمة او تنعزل وتتمزق .

ومن هنا عاشت الثورة الفلسطينية منذ سنة ١٩٦٥ وحدها، الا من عواطف الجماهير العربية وحماستها العفوية. وهو ما يشكل اليوم عاملا اساسيا في المازق الاستراتيجي الذي نعيشه .

ثانيا : هنالك الدول العربية . وهي دول مختلفة الانماط . ولكنها تصنف عادة على اساس انها دول تقدمية ورجعية . ولهذا التصنيف اسبابه . ذلك ان الدول المصنفة تقدمية صنفت كذلك نتيجة ما يلي :

١ ــ اسقطت نظام الحكم التقليدي ــ استعماري او وطني . فالجزائر انهت الاستعمار الفرنسي ومصر اسقطت حكومة فاروق، والعراق اسقط العائلة الهاشمية ، وسوريا انهت حكم البرجوازية التجارية ، واليمن الديمقراطية انهت حكم السلاطين والاستعمار.

٢ ــ قامت الحكومات في هذه البلدان باصلاحات اقتصادية كبيرة : انهاء الاقطاع ، مصادرة راس المال الاجنبي ، تأميم راس المال الوطني الكبير ، انشاء القطاع العام .

٣ ــ اتجهت هذه الحكومات في تحالفاتها نحو الدول الاشتراكية .

٤ ــ اقامت هذه الحكومات سلطة البرجوازية الصغيرة على حساب الاقطاع والبرجوازية التجارية ، عن طريق حزب واحد احيانا ، وعن طريق تكتل عسكري مدني في احيان اخرى .

اما الانظمة المصنفة رجعية فهي :

١ ــ حافظت على اشكال الحكم التقليدية ، الملكية او النظام

البرلماني التقليدي .
٢ ــ ابقت على السيطرة الاقطاعية والراسمالية المحلية والاجنبية .
٣ ــ زادت من ارتباطها بالغرب .

وطبيعيا ان تختلف مواقف هذه الحكومات من الامبرياليه ، وبالتالي من الصهيونية . لان حكومات الفئة الاولى خرجت من دائرة الاستعمار التقليدي ، وخطت خطوات نحو الخروج من دائرة السيطرة الامبريالية[1]. اما الحكومات الاخرى فهي تحت السيطرة الامبريالية الكاملة .

ثالثا : ولكن هذا التصنيف لا يعني ان حكومات الفئة الاولى ستكون مع تحرير فلسطين حتى الموت ، وان حكومات الفئة الثانية ستكون ضد تحرير فلسطين حتى الموت . ان هنالك مجموعة من العوامل التي تتحكم بمواقف هذه الدول جميعا . ومن هذه العوامل :

أ ــ مدى قرب هذه الدول او بعدها عن خط النار ، لان الدول القريبة من خط النار لا بد لها من ان تحسب الحساب لدى تأييدها الثورة الفلسطينية او مشاركتها فيها .

ب ــ مدى تأثير الثورة الفلسطينية ، وبالتالي الصدام مع دولة الاحتلال الصهيوني على الانظمة المعنية .

جـ ــ مدى التزام الانظمة المعنية بقضية التحرير .

د ــ مدى السيطرة الامبريالية على الانظمة المعنية ، او مدى تأثير الاتحاد السوفياتي عليها .

هـ ــ مدى قدرة الانظمة المعنية على القتال ومدى استعدادها لتحمل أوزار القتال .

---

١ ــ قامت الولايات المتحدة الاميركية بعد ذلك بمساع لاستعادة سيطرتها .

و ــ مدى قدرة الجماهير في اي بلد على النحرك . ومدى تحسسها بالقضية .

رابعا : ونتيجة لهذا كله نستطيع الآن ان تؤكد ما يلي :

ا ــ ان الجماهير العربية مع الثورة الفلسطينية ، ومع التحرير . ولكنها جماهير غير معباة وغير منظمة ، وغير معدة للقتال ، وما زالت تعاني من عوامل الاستلاب المختلفة .

ب ــ ان الحركة الوطنية العربية بمختلف اتجاهاتها . هي مع التحرير . ولكنها حركة مجزاة . مفككة . عاجزة بنسب مختلفة عن تعبئة الجماهير وقيادتها . وعاجزة كليا او جزئيا من خوض الصراع مع القوى الامبرياليه والصهيونية .

جـ ــ ان الانظمة المصنفة على انها تقدمية يختلف تناولها لقضية التحرير نظريا . ولكنها عاجزة عمليا . واذا كان بعضها يصر على ضرورة القتال . مثل الجزائر وليبيا ، فان بعضها الآخر يتجه نحو الحل السلمي مثل مصر . وتعمل بعض هذه الدول ما استطاعت لتضع الثورة الفلسطينيه ضمن استراتيجيتها الرسمية . ولاستخدامها في الضغط من اجل تحقيق حل من الحلول السلمية. كما ان هذه الانظمة تتعرض لمؤامرات تصفية من الداخل . اي ان الامبريالية ودولة الاحتلال الصهيوني تسعيان ما وسعهما لضرب هذه الانظمة من الداخل بدفع عملاء ومرتزقة للسيطرة عليها . ولهذا فان اجنحة اكثر تخاذلا واكثر ميلا نحو الغرب تنمو في داخلها . ويصدق هذا على الجزائر ، كما يصدق على مصر وسوريا . ويتأثر موقف هذه الانظمة من الثوره ومن التحرير بالعوامل التالية :

١ ــ امكانيه نشوب القتال وشعورها بالعجز عنه .

٢ ــ امكانية تحقق حل سلمي .

٣ ــ امكانية تاثير الثورة على الاوضاع الداخليه .

٤ ــ امكانية التاثير الدولي .

وفيما يتعلق بالبند الاول . فان كل الدول العربية الواقعة على

خط المواجهة تخشى نشوب القتال ، وان كانت مصر هي الدولة الاكثر قدرة على التحدي والاكثر حديثا عن احتمال نشوب القتال. ويعود هذا الى الاسباب التالية :

١ــ مصر تملك جيشا كبيرا يزيد على نصف المليون جندي، مجهزا باحدث الاسلحة .

٢ ــ مصر فقدت سيناء ولا يحتمل الوضع الداخلي تجاهل هذه الحقيقة .

٣ ــ احتمال ان تهزم مصر مرة اخرى وارد . ولكن احتمال ان تحتل القاهرة اقل ورودا .

اما سوريا فوضعها مختلف :

١ ــ ان جيش سوريا لا يزيد عن ربع مليون جندي . وهو بوضعه الحالي لا يستطيع التصدي لجيش دولة الاحتلال تصديا فعالا .

٢ ــ ان نشوب حرب جديدة يهدد دمشق ، كما يهدد جنوب سوريا كله .

٣ ــ احتمالات الهزيمة اكبر منها في مصر واحتمالات الاحتلال الاسرائيلي لمناطق من سوريا اكثر منها في احتلال مناطق من مصر.

د ــ ان الانظمة العربية المصنفة رجعية ليست ضد التحرير نظريا ، ولكنها عمليا مقيدة بما يلي :

١ ــ امكانية ان تهدد الحرب الطويلة امن هذه الدول واستقرارها ومصالح طبقاتها الحاكمة .

٢ ــ امكانية ان تهدد الحرب الطويلة مصالح الامبريالية ، صاحبة الحل والعقد في هذه الدول .

٣ ــ امكانية ان تؤدي الحرب الطويلة الى تغيير خارطة المنطقة لمصلحة حركة التقدم في المجتمع .

ولهذا فان هذه الانظمة مستعدة ان تؤيد حركة فدائية ، ماديا واعلاميا ، شريطة الا تتحول هذه الحركة الفدائية الى حركة

شعبية سياسية ذات وزن في تقرير سياسة المنطقة، وفي محاربة المصالح الامبريالية .

هـ ــ ان الخطوات التي تقودها مصر (انشاء جيش قوي ، اتباع سياسة انفراج وتعاون مع الدول العربية ، توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفياتي الخ) هي خطوات تتجه نحو حل سلمي اساسا . اي انها تستهدف اساسا فرض حل ديبلوماسي على دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ولكن هذه الخطوات بحاجة الى وجود حركة المقاومة اولا ، والى وجودها ضمن استراتيجيتها ثانيا .

الا ان هذه الخطوات لن تقود الى السلام ، لان السلام الذي تطلبه الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني ، هو الاستسلام الكامل الذي لا يستطيع هذا النظام ان يقبله او يفرضه على جماهيره .

ولهذا فان ما سيحدث هو احد احتمالين :

الاول : ان تستمر هذه الخطوات ، وان تتصاعد ، وهذا سيقود الى القتال ، المحدود او غير المحدود .

الثاني : ان تنجح محاولات الامبريالية والصهيونية في اقامة نظام اكثر موالاة وارتباطا لتحول دون الحرب مؤقتا ، ولتكيف الاوضاع العربية مع امكانية استسلام دائم .

و ــ ان هنالك عددا من الاحتمالات التي تؤثر في الوضع العربي ايجابيا ، وهي :

١ ــ انطلاق حركة المقاومة من جديد انطلاقة ثورية ، تتجاوز العقبات القائمة ، وتثبت القدرة على حل المأزق الاستراتيجي .

٢ ــ تطور حركة الجماهير العربية واندفاع الجماهير من جديد في موجة جديدة كما حدث في الخمسينات . وهنالك بوادر برزت في حركة الطلبة المصريين مثلا .

٣ ــ قيام جبهات وطنية في كل قطر ، وقيام جبهة وطنية

عربية تضم كل القوى الوطنية العربية على اساس برنامج سياسي محدد يضع قضية فلسطين في مكانها الطبيعي .

٤ ـ قيام نوع من الوحدة بين سوريا والعراق ومصر .

٥ ـ انحسام الصراع الداخلي في مصر وسوريا والعراق والجزائر لمصلحة الحركة الوطنية ، ضد محاولات الامبريالية والقوى المضادة للثورة .

٦ ـ انعكاس الانتصارات العالمية (فيالتنام والهند الصينية) على الوضع العربي ، الرسمي والشعبي .

I

١ ـ الاردن وحركة المقاومة

بدات السلطة في الاردن، أواخر شهر آذار، المرحلة الجديدة من عملياتها لتصفية حركة المقاومة. ولقد اختارت السلطة هدفين عسكريين وهدفا سياسيا . اما الهدف العسكري الاول فقد كان السيطرة على مدينة اربد ، عاصمة الشمال ، وعنق الزجاجة في عملية الاتصال بين قواعد المقاومة في الداخل وقواعدها في الخارج . وكان وضع اربد ، بعد سقوط جرش والسماح لقوات الجيش بالتمركز في اربد ، قد اصبح صعبا وحرجا . اما الهدف الثاني فكان السيطرة على عمان سيطرة كاملة بتجريدها من السلاح . وكان وضع عمان صعبا وحرجا ، لسقوط طرق المواصلات بيد الجيش ، بعد سقوط جرش والرصيفية ، ونتيجة وجود مراكز متعددة للجيش داخل المدينة . وكانت السلطة تعلم ان السيطرة على اربد وعمان يعني السيطرة الكاملة على المدن وطرق المواصلات . اما الهدف الثالث فكان انهاء مهمة اللجنة العربية وبعثة الرقابة العربية التي جاءت الى الاردن بموجب اتفاق القاهرة ، والتي حاولت ان تكون حكما رياضيا في جو صراع محموم ، فلم تستطع ان تلعب اي دور يستحق الذكر ، غير الدعوة للصبر والتريث ، وغير جمع الطرفين بعد كل صدام لمحاولة منع صدامات مقبلة . مع ان السلطة كانت تكسب في كل

صدام موقعا . وعلى الرغم من فعالية البعثة واخلاص معظم ضباطها واتضاح آفاق المؤامرة امام اعينها ، فانها لم تستطع ان تحول دون ان تكون واجهة لعبت السلطة من ورائها دورا تآمريا خبيثا . وكانت المرحلة الجديدة في المخطط التآمري تقتضي ان تنتهي اللجنة والبعثة ، لان لحظة التصفية النهائية قد حانت . وكان ضرب اربد وعمان سينهي مهمة هذه اللجنة ، وسينهي بالتالي اية شهادة عربية واية رقابة عربية على ما يجري في الاردن .

ولقد استطاع الجيش ان يحتل اربد بعد معركة دامية مع الميليشيا ، ولكن سقوط اربد دفع السلطة الى توسيع نطاق الهجوم ضد عمان وضد قواعد المقاومة في الاغوار وجرش وعجلون .

ولما عجزت اللجنة العربية عن عمل شيء لان السلطة منعتها من التحرك الى اربد، اعلن رئيس اللجنة العسكرية العميد احمد حلمي احتجاجه وكشف اساليب السلطة الاردنية . فبادرت القاهرة بعد ذلك الى سحب جميع ضباطها من البعثة (١).وفي هذا اليوم دعا الملك حسين الى مؤتمر قمة عربي ، في محاولة لكسب الوقت ، ولتركيز اهتمام الدول العربية والجماهير العربية على المؤتمر ، بدلا من ان يركز على مؤامرة التصفية .

ولكن الرئيس السادات لم يوافق على الدعوة الى مؤتمر قمة، فدعا في اليوم التالي الى اجتماع لممثلي الملوك والرؤساء العرب الذين وقعوا على اتفاق القاهرة (٢) .

وبدأت في هذا الوقت عملية احتجاج واستنكار واسعة ، اشترك فيها بعض الرؤساء العرب ، وساهمت فيها الاحزاب

---

١ ــ جريدة فتح ، يوم ٣٠-٣-١٩٧١ ، العدد ١٨٧ .

٢ ــ جريدة فتح ، يوم ١-٤-١٩٧١ ، العدد ١٨٨ .

والمنظمات الشعبية والجماهير ، ضد مؤامرة التصفية والاستسلام في الاردن .

ولكن النظام استمر في مؤامرته ، فاستمر تطويق عمان وقصفها ، كما استمرت محاصرة القواعد وعمليات المناوشة والابستفزاز ضدها . وحاولت السلطة في الاردن ان تعطل اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء حتى تنهي موضوع السيطرة على عمان ، وكانت السلطة تفضل ان تجرد حركة المقاومة عمان من السلاح لانها بذلك تتجنب مجزرة جديدة ، وتتجنب بالتالي ، عدا الخسائر الكبيرة في الجيش وآلياته ، نقمة الجماهير وسخط الراي العام العربي والعالمي .

وبينما كان مقررا ان يجتمع ممثلو الملوك والرؤساء يوم ٤-٤ فان مؤتمرهم لم يبدأ . وفي هذا الوقت قام الملك حسين بعقد اجتماع في قصره للوزراء والاعيان والنواب حاول فيه ان يحتال على الجماهير بقوله : لا سلام دون القدس . ولكن موضوعه الاساسي كان موضوع الصدام مع حركة المقاومة . وهنا قال الملك بلهجة المتشدد : «اننا لا يمكن ان نساوم على أمن هذا البلد واستقلاله وأمن المواطنين وحياتهم » ، واضاف الملك : «واذا كان هنالك أمل في تسوية الازمة دون اللجوء الى الشدة فلن نتخلى عنه » (١)٠ .

وكانت الاشتباكات في هذا الوقت ما زالت مستمرة ، بينما كانت الحملات الاعلامية العربية مستمرة على النظام في الاردن ، وكان بعض الرؤساء العرب وبعض المنظمات الشعبية يطالبون بوقف المجزرة (٢) .

واتهم الباهي الادغم ، مع استمرار المؤامرة، الحكومة الاردنية

---

١ - النهار ، ٤-٤-١٩٧١ .

٢ - فتح ، العدد ١٩٠ ، ١٩١ .

بانها «كانت دائما تعمل على عرقلة اعمال اللجنة ، وعلى اشعاره بعدم رغبنها ني استمرار وجودها في الاردن» . واضاف الباهي الادغم «انه من المستحيل في ظل الظروف الحالية ايجاد تفاهم بين الفدائيين والحكومة الاردنية ، ما دامت هذه الاخيرة تصر على عرقلة اي جهد مخلص يبذل لهذه الغاية» .

وكان رياض المفلح ، ممثل السلطة الاردنية في اللجنة العربيه قد احتج على تقديم الباهي الادغم تقريره لمؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء على اساس ان التقرير يجب ان تقدمه اللجنة ، وليس الباهي الادغم ، مع العلم بان ممثل السلطة صرح يوم ٣١-٣ بأن مهمة اللجنة قد انتهت (١) .

وقامت السلطة في هذا الوقت ، وخلال استمرار هجماتها وتهديداتها ، بما يلي :

اولا : رفضت الاشتراك في اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء، بحجة ان الدعوة وصلتها متأخرة .

ثانيا : قامت بهجوم على الدول العربية عموما واعتبرتها مشتركة في مخطط تآمري لتدمير الاردن ، كما اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بشن «حملة مغرضة على الاردن» (٢) .

وتوجه اللواء طلاس رئيس الاركان السوري يوم ٨-٤ الى عمان للتوسط . وقد جرى الاتفاق في عمان على تشكيل لجنة سداسية ، تتألف من اثنين من ج.ع.س ، واثنين من السلطة الاردنية واثنين من المقاومة ، على ان تحدد هذه اللجنة العلاقات بين السلطة والمقاومة ، وتشرف على تنفيذ الاتفاقيات .

تمت هذه الاتفاقية ، ومؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء لم ينعقد بعد . فحاول النظام في الاردن ان يستفيد منها ليحبط مؤتمر

---

١ - فتح ، العدد ١٩٢ .

٢ - فتح ، العدد ١٩٤ ، ٨-٤-١٩٧١ .

القاهرة ، ولينهي اتفاقية القاهرة ، وليحقق اهدافه في السيطرة على عمان قبل ان يستطيع ممثلو الملوك والرؤساء عمل شيء .

ولقد رفض رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هذه الاتفاقية وطلب ان تقدم لمؤتمر القاهرة ، لتدرس فيه ، فيقرها او يرفضها .

تم عقد مؤتمر القاهرة يوم ١٠–٤ . وبعد ان كانت الاصوات تردد بان المؤتمر سيدين الذين خرجوا عن اتفاقية القاهرة ، اخذت بعض الاصوات تقول بان المؤتمر لا يستهدف احدا . وحين انتهى المؤتمر اكتفى بمناشدة الطرفين وقف نزيف الدم .

واستطاعت السلطة باحباط مؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء واحباط مهمة اللواء طلاس ، وبجو الترويع والتهويل الذي خلقته في عمان ، ان تحصل على تجريد عمان من السلاح بلا معركة . وحين خرجت ارتال الميليشيا والاعداد القليلة من الفدائيين دخل الجيش محتلا ومروّعا ، وتنفست السلطة الصعداء ، ولم يستطع رؤوس النظام الا ان يعبروا عن فرحتهم . فالسلطة تعرف اهمية عمان واهمية السيطرة على عمان . وهي تعرف ان الذي يسيطر على عمان يستطيع السيطرة على الاردن . ثم ان عمان هي مركز الدولة ومركز النشاط الاقتصادي والتجاري ، والذي يشلها يشل الدولة كلها . وها هي عمان نفسها ، القادرة على ايقاع افدح الخسائر في النظام تفتح له ابوابها سلما . فلماذا لا يصرح وصفي التل قائلا : «لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن ، وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها » (١) .

وبينما كان وصفي التل يؤكد بانه «ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات

---

١ – الحياة ، ١٤–٤–١٩٧١ .

لنصرته والتجاهه الاتجاه الصحيح ...»

كان الملك حسين يعلن ان السلطة قد اخضعت الفدائيين ، وانها تسيطر عليهم سيطرة تامة (١) .

ومع هذا كله فان «الارضية الممتازه للتعاون» التي تحدث عنها التل لم تتحقق بتجريد عمان من السلاح ، واستمرت استفزازات السلطة واعتداءاتها ، واستمرت الاشتباكات . ولم يلبث الحسين ان صرح «ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقات المنبثقة عنها كانت عباره عن مراحل ونقاط على الطريق» (٢) .

وما ان جرّدت عمان من السلاح ، وجرى اول اجتماع بين ممثلي م.ت.وممثلي السلطة حتى بادرت السلطة الى المطالبة باخلاء جرش وعجلون لانهما من المناطق السياحية . ثم قامت السلطة بتوزيع مذكرة على الدول العربية تتهم فيها حركة المقاومة بوضع خطة للتخريب والنسف والتدمير في الاردن. ومن الواضح ان هذه المذكرة كانت تستهدف بدء مرحلة جديدة من الهجمات على باقي مراكز المقاومة . ولقد بدات هذه الهجمات بالفعل وما زالت الاشتباكات مستمرة .

ان النظام في الاردن ما زال مستمرا في هجومه وهو يستهدف القضاء التامل والنهائي على حركة المقاومة ، لا لانه يريد ان يصفي القضية الفلسطينية باستسلام فحسب ، بل لانه حكم رجعي عميل، معادٍ للجماهير ومطامحها وحريتها وهو لا يستطيعان يقبل بوجود جماهير مسلحة . وهذا النظام نتيجة عمالته وعجزه وارتباطه بالدوائر الامبريالية لا يقبل بوجود مقاومة مسلحة تعمل من اجل التحرير ، لانه يعلم ان وجود مثل هذه القوة كافٍ لاسقاطه ماديا ومعنويا .

---

١ ـ الاهرام ، ١٨ـ٤ ، والديلي ستار ، ٢٨ـ٤ ، نقلا عن دي ويلت الالمانية.
٢ ـ الجريدة ٣٠ـ٤ .

وعلى المقاومة ان تعلم ان اسطورة التعايش ، حتى من اجل فلسطين ، غير ممكنة ، وان تتعلم كيف نقاتل على جبهتين ، جبهة العدو الصهيوني ، وجبهة القوى المضادة للثورة .

٢ ــ زيارة روجرز الى عمان

تاتي اهمية زيارة روجرز مما يلي :

اولا : لقد جاءت هذه الزيارة ، بعد ان ضربت قوات المقاومة في مدن الاردن ، او انسحبت منها ، وبعد ان امتنت السلطة سيطره نسبية في طول الاردن وعرضه . ولولا هذه السيطرة (اخراج السلاح من المدن ، فرض الهدوء بقوه السلاح ، الخ) ، لما استطاع روجرز ان يجيء الى عمان ، ولكان فشله اشنع من فشل مساعده سيسكو قبل سنة خلت .

ثانيا : جاءت هذه الزيارة، بعد محاولة اوساط عربية معينة، ان توهمنا بان تحييد الولايات المتحده ممكن ، وانه حدث سنة ١٩٥٦ ، ويمكن ان يحدث مرة اخرى .

ثالثا : جاءت هذه الزيارة وهنالك استعداد للبحث في التسويات والتصفيات .

ولكن روجرز عندما جاء لم يكن يحمل في جعبته ابة مشاريع تتعلق بحل شامل للمشاكل في المنطقة . وعلى الرغم من تاكيده «ان الموقف غير المستقر في الشرق الاوسط قد يؤثر تاثيرا مباشرا على أمن المنطقة وسلامتها» ، فانه كان يعلم بأن زيارته لمصر واسرائيل لن تسفر «عن اية نتائج مثيرة» حسب تصريحه (١) .

ان الولايات المتحدة لا تطرح في هذه المرحلة حلولا شاملة ولا

---

١ ــ الاهرام ، ١ــ٥ــ١٩٧١ ، العدد ٣٠٨٢٢ ، السنة ٩٧ .

تضغط من اجل تنفيذ قرارات مجلس الامن . وما تريده الولايات المتحدة من الدول العربية هو ان تسير هذه الدول على طريق الخضوع . ولقد كان مخططها منذ البدء الا تفصل موضوع النزاع العربي مع دولة الاحتلال الصهيوني عن موضوع السيطرة الامريكية على الوطن العربي . فالولايات المتحدة تريد سلاما في المنطقة ، ولكن السلام الذي تريد هو السلام الذي يضمن لها مواقعها ومصالحها . وما يهدد الولايات المتحدة ، وبالتالي دولة الاحتلال الصهيوني في المنطقة ، هو انتسار القتال وتوسع رقعته، لان القتال يحرك الجماهير ويكشف العملاء والخونة ، ويضع الجماهير العربية امام اعدائها الحقيقيين . ولهذا فقد أصرت الولايات المتحدة منذ البدء على عدم الضغط على دولة الاحتلال . ثم شرطت الضغط فيما بعد بامرين : اولهما ايقاف القتال وكل الاعمال العدائية وثانيهما : الاستعداد لقبول حل استسلامي . ولقد بدأ روجرز عمله باقتراح وقف القتال ، كل اشكال القتال ، في العام الماضي . وكان ان ~ قف القتال النظامي على قناة السويس ، والتزمت الحكومة الاردنية التي كان جيشها حول عمان والمدن ، بموقف مماثل على طول نهر الاردن . ولكن المقاومة تحدت القرار ، فكان قرار ان تسحق المقاومة . وضربت المقاومة ضربة ايلول وما تلاها ... الجزء الاساسي من مشروع روجرز هو اذن في سبيله الى التحقق التام . ماذا بقي اذن ؟ ان تسعى المقاومة في الاردن ولبنان وكل مكان . وحتى يتم ذلك ويتم تحول المنطقة الى منطقة تابعة خاضعة ، تظل الولايات المتحدة تركز لا على قرار مجلس الامن وانسحاب قوات الاحتلال من الاراضي المحتلة بل على تحويل المنطقة لمصلحة الدولار . ومن هنا جاءت فكرة فتح قناة السويس . ان فتح القناة هو ليس الانسحاب ولا الحل ، ولكنه خطوة صغيرة يُفتح بموجبها هذا الشريان الحيوي للملاحة الدولية ، ويصبح حاجزا بين القوتين المتحاربتين . وهكذا تبقى دولة الاحتلال حيث هي ، ويعزل جيش مصر عن الجيش

المحل بقناه السويس ، الممر المائي المسالم ، المفتوح لكل أعــلام العالم حتى علم اسرائيل ، وبسبعماية مليون دولار دخلا سنويا يجمعه القناة بعد توسيعها (١) . ثم تواصل الولايات المتحـــده لعبها ، فسقط من سقط ويرفع من ترفع ، وتبقى الامور كذلك حتى نجد الحل المناسب لمصالحها ومصالح الاحتلال الصهيوني .

وكان النظام في الاردن يعرف ماذا يريد روجرز ، ولذلك حرص على ان يدخله عمان اولا ، وعلى ان يجعله يلمس ان عمان آمنة مطمئنه ، ثم على ان يدخله حتى الى مخيم الوحدات . لماذا فعل النظام في الاردن هذا كله ؟ لانه اراد ان يثبت لوزيـــــر الخارجية الامريكي ان النظام هو السيد الاوحد في البلاد ، وانه حقق ما طلب منه ، وانه قادر على التفاوض ، وهـــو المفاوض الوحيد .

اما القاهرة فقد حرصت ان تقابل روجرز بقلب مفتوح ، كما يقول الرئيس السادات ، لانها كانت تريد ان تعرف ماذا يريـــد روجرز ، وروجرز لم يكن يعوزه الذكاء ولذلك فقد عرض «عدة حلول بديلة تدور كلها حول التسويه المؤقتة وصلتها بالحل الشامل للأزمه ...» (٢) .

انـــــه اذن يتحدث عــــن حل جزئي وحلول بديلـــــة . وامام هذا كله كان لا بد من ان تصر القاهره على اعتبار فتح قناه السويس والانسحاب الجزئي المقترح ليس «حلا منفصلا ، ولا هو حل جزئي ، انما هو تحريك اجرائي يرتبط ارتباطا عضويا بالحل الكامل على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده ، وأولها الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلت بعد الخامس

---

١ ــ النهار ، ١٢ــ٥ــ١٩٧١ .

٢ ــ الاهرام ٦ــ٥ــ١٩٧١ ، العدد ٣٠٨٢٧ ، السنه ٩٧ .

من حزيران» (١) . كما ان القاهره أصرت على رفض «اي حل انفصالي مؤقت» (٢) .

ولعل هآرتس اصابت كبد الحقيقه عندما قالت بان الامريكيين لم يكونوا يريدون فتح القناة «ولكن ما دام نيكسون لا يعطي الضوء الاخضر لممارسه وسائل الضغط على اسرائيل ، فان الادارة الامريكية تتمسك بفكره التسوية الجزئيه ...» (٣)

والولايات المتحدة لن تضغط الا اذا حدث التطور المطلوب في السياسة العربية عموما وسياسة مصر خصوصا . وعليه فان «العودة الى معجزه ٥٧ دون تغيير اساسي ...» غير ممكنة . وهذا التطور المطلوب يتعلق بوضع المصالح الامريكية في المنطقه، والمصالح الامريكيه : «معروفة وهي العوده الى تجديد النفوذ الامريكي في العالم العربي ، وخصوصا مصر» (٤) .

وستبقى السياسة الامريكية فى انتظار مثل هذه التحولات تنتظر وتناور وتطرح المشاريع والمشاريع البديلة مؤكده انها سيدة الموقف بلا منازع ، فاذا ما حصلت التحولات المطلوبة لم تكن الولايات المتحده بحاجة الى ان تضغط لان التسوية ستتم ، وستكون استسلاما كاملا .

٥ — ٦ — ١٩٧١

---

١ — الاهرام ، ١-٥-١٩٧١ ، خطاب السادات ، العدد ٣٠٨٢٢ ، سنة ٩٧ .

٢ — الاهرام ٧-٥-١٩٧١ ، العدد ٣٠٨٢٨ ، السنه ٩٧ .

٣ — هآرتس ٥-٥-١٩٧١ ، نشرة مؤسسه الدراسات الفلسطينية ، العدد، ١٦-٥ ، ص ٥٣ .

٤ — دافار ٥-٥-١٩٧١ ، المرجع السابق .

II

١ ـ المقاومة والواقع العربي

اذا كانت مشكلة الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية مع الانظمة العربية عموما والنظام الاردني خصوصا قديمة ومعقدة ، فانها اليوم تتجدد بكل تعقيداتها . ذلك ان الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية ـ وهما جزء لا يتجزأ من الامة العربية وقضية حريتها واستقلالها ووحدتها يقعان ضمن «مناطق نفوذ السياسة العربية ومناطق أمنها ومطامحها» . ولا يستطيع اي نظام عربي ، منذ كانت هذه الانظمة ، ان يتجاهل القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، لهذه الاسباب . ولهذا فقد كان الشعب الفلسطيني ، وكانت القضية الفلسطينية يجدان انهما اسيرا شبكات العنكبوت العربية ، وبالتالي شبكات العنكبوت الاجنبية التي تدور الدوائر العربية في فلكها .

وكانت الدول العربية منذ ما بعد الحرب العالمية الاولى، تعمل على ربط الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية بها عن طريق ما يلي :

اولا : خلق محاور سياسية في الحركة الوطنية الفلسطينية تابعة لهذه الدولة او تلك ، وكانت هذه المحاور تتنافس وتتعادى، وتمزق الحركة الوطنية لمصلحة الرؤساء والملوك والامراء .

ثانيا : عن طريق العون المادي والمساندة السياسية ، وكان الشعب الفلسطيني يحس دائما انه بحاجة الى هذا العون وهذه المساندة .

ثالثا : القدرة على التوسط مع الــدول المستعمِرة والدول الكبرى ، والضغط عليها لوقف الهجرة او السعي لديها لايــلاء قضية شعب فلسطين بعض الاهتمام .

ومع هذا كله ، فقد كانت الدول العربية ، ومنذ العشرينات حتى اليوم ، تلعب دوز الكابح لجماح الشعب الفلسطيني ، المهديء لثورته ، النازع زمام المبادرة من يديه ، والمستوعب له بطريقة او باخرى . وبالطبع كانت هذه السياسات تختلف من عهد الى عهد، حتى في القطر الواحد ، ولكن هذه كانت النتيجة دائما : الشعب الفلسطيني واقع ضمن اطار السياسة العربية المجزاة ، وعليه ان يدور في مخططاتها .

واذا كان هذا ينطبق على الانظمة العربية عموما ، مــع اختلافات وفروقات عديدة ومتنوعة ومتغيرة ، فان للنظام الاردني وضعه الخاص بالنسبة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية. ذلك ان فلسطين كانت منذ حكمت العائلة الهاشمية شرق الاردن مطمح انظار هذه العائلة الطامحة الى السلطة. وكان الامير عبد الله يعلم منذ ذلك الحين (سنة ١٩٢٢) ان تحقيق هذه الغاية لا يتم الا بموافقة بريطانيا والحركة الصهيونية . ولهذا كان منــع تهريب الاسلحة الى فلسطين من القضايا الاساسية التي بحثها المندوب السامي البريطاني في فلسطين مع الامير الجديد في شرق الاردن، بعد الموافقة على تعيينه اميرا . ومنذ ذلك الحين والحكم فــي الاردن يعمل ضمن مخطط يستهدف :

١ ــ تخريب الحركة الوطنية في فلسطين بخلق محور عميل فيها يلعب دورا تخريبيا . وكان محور عمان هذا ضــد الثورة دائما وضد كل اشكال العمل الوطني ، وقد لعب هذا المحور دورا تخريبيا في اضراب سنة ١٩٣٦ ، وفي الثورة ، كما ان هذا المحور هو الذي اخرج مسرحية ضم بقية فلسطين الــى امارة شرق الاردن .

٢ ــ اقامة علاقات ودية مع بريطانيا ومع الحركة الصهيونية .

وقد قادت هذه العلاقات والاتصالات الى النتائج المعروفة لحرب سنة ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، والتي كان هم النظام الاردني ان يخرج منها بحصته من فلسطين مهما كانت .

٣ – محاصرة الحركة الوطنية الفلسطينية باقفال طريق الامدادات عليها وبمنع الثوار من التحرك عبر الحدود ، وباصدار الاوامر بقتلهم واسرهم وتسليمهم للسلطات البريطانية.

وكان ان اصبحت قضية فلسطين اكثر تشابكا مع وجود النظام الاردني منذ سنة ١٩٥٠ ، اذ اصبحت الضفة الغربية جزءا من ممتلكات النظام الاردني . وبهذا اصبحت القضية الفلسطينية من خصوصيات النظام ، واصبح الشعب الفلسطيني من «رعاياه» .

وبما ان النظام حصل على البقية الباقية من فلسطين بالتفاهم مع الاوساط الامبريالية والصهيونية ، فقد كان يهمه ان ترضى هذه الاوساط ، وان تظل علاقاته حسنة بها . ولهذا فقد لجأ منذ البدء الى سياسة القمع ضد شعب فلسطين الذي رفض سياسة التشريد والاخضاع .

وحين انطلق العمل الفدائي سنة ١٩٦٥ كان النظام الاردني، مثل انظمة عربية اخرى ، (تستثنى من ذلك سوريا تخصيصا لانها دعمت العمل الفدائي آنذاك) يرى في العمل الفدائي خطرا حقيقيا. وقد اتخذت القيادة العربية الموحدة آنذاك قراراتها المشهورة الهادفة الى تطويق العمل الفدائي في المهد وخنقه . وتولى النظام الاردني ، منذ ذلك الحين سياسة المطاردة والقمع . ولكن هزيمة حرب حزيران اتاحت الفرصة لنمو العمل الفدائي ، ومع ان الانظمة عامة ، والنظام الاردني خاصة كانت ترى في العمل الفدائي وسيلة للضغط على دولة الاحتلال الصهيوني من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن ، الا ان هذه الانظمة ، والنظام الاردني خاصة ، كانت ترى في نموه واستقطابه للجماهير الفلسطينية والعربية خطرا على مخططاتها . ولهذا كانت محاولات التصفية

في الاردن ولبنان في السنوات ٦٨ ، و ٦٩ ، و ٧٠ ، و ٧١ .

وقد اتضح المخطط العربي اخيرا : انه يستهدف وجود « مقاومة » ترضى عنها الانظمة كلها ، عن مخططاتها وعناصرها ، وقياداتها وتشرف على عملها اشرافا دقيقا ، « مقاومة » لا تزيد عن ان تكون قوات «كوماندوز» محدودة تابعة للقيادات العسكرية، ولا علاقة لها بالجماهير : وليس لها برنامج سياسي غير برنامج الانظمة بكل استسلاميته وعجزه وقصوره .

٢ ـ الاردن يواصل عملية التصفية :

واصل النظام الاردني عملية تصفية الوجود السياسي والعسكري لحركة المقاومة في الاردن ، خلال شهري حزيران وتموز من خلال :

١ ـ حملات الاعتقالات والقمع والارهاب في المدن التي كانت سلسلة احكام الاعدام وتنفيذها جزء لا يتجزأ منها .

٢ ـ الحملة العسكرية على احراش جرش وعجلون التى بدات منذ اوائل حزيران وانتهت في منتصف تموز .

ولقد قامت السلطة بحملة الاعتقالات في المدن تمهيدا لضرب المواقع الاخيرة للمقاومة في الاردن ، وكانت تريد ان تكون جبهتها الخلفية آمنة ، وهي تقوم بهجومها الاخير على المواقع الاخيرة للمقاومة . وكان تنفيذ حكم الاعدام بغالب سعيد ابراهيم ، المتهم بنسف مصانع الفوسفات يوم ٧ ـ ٧ ـ ٧١ تطويرا لسياسة القمع ، ومحاولة لفرض الرعب والخوف على المواطنين .

وسبق هذه الخطوات توزيع مذكرة اردنية على الدول العربية تتهم فيها حركة المقاومة باعداد مخطط نسف وتدمير ، كما كانت السلطة قد طلبت من ممثلى اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ، في اول اجتماع تم بعد اخلاء عمان ، اخلاء بعض المواقع فى منطقة جرش .

ومع ان وصفي التل قد صرح بعد اخلاء عمان من قوات المقاومة بأن اسباب التشنج قد زالت ،وبانه « ليس هنالك من

حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح » (١) ، فان مثل هذه التصريحات الخداعة لم تستطع ان تخفي مخططات السلطة لضرب المواقع الاخيرة .

وكانت السلطة الاردنية في هذا الوقت تعمل في الاتجاهات التاليـة :

١ ـ تطويق منطقة جرش وعجلون وتطويق قوات المقاومة في الافـوار .

٢ ـ محاولة انتزاع تراجع جديد من قيادة المقاومة بالتخلي عن بعض المواقع الهامة التي تؤمن للجيش السيطرة على مناطـق جرش وعجلون دون قتال : مثل الجبل الاقرع والتينه وغيرهما . وقد جرت مساومة قيادة المقاومة على هذه المواقع ، ولكن قيادة المقاومة ماطلت في الموافقة .

٣ ـ التحرك عربيا لانهاء عزلة الاردن ، ولانتزاع موافقة سرية من بعض الدول العربية تجعل توجيه الضربة الاخـيرة سهــلا ، وتخفف ردود الفعل العربية . ولهذا قامت السلطـة الاردنيــة باتصالات واسعة .

ومنذ اوائل حزيران بدأ القصف لمناطق تمركز قوات المقاومة في احراش جرش وعجلون . وكان واضحا ان هذه العمليــات مقدمة لهجوم شامل . وكانت رسالة الملك الى رئيس وزرائه يوم ٢ـ٦ـ٧١ اشارة بدء لهذا الهجوم . ولم يتورع الملك في رسالته هذه عن القول : « فلئن وجد في صفوفنا اليوم من عملاء اعدائنا من تسول له نفسه قتل الاطفال بالغام الغدر او رصاص الخيانة ، او قامت فوق ارضنا حفنة من الناس ، تحتـــرف المؤامـــرة ، وتمتهن الخديعة وتتسلى بأعمال الاجرام في حق المزارع والفلاح

---

١ ـ الحياة ، ١٤ـ٤ـ١٩٧١ .

والعامل والتلميذ ، والتاجر والموظف ، او برزت في طريقنا فئـه تريد ان تبيع المواطن وتصفي القضية ، لتقيم حكومـة وتنسى فلسطين ، فاننا نحب ان تكون وقفتنا في وجههم حازمة حاسمة باسلة ، لا مكان للتردد ولا للتسامح والتسويات » .

وختم الملك رسالته بالتأكيد على ان المقاومة لا تمثـل شعب فلسطين فهو لا يريد : « ان يقول زورا كلمة ذلك الشعب اليـوم من اصبحت مهمته ارتكاب الآثام باسمه كل يوم » (١) .

واجاب وصفي التل برسالة مماثلة أكد فيها التزامه بسياسة سيده ، وانه سيعمل لتطهير الصفوف : « من اولئـك الذيـن يحترفون الاجرام تحت ستار الفداء ، لننقذ الفداء نفسه مما يراد به من شرور . وفي عملنا هذا سوف لا يكون هنـاك تـردد ولا تسامح ولا تسويات، مع كل من اختار صف اعدائنا ، وجند نفسه لهدم مسيرتنا ـ مسيرة العرب اجمعين » (٢) .

وبينما استمر الحصار العسكري والقصف اليومي كان الاردن الرسمي يناور على حركة المقاومة من جهة لاخلاء المواقع الهامة ، ويعمل لاقناع اجنحة فيها بضرب اجنحة أخرى . وبذلـك تتولى المقاومة تصفية نفسها . ولما كان النظام الاردني يعرف ان لعبـة « الايديولوجيات المستوردة » مقبولة لدى الكثير من الانظمـة العربية ، بادر الى ممارسة هذه اللعبة الخبيثة .

ومن هنا تجسمت هذه اللعبة في مطالبة فتح بالذات بتطهير المقاومة من العناصر « المدسوسة » و « الايديولوجية » . ومع ان هذا الطلب ليس جديدا ، فعليه الحاج عربي منذ سنـة ١٩٧٠ ، الا انه أصبح الآن بندا في الاتصالات السرية وعرضا مباشرا تناور السلطة الاردنية عليه (٣) .

---

١ ــ النهار والجريدة يوم ٣ـ٦ـ١٩٧١ .

٢ ــ النهار يوم ٣ـ٦ـ١٩٧١ .

٣ ــ الصياد ٢٢ـ٢٧ تموز ١٩٧١ ، العدد ١٠٤١ .

ووجدت هذه اللعبة الخبيثة تأييدا في بعض الاوساط العربية المؤيدة لها من قبل ، كما ان الصحافة زكتها بوقاحة حينا وبذكاء في احيان اخرى ، ذلك « ان الثورات الوطنية الاصيلة » فيما ترى مجلة الحوادث، « تؤكد ذاتها برفض الايديولوجيات الاجنبية اولا ، والعمل على استنباط نظريتها من تفاعل تراثها القومي مع تجربتها النضالية . وكل النظريات والايديولوجيات التي استوردتها بعض المنظمات ، سواء من شيوعية كوبا او ماركسية لينين او صينية ماو ، او باطنية صلاح جديد ، او اجتهادات صدام التكريتي ، لم تستطع استقطاب اي جزء له قيمة من الجماهير » (١) .

واستهدفت هذه اللعبة من جملة ما استهدفت ١ ـ التنفير من الايديولوجيات والايديولوجيين تمهيدا لضرب المقاومة باسم ضربهم . ٢ ـ التفريق بين فتح والمنظمات الاحرى ، لتحييد اكبر قوة في المقاومة ولمحاولة استعدائها على المنظمات الاخرى. وهكذا تتم التصفية بأيد فلسطينية ، وببنادق مقاتلة .

وبدأ ، بعد هذا التمهيد ، هجوم شامل ، على أحراش جرش وعجلون صبيحة يوم ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٧١ ، اشتركت ، بالهجوم ، كما تقول الاهرام (٢) : « الفرقة المدرعة الرابعة يتقدمها اللواء المدرع الاربعون رأس حربة للهجوم ، ثم لواء الحسين المشاة ، ثم كتيبتان من لواء الامام علي ، ثم كتيبة من اللواء الهاشمي ، ثم ثلاث كتائب مدفعية من عيار ١٥٥ ، ثم مجموعة بطاريات من

---

١ ـ الحوادث ، ٩ـ٧ـ١٩٧١، العدد ٧٦٥ ، حوادث عربية : الثورة الفلسطينية تبحث عن الرجل التاريخي .

٢ ـ لسان الحال ، ٢٤ـ٧ـ١٩٧١ ، العدد ٢١٩٥٨ .

مدافع الهاوزر » . وبعد قصف كثيف وغزير بالمدافع الثقيلة ومدافع الدبابات على الاحراش التي شبت فيها الحرائق ، تقدمت الآليات والمشاة لتحتل آخر قواعد المقاومة .

وقبل ان ينتهي القتال ، جرت اتصالات بين حكومة ج.ع.س والاردن من جهة ، وحكومة ج.ع.س وقيادة المقاومة من جهة اخرى . وكان هنالك اتفاق على ان تتدخل سورية لانقاذ الاحياء والجرحى . وقد ارسل وفد عسكري سوري برئاسة اللواء الدردري مساعد رئيس الاركان يوم ١٦ – ٧ – ٩٧١ . واتفق هذا الوفد مع الحكومة الاردنية على تجميع رجال المقاومة الذين كانوا ما زالوا منتشرين في الجبال والاحراش في اربع نقاط تجميع ، تكون اماكن تمركزهم الجديدة . واجتمع رجال المقاومة في هذه النقاط الاربع ، تحت اشراف الضباط السوريين . الا ان السلطة الاردنية جردتهم من اسلحتهم بعد تمركزهم ، ونقلتهم الى معسكر خلفي على انهم أسرى .

ولم تكن هذه هي الخدعة الاولى التي قامت بها السلطات الاردنية . ذلك انها منعت الوفد السوري في اليوم الاول والثاني بعد وصوله من التحرك الى مناطق القتال . وقد اضطر الوفد للعودة الى سورية يوم ١٨ – ٧ ، ثم عاد ثانية . وحين تحرك بعد ذلك الى مناطق القتال لم تتح له فرصة التجول ، كما اراد ، وقتل الجيش الاردني دليل الضباط السوريين في منطقة عجلون ومنعهم من التحرك . كما ان السلطات الاردنية منعت موفد حركة المقاومة من مرافقة الوفد السوري خلال تحركه في مناطق القتال .

وقد أشار ناطق رسمي سوري الى « ان الوفد السوري الذي عاد الى عمان كان استدعي الى دمشق لتعذر مهمته ، لانه لم يتمكن عقب وصوله الى عمان من الذهاب الى مناطق الاشتباكات . كما انه خلال وجوده في عمان كانت ترد انباء عن استمرار قصف مواقع الفدائيين ، وكانت الحكومة الاردنية تنفي وقوع اشتباكات » . وذكر الناطق ان الوفد قد عاد : « لمتابعة البحث في سبيل وقف

اطلاق النار واعداد مشروع اتفاق لذلك ولجميع الاحتمالات المختلفة » (١) .

وقد حاولت السلطات الاردنية ان تستفيد من الوساطة السورية وان تحقق ما يلي :

١ ــ تخفيف ردود الفعل العربية ، عن طريق طمانة الانظمة والجماهير العربية بالتدخل السوري .

٢ ــ السيطرة الكاملة على الوضع باسرع ما يمكن ، وذلك باقناع رجال المقاومة المتفرقين بالتجمع تحت اشراف الجيش السوري ، وذلك لانهاء الاشتباكات باسرع ما يمكن ، والحيلولة دون انعقاد مؤتمر قمة عربي او اي تدخل عربي ، لان مثل هذا التدخل قد يفرض على الاردن ما لا يرضاه او يقبله .

ونجحت السلطة الاردنية في هجومها السريع ، وفي انهائها الاشتباكات باشراك قوة عربية لها وزنها . ولقد اضطرت سورية، ازاء المازق الذي قادها اليه النظام الاردني ان تسحب وفدها العسكري ، وان تصدر بيانا يكشف اللعبة التي قام بها .

وعقد الملك حسين يوم ١٧ ــ ٧ ندوة صحفية ، بعد مناورة لسلاح المدفعية الملكي ، هاجم فيها قادة العمل الفدائي الذين : «لم يدخلوا المعركة ، وهدفهم تحطيم الاردن ووحدته الوطنية واضعافه في وجه الاخطار التي تحيق بالقضية العربية باستمرار عن طريق التحريض والكذب » . وعندما سئل عما اذا كانت هذه هي النهاية اجاب : « اعتقد ذلك . واننا نحاول ايجاد الحل المناسب . ونحن لسنا ضد الذين يريدون مقاومة الاحتلال لكننا نريد هذه القاعدة ان تبقى قلعة صامدة » (٢) .

وحين انتهت معركة احراش جرش وعجلون فاجا النظام

---

١ ــ النهار ، ١٨ــ٧ــ١٩٧١ ، العدد ١١١١١ .

٢ ــ النهار ، ١٨ــ٧ــ١٩٧١ ، العدد ١١١١١ .

الاردني الانظمة العربية بما يلي :

اولا : ان اتفاقات القاهرة وعمان قد انتهى مفعولها ، فلقد : « انتهى الوقت الذي يتصرف فيه الفدائيون حسب أمزجتهم واهوائهم . وجاء الوقت الذي تقوم فيه الدولة بتحديد الاماكن التي عليهم ان يتواجدوا فيها ، كما ان عليهم ان يستجيبوا لتعليمات الدولة » . وحين سئل ناطق رسمي اردني اذا كان هنالك اتفاق جديد بين السلطات الاردنية والفدائيين اجاب : « ليس هنالك اتفاق جديد ، ولن تكون هنالك اتفاقات جديدة ».

ثانيا : اعلن ناطق رسمي باسم النظام : « ان الحكومة الاردنية لن تسمح بعد الآن لاي ايديولوجي بالتواجد بين الفدائيين في الاردن » واضاف : « ان هؤلاء الايديولوجيين الماركسيين كرجال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية يقولون صراحة ان تحرير الضفة الشرقية من الاردن يأتي قبل تحرير فلسطين . وهؤلاء يعتبرون في نظرنا ثائرين على نظام الحكم وليسوا فدائيين يريدون تحرير الاراضي المحتلة ، اننا لن نسمح بالتواجد فوق اراضينا الا للفدائيين الذين يريدون العمل من اجل تحرير فلسطين فقط ، كفدائيي فتح والمنظمات الاخرى التي تسعى للهدف نفسه » (١) .

وتحدث بعد ذلك وصفي التل فأعلن « ان الحكومة لن تسمح (لاية فئات ذات طابع سياسي) بين الفدائيين كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واية فئات تنادي باسقاط النظام الاردني بالعمل في الاراضي الاردنية » . واعرب « عن تصلب الحكومة في موقفها من قضايا الامن والاستقرار في البلاد ، وعن عدم استعدادها للتراجع عن موقفها نتيجة لاية ضغوط سياسية مادية عربية مهما كانت » (٢) .

---

١ ــ النهار ، ١٩ــ٧ــ١٩٧١ ، العدد ١١١١٢ .

٢ ــ الجمهورية ٢١ــ٧ــ١٩٧١ .

وهكذا يكون الاردن قد جنى ثمار معركة ايلول والمعارك التي تلتها ، ذلك ان اتفاقية القاهرة فرضت على النظام الاردني فرضا ، لا بقوة القمة العربية ، بل بقوة الصمود الجماهيري ، وحين حاول النظام التخلص من اتفاق القاهرة واتفاقات عمان ، لم يعلن ذلك بل اخذ يعمل على اسقاط مراكز المقاومة واحدا وراء الآخر ، ولما كانت المشكلة الاولى هي مشكلة السلاح المنتشر بين ايدي الجماهير، طرح النظام مسألة السيطرة على السلاح من خلال المقاومة . فوافقت قيادة المقاومة (اللجنة المركزية) واوجدت ، باتفاق مع السلطات الاردنية ، مراكز لتجميع الاسلحة . وكانت السلطة تعرف ان ما جمع هو القليل ، ولكنها كانت تعلم ان ما بقي أصبح سلاحا غير مشروع . وهكذا كان . ثم اخذت السلطة الاردنية تهاجم مراكز المقاومة واحدا وراء الآخر ، فاحتلت الرصيفة التي لم تسقط في ايلول ، ثم جرش ، ثم اربد . وطرحت بعدئذ قضية اخلاء عمان، ووافقت قيادة حركة المقاومة. الا ان هذه «التنازلات» كلها قد جعلت معركة جرش وعجلون واحراشهما المعركة الاخيرة المحسومة سلفا . وحين أعد النظام عدته هاجمها واستولى عليها واعلن انتهاء اتفاقات القاهرة وعمان . وما كان ممكنا ان تنتهي اتفاقات القاهرة وعمان لو بقيت البنادق وبقيت الميليشيا ، وظلت قيادة المقاومة مصممة على الدفاع عن استقلاليتها ، معتمدة على جماهيرها .

٢ ـ الوساطة العربية والضغط العربي :

ما دامت هنالك قضية فلسطينية وانظمة عربية فلا بد من ان تكون هنالك خلافات ووساطات . ولكن الذي يحدد فعالية هذه الوساطات ومضمونها هو :

١ ـ مدى العون الذي تلقاه القضية الفلسطينية من الجماهير العربية .

٢ ـ قوة الجماهير الفلسطينية المنظمة وقدرتها على التحدي والمواجهة والقتال .

٣ ـ توفر مساندة جدية من نظام او مجموعة من الانظمة .

فاذا لم يتوفر شيء من هذا اصبحت القضية الفلسطينية فريسة ينهشها العملاء دون رادع أو وازع .

وعلى هذا فان ما أتاح للوساطة العربية ان تنجح مثلا ما بين لبنان والمقاومة سنة ١٩٦٩ ، ليس الا قدرة المقاومة على القتال والصمود أولا واستعداد مصر لمساندتها ثانيا ، لان مصر كانت تخوض معركة الاستنزاف ، وكانت بحاجة الى نشاط المقاومة وفعالياتها في ذلك الوقت .

وما حدث في ايلول كان غير ذلك . ذلك ان المقاومة كان مطلوبا سقوطها ، الا ان صمود الجماهير وقتالها وتحول المعركة الى مجزرة ، وتدخل الجيش السوري أخرج الموضوع عن كونه معركة داخلية صغيرة ، وفرض على الرؤساء والملوك العرب ان يلتقوا في قمة . وحين توقف القتال كان النظام قد فعل كل ما يستطيع لكسب الجولة ولكنه فشل . ولقد اعطي فرصة شهر كامل من ٢٨ ـ ٨ الى ٢٨ ـ ٩ . الا انه لم يستطع حتى ان يسيطر على عاصمته . ولو كان يستطيع ، او كان واثقا انه قادر على كسب المعركة خلال يومين او ثلاثة او خمسة ، لماطل وراوغ ، وجعل قمة القاهرة مثل كل المؤتمرات العربية . ولهذا جاءت اتفاقية القاهرة تعبيرا عن توازن القوى بين النظام والمقاومة . ولكن السلطة بدأت بعد ايلول عملية اخلال بهذا التوازن ، حتى رجحت كفتها . وكانت المقاومة تستصرخ الانظمة وتناشدها ، بدلا من ان تستخدم قواها استخداما جيدا ، وتعبىء جماهيرها تعبئة ثورية ، وتقاتل دفاعا عن مواقعها ومراكزها . ولهذا كانت صرخاتها تذهب ادراج الرياح ، وكانت الاتصالات العربية لا تجدي فتيلا .

ولقد حدث منذ اوائل سنة ١٩٧٠ في الجو العربي ما يجعل الوساطة العربية والضغط العربي سيفا ذا حدين . ذلك ان كثيرا من الدول العربية ، وعلى رأسها مصر والمملكة العربية السعودية،

كانت تميل الى وقف القتال مع دولة الاحتلال الصهيوني من جهة، وكانت تخشى نمو الحركة الجماهيرية المسلحة من جهة اخرى . ولهذا عملت داخل المقاومة وخارجها « لضغط حركة المقاومة وضبطها » . ولم يكن النظام الاردني وحيدا فيما يريده ويخافه ، ذلك ان هنالك انظمة اخرى تريد ما يريد وتخشى ما يخشى . وبدا منذ نيسان سنة ١٩٧٠ نشاط مصري ـ سعودي استهدف وضع حد لنمو الحركة الجماهيرية المسلحة ذات الافق السياسي ، وتحويل حركة المقاومة الى قوة تقودها الانظمة ، ولا تتعدى ان تكون قوات « كوماندوز » تابعة للجيوش النظامية . وكان النظام الاردني يعمل على الاستفادة من الموقف المصري ـ السعودي لتوجيه ضربة قاضية .

وهكذا كانت معركة ايلول ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن لمصلحة التصفية ولا الاحتواء ، ولذلك نشطت دبلوماسية التصفية من جهة ودبلوماسية الاحتواء من جهة اخرى . وحاولت اللجنة العربية ، بعد ايلول ، ان تحقق الاحتواء من خلال تقنين وجود المقاومة والغاء طابعها الثوري في المدن وتركيز قواتها في مناطق تجعل توجهها نحو العدو الصهيوني الخ ، ولكن هذا المخطط اصطدم بمخطط النظام الاردني الذي يهدف الى التصفية . وكانت الدبلوماسية العربية السرية ، تضغط في اتجاه : توحيد حركة المقاومة بقيادة فتح المؤمنة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية ، الغاء الوجود الجماهيري المسلح للمقاومة ، تصفية المنظمات اليسارية والعناصر المسيّسة في حركة المقاومة . وكان في حركة المقاومة وما زال من يؤيد هذا المخطط ويعمل له . وهذا هو الذي جعل عملية « التراجعات » المشينة التي حدثت في الاردن ، بعد ايلول ، ممكنة .

فاذا كانت الوساطة العربية ، وكان الضغط العربي يتجهان نحو الاردن لمنع التصفية بأشكال متفاوتة ، فقد كانا ايضا يتجهان نحو المقاومة من اجل الاحتواء : من اجل التصفية الحقيقية .

وحين التقى فيصل والسادات في اواخر حزيران اتفقا على ما يـلي :

١ ـ وقف التصفية النهائية .

٢ ـ مطالبة المقاومة بتصفية نفسها لتكون مقبولة اردنيا وعربيا ، ومطالبة النظام الاردني بقبول المقاومة «المطهّرة» .

الا ان النظام الاردني الذي خاف هذا الاتفاق المصري ـ السعودي عاجل مراكز المقاومة الباقية بضربة قاضية ، ليكون سيد اي وضع جديد .

وعندما فعل النظام الاردني ما فعل كان يقدر حقيقة رد فعل الانظمة العربية حق قدرها . وكان يعلم : « ان الامر لن يصل الى فصل الاردن من الجامعة العربية » (١) .

ومن الجدير بالذكر ان الهجوم الذي تم على احراش جرش وعجلون جاء بعد بدء الوساطة المصرية ـ السعودية بأيام . ومع ذلك فان الهجوم لم يتأخر او يسقط من الحساب .

وما حدث بعد ذلك ، وهو ما سنتعرض له بعد هذا المدخل ، جاء في غير اوانه ، اي بعد سقوط جرش وعجلون ، ولذلك فانه لن يكون حاسما ومفيدا مهما كان مستواه او وزنه او نوعه . وكانت المقاومة تستطيع ان تجعله حاسما ومفيدا لو صمدت في جرش وعجلون كما صمدت في عمان . واذا كان غير مفيد على صعيد الاردن ، فلربما كان مفيدا على صعيد لبنان .

وقد تمثل رد الفعل العربي شعبيا بعمليات الاستنكار المحدودة نسبيا ، والتي تجسدت في برقيات الاستنكار وبيانات التنديد ، ولقد كانت في لبنان اكبر منها في اي مكان آخر ، وان كانت عموما أقل مما هو مطلوب كثيرا . ذلك ان البرقيات والبيانات والتظاهرات المحدودة ، لا تتناسب مع خطورة المؤامرة.

---

١ ـ الجمهورية ٢١ـ٧ـ١٩٧١ ، حديث لوصفي التل .

كما انه من الجدير بالذكر ان ما حدث في ايلول كان اكبر ، وما حدث في جنازة خليل عز الدين الجمل ، مثلا ، كان اعظم . ولهذا دلالاته . واذا كانت الحركة الوطنية العربية مسؤولة عن هذا « التخلف » ، فان حركة المقاومة ليست اقل مسؤولية .

اما رد الفعل الرسمي فقد تراوح بين بلد وآخر ، وسوف نقدم صورة عنه عبر تسلسل الاحداث :

● صرح المتحدث الرسمي باسم الجمهورية العربية المتحدة يوم ١٤ ـ ٧ بأن الجمهورية العربية المتحدة تنظر بقلق شديد للتطورات التي حدثت في الاردن في الاربع وعشرين ساعة الاخيرة. وقال المتحدث : ان الجمهورية العربية المتحدة كانت ترجو ان تثمر الاتصالات الاخوية المصرية ـ السعودية بالنتائج المرجوة ، وان تستجيب حكومة الاردن للمساعي التي تبذلها الحكومتان المصرية والسعودية ، ولكن مما يؤسف له اتخاذ حكومة الاردن هذا الموقف الذي يعقد من توتر الموقف ، ولا يساعد على ايجاد الجو المناسب للتسوية في هذه الظروف التي تمر بها الامة العربية . واضاف المتحدث الرسمي : ان ج.ع.م ترجو ، حفاظا على وحدة الكفاح العربي ان تستجيب حكومة الاردن لمساعي الدولتين ، وان توقف تدهور الموقف الذي لا يخدم الا اعداء العرب » (١) .

واذاعت وكالات الانباء ان ج.ع.م طلبت يوم ١٤ ـ ٧ من ملك الاردن تأجيل زيارته المقررة الى القاهرة .

● وصل العقيد معمر القذافي يوم ١٤ ـ ٧ الى مرسى مطروح ، حيث اجتمع بالسادات ، ثم انضم اليهما ممثل عن ج.ع.س وممثل عن السودان . وقد بحث المجتمعون الوضع في المغرب والوضع في الاردن وصدر عن الاجتماع يوم ١٧ ـ ٧ بيان

---

١ ـ جريدة فتح ، ١٥-٧-١٩٧١ ، العدد ٢٧٨ .

جاء فيه :

« وتناول المجتمعون بالبحث والدراسة الاحداث الدموية المؤسفة الاخيرة التي تجددت في الاردن ، والتي وصلت الى حد لم يعد الضمير العربي والانساني قادرا على تحمله ، ورأوا في ما يجري خرقا واضحا لاتفاقي القاهرة وعمان اللذين كانوا الملوك والرؤساء العرب التزموا بتنفيذهما » .

واضاف البيان :

ويعلن المجتمعون بعد كل هذا تأييدهم المطلق لتلبية سورية النداء بارسال لجنة منها الى الاردن لايجاد صيغه عمل مناسب ، وهم يترقبون بقلق شديد واهتمام بالغ نتيجة جهود الرئيس الاسد ، آملين ان تكلل بالنجاح وان تحقن الدماء العربية الواجب توفيرها لمعركة الامة العربية المقبلة » .

وذكر البيان ان المجتمعين قد قرروا « عقد اجتماع آخر قريب لاتخاذ الموقف المناسب في ضوء ما تسفر عنه احداث الاردن الاخيرة (١) .

اعلن في بغداد يوم ١٦ ــ ٧ ، ان وزير الخارجية العراقية عبد الكريم الشيخلي استدعى السيد كمال حمود السفير الاردني في بغداد ، ونقل اليه قلق العراق لما يجري في الاردن من « عمليات عسكرية واسعة لتصفية قواعد المقاومة في منطقتي جرش وعجلون » . واضاف الشيخلي : « ان الحكومة العراقية انطلاقا من ايمانها بالثورة الفلسطينية قد تتخذ التدابير التي تراها ضرورية للاعراب عن موقفها المساند لحركة المقاومة واستنكارها لما يبدو ضد شعبنا الفلسطيني من تصفيات » .

وذكرت وكالة الانباء العراقية ان القيادة القومية لحزب البعث ومجلس قيادة الثورة قد اجتمعا للبحث في تطورات الاردن

ــ النهار ، ١٨ــ٧ــ١٩٧١ ، العدد ١١١١١ .

الاخيرة ، كما ذكرت : (« ان اتصالات سريعة تمت أمس بين بغداد والعواصم العربية الاخرى لاتخاذ موقف عربي حيال ما يواجه حركة المقاومة من محاولات الابادة والتصفية ») .

● واصدرت اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي الحادي عشر لحزب البعث يوم ١٦ ـ ٧ بيانا نددت فيه « بالمحاولات الجديدة لتصفية المقاومة الفلسطينية في الاردن » . ثم اصدرت الحكومة السورية قرارا باغلاق الحدود مع الاردن .

● اصدرت الحكومة الجزائرية يوم ١٨ ـ ٧ بيانا جاء فيه :

« ان الجزائر تعبر عن استنكارها ازاء المحاولات الجديدة الرامية الى تصفية المقاومة الفلسطينية ، هذه المحاولات المتكررة التي تدخل في اطار السياسة الامبريالية والصهيونية في الشرق الاوسط . ان الجزائر التي تساند دوما ودائما المقاومة الفلسطينية عسكريا ومعنويا وسياسيا ودبلوماسيا عازمة على تحمل مسؤولياتها الى جانب الشعب الفلسطيني . وتوجه الحكومة الجزائرية نداء ملحا الى البلدان العربية والى البلدان المناهضة للامبريالية بأن تساعد بصورة ايجابية المقاومة الفلسطينية. وتساعدها في كفاحها المصيري وتتخذ جميع التدابير التي تسقط نهائيا المحاولات الرامية الى تصفية القوى الحية للشعب الفلسطيني .. » (٢) .

وقد أرسل هواري بومدين رسالة شخصية الىالاخ ابو عمار، كما ان سفير الجزائر في بيروت الذي نقل الرسالة قد أبلغ الاخ ابو عمار « ان الجزائر تعتبر نفسها طرفا الى جانب الثورة الفلسطينية في صراعها ضد القوى المتآمرة على الشعب الفلسطيني وارادته الممثلة بالثورة المسلحة » . وقد التقى مدير

---

١ ـ النهار ١٧ـ٧ـ١٩٧١ .

٢ ـ فتح ١٩ـ٧ـ١٩٧١ .

عام وزاره الخارجية بالسفراء العرب وعـــرض معهم الوسائـــل الكفيلة بوضع حد : « لعملية ابادة الفلسطينيين هذه وضمان بقاء الشعب الفلسطيني » (١) .

● وقرر العراق في ساعة متاخرة من يوم ١٩ ــ ٧ « غلــق حدوده واجوائه الجوية في وجه جميع وسائل النقل مــن والى الاردن عبر العراق». كما قرر ايضا «مطالبة الاردن بسحب السفير الاردني مـــن بغـــداد بسبب موقف الاردن مـــن الفدائيـــين الفلسطينيين » (٢) .

○ وطالبت السودان الدول العربية بمقاطعة الاردن وقطـع علاقاتها به (٣) .

● وتعرض الرئيس السادات يوم ٢٣ ــ ٧ للوضع في الاردن وللملك حسين ولوصفي التل ، وبين تناقض الملك حسين واشار الى انه اكتشف الى انه هناك « خطة ماشية بخطوات لتصفيـــة العمل الفدائي ... بدل ما كان في سبتمبر ايام جمال ــ اللــه يرحمه ــ خبطة واحدة ... لا ... وصفي التل بيعملها حتـــه بحته ، لكن خطة ماشية خطوة بخطوة للقضاء عـــلى العمـــل الفدائي» (٤) . وكشف السادات انه كان اتفق مـــع الملك حسين «على أساس ان احنـــا بنتعاون سوه لاعطـــاء فرصة للعناصر الفدائية النظيفة اللي هيه زي فتح انها تأخذ وضعهـــا وننضف العمل الفدائي ، ونجرم العناصر العميلة والعناصر المشبوهـــة في العمل الفدائي » (٥) .

---

١ ــ فتح ٢٢ــ٧ــ١٩٧١. ، العدد ٢٨٥ .

٢ ــ لسان الحال ، ٢٠ــ٧ــ١٩٧١ .

٣ ــ لسان الحال ٢٠ــ٧ــ١٩٧١ .

٤ ــ الاهرام ٢٤ــ٧ــ١٩٧١ .

٥ ــ الاهرام ٢٤ــ٧ــ١٩٧١ .

● اعلنت الجزائر يوم ٣٠ ـ ٧ تعليق علاقاتها مع الاردن وتعهدت بتقديم مساعدات عسكرية ومالية وديبلوماسية الى منظمة التحرير. وجاء في البيان الرسمي: « ان نظام الحكم الحالي في الاردن يتناقض تناقضا اساسيا مع استمرار نضال الشعب الفلسطيني واماني الامة العربية » (١).

● وعقد يوم ٣٠ ـ ٧ مؤتمر قمة لم يحضره الا رؤساء الدول التالية: مصر، ليبيا، ج.ع.س، ج.ي.د، و ج.ع.ي. وقد اكد البيان الذي صدر عن المؤتمر الحقائق التالية:

١ ـ «اعتبار اي مساس بالثورة الفلسطينية وكرامتها تشويها لكرامة الامة العربية وضميرها، ودعم كل عمل من شأنه تنفيذ اتفاقات القاهرة وعمان نصا وروحا، وتحقيق الضمانات العملية اللازمة لعدم تكرار الاخلال بهذه الاتفاقات من اجل توجيه كل الجهود نحو العدو الصهيوني».

٢ ـ « تأييد كل الاجراءات التي اتخذتها الحكومات العربية لمواجهة تصرفات السلطة الاردنية حيال خرق اتفاقات القاهرة وعمان».

٣ ـ « متابعة موقف الحكومة الاردنية، فاذا تبين اصرارها على رفض تنفيذ اتفاقات القاهرة وعمان نصا وروحا يصبح من الواجب على كل الحكومات العربية اتخاذ ما تراه مناسبا من اجراءات عملية ـ فرديا وجماعيا ـ تكفل المحافظة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والاستمرار في نضاله المشروع وحرية عمل الثورة الفلسطينية على الارض العربية الاردنية حتى التحرير الكامل».

٤ ـ « الالتزام بدعم الثورة الفلسطينية ماديا ومعنويا وعسكريا، بما يمكنها من الاستمرار في نضالها ومن حماية

---

١ ـ النهار ٣١-٧-١٩٧١.

وجودها في الاردن باعتباره المنطلق الطبيعي للثورة الفلسطينية».

واتهم البيان اجراءات السلطة « وكانها تمهد لخلق تبريرات مرفوضة سلفا لاجراء تسوية ثنائية مع العدو الصهيوني » (١) .

وقد بادر الاردن بدوره الى القيام بحملة ديبلوماسية ، كان من مظاهرها رسالة الملك حسين الى الملوك والرؤساء يوم ٢٢ ــ ٧ ، وزيارته المملكة العربية السعودية ٢٤ ــ ٢٧ ــ ٧ ، ورسالته الثانية الى القذافي وقمة ليبيا يوم ٢٩ ــ ٧ .

وكان من الطبيعي ان يحاول الملك حسين ان يصور : « ان الحالة في الاردن الصامد طبيعية وعادية وهادئة ... والامن والنظام مستتبان ... » كما انه ادعى : « ان النتيجة الوحيدة والرئيسية لما وقع هي ازالة الشوائب التي يمثلها المندسون على المقاومة والذين اثبتت الوقائع تعاملهم مع العدو ... وبالتالي فان المستفيد الحقيقي من تلك العملية الامنية هو المقاومة الصحيحة بعد ان تخلصت من الشوائب التي كانت تؤدي الى احتكاكاتها الدامية مع المواطنين كل يوم » .

وما دام الامر كذلك في نظر النظام الاردني « فقد اصبحت الارضية مهياة في الاردن امام المقاومة لاعادة تنظيم نفسها على أسس صحيحة وسليمة تؤمن لها القوة والفاعلية والاستمرار » .

ولم يفت الملك ان يؤكد في رسالته بأنه « لا يقبل من احد ان يتدخل في صميم شؤونه الداخلية كائنا من كان » (٢) .

وعاد الملك واكد هذه « الادعاءات » في تصريح له بعد انتهاء زيارته المملكة العربية السعودية (٣) .

أما في رسالته الى القذافي ، وبالتالي الى قمة ليبيا ، فقد

---

١ ــ النهار ١ــ٨ــ١٩٧١ .

٢ ــ نداء الوطن والنهار ٢٣ــ٧ــ١٩٧١ .

٣ ــ الحياة ٢٨ــ٧ــ١٩٧١ .

تحدث عن موقف الاردن العربي ، وعن مخالفة المقاومة لاتفاقات القاهرة وعمان ، وعن ايمانه بالعمل الفدائي الذي « يستهدف التحرير » ، ثم قال : « لقد آمن الاردن وسيظل يؤمن بأن هدف التحرير هو هدف مقدس . وانه بعد تحقيق هذا الهدف ينبغي ان يتاح للشعب الفلسطيني ان يقرر مصيره بنفسه » . ثم أضاف : « وكل خطوة تتم بتكريس اية جهة من الجهات كصاحبة الحق في تقرير ذلك المصير نيابة عن الشعب الفلسطيني هي خطوة خاطئة لا يرضى بها الشعب الفلسطيني نفسه » . وواصل الملك مؤكدا : «ان اكثرية الشعب تعيش في الاردن» (١) .

ولكن هذه « المغالطات » كلها لم تفده شيئا ، ولن تفيده شيئا ، لان الكل يعرف ما هو « التحرير » الذي يتحدث عنه . انما الذي يفيده هو تواطؤ انظمة معينة معه تتستر عليه وتحميه ، وتؤمن نجاح مخططاته . فحين دعا القذافي لمؤتمر قمة ، وقف فيصل معارضا ، مع ان قمة ليبيا لم تكن مهياة في الوضع العربي الراهن لاقامة الدنيا واقعادها على النظام الاردني . ولكن المملكة العربية السعودية لم تكن تريد ان تمارس ضغطا على النظام الاردني ، وكانت تعمل لممارسة ضغط على المقاومة . فقد ذكرت اوساط دبلوماسية عربية « ان مؤتمر طرابلس خطة موجهة ضد الجهود السعودية ـ المصرية والجهود التونسية » وان « هذا بالضبط ما عناه الرئيس سليمان فرنجيه في برقيته الى العقيد القذافي » . ولكن ما الذي تريده الجهود المصرية ـ السعودية ـ التونسية ؟ انها تريد ان تتحد فصائل المقاومة في حركة واحدة مثل جبهة التحرير الجزائرية . وتذهب هذه الاوساط « الى الاعتقاد الى ان كل وساطة بين الاردن والفدائيين لن تسفر عن نتائج ايجابية اذا لم يسبقها توحيد العمل الفدائي » . وعليه فقد

١ ـ النهار ٣٠-٧-١٩٧١ .

اعتبرت هذه الاوساط « ان منظمة فتح مسؤولة بالدرجة الاولى عن تحقيق هذا الهدف ، وان السيد ياسر عرفات مسؤول عنه بصفة شخصية . كما ان الدول العربية التي تعمل على تنقية الجو مسؤولة بالدرجة الثانية » . ولم يفت هذه الاوساط الدبلوماسية ان توجه لوما الى ياسر عرفات لحضوره قمة طرابلس .

وليس في هذا المخطط بالطبع ما يختلف عن المخطط الاردني الذي يستهدف تحويل فتح الى اداة قمع ضد الشعب الفلسطيني لمصلحة الانظمة العميلة وتصفية المقاومة الفلسطينية بأيد فلسطينية . وضمن هذا المخطط يتحرك الخولي والسقاف والمصمودي .

٣ ـ هل ياتي دور لبنان بعد الاردن ؟

يروى فيما يروى ان الرئيس السابق شارل حلو قال عندما جرى الضغط عليه من اجل ضرب المقاومة بعد سنة ١٩٦٩ : رأس الافعى في الاردن، ومتى ما ضرب الراس كان القضاء على الذيل سهلا .

ولقد ضرب الراس فعلا ، فهل يتحرك لبنان الرسمي ؟

من المؤكد ان الدوائر الامبريالية ـ الصهيونية من جهة ودوائر عربية معينة تريد ان يحدث في لبنان ما حدث في الاردن . ولهذه الغاية ارسل الملك حسين سفيره اكرم زعيتر الى لبنان وارسل معه مجموعة من سبعة عشر عميلا ، على رأسهم امين فياض برجاق . وهنالك اوساط لبنانية تعمل ضمن هذا المخطط ، وتعد العدة والعدد لتنفيذه .

ولسوف تستغل هذه الفئات الموقف الرسمي للقاهرة والرياض من المقاومة ، والفتور الذي اصاب الرأي العام الوطني منها نتيجة عوامل مختلفة ، لتوجه الضربة التي تريدها قاضية .

ولقد ظهرت بوادر تدل على ما ذهبنا اليه .

فهناك محاولة لابراز المقاومة على انها تتنكر لاتفاقات القاهرة وان هنالك « في بعض الاحيان مقاومة من جانب الذين يصرون على خرق هذا الاتفاق ، والذين راحوا في الفترة الاخيرة يضاعفون

من اعمال الخرق هذه » . ويسعى منظرو هذه المحاولة لاخراج مسرحيتهم من خلال التأكيد على ان هناك « مخططا تآمريا » «ضد لبنان والمقاومة » . والمسؤولة عن هذا المخطط هي « جيوب دخيلة على العمل الفدائي » (١) .

وهناك بالاضافة الى حادثة الحدود التي ذهب ضحيتها ثلاثة من الفدائيين موجة من الاستفزاز والاستثارة تقوم بها صحف رجعية معينة . ولقد برر الشيخ بيار الجميل في تصريح له ما حدث في الاردن على انه « ليس مستغربا بعد أن دخلت الايديولوجيات العمل الفدائي لتخرجه عن قدسيته ونطاقه الصحيح » (٢) «والاردن الذي عانى الكثير من هذا الوضع الشاذ» على حد قول الشيخ بيار«لم يعد بامكانه ان يبقى مكتوف اليدين».

واذا كان مثل هذا التبرير استفزازا متعمدا ، فانه يستهدف التهيئة لحملة مماثلة لما حدث في الاردن . ومثل هذا الاستفزاز كثير (٣) .

ولقد اشارت بعض الصحف الوطنية الى المضايقات التي يتعرض لها الفدائيون في جنوب لبنان (٤) ، كما اشارت الى اتصالات بعض الجهات الوطنية بالسلطة ، وعلى رأسها كمال جنبلاط ، وتحذيرها من نقل « الاردنة » الى لبنان .

ومن المتوقع ان ينتظر لبنان نتيجة الوساطة المصرية ـ السعودية ـ التونسية وانعكاساتها داخل حركة المقاومة قبل ان يقدم على شيء . فاذا تم الاحتواء المنشود سريعا ، أو تمت التصفية المنشودة سريعا ،تجنب رسميو لبنان المعتدلون معركة لن

---

١ ـ الجديد ، العدد ٢٤١ ، ٢٣ـ٧ـ١٩٧١ ـ «لبنان والفدائيون بعد الاردن».

٢ ـ العمل ٢٠ـ٧ـ١٩٧١ .

٣ ـ نداء الوطن ٢٠ـ٧ـ١٩٧١ و٢١ـ٧ـ١٩٧١ والعمل ٢١ـ٧ـ١٩٧١ .

٤ ـ الاحد ، ٢٤ـ٧ـ١٩٧١ .

يكون الانتصار فيها سهلا ، ولن تكون نتائجها هينة . واذا لم تحدث النتائج المرجوة فمن المتوقع ان تتحرك الاوساط المشبوهة ولسوف ينجلي هذا كله خلال الاشهر الثلاثة القادمة .

٤ ـ الوساطة الامريكية والحملة الصليبية ضد الشيوعية :

بينما يستمر المسؤولون الاميركان في تجوالهم بالمنطقة وتستمر زياراتهم للمنطقة (اغنيو ، مايكل تيرنر ، بيرغيس ، وسيسكو) تستمر الهجمة الشرسة على الشيوعية . واذا كان معروفا ان الولايات المتحدة حريصة على استمرار الاوضاع القائمة في المنطقة (التجزئة السياسية ، الانظمة الرجعية ، اسرائيل ، النفط ، السيطرة الامبريالية سياسيا) فان هذا يعني سحق الحركة الوطنية العربية وملاحقتها في المهد قبل ان تنمو وتترعرع. وما دام تطور الحركة الوطنية الى حركة ماركسية العقيده هو الخطر الاكبر على مصالح الامبريالية ، فان الدوائر الامبريالية تريد ان تمنع هذا التطور ، وان تضرب الحركة الوطنية قبل ان تتطور في هذا الاتجاه . ولما كانت الدوائر الامبريالية تعرف ان المعارك الوطنيه الطاحنة تقود الى مثل هذا التطور ، فانها تسعى لتمزيق الحركة الوطنية في وقت مبكر ، ودفع يمينها لضرب يسارها ، وتحريض الانظمة الرجعية والعميلة والبرجوازية الصغيرة المتحلفة الى خوض معركة التصفية هذه .

ولقد كانت حركة المقاومة ، وما زالت ، طليعة الحركة الوطنية العربية . وهي تحرك التطورات غير العادية في المنطقة . ولهذا أرعب نمو حركة المقاومة الدوائر الامبريالية والرجعية ، وجعلها تفكر بالتصفية جديا ، وتعمل لها .

وهذا ما يفسر حملات الابادة التي تعرضت لها المقاومة ، كما يفسر محاولات الربط المستمر ما بين المقاومة واليسار . وما الحديث المستمر عن « تلوث » المقاومة بالايديولوجيات ، وعن ضرورة تنقية المقاومة و«تطهيرها» الا جزء من هذه الحملة على المقاومة والشيوعية معا .

وهنالك من يعتقد بأن « الولايات المتحدة تحمل مفتاح « السلام » في الشرق الاوسط » (١) . وما دام هنالك من يريد « السلام » باي ثمن فلا مفر ، ما دام هذا الاعتقاد قائما ، من السير على طريق الولايات المتحدة : ضرب العمل الفدائي ثم ضرب الشيوعية وافساد العلاقات العربية ـ السوفياتية . وفي الوقت الذي يتحدث فيه رسل الامبريالية الامريكية عن « المصالح المتبادلة » (٢) اخذت اوساط الرجعية العربية تتحدث عن « انعطافات خطيرة وراء رفض العرب للانتداب الشيوعي »(٣) .

ولا تنسى الاوساط التي تشن حملة على التيوعية من ان تذكر لنا ان الولايات المتحدة الامريكية ارسلت مدير مخابراتها الى دولة الاحتلال الصهيوني و«عهدت اليه بدراسة التسلل الشيوعي الى الشرق الاوسط» (٤) . وما دام الامر كذلك فان هنالك ما يجمعنا مع دولة الاحتلال الصهيوني : انه العداء للشيوعية .

وواضح ان الذين يدفعوننا في هذه الطريق يعلمون جيدا ان الولايات المتحدة الامريكية تسير في المخطط الصهيوني ، وانها رغم كل تنازلاتنا ورغم كل وعودها لنا بالضغط على دولة الاحتلال، ما زالت تدفع دولة الاحتلال الى مزيد من التعنت بمساندتها سياسيا وبتقديم العون المادي والعسكري لها . ولقد تمخضت كل تنازلاتنا عن محاولة واهية لاقناع دولة الاحتلال بفتح قناة السويس ، مقابل مساعدات وصفقات من الاسلحة وضمانات أمن، هذا الحل المؤقت الذي يستهدف تحقيق السلام واقناع الطرفين «المتحاربين» بامكانية التعايش من خلال هذه التجربة الجزئية .

---

١ ـ النهار ١٧ـ٧ـ١٩٧١ ص ١٠ .

٢ ـ النهار ٩ـ٧ـ١٩٧١ من حديث الحنيو في المملكة العربية السعودية .

٣ ـ الحياة ٤ـ٨ـ١٩٧١ .

١ ـ الجديد ٩ـ٧ـ١٩٧١ ، العدد رقم ٢٣٩ ، ص ١٥ .

وهكذا يظهر واضحا ان الحملة على الشيوعية لا تعني اكثر من الخضوع للامبريالية وتنفيذ مخططات السوية والاستسلام . وانها اذ تصفي حركة المقاومة وتضرب الحركة الوطنية العربية تفسح المجال للسيطرة الامبريالية والصهيونية على المنطقة .

٨ ــ ١٠ / ٨ / ١٩٧١

III

١ ــ الوساطة العربية
والمصالحة بين المقاومة والنظام الاردني

حظيت الوساطة العربية في موضوع المصالحة بين المقاومة والنظام الاردني باهتمام واسع في الاوساط السياسية الفلسطينية والعربية والعالمية . كما انها حظيت باهتمام شعبي كبير لدى الجماهير الفلسطينية والعربية . وكان يزيد من الاهتمام بها العوامل التالية :

أ ــ حماسة بعض الانظمة ، ومنها النظامان السعودي والمصري لانجاح الوساطه بسرعة .

ب ــ الظروف العربية والدولية التي تحيط بالقضية الفلسطينية ، والتي تثبت كل يوم ان مشاريع التصفية والاستسلام «تطبخ» في «المطابخ» العربية والدولية .

جـ ــ المحاولات التي تجري لتكييف المقاومة عربيا واستيعابها وتحويلها الى قوة صغيرة تابعة للانظمة ، تلعب دورا ذيليا في المشاريع التصفوية .

د ــ مظاهر الرفض الشعبي للوساطة بين الجماهير الفلسطينية والعربية ، واجماع المنظمات الفدائية على ان الوساطة لا جدوى منها وان اختلفت هذه المنظمات في اسلوب التعامل مع الانظمة وفي اسلوب المناورة على الوساطة .

هـ ــ شعور اوساط فلسطينية وعربية واسعة بأن هناك من يريد انجاح الوساطة بين الفلسطينيين ، وفي صفوف المنظمات الفدائية بالذات .

وكان كل المعنيين : فلسطينيا وعربيا ودوليا يريدون ان يروا نتيجة الوساطة ، لان هذه النتيجة هي التي تقرر اتجاه السياسة العربية في السنوات القادمة . ذلك ان نجاح الوساطة سوف يعني القدرة على «ضبط» المنطقة العربية ، وجعل التوتر المتفاقم «توترا مضبوطا» . ان اي توتر تقتضي ازالته السيطرة عليه اولا.

وهذا ما تسعى اليه الآن بعض الانظمة العربية . انها تريد ان تضع المقاومة تحت جناحها ، كي تكون قادرة على ضبط المنطقة العربية من جهة ، وعلى تمهيد الطريق امام التسويات الاستسلامية من جهة ثانية .

ويجب الا ننسى ان الوساطة لم تبدأ في آب . انها بدأت رسميا في مؤتمر طرابلس المنعقد في حزيران سنة ١٩٧٠ . وكان مشروع روجرز في هذه الايام يعيش ايام ولادته . وتكونت اللجنة الخماسية آنذاك ، وحاولت ان تضع اسس «ضبط المقاومة» ، ولكن صلابة المقاومة آنذاك وتعاون اعضاء اللجنة ورئيسها : سي سليمان رئيس حزب جبهة التحرير الجزائرية قاد الى اتفاقية في مصلحة المقاومة ، وان كانت لم تمنع الصدام الذي حدث في ايلول .

وتمخض مؤتمر القمة في ٢٨ــ٩ــ١٩٧٠ عن اتفاقية القاهرة وعن اللجنة العربية . ولقد جاءت اتفاقية القاهرة لتؤكد : «سلطة الدولة وحرية العمل الفدائي» ، ومن هنا نشأ تناقض لا حل له. فالدولة خائنة وعميلة وضد التحرير ، فكيف يمكن ان يتفق

تحقيق سيادتها مع حرية العمل الفدائي ؟ وحاولت اللجنة العربية برئاسه الباهي الادغم ان تفعل ذلك ، وكانت انفاقية وبروتوكول عمان ، وكان الهدف منهما تحقيق هذه الثنائية المتعادية . وقامت اللجنة في سبيل تحقيق مهمتها بمبادرات واعمال ، ولكن كل مبادراتها واعمالها كانت تقود الى نتيجة واحدة : سحق قواعد الثورة في الاردن وسيطرة النظام الاردني . ولم يكن هذا غريبا ، ذلك ان «تقنين» وجود الثورة في ظل سلطة معادية يقود الى انهاء الثورة بالضرورة .

ولقد استغل النظام الاردني عملية «التقنين» التي قامت بها اللجنة العربية استغلالا ذكيا ، وكان ان ضرب الثوره باسم هذا «التقنين» ، بعد ان كبلها عربيا وداخليا ، وبعد ان دفعها الى اتخاذ موقف المسالم في غابة الوحوش .

وبعد ان قام النظام الاردني بعملية تصفية دامية دامت قرابة عام او يزيد (حزيران ١٩٧٠ تموز ١٩٧١) والوساطات العربية مستمرة ، جاءت الوساطة بشكلها الجديد . فماذا كانت تستهدف الوساطة الجديدة ؟

انها كانت تستهدف ما يلي :

اولا : تكييف «الثورة» مع متطلبات بعض الانظمة العربية .

ثانيا : انهاء وجودها الشعبي ومطامحها الشعبية وتحويلها الى جزء من العمل الرسمي العربي .

ولقد استخدمت الانظمة الحريصة على الوساطة اساليب مختلفة ، يمكن ايجازها بما يلي :

اولا : التركيز على ضرورة «التخلص» من المظاهر غير الضرورية ، ومن الوجود في المدن والتجول بالسلاح . والدعوة تبدو في الظاهر بريئة ، ولكنها تعني عمليا : تصفية مكتسبات الثورة ، وقد استغلت الاخطاء لتبرير مثل هذه الدعوة .

ثانيا : العمل على شق الجبهة الفلسطينية بتقسيمها الى فتح وغير فتح ، وبادعاء التحيز لفتح من اجل بعث القلق والخوف

في المنظمات الاخرى ، واشعارها بأن فتح والانظمة في حلف ، ثم باثارة عناصر في فتح ضد اخرى . ولهذا كانت تمتدح فتح ونهاجم الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وتتهمهما بالانحراف.

ثالثا : محاولة اقناع المقاومة والجماهير الفلسطينية والعربية ان مهمة المقاومة لا تتعدى العمل داخل الارض المحتلة . وما ذلك الا لان الانظمة تريد ان تحصر الكفاح داخل الارض المحتلة لتجعله محاصرا ومحدودا من جهة ، ولتمنع تحول الثورة الفلسطينية الى مواجهة عربية شاملة مع العدو الصهيوني .

وقطعت السياسة العربية اشواطا في هذا المضمار . واستطاعت مصر والمملكة العربية السعودية ان تستأثر «برعاية» الوساطة ، بعد ان فشلت الوساطة تحت الرعاية العربية الشاملة. وكان الهم الاول للوسيطين الجديدين ان يجمعا الطرفين المتعاديين. وهنا بدات محاولات الاقناع والضغط على الطرفين .

فمن ناحية النظام الاردني ، حدث الضغط السوري السعودي والضغط الدبلوماسي المصري والمقاطعة السورية والليبية .

ومن ناحية المقاومة : جرت محاولات لاقناعها «ان الضغط العربي المصري ـ السعودي ـ السوري» «هو عنصر قوتها الوحيد حاليا» ، وعليها ان تنجح في «توظيفه» (المحرر ٢٤-٩-٧١ ، المقاومة ومفترق الطرق ص ٦) . كما ان الدول المعنية قامت بممارسة ضغطها باشكال مختلفة . ولم يتوان وزير الدولة السعودي عمر السقاف عن التهديد بقطع المعونة ، وعندما سئل: «اذا لم تحضر المقاومة مؤتمر جدة او رفض الاردن ايفاد وفد جديد ماذا سيحدث» ؟ قال : سيكون لنا مع مصر موقف محدد من الطرف المتخلف . فاذا تخلف الاردن ، قفلنا حدودنا معه وقاطعناه واوقفنا كل مساعدة له ، واذا تخلفت المقاومة ، واعني بالمقاومة فتح تحديدا ، وليس منظمة التحرير او (الحمر) كالجبهتين الشعبيتين ، اوقفنا عنها كل المساعدات التي نقدمها اليها» (الانوار ، طلال سلمان ١٣-٩) . وقد اضطر السقاف الى نفي تصريحه فيما

بعد . ولكن الصحف الموالية للسعودية ولخط الوساطة واصلت الضغط على الثوره . فالانظمه التي ارادت من فتح ان تكـــون «ضابط» الساحه الفلسطينيه ، وامتدحتها أملا منها في ان تلعب هذا الدور اخذت تطلب من فتح الحسم ، وتتهم الاخ ابو عمار بعدم الحسم : فياسر عرفات «يقف في منتصف الطريق» انه «من جهه ينالم من هذا التصرف ، ومن جهه ثانيه يحاول مهادنةمتهميه والمتجنين عليه وعلى خالد الحسن وعلى منظمه (فتح) التي كرست نهائيا من قبل الاطراف الرافضة كممثله لليمين الرجعي المتآمر».
وتضيف المجلة : «لم يستطع عرفات ان يتخذ موقف الحسم من كل هذا ، فبعث برسله الى جدة وظل يترقب المضاعفات علـــى صعيد المقاومة وفصائلها» (الجديد ، العدد ٢٥١ ، ١-١٠-٧١) .

وتمضي حملات التحريض قدما : انها تطالب الثورة بالحسم ولكنها ترى ان «فتح بالذات مدعوة اكثر من غيرها لتحديد موقفها من كل ما يجري حولها» . وتنتقل المطالبة بالحسم من فتح الى ياسر عرفات «الذي ما زال يمسك بالعصا من منتصفها ، فهو من جهة يستنكر مواقف المنظمات الماركسية المتسنجة ، ومن جهـة اخرى يدافع عنها ويحاول تغطيتها بسلسلة اجراءات وتصريحات من شانها ان تضاعف الاحراج الذي يواجهه» .

وتزيد حملات التهديد وضوحا «فلا يخفي اصدقاء منظمـة فتح قلقهم من استمرار تأرجح السيد عرفات» لان هذا التأرجح «من شانه ان يدفع بالوطنيين من الفلسطينيين المناضلين الـــى احضان اليسار الماركسي الفدائي» (الجديد ، العـــدد ٢٤٩ ، ١٧-٩-١٩٧١) .

وهكذا تعود قضية الوساطة الى حيث بدأت : انها تريد من (فتح) ان تصفي المقاومة الثورية باسم الحسم مع (الحمر) . وتكون النتيجة ان يحدث مثل ما حدث في الاردن : ان تصفى فتح اولا، وان تصفى القواعد الشعبية للثورة .

ولقد كانت الجولة الاولى من محادثات الوساطة ، ولكنهـا

فشلت ، وليس من الصعب ان نعرف اسباب فشلها . هنـــاك الاستهتار الاردني وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد . ولكن هناك اسباب اخرى. منها الوسيط السعودي بالذات الذي يريد الحسم داخل الحركة الوطنية الفلسطينية . وهو لا يعترف باطراف في النزاع كالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ، وموقفه منهما مثل موقف الاردن . وهو يريد «مقاومة» كالتي يقبل بها الاردن، خالية من رجس ماركس وانجلز وادران الماركسيـــة والتجديفات الوطنية . وما دامت هذه المقاومة غير موجودة ، فمعنى ذلك ان التعقل غائب ، وان الوساطة لا جدوى منها ، كما ذكرنا فـــي بحث سابق .

وكان متوقعا ان يحدث الحسم ، ولكنه لم يحدث ، وجاءت قضية الوساطة وحدث الصراع داخل الحركة الوطنية ، وتأمل المتاملون ان يقود ذلك الى تصفية الاجنحة «المتمردة» . وبهذا يتحقق الحلم المنشود ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ايضا .

ولهذا فسوف تمطّ احاديث الوساطة ، وسوف لن يضغط الوسيط السعودي ببعض قوته ، وهو يملك ما يستطيع به ان يحطم التصلب الاردني، لانه ينتظر تحولا فيالمقاومة يجعلها مقبولة سعوديا ، وبالتالي اردنيا . وفي هذا الوقت سينال النظام الاردني كل تأييد من السعودية ، وستتعرض المقاومة لضغوط سياسية متواصلة .

٢ ــ النظام الاردني يكشف كل اوراقه

استمر النظام الاردني بعد ايلول بحملته الشرسة لتصفيـــة المقاومة . وما ان سقطت احراش جرش وعجلون حتى اخذ النظام يقوم بتصفية شاملة ، تمثلت عمليات التصفية هذه بما يلي :

اولا : قامت القوات الاردنية بعرض عضلات على حـــدود

سورية ، وذلك من اجل دفع سورية لتصفية قواعد الثورة على اراضيها (الصحف يوم ١٣ــ٨) . ولكن الجمهورية العربية السورية ردت بعنف عسكريا ، وقامت بقطع العلاقات السياسية واغلاق الحدود بعدئذ . وادعى النظام الاردني ان «المخربين» هم السبب، وبانه مستعد لتشكيل لجنة تحقيق . الا ان الهدف من ذلك كان واضحا : انه يريد ان يجر الجمهورية العربية السورية الى بحث موضوع وجود قواعد الثورة في اراضيها الجنوبية .

ولقد قاد سخط السلطات الاردنية الى الاجراءات السورية الهامة ، التي كانت طعنة نجلاء للنظام .

ثانيا : استمر النظام في عملية التصفية ، فاتسعت عمليات الاعتقال حتى اصبح هناك آلاف من المعتقلين ، واشتد القمع والارهاب . وقام النظام بعدد من عمليات الاعدام (فتح ٢٢ــ٩ صوت العروبة ١٥ــ٩) ، كما ان مجلس الوزراء الغى امتياز ثلاث صحف اصحابها من الفلسطينيين (جريدة بيروت ٢٧ــ٨ــ١٩٧١).

ثالثا : يقوم الملك ورئيس وزرائه بالقاء الخطب واعطاء التصريحات دائما ، وهما في هذه الخطب والتصريحات يشيدان بالامن والاستقرار ويهددان ويتوعدان (النهار ٢٢ــ٩ ، ٢٣ــ٩ صوت العروبة ٢١ــ٩ ، لسان الحال ١٨ــ٩ ، صوت العروبة ١٦ــ٩ ، بيروت ٢٢ــ٨) . كما ان الملك يقوم بزيارات متتالية للقطعات العسكرية ، ويقوم اخوه الحسن ولي العهد بزيارات للعشائر (الراي الاردنية ١٢ــ٩) .

رابعا : وقامت السلطات من اجل تأكيد سيطرتها على الجماهير بانشاء الاتحاد الوطني الاردني . وقد اعلن الملك ميثاق الاتحاد في اجتماع بالديوان الملكي وعرّف الاتحاد بانه : «تنظيم لقوى الشعب الاردني بأجمعه في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع وفق محركات فكرية ومؤشرات عقائدية عامة منفتحة وانسانية المضمون والهدف» . وأوضح الملك ان الاتحاد «ليس تنظيما حزبيا بالمعنى السياسي والاجتماعي المعروف ، ولكنه بوتقة تصهر طاقات

الاسرة الاردنية ، لتصنع المعجزة التي تشق لنا طريـق النصر ، وتبني لابنائنا مستقبلا أفضل» .

وتؤكد المبادىء الاساسية للميثاق : ان «كل مؤامرة على كيان الاردن ووجوده مؤامرة على القضية العربية وبشكل خصوصـي على القضية الفلسطينية» المادة ٣ . كما تنص المبادىء الاساسية على «وحدة الشعب في الضفتين» (المادة ٧) و«وحدة خط المواجهة مع العدو» و«هذا يستلزم بالضرورة حشد القوى العربية فـي المعركة وتنسيقها وتوحيدها قيادة وتخطيطا وتحركا لمنع العدو من ضرب كل منها على انفراد» (المادة ٨) (البيرق ٨ـ٩) .

والهدف الاساسي من هذا الاتحاد اشراك قطاعات من الشعب في عمليات الارهاب والقمع .

وأعاد النظام توطيد علاقاته مع الولايات المتحدة الاميركية ، بعد ان اثبت كفاءته في «عمليات» سحق المقاومة ، فاستحق على ذلك مزيدا من الاسلحة ، كما ذكرت المصادر الاسرائيلية . ووجد النظام الاردني «مصادر اخرى بديلة في الولايات المتحدة والـى بعض الحد في بريطانيا لتمويل الخزينة الاردنية ...» بعـد ان قطعت المساعدات العربية (العمل ٣٠ـ٩ ـ الياس نعواس) .

هذا هو السلوك العام للنظام الاردني فماذا كان موقفه مـن الوساطة ؟

لقد اتبع أسلوب القمع والسحق والارهـــاب في الداخل ، وحاول ان ينتزع من الجماهير ، وخاصة جماهير المخيمات شهادة بالولاء . ولهذا لجأت السلطة الى حشد المخاتير والوجهاء وانتزاع بيانات منهم بالتأييد والولاء المطلق «لجلالة الحسين وحكومتـــه وتمسكهم بوحدة ضفتي الاردن» (البيرق ١٣ـ٩) .

وحاول النظام عربيا ان يبدو حريصا على الفداء والتحرير . ولكن اي فداء وأي تحرير ؟ ان ما يريده النظام هنا واضح وصريح، فهو يريد : مقاومة «اردنية المنشأ والهدف والولاء» (لسان الحال ٢٢ـ٩ـ٧١) ، اي انه لا يريد مقاومة ، بل يريد كتيبة جديدة من

كتائب الجيش الاردني ، تعمل لمصلحة النظام وضمن خطه السياسي ، وهذا الخط ليس التحرير على كل حال .

ولقد ملأ الملك الدنيا ضجيجا ، خلال الاتصالات الاولية من اجل الوساطة ، وخلال وجود وفدي السلطة والمقاومة في جدة في «ان الذي انتهى في بلدنا لن يرجع ولن يعود ...» (صوت العروبة ٢١-٩-٧١) .

ولم يتورع حسين عن ان يعلن في اليوم الاول لاجتماعات المؤتمر من انه «يريد ان تكون المقاومة تحت امرة جيشه ، وان كل قوة على ارضه يجب ان تكون تحت قيادته . وهذا يعني ان الملك افهم المؤتمر سلفا انه لا يقبل بوجود للفدائيين في الاردن » (لسان الحال ١٨-٩-٧١) .

وحين اختير وفد السلطة الى مؤتمر جدة جرى اختياره من اشخاص يوحي اختيارهم بأن مهمة الوفد الاولى هي احباط المفاوضات . فهم كلهم من اتباع السلطة الامناء ، المعروفين بعدائهم للمقاومة ، والذين لعبوا دورا معروفا بعد ايلول في عمليات النظام الاجرامية . وكان رياض المفلح ممثل السلطة لدى اللجنة العربية ، كما كان خليل عبد الدايم رئيس الاركان خلال ايلول وبعد ايلول ، وكان في الاجتماعات التي تعقدها اللجنة العربية والاجتماعات التي تعقد بين السلطة والمقاومة «يزايد» على ارباب السلطة .

وكان الوفد المؤهل جيدا ، مزودا بتعليمات واضحة . ولذلك لم يكن هنالك مجال واسع للمناورة . واخذ الوفد يحاول التنصل من التزامه بورقة العمل المصرية - السعودية التي وافقت عليها السلطة في الاردن ، فطلب اولا ان تبحث قضية وقف الدعم المالي الليبي - الكويتي للاردن (الشعب ٦-١٠-٧١).كما اثار قضية المنظمات التي ترفع شعار اسقاط الحكم (الاهرام ١-١٠). ولم يلبث ان طلب الانتقال من جدة الى عمان للتفاهم مباشرة وعلى ارض الواقع . ولكن هذا كله لم يجدِ فتيلا . وعندما طلب وفد

الثورة الفلسطينية من الوفد الاردني ان يعلن التزامه باتفاق القاهرة وعمان ، كما جاء في ورقة العمل المصرية ـ السعودية رفض الوفد الاردني ، ثم عاد وسحب تحفظه ؛ ولكنه أكد هذا التحفظ في المذكرة الاخيرة التي قدمها للمؤتمر وجاء فيها : « ان العودة الى البحث في اتفاقية عمان مستحيلة عمليا وفعليا » (الاهرام ١ـ١٠ـ٧١) .

وهكذا انتهت الجولة الاولى من المباحثات بتهرب وفد السلطة الاردنية وباعلان خروجه على اتفاقية القاهرة وعمان المتكاملتين .

والآن يجري الحديث عن جولة اخرى . وتقول «مصادر مطلعة في عمان ان الوساطة لم تفشل . وانها ما زالت قائمة» . و«اعربت هذه المصادر عن اعتقادها ان تجري جولة اخرى من المحادثات» (النهار ـ الحياة ٤ـ١٠) . كما ان وفدا اردنيا يقوم الآن بزيارة جدة ؛ يرئسه وصفي التل بنفسه . ويشترك فيه حابس المجالي . وتشير النهار الى ان الوفد سيعلن الالتزام باتفاق القاهرة والموافقة مجددا على ورقة العمل المصرية ـ السعودية واعلان الالتزام المبدئي باتفاق عمان . لكن الوفد سيطالب بتوقيع اتفاق سري مع الفدائيين . وتضيف النهار ان هذه الزيارة تاتي بعد ان «علمت الحكومة الاردنية بأن موقف معظم الدول العربية بدأ يميل الى جانب عمان» (النهار ٦ـ١٠) .

ولكن مع الحديث عن استئناف محادثات الوساطة تقوم بعض الاوساط العربية السائرة في خط النظام الاردني بدعاية مدروسة تتلخص في ان هنالك محاولة لجعل «الاردن بمثابة الورقة الرابحة في لعبة السلام المصرية ـ الاسرائيلية» ولذلك فان الاردن يقع الآن «تحت ضغط محاولة جديدة تتلخص بالتضييق» عليه «شيئا فشيئا لاجباره على اتخاذ خطوة منفردة مع اسرائيل ، وتنفرط من بعدها السبحة العربية وتتلوها خطوات مماثلة ، لكن بعد ان يكون الاردن قد لعب دور كبش الفداء مدفوعا من اخوته واشقائه» (لسان الحال ٢٩ـ٩) .

ان الدلائل تشير الى ان النظام الاردني يسير في هذه الطريق، وهذه ما هي الا تبريرات مسبقة لتهيئة الجو ولخلق أعذار للصلح المنفرد المنوي الاقدام عليه .

ولهذا فان الاردنيين ، كما تقول الايكونومست ، «لن يسمحوا للفدائيين بالعمل أبعد من كونهم مجرد فرقة غير نظامية من الجيش الاردني تخضع لاشراف وثيق بالنسبة للعدد والتسليح وميدان العمليات» (نداء الوطن ٢٣ـ٩ـ٧١) .

ويقوم وصفي التل باعداد مشروع اردني للعمل الفدائي «الصحيح» (بيروت ١٥ـ٨ـ٧١) .

٣ ـ لبنان والحريصون على افتعال صدام فيه .

هناك فئات في لبنان حريصة على افتعال صدامات فيه . وهذه الفئات التي تدعي الحرص على لبنان واستقلاله وكرامنه وازدهاره تسعى الى دفعه للخراب والهلاك ، كما فعل الملك الحسين وزمرته الحاكمة في عمان . ولا تعبر هذه الفئات عن مصالح لبنان بمقدار ما تعبر عن ارتباطاتها العربية والدولية في هذا المضمار . انها مستعدة لتنفيذ مقررات الرجعية العربية والامبريالية العالمية ، كما حدث سنة ١٩٥٨ ، ولو ادى ذلك الى خراب لبنان ودماره .

وتقوم هذه الفئات بالعمل المستمر لخلق البيئة الملائمة للتوتر والاستفزاز ، فهي منذ عقد اتفاق القاهرة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية لا تني تجرح الاتفاق وتطالب بالغائه ولكنها وجدت مؤخرا أعذارا واهية لدعوتها هذه . ويمكن ان تلخص هذه الأعذار بما يلي :

١ ــ «طرأ تطور خطير على مفهوم العمل الفدائي ، وعلى غاياته واهدافه ووسائله» .

٢ ـ «كان الاتفاق معقودا بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ككل ، واليوم اصبحت المقاومة منقسمة الى عدة اقسام» .

٣ ـ «كان معروفا ان للفدائيين هدفا واحدا هو تحرير أرض فلسطين واعادتها الى اصحابها الشرعيين ، وعلى اساس هذا الهدف رضيت السلطة اللبنانية آنذاك ، بدافع من الشعور بروابط الاخوة مع الشعب الفلسطيني ، ومن الرغبة باعادة الحق الى اصحابه بدافع من الشعور الانساني ، ان تقدم للفدائيين التسهيلات الممكنة في حدود الطاقة اللبنانية دعما وأرضا وحدودا . واليوم تبدل الوضع بشكل صريح لا لبس فيه ولا غموض . فلقد اعلن زعيم احدى جبهات التحرير الفلسطينية ان هدف تحرير الارض لم يعد هدفا له صفة الاولوية» .

لهذا «فانه لم يعد هنالك ما يلزم لبنان بتنفيذ اتفاق القاهرة، لان احد طرفي الاتفاق قد اختلفت شخصيته المعنوية وتبدل وضعه القانوني» .

«وهذا يوجب على الحكومة اللبنانية ان تجمد مفعول الاتفاق فورا ، حتى يعود للمقاومة الفلسطينية وضعها السابق وشخصيتها التي كانت معتبرة في اثناء عقد اتفاق القاهرة» (نداء الوطن ٨ـ٩ـ٧١) .

وطالبت اوساط اخرى بوقف العمل الفدائي ، حتى يتكون جيش تحرير مؤهل لخوض الحرب (النهار ـ افتتاحية غسان التويني ٢٠ـ٩ـ٧١) . وهذه الدعوة لا تخرج عن اطار الدعوة الاولى ، وان كانت اكثر مباشرة .

ويحاول بعض «المحرضين» استغلال كل حادثة لتحريض المواطنين واستثارة السلطة . ونضرب امثلة على ذلك ، فقد خطف احدهم ولم تجد الصحيفة بدا من ان تشير الى ان المخطوف كان قد مزق صورة ياسر عرفات (النهار ٢٠ـ٩ـ٧١) . وادعى احدهم ان مسلحين خطفوه ، وقامت القائمة ولم تقعد حتى اثبت تحقيق الامن الى ان الشاب افتعل الحادثة ليشتهر سياسيا وهكذا .

ثم هناك مسالة تسليح الجيش ، وهي مسالة داخلية فعلا . وهي هامة بالنسبة للقضية الفلسطينية اذا كان هدف التسليح مواجهة العدو على الحدود . الا ان المذكرة التفسيرية للقانون تجعل قضية الدفاع الوطني هي «تامين امن وسلامة البلاد والحفاظ على المؤسسات وعلى حياة السكان في اي وقت كان وضد كل انواع الاعتداءات» . وتشير المذكرة ايضا الى ان هدف الخطة الخمسية «ان توفر للجيش القدرة على حماية الوطن ، على حماية بنيانه الاجتماعي والمدني والاقتصادي والسياسي ، وعلى دعم معنويات السكان ، وعلى المحافظة على الامن والنظام يوم يتعرض لبنان لاعتداءات هدامة تستهدف شل العمل الحكومي وقلب النظام وبلدر الفوضى» (بيروت ، الافتتاحية ٢٨ــ٨ــ٧١) .

ولقد انتقد جنبلاط القانون على اساس «ان الاسباب الموجبة» فيه «تكشف صراحة عن التخطيط لمحاربة وضرب الخط الوطني ، وان الذي يمعن النظر في النقاط الواردة في الاسباب الموجبة يتاكد من ذلك» (بيروت ٢٨ــ٨) . كما ان شمعون نفسه اعلن انه سيستجوب الحكومة في قضية خطة التسلح ، على اعتبار ان الاسلحة المطلوبة من الانواع المفيدة في العمليات الداخلية ، وليس في عمليات الدفاع عن كرامة الوطن .

ان هذا كله يقود الى مزيد من الانزلاق على الطريق الخطر ، ولا نعتقد انه من مصلحة لبنان ان ينساق الى ما انساق اليه الاردن .

٤ ــ ما الذي تريده مصر :

مصر تريد حلا . ولقد تحدث الرئيس السادات مرارا هذا العام فاكد ان القضية يجب ان تحسم قبل نهاية هذا العام ان سلما وان حربا .

ولقد حاولت مصر ان تحل القضية سلما عن طريق الولايات المتحدة ، فوافقت على مشروع روجرز اولا ، ثم وافقت على وقف اطلاق النار ، واستعدت للدخول في محادثات سلام . ولكن الولايات المتحدة تخلت عن تعهداتها التي جاءت جزءا من مشروع روجرز ، واخذت تزيد من تأييدها ومساندتها لدولة الاحتلال .

وكان طبيعيا بعد هذا ان يتحدث الرئيس السادات عن خداع الولايات المتحدة (النهار ١٧ـ٩) ، كما كان طبيعيا ان يتهم محمود رياض الولايات المتحدة بالتضليل وبممالأة دولة الاحتلال .

واذا كان اليأس من الولايات المتحدة قد دفع بريطانيا الى ان تجرب «حظها» ، فان بريطانيا لن تستطيع ان تخرج عن الخطة الاميركية من جهة ، ولن تستطيع ان «ترغم» دولة الاحتلال على التراجع ، كما تستطيع الولايات المتحدة. والولايات المتحدة مقررة الا تفعل ، وهي تحاول ان تتراجع عن طريق طرح مشروع التسوية الجزئية : اي فتح قناة السويس . والتسوية الجزئية باعتبارها بديلا للتسوية الشاملة وسيلة الولايات المتحدة لتجميد الاوضاع في المنطقة لمصلحتها ومصلحة الاحتلال الصهيوني ، كما انها وسيلة تجنب النزاع مؤقتا . ودولة الاحتلال توافق على التسوية الجزئية ، انما بشروطها هي .

ولقد بادرت مصر الى رفض التسوية الجزئية ، واصرت على ضرورة استمرار يارنغ ، وعلى ضرورة رد دولة الاحلال على «مذكرة يارينغ بتاريخ ٨ شباط ١٩٧١ ، وتعهدها بالانسحاب الى الحدود الدولية لمصر ، وذلك كأساس لحل المشكلة» (الانوار ٣ـ١٠ـ٧١) .

وما دام الامر كذلك ، وما دامت مصر مصرة على الحسم ، وقبل نهاية هذا العام ، فلا بد مما يلي :

اولا : الاستعداد للقتال على الصعيد الداخلي ، وهو ما يتم بطريقة تقليدية : حشد قوات ، تطوير كفاءتها ، الحصول على اسلحة ، اشعار الجماهير بأن المرحلة المقبلة مرحلة حسم . الا ان

هذا كله لا تصحبه تعبئة حقيقية للجماهير .

ثانيا : تعبئة بعض طاقات الامة العربية ، ان لم يكن ممكنا تعبئتها كلها . ولذلك ركز الرئيس السادات على موضوع وحدة مصر وسوريا وليبيا من جهة ، كما ركز على ضرورة بناء الجبهة الشرقية من جهة أخرى .

فلقد قربت ساعة الحسم ، وهذا يقتضي : «ان تتبلور وتتوحد الارادة العربية» (الاهرام ١٥-٩-٧١) .

وحين تحدث الرئيس السادات عن الاتحاد قال : « احنا نشكل الجبهة الجنوبية ، وسوريا بتشكل الجبهة الشمالية .. ليبيا بتشكل عمق لنا للمعركة ... السودان بشكل عمق ايضا» (الاهرام ٣١-٨) .

واشار الفريق صادق «انه بعد المحاولات السلمية لم يبق الا القوة» (الاهرام ١٧-٨-٧١) .

ولهذا قامت القاهرة بحملة ضغط دبلوماسي واعلامي على الاردن ، مطالبة «ان يضع الاردن قواته واسلحته على خط المواجهة مع العدو ، وان يحل المشكلة القائمة بينه وبين المقاومة الفلسطينية واطلاق حرية العمل لها ، بما يحقق كل الطاقات للمعركة المصيرية» (الاهرام ٢٠-٨-٧١) .

وقام محمود رياض بتأكيد هذا كله في اجتماعات وزراء خارجية الدول العربية التي تمت اخيرا في القاهرة تحت عنوان ما أسماه الضرورات الثلاث :

«١ - ضرورة قيام الجبهة الشرقية في الاردن ...

٢ - ضرورة ازالة الخلافات القائمة بين حكومة الاردن والمقاومة الفلسطينية .

٣ - ضرورة التعاون العربي المخلص والجاد لحشد الطاقات والجهود العربية في الضغط على حكومة واشنطن التي رفضت ان تتخذ موقفا محايدا في النزاع ، كما رفضت ان تتوقف عن تأييد اسرائيل ومساندتها وتعزيز قدرتها على العدوان وعلى الاحتفاظ

بثمار العدوان» (الصياد ، العدد ١٤٠٩ ، ١٦-٢٣/٩) .

ومع ذلك ، فان مصر ستوظف هذا كله من اجل السلام ايضا، ومن اجل الوصول الى تسويه . وهي لم تقطع الامل بعد ، وقد طلبت من بريطانيا القيام بمبادرات جديدة ، وطلبت ممارسة تأثير مباشر على كل من واشنطن وتل ابيب لتحقيق انسحاب من الاراضي المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ .

الا ان القاهرة كانت تعلم ، وهي تطالب بريطانيا بالقيام بمثل هذه المبادرة انها لا تتوقع المعجزات ، وهذا هام .

ان استمرار تعنت دولة الاحتلال ، واستمرار انحياز الولايات المتحدة ، واستمرار رفض مصر للتسوية الجزئية ،واصرارها على الانسحاب حسب ما نص عليه قرار مجلس الامن ،سوف يقود الى تطورات ليست في مصلحة التصفية والتسوية . فهل تتمسك مصر برفض التسوية الجزئية وبالاصرار على الانسحاب الكامل ؟

ان الولايات المتحدة ودولة الاحتلال يعملان من اجل اجبارها على التراجع . وقد يكون ذلك عن احدى طريقين :

الاولى : دفع الاردن لعقد صلح منفرد ، حسب الشروط الاميركية ـ الصهيونية .

الثانية : معركة قصيرة صاعقة ضد قوى مصر الضاربة ومطاراتها ومواقع صواريخها .

ولهذا على مصر ان تكون مستعدة لحرب طويلة ، وان تقلع عن فكرة «التفجير المحسوب» الهيكلية (الاهرام ٢٠-٨) .

١ ـ فشل الجولة الثانية من جولات المصالحة .

انتهت الجولة الثانية من مسلسل المصالحة بين المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني الى الفشل . ولقد جاءت هذه النهاية عكس ما كان يشيعه الاردن وبعض الاوساط العربية ، وخاصة المملكة العربية السعودية من جهة ، وعكس ما كانت تؤكده صحف عربية وأوساط عربية تقدمية ووطنية من جهة اخرى .

فلقد جاء في الوكالات من عمان «ان مصادر مسؤولة في الوفد الاردني الى محادثات الوساطة في جدة» اعربت «عن املها بالوصل الى اتفاق نهائي وشامل بين الحكومة الاردنية ومنظمات المقاومة خلال اليومين العادمين» . واضافت هذه المصادر ان «جوا من التفهم ساد المحادثات مع وفد المقاومة الذي ابدى تجاوبا حسنا ونية حسنة» (الكفاح ١٦ـ١١ ، ٢٧٣٦) . وكان مصدر رسمي اردني قد اعرب عن تفاؤله بالمحادثات التي ستجري في جدة ، يوم ٣١ـ١٠ (الحياه ١ـ١١ ، ٧٩٧٤) .

وكان مثل هذا التفاؤل الاردني ـ السعودي يجد صدى مخيفا في الاوساط التقدمية والوطنية . وقد عبَّرت صحيفة (الحرية) عن ذلك بقولها : «ان الذين قبلوا بمنطق الوساطة العربية والمفاوضات مع النظام الاردني لن يستطيعوا ايقاف تيار التنازلات الجوهرية المتابعة الآن ، ذلك هو من صلب المنطق نفسه» (الحرية ٥٩٢) . وعادت (الحرية) فأكدت في الاسبوع التالي ان وفد المقاومة يسير على طريق التسليم (٥٩٣) .

فلماذا فشلت مباحثات المصالحة اذن ؟ وما سر التفاؤل الاردني الرسمي وتخوف الاوساط التقدمية الفلسطينية والعربية؟

لقد فشلت المباحثات نتيجة الاسباب التالية :

اولا : لان الوفد الاردني الذي كان يفاوض في جدة جاء الى جدة باوامر صريحة وافكار محددة تدور حول ما يلي :

أ ـ ان السلطة الاردنية هي ممثلة الشعب الفلسطيني ، وسوف نبحث هذه القضية فيما بعد .

ب ـ ان السلطة الاردنية هي السلطة الوحيدة في الاردن ، وان اي عمل يتم في الاردن يتم من خلالها ، وتحت اشرافها .

جـ ـ ان المقاومة الفلسطينية ليست الا اعمالا فدائية لجماعات محدودة ، تعمل «ضد الاحتلال حيث يربض ويبسط ظله وطالما بقي» كما يقول حسين الى رئيس وفده الى المباحثات (الراي ٥ـ١١ـ٧١ ، ١٣٥) . وهي بالتالي ليس من حقها ان تملك حريتها في العمل العسكري ، وليس من حقها ان تقوم بالعمل السياسي في اوساط جماهيرها .

ولهذا كان الوفد الاردني صريحا في مطالبه ومقترحاته : فالمنظمة لا تمثل الشعب الفلسطيني ، والدولة هي صاحبة السيادة الكاملة على اراضيها ، والعمل السياسي ممنوع على الثورة ، والعمل العسكري تحت اشراف السلطة الاردنية ، وعدد الفدائيين المسموح بوجودهم لا يجوز ان يزيد على الالف .

وكان طبيعيا ان يرفض وفد المقاومة كل هذه الشروط ، خاصة وهنالك رفض شعبي وفي اوساط قواعد المنظمات للمصالحة أصلا .

ثانيا : ان المفاوض الاردني ذهب الى جدة ، وهو يراهن على «توقعات» اخرى . وكان يجلس الى مائدة المباحثات مناورا ، وهو يتوقع احداثا تقلب الامور راسا على عقب . فما هي هذه الاحداث التي كان المفاوض الاردني يتوقعها ؟

انها تتلخص في امر واحد : انفجار حركة المقاومةمن الداخل. وفي هذه الحالة تتمكن العناصر المؤمنة بضرورة حصر المقاومة في عدد محدود من الفدائيين ، وحصر مهمتها في العمل داخل

الارض المحتله فقط ؛ من تحقيق الاتفاق المنشود . ولقد كـــان هدف المحاولة الراميه الى اغتيال ياسر عرفات خدمة مخطـــط التعجير هذا. وكانت دوائر المخابرات الاردنية ودوائر أخرى تعتقد ان اغتياله سيعجر حركة التحرير الوطنـــي الفلسطيني (فتح) ، وسينهي مشكلة الثوره الفلسطينية ومنظمه التحرير !

ولكن مخطط الاغتيال لم ينجح ، ووفد حركه المقاومه لم يسر في مسلسل التنازل ، كما توقعت (الحريه) ، والضغط السعودي لم يثمر . وهكذا فشلت الجولة الثانية من المباحثات .

ويعود سر التفاؤل الاردني في تقديرنا الى ثلاثة عوامل :

اولها : ان الاردن ، الذي حقق انتصارات علـــى حركـــة المقاومة ، خلال عام او يزيد ، ومنذ نهايات صدامات ايلول وحتى اليوم ، كان واثقا من قدرته على تحقيق المزيد من الانتصارات . وكان ما يراه من تراجع مستمر في حركة المقاومة ، يقنعه بان التنازل سيستمر ، لاسيما ان هنالك من يرفعون شعارات مماثلة لشعارات السلطة الاردنية بأساليب مختلفة ، وهناك من يساومون ومن يتخاذلون ، ومن يهربون من المعارك، ومن يبحثون عن الراحة والوجاهة داخل حركة المقاومة .

ثانيها : ان الاردن كان يعمل ، مع دوائر مخابرات عربيـــة واجنبية لشق حركة المقاومة ، ما بين فتح وغير فتح ، ويســـار ويمين و... و... وكان يبدو ان هذه المساعي الرامية الى تفجير حركة المقاومة تؤتي اكلها. وكان هنالك كثير من الظواهر التي تؤكد هذه الحقيقة . كما يبدو ان الخيل التي كانت تراهن عليها الانظمة كانت حريصة على ان تقنع الانظمة بقدرتها على تحقيق الاهداف المطلوبة .

ثالثها : ان الاردن كان يريد ان يحتال على بعض الانظمـــة العربية لانهاء العزلة والقطيعة ، ولبدء حوار مع هذه الانظمة يقود الى عزل المقاومة نهائيا . ثم ان النظام كان يحاول ان يخـــدع جماهير الشعب الاردني التي ضايقها الحصار بوعود سرابية .

اما سر تخوف بعض الاوساط العربية التقدمية فيعود الى عاملين :

اولهما : عدم ثقة هذه الاوساط بقيادات حركـــة المقاومة ، واعتقادها بانها قيادات «سقطت» «وانتهت» .

ثانيهما : اعتقاد هذه الاوساط بأن القيادات التي رضيت بكل التنازلات السابقة ، مستعدة لكل تنازل يطلب منها .

وسنناقش موقف هذه الاوساط فيما بعد .

وهكذا كان ان انتهت جولة اخـــرى من المباحثات دون ان تتنازل المقاومة عن هدف من اهدافها الاساسية الثلاثة وهي :

١ ــ منظمة التحرير هي الممثل للشعب الفلسطيني .

٢ ــ حرية العمل الفدائي عسكريا .

٣ ــ حق الثورة الفلسطينية بتعبئـــة الجماهير في الاردن سياسيا واعلاميا .

هذه هي «المطالب» التي ان تنازلت عنها المقاومة انتهت تماما، والتي تحاول جهات مختلفة ان «تسلبها» اياها ، كما ان هنالـك داخل المقاومة من يدعو الى التنازل عنها بأساليب مختلفة ، تبدأ بالدعوة الى العمل السري ــ ولسنا ضد السرية بالطبع . وتنتهي بالدعوة الى التوجه الى الداخل ، والى الداخل فقط ، من اجل انهاء وجود المقاومة ومكاسبها خارج نطاق الاحتلال الصهيوني ، ولحرمانها من حقل استقطابها بين جماهيرها الفلسطينية والعربية، ولالغاء قواعدها الخارجية ومناطق تمحورها وانتشارها التـــي تعطيها اسباب البقاء والقوة في الداخل والخارج .

ان هذا كله يحقق غاية الانظمة المترددة والخائفة ، لان هذا الالغاء يضع حدا لنمو سلطة الشعب الفلسطيني وتبلور ارادته المنظمة المسلحة ، كما يمنع التفاعل بين هذه البؤرة الملتهبـــة والجماهير العربية .

انتهت الجولة الثانية اذن بالفشل فهل ستبدأ جولة اخرى ؟ ان هذا يعتمد على مجموعة منالظروف الفلسطينية والعربية.

ذلك ان ياس جمهورية مصر العربيه من «الحل السلمي» الموحى به اميركيا . يدفع الى الحديث عن ضرورة الحرب . والحديث عن ضرورة الحرب يجر الى الحديث عن الجبهه السرقيـــــه ودور المقاومة . وفي هذا المجال يكتفي بعضهم بضروره ان تضع المقاومه نفسها ضمن اطار «التنسيق العربي» ، كما يرى بعض آخر ان من الضروري ان تحدد المقاومة دورها في المسيره كلها «لان المسيره لن تنهي بالاشتباكات المقبلة» بل ستدخل مع هذه الاشتباكات مرحله جديدة ، طريقها طويل وشاق ومعقد» (المحرر ، الياس سحاب . ٢٦-١١) والكلام واضح في معناه ومبناه . ذلك ان المطلـــوب عربيا ، هو التنسيق اولا ، وللتنسيق عربيا معناه . والمطلوب ثانيا هو ان تصبح المقاومه جزء من استراتيجية الانظمه الحاليه .

وما دامت الرغبة في الضغط على دولة الاحتلال الصهيوني واردة ، فسيظل الحديث عن المصالحه واردا . وعلى الرغم من ان الملك حسين قد صرح بانه لن يصافح قتلة وصفي التل ، فان استمرار التوتر والحديث عن الحرب واستمرار «المساعي الحميده» سوف يقود الى جولات اخرى ، الا اذا حدثت تطـــورات مفاجئة وجذرية في الموقف الاردني او العربي او الفلسطيني ، او فيهـا جميعا .

٢ ـ ياسر عرفات يطلب الوساطة وياسر عرفات يحبطها :

بينا الاسباب التي نعتقد انها تكمن وراء فشل مباحثـــات المصالحة . ولكن هنالك من يعزو الفشل الـى اسباب اخرى . وهذه الاسباب هي :

اولا : ان المفاوض الاردني كان «مزودا باوامـــــر وتعليمات صريحة من حكومته بعدما قبلت هذه الحكومة ورقة عمل الوسطاء! في حين ان مفاوض المقاومة الذي قبل ورقة العمل كان يتعرض

لضغوط وتيارات تتجاذبه ، ولا قبل له على مواجهتها بحزم ! ولعل ابرز هذه الضغوط هي التي واجهتها منظمة التحرير الفلسطينية من بعض فصائلها المتمردة عليها اصلا ، والتي قبلت الوحدة داخل المنظمة كتكتيك وليس كاستراتيجية» (الجديد ، ٢٥١ ، ١-١٠-٧٠) .

ثانيا : «كان بامكان ياسر عرفات ان يقول بصراحة ان المقاومة هي التي طلبت الوساطة ، ولو فعل هذا لقطع الطريق على المنظمات التي تعرقل مسيرة المقاومة ، ولكن السيد عرفات فضل اللجوء الى السياسة المتعارف عليها بين الحكام العرب ، والتي تقول في الاجتماعات الرسمية شيئا وتجاهر امام الناس بشيء آخر » (الجديد ، ٢٥٤ ، ٢٢-١٠-٧١) .

وكانت المجلة ذاتها قد اتهمت ياسر عرفات بانه لم يستطع ان يتخذ موقف الحسم (الجديد ٢٥١ ، ١-١٠) ؛ كما اتهم من قبل بانه يمسك بالعصا من منتصفها .

ثالثا : «ان القاعدة الشعبية الفلسطينية تصر على ان تكون المعركة مع العدو ، وداخل الاراضي التي يحتلها ، وتصر بالتالي على رفض جميع الوصايات ، مهما كان شكلها ونوعها وتبعيتها ! وكان على السيد عرفات المؤمن بهذا الاتجاه ان لا يترك الامور تفلت من يده ، وكان بامكانه ان يحرر المقاومة من عقدها باتخاذه موقفا صريحا يحصر عمل الكفاح المسلح في اطاره الذي انشىء من اجله ...» ، «ولان السيد عرفات قد أمسك بالعصا من منتصفها تحت ضغط الاخوان المحيطين به ، بدا يواجه المتاعب المتلاحقة ، ومنها مشكلة جيش التحرير الذي نمت فيه الماركسية بغفلة ...» (الجديد ٢٥٣ ، ١٥-١٠-٧١) .

رابعا: «... قيام بعض الدول العربية الرافضة للسياسة المصرية الخارجية بالتدخل في اوساط الفدائيين والعمل لنسف مبدا الوساطة» (الجديد ٢٥٤ ، ٢٢-١٠-٧١) .

القضية اذن هي قضية ياسر عرفات اولا . فياسر عرفات لا يريد ان يحسم مع الماركسيين ، او لنقل لا يريد لانه عاجز عن الحسم . وهي ايضا قضيه المنظمات الماركسية المطلوب الحسم في امرها والتي «رات في هذا التحرك اول خطر حقيقي يواجه التغلغل الماركسي في الساحة الفلسطينيه بمخطط معاكس ... او على الاصح بتدابير معاكسه» (الجديد ٢٥٤ ، ٢٢-١٠) .

وهي ثالثا قضيه بعض الدول العربية المتماكسة للسياسة المصرية ، كما تزعم المجلة المذكوره . والتي حركت العمل الفدائي ضد الوساطة .

ولكنها فوق هذا كله قضية الوسطاء انفسهم . وماذا يريدون، فهم لا يريدون وساطة تعيد المقاومه الفلسطينيه الى الاردن ، وهم لا يريدون «من وساطتهم ان تكون بمثابة حبة مسكن توقف الى حين النزيف ، بل يريدونها عملية حسم تضع المقاومة في المكان الذي رسم لها فيخط المواجهة» (الجديد٢٥١، ١-١٠-٧١).

هذا اذن ما تريده الوساطة ، والمطلوب من ياسر عرفات ان يحسم . فماذا تعني انه يحسم ؟

انها تعني ان يبادر الى ما يلي :

اولا : قمع الحركة الوطنية الفلسطينية . وضرب جذورها وظواهرها الشعبية ، واغراق البلاد في بحر من الدماء من اجل سحق روح التسيس لدى الجماهير ، ومنعها من ان تفكر وتناقش وتنتقد الخونة والعملاء وتكشف خيانتهم وزيفهم وعمالتهم .

ثانيا : ربط الشعب الفلسطيني بعجلة الانظمة ودوائر مخابراتها ، وتجنيده لتنفيذ مخططات التصفية والاستسلام .

ولان ياسر عرفات لم يقبل السير في هذا الطريق تشن عليه الحملات التشكيكية ، وتشن ضده حملات التحريض .

وهكذا نرى بوضوح ما الذي تريده بعض الاوساط العربية من الوساطه ، وهي اذ تعجز عن تحقيق ما تريد ، على الرغم من المجازر ، تلجا الى محاولة التفجير من الداخل ، والى محاولة

التشكيك والدس والوقيعة ، مستخدمة العناصر التي تريد «حسما» على هذه الطريقة .

وانه لفخر لياسر عرفات ان يرفض الحسم في مثل هذه الحاله، كما انه شرف له ان يحبط وساطة هذهالاهداف اهدافها.

ولكن القضية في رأينا، ليست قضية ياسر عرفات ، بل قضية الشعب الفلسطيني كله . والشعب الفلسطيني لا يسمح بتصفية قضيته ، كما انه لا يرضى ان يتحول ابناؤه الى اجهزه قمع في ايدي دعاه التصفية والاستسلام . وامام تمسك الشعب الفلسطيني باستقلاليته وحرصه على استمرار دورنه ، وعلى دحر مؤامرات التصفية والاستسلام ، لا بد من ان تفشل وساطة مثل الوساطة الآنفة الذكر .

فانى لهؤلاء ان يفهموا ان ارادة الجماهير لا ترد ولا تهزم ، وانها ليست ملكا لفرد ، وان ما من احد يستطيع الاحتيال عليها او ايقافها او صرفها عن اهدافها .

٣ ـ من يمثل الشعب الفلسطيني ؟

منذ انطلقت المقاومة سنة ١٩٦٥ انطلق للشعب الفلسطيني صوت جديد ، كان ضائعا وتائها . ولقد احس شعبنا مذ ذاك بالفرح العميق لانه وجد نفسه . ولكن بروز المقاومة ممثلا للشعب الفلسطيني كان لا بد من ان يصطدم بالوصايات المفروضة على شعبنا عموما ، وبالسلطة الاردنية خصوصا . فالوصايات كانت وما زالت تسعى لان تلغي شخصية شعبنا ، او لان نجعله في وضع القاصر دائما . اما السلطة الاردنية فانها لا تريد ان تلعب دور وصي ، انها تعتبر نفسها صاحب الحق ، الوريث ، وشعبنا بالطبع يقاوم ، مذ احدث الضفتان ، هذه السياسة العدوانية . ولكن النظام الاردني يندفع ويزداد شراسة كلما ازدادت المقاومة.

وتبدأ قضية التمثيل عندما قام جماعة من شعبنا لا صفة تمثيلية لهم ، باعلان وحده الضفنين في مؤتمر اريحا . ولم يعترض شعبنا على وحده الضفتين وقتها ، ولا هو معترض الآن . ان اعتراضه على السلطة الاردنيه وعلى أهليتها لتمثيل الشعب في الضفنين .

وتنبع المشكله الاساسية في قضية التمثيل مما يلي :

اولا . ان السلطة الاردنيه لم تكن في يوم من الايام ممثلة اراده التحرير والعوده ، وكانت علاقاتها وارتباطاتها الدولية وطبيعة تكوينها تجعلها ممثلة للوضع القائم : اي استمرار الاحتلال الصهيوني ، استمرار التشريد والقمع والجوع الخ . وكان شعبنا يريد من يمثل اراده التحرير والعوده ، وليس صعبا ان يكتشف ان السلطة الاردنية لا تمثل هذا الاتجاه .

ثانيا : ان السلطة الاردنية لا تستطيع ان تدّعي قانونيا ودوليا انها تمثل اكثر من الضفه الغربية ، ولكن فلسطين ليست الضفه الغربيه فحسب .

فاذا ما اوكل تمثيل فلسطين الى السلطة الاردنيه حوّلته الى موضوع اعادة الضفة الغربية فحسب ، اي تكريس الاحتلال في المناطق الاخرى ، وعدم القتال لاعادة الضفه الغربية ذاتها .

هذا من جهة اما من الجهة الاخرى ، فان الاميركيين والاسرائيليين استخدموا قضية من يمثل الشعب الفلسطيني لتحريض السلطة الاردنية على ضرب المقاومة . وكان دُهاة وزاره الخارجية الاميركية يهمسون في اذن السلطة الاردنية دائما : كيف تريدون ان نتفاهم معكم على حل سلمي ما دامت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني لم تحسم . ان منظمات المقاومة تحظى بتأييد واسع في اوساط الجماهير الفلسطينية ، واليكم ان تثبتوا أنّم انكم قادرون على وضع حد لهذا كله . وكانت مجزرة ايلول وما تلاها ، ولكن القضية لم تحسم . فالسلطة الاردنية تريد من الشعب ان يوكلها بتمثيله لتكون قادرة على اجراء عملية التصفية.

ولهذا اخذت السلطة الاردنية ، وبعد سقوط جرش وعجلون خاصة ، في طرح قضية التمثيل محليا وعربيا (انظر الفصول السابقة) وازدياد نشاط السلطه في هذا المجال بالذات ، خلال الشهرين الماضيين . وتمثل هذا النشاط فيما يلي :

اولا : محاولة سحق حركة المقاومة نهائيا ، حتى لا تظل القضية مطروحة . وكان ان لجأت السلطة الاردنية الى المجازر الدامية والقمع والبطش ، ثم اخذت تعمل لتفجير المقاومة من الداخل .

ثانيا : القيام باتصالات عربية لتصوير الامر على غير حقيقته، ولمحاولة اقناع الدول العربيه ، بان المقاومة تطالب بحق التمثيل من اجل خلق دولة فلسطينية مسخ ، اذ ما « مقدار الفائدة او الضرر الذي يلحق بمسألة التحرير من جدوى البحث. والسؤال الآن في (منْ يمثل شعب فلسطين) قبل ان نحرر فلسطين وأهلنا في فلسطين» (الراي ، ١٤٩ ، ٢٤-١١) .

ثالثا : القيام بحملات اعلامية لتكريس القيادة الواحدة وفكرة الاسرة الواحده ووحدة الضفتين ، بينما هم يعملون بمنطق السيطرة والاخضاع (الراي ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٤٥ تاريخ ١٨-١٠ ، ٢٢-١٠ ، ٢٨-١٠ ، ١٧-١١) .

ولم يكتف عملاء السلطة بطرح هذه القضية في احاديثهم وفي ندواتهم من خلال الحديث عن القيادة الواحدة والاسرة الواحدة ، بل تجرأوا فطرحوها علانية ، ولكنهم استخدموا اكثر من أسلوب في طرحها . فهم يحاولون حينا ان يقولوا ان قضية التحرير اهم من قضية التمثيل ، وهذه كلمة حق اريد بها باطل ، لان السلطة الاردنية تريد صرف النظر الآن عن قضية التمثيل ، وعن قضية التحرير .

ولقد قالت صحيفة الراي الرسمية ، في طرحها للموضوع:

«اذا كان المطلوب ، عربيا وفدائيا ، تحرير فلسطين ، فنحن في طليعة من يجاهد ويناضل في هذا السبيل ، وسجل كفاح

الاردن في هذا المضمار يشرف كل المنشدقين وادعياء التحرير .
اما اذا كان المطلوب عربيا وفدائيا الحصول على اعتراف اردني بمنح هذه المنظمات حق تمثيل شعبنا في الضفة الغربية ، على اساس نسف وحدة ضفتي الاردن ارضا وشعبا ، فهذا المطلب مرفوض جملة وتفصيلا » (الراي ، ١٤٧ ، ٢٢-١١) .
ويلاحظ هنا ان اوساط السلطة الاردنية معنية بمن يمثل الضفة الغربية ، وليست معنية في شيء بصدد قضية فلسطين كلها ، وشعب فلسطين كله .
ويبدو الارتباك الاردني الشديد ، من خلال طرح قضيـــــة التمثيل هذه ، التي يختلط في طرحها محاولة الاساءة للمنظمات الفدائية بمحاولة تضليل الراي العام عن طريق ايهامه بان انتزاع التمثيل من السلطة الاردنية معناه : «فصل الضفة الغربية عـــن الضفة الشرقية ، على اساس ان الضفة الاردنية المحتلة هي التي وقع عليها الاختيار اسرائيليا وفدائيا ، لتمثيل الفصل الاخير من مسرحية خيانة القضية على ارضها الطهـــــور» (الراي ١٤٧ ، ٢٢-١١-٧١) .
ولكن هذا الاسلوب ليس الاسلوب الوحيد الذي يستخدمه جهابذة السلطة الاردنية ، اذ انهم ما ان يكتشفوا عقم هذا الاسلوب حتى يطرحوا ما يريدون مباشرة . ولهذا حوّلوا قضية تمثيــــل الشعب الفلسطيني الى قضية قانونيـــة تكتب فيها الابحـــاث القانونية .
وجرت المحاولة لاثبات ما يلي :
١ ـ «ان وحدة الضفتين وحدة قانونية وشرعية ، وانها كانت وليدة الارادة الشعبية التي عبر عنها الشعب بشكل مباشر عـــن طريق المؤتمرات ، واقرها ممثلو الشعب في مجلس الامة» المنتخب من الضفتين .
٢ ـ «ان عدم عرض قرار الوحدة على الاستفتاء الشعبي لا يؤثر في شرعية هذا القرار لسببين :

ا ـ لان الشعب اظهر رايه في اقرار هذه الوحدة عن طريق المؤتمرات الشعبية ـ عن طريق نوابه ... »

ب ـ ان وحده الضفتين تعتبر شرعية طالمـــا اعترفت دول العالم بها ، سواء تمت عن طريق الاستفتاء او عن غيره» .

٣ ـ «ان كون الثورة الفلسطينية تسعى لتحرير الاراضـــي المحتلة بالقوه لا يجعل لمنظمة التحرير باعتبارها تضم فصائـــل المقاومة الحق في تمثيل الشعب الفلسطيني لعدة اسباب :

ا ـ لانه ليس هناك رابطة بين الصفه القانونية او الواقعيـــة للسلطة وبين مضمون نشاطها او طبيعة الاهداف التي تسعـــى اليها ... »

ب ـ «ان السلطة التي تمثل شعبا معينا يجب ان تستند الى ارادة هذا الشعب التي يعبر عنها ممثلوه بطريقة حرة ...»

جـ ـ «ان الثورة عندما تستهدف التجزئة والانفصال وتفكيك عرى وحدة الشعب الواحد ، فانها لا تكون ارادة شعبية » .

٤ ـ «ان تنازل الحكومة الاردنية في اتفاقية عمان لمنظمـــة التحرير عن حق تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية باطل لان اتفاقية عمان تعتبر باطلة قانونا لعدم عرضها على مجلس الامة وموافقة مجلس الامة عليها » .

وتصل الدراسة الى الاستنتاج التالي :

«يتبين مما سلف ان منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن ان تمثل كافة قوى الشعب الفلسطيني ، ولا يمكن ان تمثل سوى فصائل المقاومة طالما انها تفتقر الى الارادة الشعبية التي تعتبر وسيلة اسناد اية سلطة ، وان الحكومة الاردنية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية» (الراي ، ١٤٣ ، ١٥ ـ ١١) .

ويبدو واضحا من هذا كله ما يرمي اليه النظام الاردني . انه يريد ان يتمسك بشرعية تمثيل الشعب الفلسطيني في الضفـــة الغربية ، ليستطيع اجراء تسوية فيما يتعلق بالضفة الغربية ،

وليمسع طرح القضية الفلسطينية طرحا شاملا ، لان في ذلك ما يمسه .

ولكن تمثيل اي شعبليس مرهونا بفرض سلطةالامر الواقع، ولا مرهون بالاتفاقيات والقرارات . انه مرهون بظهور قوة تستطيع ان تستقطب ارادة الجماهير ، وان تجعلها قادرة على تغيير الامر الواقع .

فاذا ما استطاعت المقاومة الفلسطينية ان تستأنف مسيرتها، وان تتخطى العقبات التي تقف في طريقها انتزعت حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني واسقطت كل مؤامرات السلطة الاردنية وكل اسانيدها «القانونية» الشكلية .

وفي النهاية لن يمثل شعب فلسطين الا الذين يجسدون قضية التحرير والعودة ، وواضح ان النظام الاردني ليس واردا في هذا المجال .

١٠-١١/١٢/١٩٧١

٧

لبنان والثورة الفلسطينية :

عندما انشئت القواعد في جنوب لبنان كان الهدف من انشائها : ضرب طوق مسلح حول الارض المحتلة يبدأ من العقبة في جنوب الاردن ، وينتهي في الناقورة في جنوب لبنان . ولقد انجز ذلك الطوق سنة ١٩٦٩ ، وجاء اتفاق القاهرة ليكرسه امرا واقعا . وكان هذا الطوق يلعب دورا مزدوجا :

١ ــ دور قواعد الارتكاز التي تقوم بامداد الداخل بالرجال

والسلاح والمال وكل ما تحتاجه ،
٢ ــ دور القواعد الامامية التي تقوم بالاستطلاع وترســـل الدوريات المغيرة ، وتساهم في صد هجمات العدو ، وتتحمل في كثير من الاحيان زخم الهجمات كله .
.وكانت اهمية هذا الطوق وقوته تنبع مما يلي :
اولا : طول الحدود مع الارض المحتلة .
ثانيا : ملاءمتها في كثير من المناطق للتسلل ونقل الامدادات.
ثالثا : وجود جيوش عربية (كما في الاردن وسوريا خاصة) يشكل وجودها نوعا من القوة ، وتشكل قــوة ردع امام هجمات العدو الصغيرة .
ولقد قاد اكتمال هذا الطوق الى ان تكون الجبهة كلها مـــع العدو مشتعلة .
فاذا اضفنا الى ذلك ان جبهة مصر كانت مشتعلة سنة ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، وان العدو كان مضطرا لمراقبة حدود طويلـــة جدا ، مختلفة التضاريس جدا كهذه الحدود ، عرفنا ما معنى ان نقف النار على الجبهة كلها .
وبدأ العدو محاولاته لتفسيخ هذه الجبهة ، فكانت منـــاورة روجرز اولا . واستطاعت مناورة روجرز ان تنجز هدفين :
الاول : ايقاف القتال على جبهة السويس الهامة .
الثاني : احداث شرخ بين مصر والمقاومة .
وكان الشرخ حتميا ، لان وقف اطلاق النار المطلوب لم يكن مطلوبا على قناة السويس فقط ، كان مطلوبا للجبهة كلها . والذين جاءوا بمشروع روجرز ، اكدوا هذه الحقيقة في اتصالاتهـــم الرسمية ، مع الدول العربية المعنية . واذا كانت مصر مستعدة لقبول هدنة ، تطول او تقصر ، لانها تريد ان تزيد من استعداداتها مثلا ، فما كانت المقاومة الفلسطينية مستعدة لقبول هدنة مـــن هذا القبيل ، لانها تفقد مبررات وجودها .
ولذلك كان محتما ان يحدث الشرخ .

ودفعت القوى المعادية ، في ظل هذا الشرخ ، عملاء الاردن الى ضرب هذه الجبهة في حلقتها الوسطى القويـة : الاردن . ونجحت المؤامرة . ولقد قاد نجاحها الى ما يلي :

١ ـ شلل شبه تام في اجهزة الثورة الفلسطينية لمدة عـام ايلول ١٩٧٠ ، ايلول ١٩٧١ .

٢ ـ فتور في الحماسة الجماهيرية ، بسبب التراجع فـي الاردن ، وبسبب الشلل الذي خلقته هزيمة الاردن .

٣ ـ تراكم قوات الثورة الفلسطينية في سوريا ولبنان .

٤ ـ ازدياد حملات الدس والتشكيك بحركة المقاومة وتحرك القوى المضادة علنا ، مستفيدة من جو التراجع والهزيمة .

وفي هذا الجو كانت المقاومة مضطرة ومرغمة على تقليـص حجم نشاطها من سوريا ولبنان ، لان زيادة نشاطها ستقود الى ردود فعل اسرائيلية وداخلية خطيرة . وكان هذا « الكسـل القسري» غير مبرر جماهيريا ، كما ان العدو الصهيوني وكل القوى المضاده ارادت ان تتبع ضربتها في الاردن بضربات قاضية، واتجه راس حربتها الى «الوجود الثوري الفلسطيني» في سوريا ولبنان.

استخدمت هذه القوى اساليب مختلفة . فعلى الصعيـد الاسرائيلي تابعت دولة الاحتلال خطتها المزدوجـة : الهجمات المدروسة والعمل على اشعار المواطنين بأن وجود الفدائيين يجلب لهم الموت والدمار . اما الاردن فهو يحاول في دعايته ان يركـز على امرين ، اولهما : ان المنظمات الفدائية ما هـي الا منظمات تخريب ، تعج بالمدسوسين واللصوص والمرتزقة . وتمثل خروجا على القانون والنظام . ثانيهما : انها اعجز من ان تحقق انتصارا واحدا على طريق العودة ، وهي بالتالي مجرد مبرر لمزيد مـن الاحتلال . وتدور الدعاية اللبنانية المضادة ضمن هذا الاطار .

ولقد حاولت «الانظمة العربية» ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ ان تخضع «العمل الفدائي» وان تحتويه نهائيا ، فالسياسة الدموية التي اتبعت في الاردن سياسة خطرة باهظة التكاليف ماديـا

ومعنويا ، وهي تكون ضرورية عندما تفشل سياسة الاحتواء . اما اذا كان الاحتواء ممكنا فهو الحل الافضل .

ومن ايلول والمحاولات جارية . ما تبغيه هذه السياسة هو تحويل «بقايا المقاومة» الى جزء من الانظمة عمليا ، ينفذ سياستها باسم الشعب الفلسطيني وباسم المقاومة والتحرير . وهذا يعني ان تتحول «بقايا المقاومة» الى اداة قمع ضد الشعب الفلسطيني واداة تصفية للقضية .

هذه صورة موجزة عن المخطط العام للتصفية . ويقع موضوع المقاومة ولبنان ضمن اطارها . وكما ارادت المقاومة لبنان جزءاً من الحزام المسلح حول دولة الاحتلال ، فان القوى المضادة للثورة في المنطقة تريده حلقة من حلقات التصفية .

ومنذ بداية هذا العام اخذت الامور تتطور بسرعة . ذلك ان القوى المضادة ارادت ان تنهي المعركة مع المقاومة في سوريا ولبنان ، لتتمكن الوجاهات المترددة من السير قدما على طريق التسوية في الضفة الغربية وغزة ، وليستطيع الاردن من السير قدما على طريق الصلح المنفرد . ثم ان انهاء المعركة في سوريا ولبنان مع المقاومة يؤثر في اتجاه السياسة المصرية ، ويدفعها شيئا فشيئا ، وبشكل حاسم على طريق الاستسلام .

وكانت حادثة مخفر النهر هي القشة التي قصمت ظهر البعير ، والحادثة ليست غريبة ، ولا منعزلة عن الجو العام . وعنصر الافتعال ثم التضخيم فيها واضح لا لبس فيه (1) . ولا نريد هنا ان نناقش كيف بدأت ، ولماذا بدأت ، لانها قصة معقدة ، ولانه ليس هنالك تحقيق محايد يعتمد عليه . المهم في الموضوع ان التحقيق اثبت ان العناصر المعتقلة من الفدائيين لم تطلق النار ،

---

1 ـ اصدرت المحاكم اللبنانية حكمها ببراءة «الفدائيين» المعتقلين ولكن مدبر المؤامرة لم يكشف بعد .

وان كثيرا من الرصاص الذي اطلق على المخفر كان من اسلحة لا يستخدمها الفدائيون . ومع ذلك فقد حاولت جهات معينة ان تضخم الامر ، وان تجعل منه اعتداء على القانون والنظام الخ . ذلك ان «التصريحات والبيانات الرسمية انطوت على تحريض ضمني للناس ضد المنظمات ، حتى خيل للكثيرين في اليوم الاول للحادث ان الحرب بين الدولة والمنظمات قد قامت وانها لن تنتهي ... الا بمجزرة» ، خصوصا وان بيان الرئيس سلام «الفوري» تحدث بغموض عن «مسؤول يجب ان يوضع عند مسؤولينه ايا كان ومهما كان» (الحوادث ، ٧-١-٧٢ ، العدد ٧٩١) . وقد اوحت هذه التصريحات والبيانات بأن الحادث «مدبر» . ان لهجة التحريض وعدم الدقة في رواية التفاصيل واضحة في البيانات الرسمية الاولى (الانوار ٣-١-٧٢) .

وما هي الا ايام حتى حدث عدوان على الحدود . كان ذلك في ١٤-١-٧٢ . وكان دافيد اليعازار قد قام بتحريض الجيش اللبناني على القيام بمسؤولياته ، متهما النظام اللبناني بالضعف. كما ان اذاعة العدو بالعبرية حددت يوم ١٤-١-٧٢ اهداف العمليات العسكرية في جنوب لبنان بالتأثير في السياحة ونزوح الاهالي من الجنوب الى بيروت «مما يضعف معنويات الدولة ، ويؤدي الى قيام خلافات وضغوط على الصعيد السياسي» .

وهذا يعني ان العدو كان يستهدف :

١ ـ تفجير الوضع الداخلي في لبنان ، او وضع لبنان امام الخيار العسير ، فاما ان ينقسم ويقتتل او يضع حدا للوجود الفدائي .

٢ ـ اعطاء العناصر المعادية مبررا للمطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، وللعمل من اجل الغائه .

وجاءت في هذا الوقت حوادث المتفجرات لتزيد القضية اشتعالا . وفي اليوم الذي اعلنت فيه الصحف عن الاعتداء على كفرا في الجنوب ، وعن تفاصيل الاعتداء على جريدة « لسان

الحال» ، اعلنت عن اجتماع في القصر لدرس الوضع على الحدود. وعلى الرغم من «ان اجتماع القصر أحيط بكتمان شديد ، فقد علم ان تدابير مهمة تقررت فيه لمواجهة مختلف الاحتمالات ليس اقلها سانا بعض التدابير الدبلوماسية، فضلا عن التوصيات التي أعطيت لقائد الجيش قبل اجتماعه بعرفات» (لسان الحال ١٥-١-٧٢) .

واشارت «لسان الحال» يوم ١٥-١-٧٢ الى ان «الحادث الذي وقع على صيدلية الجميل ، يحمل على الظن ان الاعتداء على «لسان الحال» هو حلقة في سلسلة تهدف الى اثاره الخواطر وتهيئة اللبنانيين لجو معين يصار فيه الى تنفيذ مخطط معين».

ومع ان الجريدة لم تعلن شيئا عن هذا المخطط ، فان صحفا اخرى اعلنت في اليوم ذاته ان هنالك مشروعا لبنانيا لتعديل اتفاقية القاهرة (صدى لبنان ١٥-١-٧٢) . وتشير الجريدة المذكورة الى ان الحكومة اللبنانية قد وضعت التعديل على اتفاق القاهرة «انطلاقا من مبدأ سرية التحرك الفدائي» ، وان اسباب وضع هذه التعديلات تعود الى ان «الاحداث الراهنة قد تخطت الظروف التي وضعت فيها الاتفاقية المذكورة » .

ووجّه دافيد اليعازر في هذا الوقت انذاره الى لبنان قائلا :
«ان الجيش الاسرائيلي لن يتردد في تصعيد عملياته اذا تبين له ان ذلك ضروري ، ولن يكتفي بعمليات دفاعية او انتقامية ضد الفدائيين المتواجدين في جنوب لبنان بل سيمارس حق الملاحقة» (صدى لبنان ١٥-١-٧٢) .

وتحرك لبنان الرسمي ، فقدم شكوى الى مجلس الامن ، وارسل الرئيس فرنجيه رسالته الى الملوك والرؤساء العرب التي كان مما جاء فيها :

«ولبنان الذي ما انفك يوما يساند المقاومة ويؤيدها في كل مجال يتشاور حاليا مع كبار المسؤولين فيها من اجل معالجة الموقف والحد من الاعمال التي طالما اعترف هؤلاء المسؤولون انفسهم بعدم جدواها لكنها ما زالت تستمر حتى اليوم» (النهار

١٨-١-٧٢) .

وبينما كان واضحا ما يرمي اليه الرئيس في رسالته الى الملوك والرؤساء خرجت بعض الصحف ، وهي تتحدث علنا عما تريده بعض الاوساط في لبنان . وقد تحدثت «النهار» في افتتاحيتها يوم ١٦-١-٧٢ المعنونه «ماذا نعمل ذلك اليوم» وقد جاء فيها :

«ما دام الفلسطينيون قد تحولوا عبر المنظمات الفدائية ، الى شبه جيوش منظمة ، بدل ان يظلوا فدائيين بالمعنى الاصيل، فماذا يمنع حشدهم كجيش فلسطيني ؟

انهم للهجوم لا للدفاع ؟

كلام . وكلام بات فارغا .

الهجوم ليس اطلاق الصواريخ من التلال وسطوح المنازل ولا من المخيمات . عندما يحين وقت الهجوم نهجم جميعا .

«واذا كان من عمليات فدائية بالفعل ، الى داخل الارض المحتلة ، فتلك لن تعلن ، ولن تتم باللباس المرقط ، بل كما تتم عمليات الفيتكونغ ، فضلا عن الثوره الجزائرية، ناهيك عما يحدث في غزه الباسلة » .

«الفدائية» الآن مسالة معنويات ؟

نريد المحافظة على وحدة الشعب الفلسطيني ؟

على تصميمه على الحرب ؟ على عدم ذوبانه ؟

ماذا أحسن من تحويله كله الى جيش ؟

وجيش نظامي ، ينسجم مع الجيش اللبناني ، خاضع مثله لقواعد الحرب وأصولها ، فضلا عن قوانين السيادة وقواعد السلامة الوطنية ؟»

وطرحت الجريدة الموضوع ذاته في اليوم ذاته ولكن بأسلوب آخر . جاء في الافتتاحية :

«ولبنان اليوم يجد نفسه اكثر من اي وقت آخر امام الاختبار ، وهذا الالحاح ، او هذه الحاجة للفرار ليست رضوخا

للانذار المذكور ، بقدر ما هي محطة يتوقف عندها لبنان الرسمي والعمل الفدائي لاجراء جرده حساب لنتائج انطلاق العمل الفدائي من لبنان وردود اسرائيل العسكرية عليه ... وحيث ان الامر قد استتب لاسرائيل من ناحية الامن على حدود سوريا ومصر والاردن، فهي تريد اليوم ان «تؤمن الاستقرار» لسكان مستعمراتها الشمالية باقتلاع اشواك العمل الفدائي الذي يزعجها .

وهنا يطرح السؤال الاساسي : ماذا ينفع لبنان والعمل الفدائي لو خسر لبنان حدوده الجنوبية او احتُل جزء من اراضيه؟

وهذا الطرح لا يعني المطالبة بالغاء اتفاق القاهرة ، بل ويعني ايضا الغاء العمل الفدائي وتحويل القوى الفلسطينية المقاتلة الى جزء من الجيوش العربية ، مثل جيش التحرير الفلسطيني .

ولعل ما نشرته جريدة العمل (لسان حال الكتائب) في اليوم التالي يلخص ما ذكرته الصحيفتان تلخيصا اوضح واكثر تعبيرا. فالعمل ترى : «ان المقاومة امام واحد من امرين :

إما ان تتحول الى «مدرسة» لاعداد فدائيين ، بالمعنى الصحيح ... بضع مئات فقط . تسربهم الى داخل اسرائيل «ليشلوا مرافقها ومنشآتها» كما جاء في اول بيان للعاصفة مثلا، او ان تنقلب المقاومة ، وكل من فيها ... بل ينقلب الفلسطينيون جميعا الى جيش نظامي ، يزيد الجيوش العربية قدرة ومنعة ، استعدادا للمعركة الفاصلة .

اما ان تبقى المقاومة في هذه الحيرة بين «العمل الفدائي» والعمل العسكري فهي الكارثة بعينها» .

ويلاحظ في هذه المقالات ايضا محاولات اساءة متعمدة . فالعمل الفدائي ليس الا اطلاق صواريخ ، واطلاق صواريخ من فوق اسطحة المنازل ، وهو ليس عملا فدائيا «اصيلا» . والمقاومة مضطرة «الى القيام بعمل مسلح باي شكل من الاشكال» .

ولم تكتف الصحف بذلك ، بل اعلنت احداها يوم ١٧–١ ان اتفاق القاهرة تعرض للخرق تدريجيا ، وان السلطة لم تفعل

شيئا ، وان «الصحف الاجنبية والاذاعات» اخذت تبلغ لبنان «عن تهديدات اسرائيلية للبنان بسبب خرق ذلك الاتفاق» . وتضيف الجريدة المذكورة ما معناه ومع ذلك «فلم نفعل شيئا» (الجريدة ١٨-١-٧٢) .

وفجاة بدا كل شيء وكانه انتهى ... واخذت الدولة مظهرا وديعا ، وطمس موضوع مخفر النهر ، وموضوع المتفجرات ، مع انه من المفروض ان تكون الدولة قد وضعت يدها على مخطط التخريب وامسكت بالفاعلين .

وفي هذا الوقت بالذات خرجت الصحف السعودية تهاجم حركة المقاومة ، لاول مرة ، ولمدة عشرين يوما . اخذت على المقاومة انها تقع «في مغالطات مكشوفة في موضوع انتساب المنظمات الفدائية الى اليسار» وانها لا تفرق بين الصديق والعدو: «من امثال الدول الشيوعية كالصين التي يقول السيد الحسن انها تعطي الثورة الفلسطينية السلاح والغذاء دون قيد ولا شرط ، او كروسيا التي حج بعض زعماء الثورة الفلسطينية الى قبر لينين فيها وقدموا له باقات الفل والياسمين» . اما الصدامات بين الاردن والمقاومة فقد حدثت «لاسباب تتعلق بالامن الداخلي لهذه الحكومة» ، وبسبب عقلية حركة المقاومة «كان الصدام بين المقاومة وبين بعض الدول العربية ، وحق له ان يكون» (الصياد ٣-١٠/٢/٧٢) .

كما ان جهات اخرى بادرت الى حملة تشهير مماثلة ، صاحبتها حملة حصار وتضييق شاملة .

وكانت المقاومة تحاول في هذا الجو ان تخرج من الطوق المضروب عليها ، وكانت عملياتها في الارض المحتلة ، وفي الجليل بشائر الحركة بعد الشلل . ولكن هذه الحركة النشاز وسط الصمت العربي عسكريا والعودة الى الحديث عن التحرك ديبلوماسي واعادة الحوار مع الولايات المتحدة كانت تثير القوى المضادة في كل مكان ، فلسطينيا وعربيا ودوليا واسرائيليا .

وجاء رد الفعل الاسرائيلي يوم ٢٤ – ٢ – ٧٢ على شكل انذار، كان المتحدث دافيد اليعازر نفسه ، قال اليعازر :

« ان اسرائيل قد تضطر الى القيام بعمليات على طول حدودها مع لبنان». واضاف : « ان هذا الهجوم الذي وقع داخل اسرائيل ليس مجرد كمين ، وانه نذير بموجة جديدة من الهجمات الفدائية على طول الحدود اللبنانية » . واشار اليعازر الى اتفاقية القاهرة قائلا : « ان اسرائيل لم توافق على الاتفاق المعقود بين الفدائيين ولبنان الذي يسمح لهم بشن عمليات داخل اسرائيل ، على الا يكون ذلك من اراض لبنانية » (الاخبار القاهرية ٢٥ – ٢ – ٧٢).

وخلال اقل من اربع وعشرين ساعة بدأ الهجوم الاسرائيلي الكبير على جنوب لبنان . حاول العدو في هذا الهجوم ان يحقق الاغراض التالية :

١ – سحق القواعد الفدائية الموجودة في الجنوب ، واجبار الفدائيين على التراجع بعيدا . واستخدم لذلك طائراته ومدفعيته استخداما كثيفا ، كما استخدم آلياته ومظلاته .

٢ – اجبار الدولة في لبنان على اتخاذ موقف في ظل احتلال اسرائيلى ، تلغى فيه اتفاقية القاهرة ، وتتولى هي مهمة تصفية الوجود الفلسطينى في لبنان ، بكل الطرق الممكنة .

٣ – وضع سكان الجنوب في موقف يجبرهم على معاداة الثورة الفلسطينية .

٤ – التأثير على اتجاه السياسة فى لبنان ودفعها الى مواقع جديدة ، تجعلها اكثر انسياقا في مخطط التصفية والاستسلام .

وكان العدو يتوقع، كما تتوقع القوى المضادة كلها ان «يهرب» الفدائيون بسبب كثافة الهجوم وشدته ، لتساوم اسرائيل على مكاسبها .

وما ان بدات الاعتداءات حتى بدأ التحرك الرسمي على المستويات المختلفة .

١ – داخليا : اجتمع الرئيس فرنجيه بزعماء الكتل النيابية ،

وتباحث معهم في قضية الهجوم الاسرائيلي على الجنــوب . ولم يعرف بالضبط ما دار فى هذه الاجتماعات ، ولكن من المؤكد ان النقاش دار فيها حول الاجراءات المطلوبة للخروج من الازمة .

٢ ــ على صعيد العلاقات مع المنظمات الفدائية : اجتمــع الرئيس سلام مع الاخ ياسر عرفات رئيس منظمــة التحريــر ، وحضر الاجتماع العماد غانم وبعض المسؤولين وجــرى التشاور حول الوضع ، وكان واضحا من الحوار ان السلطة تطرح موضوع تعديل اتفاق القاهرة ، ان لم نقل انها تطرح الغاءه . وكان ممــا جاء على لسان احد المسؤولين انه طرح موضوع المخيمات ، بينما كان القتال ما زال مشتعلا .

٣ ــ على الصعيد الدولى : جرت اتصالات مع الدول الكبرى « الصديقة » ، وعلى راسها الولايات المتحــدة وفرنسا ، وكانت الاتصالات مستمرة .

٤ ــ وعلى الصعيد العربي : اتصل بعض الرؤساء بالرئيس فرنجيه هاتفيا ، وارسل بعضهم رسائل وارسل آخرون موفدين، واصدر بعضهم بيانات التأييد والتضامن .

وبينما حاولت بعض الصحف ، النهار مثلا ، ان تبرز القضية وكأن كل شيء قد انتهى ، كان القتال ما زال مستمــرا ، وكانت الجماهير تتفاعل وتتجاوب ، مع ما يجري هنالك على الجبهة .

وحين انتهى القتال ، وانسحبت القوات المعتدبــة ، حاولت صحف القوى المضادة ان تركز على مَا يلي :

١ ــ ان الجيش اللبنانى عاد الى العرقوب، وانه عاد ليذود عن تراب الوطن ، وليحافظ على الامن والسلام .

٢ ــ ان انسحاب القوات الاسرائيلية الغازية كان نتيجة تحرك لبنان الديبلوماسى ، وان «صداقات لبنان الدولية فعالة جدا» عمل ٢٩ــ٢ــ٧٢) .

٣ ــ ان العلاقات بين لبنان والمقاومة لبست علاقة مرهونــة بالاتفاقية ، انها قضيــة « تفــاهم وتلاحم » (احاديث سلام الــى الصحف) .

٤ ـ محاولة اظهار انه لم يكن هنالك قتال ضد العدو .
فالعمل تسمي المعركة « الويك اند » الاسرائيلي . وحين تصف العمل هذا « الويك اند » تقول :

« الويك اند » كان ثقيلا ومرا ، وبدا العرقوب بأرضه واجوائه وتلاله ملعبا لدبابات وطائرات العدو ... هيليوكبتر تنزل واخرى تطلع ... قنابل من هنا وصواريخ من هناك ... بيوت تتهادى وعيون اطفال يعشش فيها الخوف ودخان في كل مكان !

كانوا قد دخلوا السبت ، دخلوا ومعهم مؤونة ثلاثة ايام ، فضربوا ، وقصفوا ونسفو واكلوا وشربوا وعادوا » .

ويروي مندوب العمل سجعان القزي انه صادف لبنانيا في راشيا الفخار فسأله : وانت الست لبنانيا ؟ نعم قال . انا من هذه الارض التي فيها غرباء اكثر من اهلها ، عائلتي رحلت اليوم الى حارة حريك وانا سالحق بها غدا .

ـ ولماذا لا تبقى ؟

ـ اين تريد ان ابقى . بيتي لم يعد لي . «الاخوان» يشاركوننا بيوتنا .

ـ كيف

ـ بالكلاشنكوف . «والله العظيم» (العمل ٢٩ ـ ٢ ـ ٧٢) .

وعاد الحديث في الصحف اياها عن اتفاقية القاهرة التي تخطتها الحوادث بعيدا (الجمهورية ١-٣-٧٢) .

ومع ذلك فان العدوان لم يحقق اهدافه حتى الآن للاسباب التالية :

اولا : لان الصمود الذي ابداه مقاتلو الثورة الفلسطينية ، قطع الطريق على الانتهازيين والعملاء والمرتزقة .

ثانيا : لان التجاوب والتفاعل الجماهيري في لبنان وخارج لبنان الجم مخطط التصفية مؤقتا .

ثالثا : لان حرص لبنان الرسمي ، حتى الآن ، على اتباع سياسة الحوار ، وعدم اللجوء الى مناورات التحريض والتهييج

والتأزيم الى الحد الذي يقطع حبل الحوار ، جنّب لبنان معركة كمعركة الاردن ، وربما كانت اكثر تعقيدا .

واليوم يقف المقاتل الفلسطينى واثقا شامخا معتزا ، كما وقف في عمان بعد ايلول . لقد قاتل ، كما لم يقاتل عربي غيره ، وهو لا يملك ما تملك الجيوش العربية عددا وعدة .

ولكن المقاتل الفلسطيني ما زال مهددا بالتصفية . لماذا ؟ لان هنالك قوى كثيرة تعترض على مجرد وجوده ، اليس مطالبا اليوم ان ينهي وجوده العلني ، ان يبعثر قواته او يضمها الى الجيوش ، ان يسحب اسلحته من المخيمات والاحياء ، وان يعود الى العمل السري ؟ اليست هذه هي نهايته ؟ ومع ذلك فهو مطالب بأن يكتب نهايته . وخطورة هذا الاتجاه ان الكتائب تلتقي فيه مع بعض الانظمة العربية ، ومع الاتجاه المتخلف داخل حركة المقاومة ، ومع اليمينيين المزايدين يساريا . وهؤلاء بالطبع ، الذين يطرحون العودة الى العمل السري بديلا للعلنية ، هم أقل الناس قدرة على ممارسة العمل السري واكثرهم ولعا بالعلنية . وهم حين يطرحون العودة الى السرية يطرحون التصفية باسلوب خداع . وهم لا يقاومون العلنية ، لانهم اكثر الناس ولعا بالمكاتب التي ترفع الاعلام في الشوارع الرئيسية ، وانما يقاومون الشرعية التي اكتسبتها الثورة : شرعية الوجود والتسليح والتدريب والعمل والتحرك ، هذه الشرعية المسلحة التي اصبحت شوكة في حلوق القوى المضادة ، واصبحت قوة يحسب لها الف حساب .

ويذكرنا الحديث الذي نسمعه اليوم، بما كنا نسمعه قبل ايلول وخلاله وبعده في الاردن .

وهو يذكرنا بحقيقة هامة تتلخص في ان المرونة غير التسليم، واذا كان مطلوبا من المقاومة ان تكون مرنة في هذا الوقت الصعب العسير ، فانه ليس مطلوبا منها ان تتراجع سياسيا كما تراجعت في الاردن بعد ايلول .

ان العلاقة بين لبنان والمقاومة تعيش ضمن اطارها العربي .

وهناك اتجاه عربي رسمي يريد تصفية المقاومة بأي شكل من الاشكال : السحق ، الاحتواء الخ. فهل يستطيع لبنان ان يحافظ على لغة الحوار في مثل هذا الجو ؟

صحيح ان للبنان ظروفه الخاصة ، ولكن هذه الظروف سيف ذو حدين . فاذا كانت جماهير لبنان قد اثبتت انها أوعى واحرص على لبنان من ان تجره الى معارك داخلية دامية مدمرة ليست لمصلحته ، فليست الفئات الرجعية فيه بمثل هذا الحرص . ولا احد يعلم متى يخرجها الخوف من « الشيوعية » و « البنادق » والخروج على « النظام » وعدم « استقرار الامن » عن طورها .

والمعركة الآن سياسية ، لبنان الرسمي والفئات الرجعية تريد ان تحصل بالحوار على مبتغاها ، ولكن هل سيفيد الحوار ؟

أم ان لبنان يراهن على حدث في داخل المقاومة يحررها من العلنية والجيوش والمكاتب ومن اللباس المرقط ويعيدها الى السرية ؟

ان اتجاه بيار الجميل داخل المقاومة وحولها موجود ، وهو يعمل من اجل هذه الغاية . وهو يعمل بأساليب مختلفة لشق المنظمات وتفريغها واحتوائها ... وعلى هذا الاتجاه ، الذي تدعمه انظمة ، يراهن رسميون في لبنان وغير لبنان .

٨ – ٣ – ٧٢

***

ملاحظة : اتيح لي بعد كتابة المقال ، ان اقرا صحيفة الندوة السعودية (٨ – ٣ – ٧٢) . وقد وجدت فيها تعليقا عنوانه :

« كيف تحل المعادلة اللبنانية ـ الفلسطينية » أثار انتباهي ، لانه لا يختلف عن خط بيار الجميل وعن خط ممثلي الانظمة العربية وابواقها الداعين الى توحيد قوات الثورة ، ضمن منظمة التحرير، وتحويل منظمة التحرير الى جهاز رسمي ، يتعامل رسميا مع الانظمة . والحل ، بالنسبة لكاتب التعليق ، يتلخص من الناحية الفلسطينية بما يلي : « تبقى المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني على ان تكون حركتها ضمن تنسيق عسكري عربي واسع واستراتيجية واحدة مع دول الجبهات ، بحيث لا تعود هذه الحركة ذات طابع انفرادي قد يجر الضرر على المقاومة بقدر ما يجره على لبنان او اكثر » . وهذا يعني عمليا :

١ ـ ان تصبح قوات المقاومة جزء من القوات النظامية العربية، وان تصبح تحت امرة هذه الجيوش .

٢ ـ ان تفقد اي قدرة على الفعالية والنشاط ، لانها مقيدة بالاوامر الرسمية ، ولان توجيهها وقيادتها منوطان بخط استسلامي تراجعي .

٣ ـ ان تفقد هذه القوات استقلاليتها ، كجيش التحرير الفلسطيني ، وتصبح معطلة الارادة .

وهكذا يبدو ان عقلية بيار الجميل هي التي تقود اتجاه كثير من الانظمة في المنطقة . ولذلك فبدلا من ان ينظر الى نشاط المقاومة على انه نشاط يحتذى ، يصور على انه عمل انفرادي يجر الضرر . ونتيجة لذلك فان المطلوب هو ان تصمت بنادق المقاومة، وتنضم الى موكب البنادق المعطلة منذ سنة ١٩٤٧ ، لا ان تنطق البنادق الصامتة ، ليصبح « الانفراد » منطق الجميع ، فتقاتل كل البنادق ، وتصبح البنادق الصامتة هي الانفراد الذي يجر الضرر .

VI

المشروع الهاشمي
صيغة جديدة للتصفية :

يبدأ تاريخ النظام الاردني في علاقته مع القضية الفلسطينية سنة ١٩٢٢ . ومنذ هذا التاريخ وخط النظام المذكور، في هذا المجال واضح ومحدد : سحق الحركة الوطنية الفلسطينية وانتزاع ارادة التمثيل من الفلسطينيين .

ولقد انتظر النظام الاردني حرب سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ليستغلها في مصادرة ارادة الفلسطينيين واحتلال اراضيهم . فخلال هذه الحرب دخل الجيش الاردني ليحارب دفاعا عن فلسطين ، واذا بالنظام يسلمها كي يحصل على حصة منها . ولكي تتم المصادرة قام النظام العميل بما يلي :

١ ـ نظم مؤتمري اريحا وعمان من اجل «انتزاع» شرعية فلسطينية ودولية .

٢ ـ قام باحتلال مقر قيادة «الجهاد المقدس» (١) .

ومنذ ذلك الحين وهناك المملكة الاردنية الهاشمية فقط . اما فلسطين فقضية حلال على كل الناس الا على الفلسطينيين الذين اصبحوا اردنيين . ومنذ ذلك الحين والنظام الاردني يعمل كل ما يستطيع ليسحق حتى مشاعر الحنين الى الوطن في صدور الفلسطينيين .

واليوم وبعد ان حاول النظام الاردني اسقاط قيادة المقاومة،

---

١ ـ المنظمة التي كانت تقاتل ضد الاحتلال الصهيوني ، وهي الجناح العسكري للهيئة العربية العليا .

كما فعل بقيادة الجهاد المقدس ، يحاول ان ينتزع التمثيل بكل الوسائل .

ولكن هنالك فرقا بين الوضع اليوم والوضع سنة ١٩٤٩ . كان المطلوب سنة ١٩٤٩ ان يلغى وجود شعب فلسطين وان تلغى ارادته ، ولذلك ضمت بقية فلسطين الباقية - ما عدا غزة - الى المملكة الاردنية الهاشمية ، واسبغت الشرعية على الضم من خلال مؤتمرين عقدهما فلسطينيون . كما قام النظام باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس ، وبمحاربة حكومة عموم فلسطين ضمن خط امبريالي - صهيوني استهدف الغاء الشخصية الفلسطينية . اما اليوم فان المطلوب شيء آخر . انه مصادرة مقاومة شعب فلسطين . ذلك ان شعب فلسطين استطاع من خلال المقاومة ان يؤكد وجوده ، وان يجعل مقاتليه ممثليه ، كما انه استطاع ان يحرر ارادته التي سلبه اياها النظام الاردني بالتعاون مع بعض الخونة من الفلسطينيين . المطلوب اذن مصادرة هذه الارادة . كيف ؟ بالالتفاف عليها مرة اخرى . قالوا في الماضي : وحدة الضفتين من اجل حماية البقية الباقية من فلسطين . وهم يقولون اليوم وحدة الضفتين من اجل عودة الاراضي المحتلة . ولكنهم يقرون اليوم ان هناك شعبا فلسطينيا . انه موجود لانه يقاتل . فكيف يقودونه الى الاستسلام مرة اخرى ؟ لا سبيل الى ذلك الا بمصادرة ارادته مرة اخرى ، واستبدال وجوده القتالي بوجود شكلي هزيل . ولهذا طرح النظام الاردني العميل مشروعه . لقد طرحه اذن وهو يستهدف :

١ - ايهام الفلسطينيين او قطاع منهم على الاقل بأن هناك بديلا للتحرير ، وللطريق الشاق الطويل ، وهو الحكم الذاتي .

٢ - خلق تناحر في اوساط الفلسطينيين .

٣ - سلب شرعية التمثيل عن المقاومة وابراز « ممثل بديل » من النظام الاردني والمتعاونين معه من الفلسطينيين ، يدخل ميدان المساومات الدولية .

٤ ـ ممارسة ضغط على مصر من اجل الاندفاع على طريق التسويات .

اذا كانت هذه هي الاهداف ، فلماذا طرح المشروع الآن ، وليس قبل هذا التاريخ او بعده ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هامة لانها تعطي المشروع ابعاده الحقيقية .

واول ما تجب الاشارة اليه هنا هو ان الولايات المتحدة الامريكية التي باتت تواجه هزيمة مؤكدة في فياتنام والهند الصينية تريد ان ترتب امورها في حوض البحر الابيض المتوسط، لئلا تصبح الهزيمة هزائم ، ولئلا تنفجر الاوضاع في الوطن العربي فيفلت زمام الامور من يديها . ونقطة التفجير في المنطقة العربية وحوض البحر الابيض المتوسط هي المنطقة العربية . ولكن الولايات المتحدة تريد « سلاما » يكرس الانتصار الاسرائيلي ، ولكنه في الوقت عينه يطفيء الفتيل المشتعل في المنطقة . كيف يتم ذلك ؟ باطفاء شعلة المقاومة وبايجاد حلول خداعة لمشاكل المنطقة .

ولهذا لم يكن غريبا ان تتحمس الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة لمشروع الملك حسين . ولم يكتف روجرز بالاعلان يوم ١٥ ـ ٣ انه على علم بتطورات الموقف في الشرق الاوسط ، فيما يتعلق بالملك حسين ، بل اعلن سيسكو « انه يتوقع خطوة هامة للخروج من حالة الركود في العلاقات بين الاردن واسرائيل » . وقال سيسكو : « ان هذه الخطوة ستتم خلال الاسابيع القادمة » (الاخبار القاهرية ١٥ ـ ٣ ـ ٧٢) . واعلنت رويتر بعد يومين « ان بعض المسؤولين الاميركيين وصفوا مشروع حسين بأنه « خطوة تجاه السلام » . واشارت الوكالة الى ان الولايات المتحدة قد احيطت علما بالمشروع مقدما « الا انها كانت حريصة على الا تصدر اية احكام حتى لا تثير شك اية دولة عربية » (الجمهورية ١٧ ـ ٣ ـ ٧٢) .

ويؤكد هذا الكلام دور الولايات المتحدة في صياغة المشروع

واعلانه ، ويكفي ان تقول الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة انها كانت على علم مسبق بالمشروع .

هذا على الصعيد الدولي ، اما على الصعيد العربي فالموضوع لا يقل اهمية . ذلك ان مسلسل التنازلات العربية قد توقف ، بعد ان تنبهت مصر الى انها تتنازل « بسخاء » بينما يتشدد العدو ويتعنت . وهنا كان لا بد من وقفة . وانتظرت مصر ان تقدم اسرائيل تنازلات . او ان تضغط الولايات المتحدة من اجل تنازلات . الا ان هذا وذاك لم يقعا . ولذلك « أحرنت » مصر . ومارست الولايات المتحدة كل ضغوطها لادخال مصر ابعد فابعد في سرداب التسويات المظلم . وعندما لم تنجح لجأت الى ورقة رابحة في يدها ، هي الورقة الاردنية . لقد ارادت الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني ان تؤخرا استخدام هذه الورقة حتى لا تسقط ، ولكن توقف مسلسل التسوية على قناة السويس ، وتاخر التسوية الجزئية هناك عن الجدول الزمني المقرر لها ، اجبر دولة الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة على كشف أحد اوراقهما الهامة ، وهي الورقة الاردنية . وكان الهدف من ذلك اما ان تتقدم مصر خطوات اخرى في مسلسل التسوية ، او ان تبقى مكانها فيقدم النظام الاردني على « التقدم » . ويتحرك مسلسل التنازل والتسوية . ويكون من نتيجة ذلك ما يلي :

اولا : تنشق البلاد العربية الى مؤيد لمصر ومؤيد للنظام الاردني ، بعد ان كانت تبدو موحدة وراء قرارات مؤتمر الخرطوم . وهذا يقود الى استحالة عودة الجبهة الشرقية ، والى تراجع بعض الدول العربية ، واولها المملكة العربية السعودية عن مساندة مصر ماديا .

ثانيا : يستخدم الاتفاق الاردني الاسرائيلي من اجل عزل مصر دوليا ، ومن اجل اظهارها امام الراي العام العالمي بمظهر المتعنت غير الحريص على السلام ، وذلك بمقارنة « التشنج » المصري بالروح الاردنية « الواقعية والعملية » .

ثالثا : يجري الضغط على مصر لاشعارها بأن جبهتها هـــي الجبهة الوحيدة ، وبانها وحدها تقف في الميدان ، وبانه لا أمل لها في هذا الصراع الذي لا يقف معها فيه أحد . كما ان اسرائيـــل تزيد من تعزيز قواتها على القناة وفي سيناء ، وتزيد من العمل لاشعار مصر انها تعمل على امتلاك سيناء الى الابد .

كان المفروض اذن ان يعلن هذا المشروع بعد ان يعلن عن اتفاق جزئي بين مصر ودولة الاحتلال (الاهرام ٢٤ ــ ٣ ــ ٧٢ ــ بصراحة ــ محمد حسنين هيكل) ولكن الامور جرت بما لا تشتهي سفـن الولايات المتحدة ودولة الاحتلال. وكان عليهم ان يتحركوا فحركوا عميلهم الاكبر : النظام الاردني .

وكانت العقدة على الصعيد الفلسطيني اكثر اشكالا من العقدة على الصعيد العربي ، اذ ان المقاومة التي ارادوا لها المـــوت في ايلول ظلت موجودة وفاعلة الى حد ، وظل ينظر اليها على انهـــا ممثلة الشعب الفلسطيني .

واذا كان متوقعا ان يوجه اليها العدوان على لبنان ضربـــة قاصمة واخيرة ، فان ما حدث في لبنان زادها قوة ورفـــع مكانتها واعاد لها بعض الشعبية التي فقدتها .

وجاء الفتور الذي قابلت به الجماهير في الضفة الغربيـــة موضوع الانتخابات البلدية صفعة للاحتلال وللنظام الاردني .

ولذلك كان لا بد من عمل ، ينزع صفة التمثيل عن المقاومة ، ويقود خطى المترددين على طريق الاستسلام . واذا كان انتــزاع صفة التمثيل ليس سهلا ، فلا أقل من ابراز ممثلين جدد يتمتعون ببعض الشرعية كالنجاح في انتخابات بلدية . واذا لم يكن ممكنـا تحميس الجماهير في الضفة الغربية لانتخابات بلدية ، فلمــاذا لا تربط هذه الانتخابات بمشروع « حكم ذاتي » ، لا ينفصل عـــن الوطن العربي ، لانه تابع للعرش الهاشمي .

ثم ان النظام الاردني الذي حرق آخر سفنه الفلسطينية في ايلول وبعد ايلول كان يريد استقطاب بعض الفلسطينيين ، لعلـه

يصبح اكثر قدره على التحدث باسم الفلسطينيين .

لقد طلب من النظام الاردني ان ياتي براس المقاومـــة ، اذا اراد ان يمنبر ممتلا للشعب الفلسطيني ، وحاول ذلك في ايلول وبعد ايلول ولكنه فشل . لقد اوقع بالمقاومة اصابات عميقـــة ، ونزف الكثير من دمائها ، وافقدها الكثير من فعاليتها ، ولكنه لم يستطع ان ياتي براسها : لا ان يجز هذا الراس ولا ان يستميله .

وهو الآن يحاول بمخطط مزدوج : القمع والتصفية الدموية من جهة ومحاولات الاستمالة والاخضاع من جهة أخرى .

واذا كان في الماضي يوجه ضربات مباشرة الى المقاومة ، فانه الآن يحاول ان يجعل الصراع فلسطينيا . هكذا سحقت ثـــورة سنة ١٩٣٦ . عندما عجز الانجليز عن سحق الثورة ساعدوا على خلق طرف فلسطيني يحاربها . والآن يريد النظام الاردنـــي ان يحارب الفلسطينيين بالفلسطينيين . وان يزيد من قوته والاعتراف بتمثيله عن طريق هذه « الحرب الداخلية » .

ومثل هذه الحرب ليست جديدة على أرض فلسطين ، اذ ان الامير عبدالله لعب دورا فى شق الصفوف الفلسطينية منذ أصبح اميرا . وكان لعملاء عمان دور كبير في تخريب الحركة الوطنيـــة الفلسطينية عموما وضرب ثورة ١٩٣٦ خصوصا .

واليوم يحاول الحفيد ان يلعب لعبة جده فهل يستطيع ؟ !

تبقى حقيقتان :

الاولى : ان هذا المشروع ليس جديدا . انه يعود الى ما بعد ايلول . وليس صحيحا انه يعود الى ما قبل سنة ١٩٦٧ كما يقول الحسين (صدى لبنان ٢٤ ــ ٣ ــ ٧٢ ــ مؤتمر الحسين الصحفي) فالخط السياسي الاردني نحو فلسطين لم يكن حتى ما بعد ايلول يرى امكانية لبروز اي مظهر من مظاهر الحكم الذاتي الفلسطيني . ولكن معارك ايلول ونتائجها هي التي فرضت تغييرا . فالمقاومة لم تنته في ايلول ، بل خرجت قوية من تلك المعركة الطاحنة . ثم ان معركة ايلول خلقت هوية فلسطينية لا يستطيع احد ان يتجاهلها .

ومن هنا بدأ النظام الاردني بعد ايلول لعبته ، في محاولة منه ، ومن انظمة عربية اخرى لخلق تزاوج بين النظام الاردني « والمقاومة الشريفة » . قاد هذا الى التراجعات السياسية المعروفة التي قامت بها المقاومة والتي كانت تستهدف حسم قضية التمثيل بالتزاوج ما بين النظام الاردني « والمقاومة الشريفة » . وبدأ الحديث في هذا الوقت من جانب النظام عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بعد التحرير . كما بدأت بعض الاوساط في المقاومة تتحدث عن « فيدرالية » مع الاردن ، تتحدد فيها مساهمة الفلسطينيين في السلطة والجيش . وكان هذا الخط المنحرف هو الذي عمل على سحب الاسلحة من المدن والقضاء على المواقع الشعبية للثورة لمصلحة هذا التزاوج . الا ان الخط المعارض ساهم في افشال تحقيق التزاوج ، وان كان قد عجز عن ايقاف موجة التراجع .

وحين قام النظام بهجومه الاخير على قواعد الثورة في جرش وعجلون ، بعد ان أجهز على كل مواقع الثورة في الاردن ، جاءت فكرة مفاوضات جدة . وكان الهدف من هذه المفاوضات ايضا تحقيق التزاوج . وكان هنالك من يعمل من داخل المقاومة للعودة الى الاردن بأي ثمن . وكان الهدف من ذلك اتمام عملية التزاوج اي اخضاع المقاومة للنظام نهائيا واعلانها الاعتراف بقيادة صاحب الجلالة ، الممثل الشرعي لشعب فلسطين . ولكن هذه المؤامرة احبطت ايضا . تقول بعض المصادر ان المشروع كان جاهزا من ستة اشهر . واذا ما عدنا الى الوقائع اكتشفنا ان هذا يعني انها كانت معدة مع بداية محادثات جدة . وان الغرض من محادثات جدة كان الخروج باتفاق يعلن هذا المشروع الملكي .

الثانية : ان هذا المشروع المعلن لا يستهدف اعلانه تنفيذه . انه مطروح ليكون طعما لا ليطبق .

ولسوف يصبح عند التطبيق شيئا آخر . ان المشروع المطروح سيكون اساسا للمناقشة في النهاية ، بعد ان يحدث آثاره

الفلسطينية والعربية والدولية ، وسوف يقود الى تنازلات وتنازلات ، وسوف يكرس الاحتلال اخيرا ، ولكنه سيعطي للفلسطينيين في الضفة الغربية « بلدية كبيرة » في ظل الاحتلال الاسرائيلي والادارة المدنية الاردنية . وبالمقابل سيكرس تحويل القدس ومناطق اخرى الى دولة الاحتلال الصهيوني ، وستصبح الضفة الغربية جسرا ما بين دولة الاحتلال والوطن العربي، تمر عليه السلع والافكار والاشخاص والمؤامرات والاموال الخ.

ان مشروع الملك حسين هو الصيغة العملية للتصفية في المرحلة الحالية . وخطورة هذه الصيغة تكمن فيما يلي :

اولا : انها تأتي بعد هذه الضربات المتلاحقة لحركة المقاومة ، وبعد ان اوجدت الهجمات الشرسة على المقاومة حالة من اليأس والحيرة والضياع لدى قطاعات من الجماهير الفلسطينية .

ثانيا : انها تأتي وسط اجماع رسمي عربي ، معلن وغير معلن، على ضرورة قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى قبول التسوية .

ثالثا : انها تأتي مدعومة من الامبريالية الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية .

ولذلك فهي أخطر المؤامرات وأشدها ضررا ، وعلى هذا الاساس يجب ان ينظر اليها ، ومن هذا المنطلق يجب ان تحارب .

VII

بدأت العلاقات العربية ـ السوفياتية سنة ١٩٥٥ ، ومن خلال صفقة الاسلحة لمصر . وكانت هذه الصفقة خروجا على سياسة احتكار السلاح التي ينتهجها الغرب ، وضربة للسيطرة الغربية على بلادنا ، وبداية عهد جديد في حياتنا . وكانت هذه الصفقة مدخلنا الى المعسكر الاشتراكي كله . وهكذا يكون لقاؤنا

الاول مع الاتحاد السوفياتي ومع المعسكر الاشتراكي كله من خلال خروجنا على السياسة الاستعمارية التي ظلت متحكمة بنا سنين طويلة .

واستمرت هذه العلاقه تتوطد وتنسع وتتعمق وقد مرت بامتحانات عسيرة اهمها : معركة عام ١٩٥٦ حين تصدى الاتحاد السوفياتي للمعتدين بانذاراته « الصاروخية » ، وسنة ١٩٥٧ حين تصدى لقضية بناء السد العالي ، ثم حين قدم بعد حرب حزيران بديلا للاسلحة التي ضاعت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . «... وحتى اواسط عام ١٩٦٨ بنى الاتحاد السوفياتي، وقدم مساعدة اقتصادية وفنية في بناء ٢٢٠ مؤسسة صناعية وغيرها من المشاريع في البلدان العربية ، بما فيها ١٢٨ مشروعا في الجمهورية العربية المتحدة ، و ٦٩ مشروعا في الجزائر ، و ٤٨ مشروعا في العراق ، و ١٧ مشروعا في سورية و ١٤ مشروعا في السودان و ٧ مشاريع في تونس . وينبغي ان نشير الى ان حصة البلدان العربية شكلت في اواسط عام ١٩٦٩ حوالي ٥٠ ٪ من مجمل المساعدة التي قدمتها بلدان مجلس التعاون الاقتصادي (الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وجمهورية المانيا الديمقراطية وهنغاريا ومنغوليا ورومانيا) لبناء المشاريع الصناعية التي انجزت ، او هي في طريق الانجاز في البلدان النامية الاسيوية الافريقية . وعمل في البلدان العربية حوالي ٤٠٪ من مهندسي وتكنيكيي بلدان مجلس التعاون الاقتصادي الموفدين الى الخارج » (١) .

وتكتسي المساعدات السوفياتية اهمية خاصة في مجالين :

الاول : ميدان التسليح ، حيث يعتمد عدد من الدول العربية

---

١ ــ عطا الله ، مولود ، نضال العرب من اجل الاستقلال الاقتصادي ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ، ص ٣٤٣ .

اعتمادا كليا او شبه كلي او جزئي على الاسلحة السوفياتية . ويجب ان نلاحظ في هذا المجال . ا ـ ان الدول العربية ، المعتمده على التسلح من المعسكر الاشتراكي هي التي تمتلك السلاح الاكثر والاوفر ، من بين الدول العربيه . ب ـ ان الدول العربية ، المعتمدة في تسليحها على الغرب ، هي الدول الخاضعة للمخططات الامبريالية ، ابتداء من التنمية الاقتصادية وانتهاء بقضية فلسطين .

الثاني : ميدان : « تامين ظروف نطور صناعة استخراج المعادن والصناعة البترولية ... » وقد اكتشف خلال السنوات الاخيرة ، « وبفضل التعاون السوفياتي ـ المصري ... في عدة مناطق بالجمهورية العربية المتحدة حقول كبيرة جدا ، للبترول والغاز ومكامن خامات الحديد والفحم الحجري وخامات الرصاص والزنك والفوسفات والكلس وهلم جرا » . وفي الجزائر تم اكتشاف الزئبق، وسوف تحتل الجزائر « مكانها بين اكبر البلدان المنتجة للزئبق في العالم » . « كما يجري بمساعدة الاتحاد السوفياتي ايضا بناء معمل لتركيز خامات الرصاص والزنك . وذلك في مكمن كبير للمعادن المتنوعة اكتشف في الجزائر » . وقد ساعد السوفيات على اكتشاف البترول في سورية . كما انهم يساعدون على تطوير صناعة النفط في العراق ، وعلى اكتشاف معادن اخرى مثل الفوسفات والكبريت (١) . وبفضل مساعدة الاتحاد السوفياتي كان ممكنا تأميم النفط العراقي اخيرا. ذلك ان الدولة التي يتاح لها ان تبني صناعة مستقلة عن السيطرة الاستعمارية ، ويتاح لها ان تمتلك السلاح ، تمتلك ناصية التقدم اذا احسنت استخدام هذه الامكانيات . فمن اي منطلق تاتي هذه المساعدات ؟ ان هذه المساعدات تاتي من منطلق مساعدة الدول

---

١ ـ عطا الله ، مولود ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

النامية على التخلص من السيطره الامبريالية ومن التخلف . وهي مساعدات تقع ضمن خط المعسكر الاشتراكي، المعادي للامبرياليه، ولكنها تقع ايضا ضمن خط الاتحاد السوفياتي في المباراة السلمية والتعايش السلمي ، وليست منفصلة عن المخططات الاستراتيجية السوفياتية . الا ان هنالك فروقا بين هذه المساعدات ، المادية والمعنوية ، وبين مساعدات الغرب . واهم هذه الفروق :

اولا : ان المساعدات الاشتراكية تتجه نحو تطوير امكانيات الاستقلال السياسي والاقتصادي ، ولذلك فهي تتجه نحو بناء الصناعات الاساسيه ونحو توفير الاسلحة اللازمة: بينما تستهدف المساعدات الامبريالية اخضاع السوق المحلية للسوق الامبريالية وابقاء البلدان المتخلفة تابعة للمعسكر الامبريالي .

ثانيا : ان المساعدات الامبريالية هي بعض فتات استغلال البلدان المتخلفة ، اما « القروض التي يمنحها الاتحاد السوفياتي (وكذلك الدول الاشتراكية ن.ع) والتجهيزات المجموعية والمواد التي يقدمها للبلدان العربية النامية » ... « فليست فائضة عن حاجته ابدا ، ويمكن استخدامها كليا وبنجاح تام في متابعة تعزيز الاقتصاد السوفياتي » (١) .

ونحن هنا لا نناقش هذه المساعدات مناقشة شاملة لنتحدث عن عيوبها ونغراتها ، لان هذا خارج موضوعنا الآن .

لقد كانت هذه المقدمة ضرورية جدا ، لانها مدخل لا بد منه لمناقشة الحملة التي تشن اليوم على الاتحاد السوفياتي ، وعلى العلاقات العربية ـ السوفياتية . وما كنا لنناقش الموضوع هنا لولا انه مطروح من حيث تأثير هذه العلاقات على المعركة . وكثر في هذه الايام اولئك الذين يعتبرون ان مسؤولية الوضع الراهن : « اللاحرب واللاسلام » تقع على الاتحاد السوفياتي .. وهم

---

١ ـ عطا الله ، مولود ، المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

ينطلقون من هذا المنطلق ليشنوا هجمات مقذعة وافتراءات لئيمه على العلاقات العربيه ـ السوفياتيه :

وتقوم هذه الهجمات والافتراءات على ما يلي :

اولا : « ... ان الذي اوصل القضية الى مرحله « اللاحرب واللاسلم » والطريق المسدود هو تواجد الاتحاد السوفياتي وامريكا في الشرق الاوسط » . ولذلك فان « قضيتنا ستتحلل سياسيا في اللحظة التي تتحقق فيها مصالح الدولتين» (الاهرام، ١٩ ـ ٥ ـ ٧٢ ، ندوة) .

ثانيا : « ... ان سياسة الاتحاد السوفياتي في العالم كله سواء نشطوا الموقف في منطقة او خمدوه ، فان هدفها في النهاية هو التوصل الى نوع من التفاهم المعين في العالم . وليظل للعالم الى مدة طويلة قادمة ـ وحتى تتطور الصين ـ محوران اساسيان هما موسكو وواشنطن » (الاهرام ١٩ ـ ٥ ـ ٧٢) .

ثالثا : « ... هناك علاقة خاصه بين امريكا واسرائيل ، وهي علاقة لم تكن موجودة بهذا المفهوم على الاطلاق من قبل ، وهناك علاقة خاصة بين الاتحاد السوفياتي وبين مصر لم تكن موجودة من قبل، ولا اعتقد ابدا ان امريكا تمانع في ذلك والقول بانهم يخشون الوجود السوفياتي في المنطقة غير صحيح ... » (الاهرام ١٩ ـ ٥ ـ ٧٢) .

رابعا : ان زيارة مئير لرومانيا « حصلت على تاييد السوفيات الضمني » وان المعسكر الاشتراكي يعمل على « ان يقيم علاقات متوازنة مع الطرفين » ، اي العرب ودولة الاحتلال الصهيوني (الجديد ، ٢٨٧ ، ٩ ـ ٦ ـ ٧٢) . والاتحاد السوفياتي الذي « يمارس سياسة تاييد للعرب، فانه عمليا لا يظهر عداءه لاسرائيل، بل على العكس يزاول سياسة تاييدية بالسماح للمهاجرين اليهود في الاتحاد السوفياتي بالسفر الى اسرائيل بنسب كبيرة ... » (الجديد ، المرجع السابق) .

خامسا : ان « دول المعسكر الاشتراكي بدات تعيد النظر في

مواقفها السياسية الدولية منذ ان تلقت الضوء الاخضر من قمة موسكو» . ولهذا فتيتو مثلا لم يسمح بمرور الاسلحة السوفياتية عبر يوغسلافيا الى مصر بعد قمة موسكو (الجديد ، المرجع السابق) .

سادسا : ان تجربة صداقتنا مع الاتحاد السوفياتى هي « تجربة صداقة مع دولة كبرى كان كل همها ان تبيعنا السلاح بالنقد النادر ، وان ترهن اقتصادنا مقابله ... وان تطمئننا فى الظهر في اللحظة الحرجة » (الجديد ، ٢٨٧ ، فوق الجراح وفوق الالم في ٩ - ٦ - ٧٢) .

سابعا : ان الدول العربية لا تحارب لان الاتحاد السوفياتي لا يزودنا بالاسلحة التي نحتاجها ، وبالاسلحة الهجومية خاصة .

وانطلقت فى هذا الوقت اوساط متخلفة ، ومعادية للاشتراكية والماركسية والتمعب تزايد على العلاقات العربية - السوفياتيه بالعلاقات العربية الصينية . (الحوادث ٢ - ٦ - ٧٢ ، العدد ٨١٢) . حدث هذا داخل حركة المقاومة الفلسطينية، كما حدث خارجها . فلماذا قامت هذه الحمله المعادية للانحاد السوفياتي ، وما هي اهدافها ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال لا بد لنا من ان نشير الى الظروف التى رافقت هذه الحملة . وهذه الظروف هي :

أ - هجمة امبريالية شرسة تقودها الولايات المتحدة من اجل فصم العلاقات العربية السوفياتية ، وذلك لتسهيل السيطرة الامبريالية الصهيونية على المنطقة . ولقد تحدث نيكسون علنا عن قلقه من الوجود السوفياتى فى مصر والمبوسط . كما ان الاوساط الصهيونية العالمية ، وفى الارض المحتلة ، ركزت كثيرا على قضية الوجود السوفياني فى مصر وبقية البلاد العربية .

ب - زيادة نشاط الاتحاد السوفياتي من اجل تمتين علاقاته مع الدول العربية وانتهاج سياسة اكثر حيوية واكثر تشددا ، وهو ما عبرت عنه احدى المحلات بالتالى : « تثبيت المواقع المعادية

لاميركا في الواقع العربي ، عبر المعاهدات العربية ـ السوفياتية من جهة . وعبر خطوات التقارب العربي ، والحملة ضد التيارات الاميركية في الواقع العربي ، وزيادة حجم التسليح للبلدان العربية ، وكذلك مشاركه حركة التحرر العربي اقتناعها « بأن هناك وسيلة اخرى » لتحرير الاراضي العربية المحتلة » (البلاغ ، العدد ۲۲۰ ۲۲ ـ ٥ ـ ۷۲) .

جـ ـ تحرك الفئات العميلة والمرتبطة بسياسة الولايات المتحدة في الوطن العربي تحركا واسعا من اجل محاصرة المقاومة الفلسطينية وضربها ، ومن اجل ضرب الحركة الوطنية العربية ، وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينية وفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة .

بعد هذا نستطيع الاجابة على السؤال: لماذا قامت هذه الحملة وما هي اهدافها ؟ اما لماذا قامت الحملة ، فيبدو واضحا من الوقائع البارزة . اهمها ان الولايات المتحدة اخذت تقتنع يوما بعد يوم ان حركة التحرر العربي ، تحقق انتصارات جديدة ، رغم النكسات والهزائم والتراجعات . فالخط العام لحركة التحرر العربي هو في صعود، منذ سنة ١٩٥٥ ، على الرغم من الانحدارات الهائلة والذبذبات الكبيرة . والذي يقارن وضع البلدان العربية اليوم ، بوضعها سنة ١٩٥٥ ، او ١٩٦٥ ، يلمس هذه الحقيقة . ويكفي ان نشير الى مجموعة من الظواهر :

اولها : ان كل البلدان العربية مستقلة اليوم ، استقلالا تاما او شبه تام او صوريا ، ولقد كان عدد منها غير مستقل سنة ١٩٥٥ . لقد استقلت تونس والمغرب ، ثم الجزائر ، واستقلت اليمن الديمقراطية وبلدان الخليج بعد هذا التاريخ .

ثانيها : ان كثيراً من الانظمة الرجعية قد سقط خلال هذه المرحلة (ليبيا ، اليمن ، العراق) ، وان الاستقلال الوطني قد تعزز في اكثر من بلد (مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر) .

ثالثها : ان هذه المرحلة شهدت تطوراً اقتصاديا كبيرا :

الاصلاح الزراعي في مصر وسورية والعراق والجزائر ، انشاء القطاع العام في البلدان المذكورة آنفا ، السيطرة على صناعة النفط في مصر وسورية والجزائر والعراق وليبيا .

ولقد كان كل هذا التقدم على حساب المواقع الامبريالية في المنطقة . وهو تعدم يهدد بقايا المواقع الامبريالية تهديدا مباشرا ، ويطرح قضية وجودها في المنطقة من الاساس ، على الرغم من بطئه وعلى الرغم من الذبذبات التي يعيشها ، وعلى الرغم من قوه مواقع الامبريالية ونفوذها ، وعلى الرغم من ان وجود دولة الاحتلال يمثل خطرا على كل منجزات الاستقلال ، بالاضافة الى كونه احتلالا .

ثم ، واضافة الى ما سبق ، فان الولايات المتحدة اخذت تشعر ، بعد تصاعد المقاومة الفلسطينية، ان استمرار نمو المقاومة سيهدد كل الوجود الامبريالي في المنطقة . ولهذا قررت ان تعمل على اعادة ترتيب الاوضاع في المنطفة بحيث تصبح منطقة هدوء وسلام . وهذا لن يكون الا بالقضاء على المقاومة الفلسطينية وسحق قوى حركة التحرر الوطني العربية وتكريس « انظمة معتدلة » تضمن « الاستقرار والامن » .

وتشارك الولايات المتحدة خوفها وقلقها اوساط عربية ، خصصت لمحاربة الشيوعية اموالا لم تخصصها لتحرير فلسطين ، وصرفت في هذا المجال آلاف الملايين خلال السنوات العشر الماضية . كما ان هذه الاوساط لا ترى ان معركتنا مع الصهيونية والامبريالية اولا ، بل تراها مع الشيوعية ، وقبل كل شيء .

ولذلك فان هذه الاوساط تشن حملاتها على الاتحاد السوفياتي والشيوعية ، محاولة ان تخدع الجماهير بوجود علاقات بين الشيوعية والصهيونية وبين الاتحاد السوفياتي واسرائيل . كما انها تحاول ان تقنع الجماهير بأن العرب لا يحاربون لان الاتحاد السوفياتي لا يريد الحرب .

وتعمل هذه الاوساط لتضع المقاومة الفلسطينية ضمن

مخططاتها . ولذلك فهي تحوّف من الاتجاهات الماركسية داخل المقاومة . ومن علاقتها بالاتحاد السوفياتي ، وتطالبها بان تكون « مقاومة مشروعة » من اولى مسؤولياتها : « الوحدة فيما بينها وتوثيق الصلة مع الاهل في الضفة الغربية المحتلة وتحقيق الانسجام الاكبر مع العمل العربي الموحد » (الجديد ، ٢٧٩ ، ١٤ - ٤ - ٧٢) .

وتضيف هذه الاوساط : « ان وحدة المقاومة التي تطالب بها القيادات العربية الحاكمة تختلف جذريا عن وحدة المقاومة التي يجري بحثها الان في القاهرة والتي جند لها العديد من الاحزاب الماركسية في انحاء العالم للمشاركة ... » (المصدر السابق) .

ان هذه الاوساط لا تريد المقاومة ان تكون عملا شعبيا ثوريا ، يعتمد على الجماهير ويقاتل من خلال توعيتها وتنظيمها ، بل تريدها جهازا تابعا للانظمة ، تحدد له الانظمة واجباته ومهماته واولها : سحق ارادة الشعب الفلسطيني . وهذا الاتجاه في السياسة العربية ، هو المسؤول عن عمليات تصفية المقاومة وعمليات محاصرتها التي عرفتها خلال مسيرتها منذ ١٩٦٥ وحتى الآن . وهو يعمل الان ، وبكل ما أوتي من قوة لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة،ضمن المخطط الامبريالي - الصهيوني المرسوم.

تبدو ، بعد هذا كله ، اهداف هذه الحملة واضحة جلية ، انها : ١ - عزل حركة التحرر الوطني العربية ، ومنها المقاومة الفلسطينية ، عن حليفها المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الصين والاتحاد السوفياتي . ٢ - قيادة الامة العربية على طريق الاستسلام بضرب منجزاتها ومكتسباتها وبتمكين مواقع القوى المضادة للثورة وزيادة فعاليتها ونشاطها وقدراتها ، والعمل على توسيع رقعة سيطرتها باعادة مواقعها التي خسرتها اليها .

وتغطي هذه الاوساط الامبريالية ، العميلة ، المضادة للثورة عملياتها باظهارها الحرص على قوة الامة العربية وكرامتها ، وتتباكيها على الوطن السليب . ولكنها تفضح نفسها حين يزداد

ارتباطها يوما بعد يوم بالولايات المتحدة الاميركية ، وحين يزعجها، مثلا، هجوم الشقيري على واشنطن في المؤتمر الشعبي الفلسطيني (الجديد ، ٢٧٩ ، ١٤ — ٤ — ٧٢) ، كما انها تفسر زيارة احد سلاطين هذا الاتجاه الى واشنطن بانها ذات « علاقة مباشرة بموضوع التسلح العربي وضرورة تطويره ليستطيع مواجهة العربدة العسكرية الاسرائيلية ... » (الجديد ، ٢٨٧ ، ٩ — ٦ — ٧٢) . وهكذا تنكشف الحقائق عاريه . ذلك ان هؤلاء الحريصين على فلسطين والتحرير والكرامة العربية المهدورة يشنون اشد الحملات ضد العلاقات العربية السوفياتية ، ولكن يصمتون عن العلاقات العربية — الاميركية وعن العلاقات الاسرائيلية — الاميركية، يهاجمون الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تقدم للدول العربية ، وخاصة مصر وسورية والعراق والجزائر اسلحتها ، والمساعدات اللازمة لبنائها الاقتصادي ، ويصمتون عن الولايات المتحدة الاميركية التي تقدم لاسرائيل اسباب البقاء والقوة والسيطرة ، ولا تعطي العرب الا ما يضمن لها سحق ارادتهم وابقاءهم ضعفاء امام العنجهية الاسرائيلية .

ثم ترتفع الاصوات بعد ذلك معلنة ان الاتحاد السوفياتي مسؤول عن حالة اللاحرب واللاسلم . لماذا لانه لا يقدم للعرب الاسلحة اللازمة .

ولكن هل الاسلحة وحدها هي التي تجعل الناس يقاتلون ؟ سنجيب عن هذا السؤال بمجموعة من الارقام :

أ — مقارنة بين فياتنام والولايات المتحدة الاميركية :

فياتنام الشمالية سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ١٧،٥٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ٤١٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار اميركي ميزانية الدفاع ، ٤١٠،٠٠٠ الجيش ، ٥٠٠،٠٠٠ الميليشيا ، ١٠٠ سيارة مدرعة مختلفة ، بما في ذلك ت — ٣٤ و ب — ت (دبابات استطلاع) ، ٦،٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، ١١٨ طائرة مقاتلة ، منها ٢٠ ميج ٢١ فقط . ومع ذلك

فقد كانت فياتنام تقاتل سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها وجيش فياتنام العميل .

ب ـ مصر ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ : ٣١،٠٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ١٨٠،٠٠٠ العوات المسلحة، ١٤٠،٠٠٠ الجيش، ٦٥٥،٠٠٠،٠٠٠ ج.م ميزانية الدفاع ، ٢٥٠ دبابة ت ٥٤ و ٥٥ ، ٧٠ دبابة ت ٣٤ ، ٢٠ ج.س ـ ٣ ، ٣٠ سنتوريون (مارك ٣) ، ٢٢٥ طائرة مقاتلة ، منها ١٠٠ ميج ٢١ .

جـ ـ دوله الاحتلال ـ اسرائيل ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ : ٤،٠٠٠،٠٠٠ السكان (خطأ على ما يبدو) ، ٧١،٠٠٠ القوات المسلحة (النظاميون) ، ٢٧٥،٠٠٠ مع الاحياط ، ٢٢٥ م ـ ٤٨ باتون ، ٢٥٠ سنتوريون ، ٢٠٠ ت ـ ٥٤ (يبدو ان هذا الرقم ليس صحيحا) ، ١٧٥ سوبر شيرمن ، ١٤٠ أ.م.اكس ، ٢٣٠ طائرة مقاتلة . ومع ذلك فان مصر لم تستطع ان تقاتل سنة ١٩٦٧ (١) .

د ـ الولايات المتحدة الاميركية (١٩٧٠ ـ ١٩٧١) : ٣،١٦١،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٧١،٧٩١ مليون دولار نفقات الدفاع .

هـ ـ فياتنام الديمقراطية ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ : ٢١،٠٩٠،٠٠٠ السكان ، ٤٣٢،٧٥٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠ مليون دولار ميزانية الدفاع ، ٤٢٥،٠٠٠ الجيش ، ٤٠٠ آلية مصفحة بما في ذلك دبابات ت ـ ٣٤ و ت ٥٤ ، ٧٦ ب.ت دبابة برمائية خفيفة ، ١٣٣ طائرة مقاتلة ، منها ٣٠ ميج ٢١ ، ومع ذلك فان فياتنام الديمقراطية تقاتل الولايات المتحدة منذ سنوات .

و ـ مصر ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ : ٣٣،٠٠٠،٠٠٠ السكان ، ٢٨٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٥٣ مليون جنيه مصري (١،٢٧٢

---

1 — The Institute for Strategic Studies The Military Balance 1967 - 1968, P. 12.

مليون دولار) ميزانية الدفاع، ٢٥٠،٠٠٠ الجيش، ٩٥٠ دبابة ت-٥٤ و٥٥، ٢٥٠ دبابه ت ٣٤، ١٠ سنتوريون م-٣، ١٥ شيرمان، ١٥٠ ب.ت - ٧٦ برمائية ، ٢٠ ا.م.اكس ، ١٣ دبابة خفيفة ، ٩٠٠ حاملات جنود مختلفه .

ز - دولة الاحتلال - اسرائيل ١٩٧٠ - ١٩٧١ : ٢،٩٠٠،٠٠٠ عدد السكان . ٧٥،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٣،٧٦٢،٥ مليون ليرة ميزانية الدفاع ، ٢٧٥،٠٠٠ الجيش النظامي والاحتياط ، ٣٠٠ دبابة م-٤٨ باتون ، ٤٥٠ سنتوريـــون ، ١٠٠ ت-٥٤ و٥٥ ، ٢٠٠ سوبر شيرمن ، ١٥٠٠ (حوالي) ناقلات جنود (٢) . ومـــع ذلك، وعلى الرغم من ان هذا هو سلاح مصر وحدها فاننا ما زلنا لا نستطيع ان نعاتل دولة الاحتلال .

لماذا ؟ لاننا لا نملك ارادة القتال اولا ، ولاننا ثانيا لم نقـــرر اسلوب القتال المناسب ، وهو حرب الشعب ، ولاننا ثالثا ، لا نجمع امكانياتنا بعضها الى بعضها الآخر . والقضية ليست فـــي اننا نملك او لا نملك العدد الكافي من السلاح ، فنحن نملك العدد الكافي والنوع المناسب للحرب الحديثة ، وحتى النظامية منها . ثم ان القتال هو الذي ياتي بالسلاح . فحرب الاستنزاف جاءت بصواريخ سام ، وبمزيد من الاسلحة (طائرات ودبابـــات الخ) . وليس من المنتظر ان يجيء «الهدوء» بسلاح فعال . وليس من المتوقع ان يدفعنا الاتحاد السوفياتي الى المعركة دفعـــا ، ولن نستطيع الانتصار اذا دفعنا الى المعركة دفعا ، ولكن اندفاعنا الى القتال : بمختلف اشكاله سيدفع الاتحاد السوفياتي والـــدول الاشتراكية حتما الى زيادة مساعداتها لنا . وفيانام خير شاهد على ذلك .

---

2 — The Institute for Strategic Studies The Military Balance 1970 - 1971, P. 38 and 56.

وهنالك حقيقتان لا بد من ذكرهما هنا . الاولى : ان ربط بدء القتال بالمباراة التكنولوجية بين الولايات المتحده والاتحاد السوفياتي ، من خلال انعكاسها علينا وعلى دولة الاحتلال ، سيجعل بدء القتال مستحيلا ، لان المباراة قائمة ، وهي لن تنتهي. الثانية : ان مطالبة الاتحاد السوفياتي بالحسم ، اي ان يدخل الحرب عنا ، والتمثل بموقفه في اماكن اخرى ، تتجاهل مجموعة حقائق موضوعية ، كما انها تبدأ من منطلق منحرف . فما نريده هو ان يساعدنا لا ان يحارب عنا .

ان الذين يحاربون العلاقات العربية ـ السوفياتيه هم ليسوا الوطنيين الحريصين على القتال ، وعلى تطوير العلاقات لمصلحة تطور بلادنا وقوتها ، بل هم الاستسلاميون الهيابون ، الذين يريدون دفعنا الى الياس ، والى السقوط في شرك السيطرة الاميركية . ومثل هؤلاء لا يخدمون الا الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ونحن نطالب هؤلاء ، الذين يزايدون بطرح العلاقات العربية ـ الصينية بديلا للعلاقات العربية ـ السوفياتية، بان يرفعوا صوتهم من اجل الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ، ومن اجل توطيد العلاقات معها ، كما نناشدهم ان يتبنوا حرب الشعب . وعندها لن يتحدثوا عن عدد الطائرات والدبابات .

ولكن هذا كله هل يعني انه ليس هنالك من خلافات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ؟ بالطبع هنالك خلافات ، وأهم هذه الخلافات :

١ ـ ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، ما عدا الصين والبانيا وفياتنام الديمقراطية وكوريا الديمقراطية، تعترف بدولة الاحتلال .

٢ ـ ان الاتحاد السوفياتي يدعو الآن الى تسوية سلمية ، تزول بموجبها آثار عدوان حزيران فقط .

٣ ـ ان الاتحاد السوفياتي ، قد يجد في اية لحظة ، من

المناسب ضمن استراتيجيته العالمية ان يتفق مع الولايات المتحدة على حلول لمشاكل العالم الرئيسية، ومنها قضيتنا. ونحن ننبه الى خطورة مثل هذا الاتفاق السوفياتي ـ الاميركي ، مما يتطلب شحذ الهمم والاستعداد الدائم لمقاومة كل الحلول التصفوية بما في ذلك قرار نوفمبر ١٩٦٧ .

٤ ـ ان الاتحاد السوفياتي يسمح الآن بهجرة اليهود السوفيات الى الارض المحتلة ، تحت ضغط الصهيونية العالمية والدول الامبريالية ، وهذه الهجرة ليست في مصلحتنا .

هذا على الصعيد الفلسطيني والعربي ، اما على الصعيد العالمي ، وصعيد العلاقات الدولية وقضايا التحرر الوطني والماركسية فهنالك الكثير من الخلافات ، التي لا نرى ان هذا المجال هو مجال بحثها .

وعلى هذا ، فاننا ونحن نحارب الهجمات الشرسة ضد العلاقات العربية ـ السوفياتية ، لانها تريد السير بنا نحو الاستسلام ، نعتقد بان خروجنا من دائرة الحلول الاستسلامية لا يكون الا بتنمية قوانا الذاتية وبالاعتماد على جماهيرنا ، بتعبئة هذه الجماهير وتنظيمها واعدادها للقتال . وبذلك فقط نضمن عدم تصفية القضية ، وبذلك فقط نضمن الخروج من دائرة الحلول الاستسلامية والتسويات الدولية . وبذلك ، لا بغيره ، نضمن تطوير علاقاتنا مع حلفائنا واصدقائنا، وزيادة مساندتهم ومساعدتهم لنا ، ماديا ومعنويا .

☆☆☆

لقد اكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق ، دار النقاش حولها وما زال يدور . ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق ، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة ، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي

كانت تسد وجه الافق ، واهم هذه الحقائق ثلاثة ، نطرحها فيما يلي :

اولا : ان السياسة المصرية التي قادت الى اتخاذ قرار انهاء مهمات الخبراء والمدربين السوفيات باسم الخروج من مازق اللاسلم واللاحرب بات واضحا ما ترمي اليه . لقد انهت حالة اللاحرب ، وابقت حالة اللاسلم وحدها . انها هنا ، ومن الطرف العربي فقط ، ابقت الباب نحو «السلام» مفتوحا، وسدت الطريق على الحرب . ذلك ان القرار المصري اعطى ميزات إستراتيجية لدولة الاحتلال الصهيوني ، بسحب الخبراء والمدربين والطيارين وبعض الاسلحة المتقدمة ، وبتعقيد امر التعاون العسكري والسياسي مع الاتحاد السوفياتي . كما انه قدّم خدمات استراتيجية جلى للولايات المتحدة عن طريق انهاء التسهيلات المصرية للبحرية السوفياتية في المتوسط .

وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجه نحو اوروبا ، ومناشدتها المساعدة على اقرار «السلام» في المنطقة .

وبدأت مصر توجهها الفعلي نحو «السلام» ، من خلال التحرك السياسي الذي اعلنت عنه ، وهذا التحرك السياسي اشار اليه الرئيس السادات مرارا ، وذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس الشعب يوم ١٧ــ٨ قائلا : «ان ما نحتاج اليه الآن هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية» .

ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه الولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول العربية الرجعية (١) .

---

١ ــ جرى تغير جزئي في الموقف المصري بعد هذا التاريخ ، نتيجة استمرار التعنت الاميركي ــ الاسرائيلي ، ترافقه تغير، في داخل النظام، جزئي ايضا ، ولكن الخط العام المشار اليه ازداد وضوحا فيما بعد .

وكان هذا طبيعيا ، لان قرار انهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا . لقد قال كيسنجر قبل سنتين: «لنتحدث بصراحة.. تريدون مبادأة اميركية فعالة لتسوية النزاع العربي ــ الاسرائيلي؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث... هذا هو الشرط ... واكرر هذا هو الشرط الوحيد» (الاسبوع العربي، العدد ٦٩٢ ، ١١ــ٩ــ٧٢) .

وظلت الولايات المتحدة ، خلال السنتين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار .

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو اميركا واوروبا تحرك تونسي ــ سعودي في اتجاه اميركا والغرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى .

ومن هنا تتضح أبعاد التحرك السياسي المصري . انه تحرك ضمن دائرة معينة ، هي دائرة البحث عن حل «سلمي» .

وهو تحرك نحو الخارج ، جزء من الخارج ، لا نحو الخارج كله . لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب ، ولم تعط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعا خوف ان يحل التنين محل الدب) .

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة «الشد والارخاء» التي تمارسها منذ حرب حزيران ، فأعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة، او مفاوضات عن كثب في جزيرة رودوس، على ان تكون مفاوضات سرية ، وعلى ان يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحية اتخاذ القرار (الاسبوع العربي ، المرجع السابق) .

وسارت الديبلوماسية «الاسرائيلية» على الطريق ذاتها ، فتقدمت خطوة الى الامام ، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة ، واعلن دايان ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء ، اذ قال يوم ١٧ــ٨ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركان : «ان مفتاح الحدود الآمنة كامن في صحراء سيناء ...

ففي صحراء سيناء يمكننا ان نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل ، يعطي للمناطق الآهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا» .

ولقد باتت الديبلوماسية الاميركيه و«الاسرائيليه» نلعب الآن، ومنذ قرار انهاء خدمة الخبراء والمدربين السوفيات ورقة المفاوضات المباشرة. المفاوضات المباشرة الآنهي المطلب الاساسي: ولهذا فان ابا ايبان قد اعلن (٧-٨-٧٢) : «ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة» .

وصدرت تصريحات مماثلة عن ساسه كبار من ساسة الولايات المتحدة ، مثل ملفين ليرد وزير الدفاع ووليام روجرز وزير الخارجية ، وفي التواريخ عينها ٧-٨ ، ١١-٨ مثلا .

واستخلصت سياسة تل ابيب وسياسة واشنطن درسا جديدا ، مما حدث . لقد استطاعت ان تتاكد بان مزيدا من التشدد ازاء العرب يقود الى مزيد من التراجع .

وهذا ما عبّر عنه ييجال آلون نائب رئيسة الوزراء بقوله يوم ٧-٨ : «ان واشنطن تعلمت في السنتين الماضيتين ان التشدد يؤدي الى نتائج حسنة في هذه المنطقة ، فقد كانت الولايات المتحدة تسعى منذ سنتين لحمل اسرائيل على دفع اي ثمن مقابل وعد من الرئيس السادات باخراج السوفيات ، ولكن اسرائيل لم تتجاوب ، وتبين بعد ذلك انها على حق ، حيث خرج السوفيات بدون ثمن» .

وهذا الدرس يعزز سياسة العصا الغليظة التي تنتهجها تل ابيب وواشنطن .

ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة واصلت تقديم الاسلحةلدولة الاحتلالالصهيوني،حتىبعد اقرار انهاء مهمةالخبراء السوفيات . وهذا يكشف التضليل الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة في السابق ، لتبرير امداد دولة الاحتلال الصهيوني

بالاسلحة ، كما يكشف الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة ، هذه الخطة القائمة على اساس استمرار التفوق العسكري «الاسرائيلي» في كل الظروف .

ولا بد من الاشارة هنا الى ظاهرتين من ظواهر سياسة التوجه نحو «السلم» . الظاهرة الاولى ، وتتعلق بالقرار الذي اتخذته دولة الاحتلال الصهيوني بتخفيض مدة التدريب ثلاثة اشهر . «وقد اوضحت السلطات العسكرية والسياسية الاسرائيلية ان الاسباب الواقعية لهذا الاجراء – وهو الاول من نوعه منذ العام ١٩٦٧ – هي «التحولات الايجابية» التي طرات على الجبهات العربية مع اسرائيل» (الدستور ، العدد ١٠٠ ، ١١–٩–٧٢) .

الظاهرة الثانية هي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة ولبعض العواصم الاوروبية ، وزيارة من هذا النوع لا يمكن ان يشك بان لها اهدافا غير «السلم» .

ولذلك يجري الحديث في هذه الايام عن «حل» يشمل الجبهة المصرية والاردنية ، ويستثني الجبهة السورية. وهذا الحل يسمى حلا جزئيا ، بينما هو في الواقع خطوة نحو الاستسلام الكامل .

وبات واضحا ان قادة دولة الاحتلال قد غيّروا من لهجتهم، بعد القرار المصري ، وانهم بداوا لعبة «التمد والارخاء» من جديد. الهدف الآن هو المفاوضات المباشرة ، والهدف من المفاوضات المباشرة هو التسليم الكامل .

ان الحقيقة الاولى التي تؤكدها الاحداث في الشهرين الاخيرين هي ان كل تراجع سياسي امام اسرائيل والولايات المتحدة يقود الى تراجعات، وان استمرار هذه السياسة لن يقود الا الى الاستسلام ، وعلينا ان نوقف مهزلة التراجعات هذه .

ثانيا : ان عملية مونيخ التي قامت بها منظمة ايلول الاسود قد اثبتت بما لا يدع مجالا للشك بطلان حملة التضليل التي استمرت خلال الشهرين الماضيين ، والتي انطلقت من ان الوجود العلني

للعمل الفدائي يعطي كل المبررات لعمليات الانتقام من العدو ، قالوا لنا : ان العودة الى السرية هي التي تحرم العدو من مبرراته، ومع اننا كنا نعلم ان هذا وهم ، وهو ما اشرنا اليه في حينه (شؤون فلسطينية، العدد ١٢) الا اننا اضطررنا للدخول في مناقشة حول الموضوع . لقد كنا نعلم ان الدعوة الى العودة للسرية ليست الا مبررا لانهاء وجود الثورة ، وأن العودة الى السرية لا تمنع العدو من الانتقام .

ولقد جاءت عملية مونيخ ، فأكدت ما ذكرناه سابقا ، اكدت ان دولة الاحتلال الصهيوني تريد امرا واحدا ، هو أن يصمت الشعب الفلسطيني الى الابد ، وفي سبيل ذلك هي مستعدة لعمل كل شيء دون رادع او وازع . ودولة الاحتلال عندما تعجز عن مواجهة العمل الفلسطيني المسلح ، تلجأ الى دفع الدول العربية على طريق تصفية المقاومة الفلسطينية . هذا ما فعلته في الاردن، وهذا ما تحاول فعله الآن في سوريا ولبنان . لقد اعلن قادة دولة الاحتلال الحرب على العمل الفدائي اينما كان. وقالت جولدا مئير: «ستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات «الارهاب» ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعية عمليات الفدائيين» (البلاغ ، العدد ٣٦ ، ١١-٩-٧٢) ، وشنت دولة الاحتلال هجماتها ، بعد التهديد ، على سوريا ولبنان ، وما زالت تهدد بشن هجمات اخرى ، وتعيش المنطقة في هذه الايام جوا من القلق والفزع . ان دولة الاحتلال تطالب بسحق وجود المقاومة ، فاذا لم تقم الدول العربية المعنية بهذه المهمة قامت بها دولة الاحتلال .

وهكذا لا تكون المقاومة وحدها مهددة ، ان استقلال الدول العربية بات مهددا . وعلى الدول العربية ان تختار بين ان تكون اداة في يد دولة الاحتلال او تكون دولا مستقلة لها كرامتها ، وهذا يعني أن تختار بين الاستسلام والحرب .

وهنا تبدو الامور واضحة : ان دولة الاحتلال تحمّل الدول

العربية مسؤولية كل عمل مضاد لها ، حتى لو كان فاعلـــوه مجهولين.

وعليه فان العودة الى السرية لن تنقذ احدا ، الا اذا عنت انهاء وجود المقاومة العلني والفعلي . كما ان دولة الاحتلال لن ترضى بديلا عن ان نكون القوة المتحكمة بالمنطقة ، المسيطرة عليها ، وعلى الدول العربية ان تخضع او تقاوم . وبما ان طريق الخضـــوع معروف ، وقد اصبحت لنا فيه «تقاليد» وممارسات ، فان طريق المقاومة هو طريق الخلاص . وطريق المقاومة ليس سرا مجهولا ، ولا هو بالخافي على احد ولكن ممارسته هي القضية .

ولقد بدات طلائع الشعب الفلسطيني انتهاج هـــذا الطريق ابتداء من سنة ١٩٦٥ ، وما تزال سائرة على الرغم مـــن الاخطاء والانحرافات والعقبات . وما يعمل له المعسكر المعادي الامبريالي الصهيوني لا يتعدى اطفاء جذوة هذه المقاومة . هذه هي المهمة الاساسية الآن للتحالف الامبريالي الصهيوني . ويعرف هـــذا التحالف ان انجاز هذه المهمة لن يتم بدون المعونة الفعالة مـــن العملاء العرب والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي .

والرد بالطبع على هذا كله ليس السرية فحسب ، انه القتال، التصميم على القتال ، تعبئة الجماهير للقتال ، المحافظة علـــى انجازات المقاومة وامكانياتها ، اشراك الجماهير العربية مشاركة فعالة الخ .. واذا كانت هنالك حاجة للسرية ، فضمن هـــذا الخط ، وليس دونه .

ثالثا : ان مشكلتنا الاساسية تنبع من اعتماد انظمتنا علـــى القوى الخارجية، واهمالها طاقاتنا وامكانياتنا . نحن نفكر بالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، بالشرق والغرب، ونلوم هذه الجهة او تلك . نطلب من الاتحاد السوفياتي ان يؤهلنـــا للحرب ، او نناشد الولايات المتحدة ان تاتي لنا «بالسلم» . وطبيعي الا يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يقدم لنا الاهلية للحرب ، كما انه طبيعي الا

تقدم لنا الولايات المتحدة «السلم» على طبق من ذهب .

وهذا لا يعني اننا لسنا بحاجة الى اصدقاء وحلفاء . نحن بحاجة الى اصدقاء وحلفاء ، وعلينا ان نحدد اصدقاءنا واعداءنا، علينا ان نفرق بينهم وبين نوع صداقاتهم وعداواتهم ومستوى هذه الصداقات والعداوات في كل مرحلة .

ولكن هذا ليس الاساس . انه جزء من الخط السياسي الصحيح الذي علينا ان نضعه وان ننتهجه . ولكن اساس هذا الخط هو جماهيرنا وقوانا وارادة القتال لدينا .

اعتقد ان التجارب علمتنا ان النصر لن يأتي من الخارج ، ولا من الاسلحة الخارجية ، ولا من المساندة السياسية الخارجية ، وان كان ذلك كله من العوامل المساندة . ان النصر يأتي من العامل الذاتي ، من ارادتنا ومن جماهيرنا .

ان اصدقاءنا الصينيين ، وهم حلفاء لا يماري احد في صداقتهم ، وان بدات الاوساط المشككة بالصداقة مع الاتحاد السوفياتي تبث الذعر في نفوسنا من التنين الذي سيحل محل الدب ، يقولون لنا دائما : الاعتماد على الذات هو الطريق الى النصر .

اما نحن فنهرب دائما من الذات الى الخارج ، نبدد قوانا الحقيقية لنمني النفس بمساندة قوى لا تنفعنا ان لم ننفع انفسنا.

ان سر قوتنا في جماهيرنا ، ومع ذلك نبحث عن هذا السر في التكنولوجيا التي لا نملكها ولا نبذل الجهود لامتلاكها . وسر قوتنا في معنويات جماهيرنا ، ومع هذا فنحن نعمل على تدمير هذه المعنويات ، وسر قوتنا في وحدة جماهيرنا ونحن نفرقها ونقسمها . وسر قوتنا في تعبئة جماهيرنا ، ونحن «ننفخها» اعلاميا ونحن «نفرغها» دائما حتى لا تصبح قوة .

وفي الوقت الذي تصمد فيه الجماهير الفياتنامية في الشمال والجنوب لغارات الطيران الاميركي الايام والاشهر والسنين ،

نخشى نحن غارات الطيران «الاسرائيلي» . وفي الوقت الذي نخشى فيه تفوق الطيران «الاسرائيلي» ، ونؤجل الحرب فزعا ورعبا من هذا «الشيطان الرجيم» تزحف قوات الثوار الفياتناميين، المشاة في الاغلب ، بلا حماية من طيران ، وبلا سلاح مدرع يستحق الذكر ، على مواقع الاميركيين والفيانياميين الجنوبيين ، ويحققون النصر تلو النصر .

هذا هو درسنا الاول والاخير .

ان النصر مرهون باراده الانسان ووعيه وحكمنه وقدرته على استخدام قواه وطاقاته .

وعلينا ان نعي هذا الدرس جيدا ، لانه الدرس الذي يقودنا الى النصر .

القسم الخامس

نحو ثورة فلسطينية جديدة

- ١ -

نحن نعيش اذن ، وبعد هذا كله مرحلة جديدة . وعلينا ان نحدد خصائص هذه المرحلة بايجاز وبدقة ، لنستطيع ان نرسم على اساس ذلك تصوراتنا عن المستقبل . ويمكن ايجاز هـــذه الخصائص بما يلي :

اولا : على الصعيد الفلسطيني. برزت على الصعيد الفلسطيني، منذ ايلول وحتى الان الحقائق الآتية :

أ ـ خسارة الاردن باعتباره قاعدة اساسية ، واحكام طوق الحصار حول الثورة في لبنان خاصة ، وفي البلاد العربية عموما.

ب ـ عجز منظمة التحرير عن بلورة جبهة وطنية حقيقيـــة واستمرار مؤسساتها على حالها ، على الرغم من مرور اكثر من ثلاث سنوات على دخول حركتنا الى المنظمة .

جـ ـ عجز الحركة الوطنية الفلسطينية عن تحقيق تفاعـــل حقيقي مع الحركة الوطنية العربية والجماهير العربية ، يقود الى توسيع قاعدة الثورة ، والى التحامها بالجماهير العربية .

د ـ زيادة التخلخل في قواعد المنظمات وبروز تناقضـــات داخلها ، وانتشار اشكال من التسيب والتكتل والارتباك التنظيمي فيها .

هـ ـ خسارة الثورة ثقة قسم من جماهيرها ، وانتشار انواع من الشك في اوساط الجماهير واشكال من خيبة الامل .

و ـ بروز بعض فقاقيع الاتجاهات الاستسلامية على سطح

الحياة السياسية الفلسطينية ، ساترة نفسها بادعاء «الواقعية» او «مرحلة» النضال ، او مبررة ذاتها بتعب الجماهير الفلسطينية وبانفضاض الجماهير العربية من حول القضية وخيانة الانظمة العربية وتخاذلها .

ولقد اخذ هذا كله يطفو بعد ايلول ، وبعد ان عجزت الثورة ، عن ان تبدأ معركتها في الاردن لانهاء النظام العميل .

كانت الثورة مطالبة ان تتجدد ، فلم تتجدد . وكانت مطالبة ان تدرك ملامح المرحلة الجديدة ، وان تعيد صياغة نفسها على اساسها فلم تفعل . وكان ان بدأت الفقاقيع تبرز . وأن بدأت المشاكل تتداخل وتتفاعل

والتنظيم الثوري عندما يفقد الريادة يبدأ بالتصدع والتخلخل ، وتبدأ هالته التي اكتسبها خلال سنوات الريادة بالتبعثر والتشوه .

ولقد قادت العوامل هذه كلها الى ان يعجز العمل الوطني الفلسطيني ، السياسي والعسكري ، عن ان يحافظ على مكتسباته في الداخل (غزة مثلا) ، وعلى ان يطور اساليبه ويجدد نفسه ليكون قادرا على التوسع والانتشار وتطوير لعمليات واستقطاب جماهير اوسع واوسع . وما حدث في الداخل حدث في الخارج ايضا .

ثانيا : على صعيد الاحتلال : استطاع الاحتلال منذ حزيران حتى الآن ان يحقق ما يلي :

أ ــ وجّه ضربات للحركة الشعبية في الداخل ، التي نشطت سنة ٦٨ و٦٩ ، واستطاع ان يحد من نموها اولا ، ثم استطاع ان يشتتها .

ب ــ وجّه ضربات الى الحركة المسلحة ، وقد تمكن بعد سنة ١٩٧٠ ان يتفرغ لاقوى مواقعنا هناك ، غزة والقطاع ، وان يضعف من قدرة حركتنا المسلحة وان يحد من نفوذها . كما استطاع ، بعد ايلول ، ان يضعف نشاط خلايانا في الداخل الى حد كبير .

جـ ــ وجّه العدو ضرباته الى قواعد ارتكازنا في الاردن وسوريا ولبنان ، كما وجه ضرباته الى الاردن وسوريا ولبنان . واذا كانت

ضرباته لقواعدنا لم تؤت ثمارها . فان ضرباته الى الاردن وسوريا ولبنان قادت . من بين اسباب اخرى . الى تصفيه مواقعنا في الاردن . وتجميد مواقعنا في لبنان . والحد من نشاط قواعدنا في سوريا . والعدو مستمر في هذه السياسة التي تستهدف تصفيه قواعد اركانا او شلها نهائيا .

د ـ اوجد العدو في الداخل امكانيات لامتصاص النقمة الشعبيه من خلال امتصاص اليد العاملة باجور عالية ومن خلال سياسه الجسور المفتوحه والسماح بالزيارات الخ ...

هـ ـ عمل على خلق «حقائق واقعية» : مثل بناء المستوطنات الجديدة ، وهدم قرى كاملة او أحياء ، وانشاء مشاريع في الاراضي المحتله .

و ـ عمل على زرع القناعة في نفوس ابناء شعبنا الخاضعين للاحتلال بان دولة الاحتلال دوله لا يمكن تحديها ، وان الدول العربية عاجزة ومتفرقه ، وان المقاومة محاصرة عربيا ، وان بين المناضلين خونة وعملاء الخ ...

ز ـ زاد العدو من قوته العسكرية . اذ انه تمكن من الحصول على مزيد من الطائرات بعد حزيران سنة ١٩٦٧ ، وعلى مزيد من الطائرات المتقدمة خلال الثلاث سنوات الماضية . كما انه عزز سلاح المدرعات والبحرية تعزيزات كبيرة ، وزاد من تحصين المستعمرات الحدودية ، وحسن وسائلها الدفاعية ، وجهز الحدود بشبكات دفاعية ووقائية .

وتعمل دولة الاحتلال الآن على استمرار الوضع العائم والمناورة على كل القرارات الدولية ، من اجل خلق حقائق راهنة ، وفرض الامر الواقع على الامة العربية . وما تهدف اليه دولة الاحتلال الآن هو : انتزاع موافقة على المفاوضات المباشرة وتصفية المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية واخضاع المنطقة للسيطرة الامبريالية ـ الصهيونية .

ومع ذلك فالمقاومة ما زالت مستمرة .

ثالثا : على الصعيد العربي : شهدت هذه المرحلة على الصعيد العربي تطورات هامة ، اهمها :

أ ـ التحوّل باتجاه الحرب الاهلية ، وتجلى هذا في الاردن. وهنالك نذر به في لبنان . ويمثل هذا التحوّل ازدياد حـــدة التناقض بين خط الجماهير القتالي وخط الانظمة الاستسلامي .

ب ـ الاتجاه الحثيث نحو الحلول الاستسلامية . ذلك ان الانظمة العربية بدات منذ الموافقة على مشروع روجرز ، مسلعيها الجادة من اجل «السلام» . ولما كانت المقاومة عقبة على هـــذه الطريق ، كان لا بد من ان تصبح اداة من ادوات فرض «السلام» او تزول . ولهذا كانت مجزرة ايلول وما بعدها . ولهذا يزداد الحصار على المقاومة قوة وشدة .

ج ـ التوجه نحو اعداد قوى نظامية ، غير معدة عسكريا، وغير معباة معنويا .

د ـ المراهنة على التفوق التكنولوجي والاسلحة المتقدمة، بدلا من المراهنة على الوعي والتنظيم والتعبئة الجماهيرية اساسا .

هـ ـ انحسار الحركة الوطنية العربية ، وعجزها عن القيـــام بدورها في تعبئة الجماهير لمقاومة الحلول الاستسلامية ولدفع الجيوش باتجاه القتال ، وللمشاركة في محاربة الامبرياليـــة والصهيونية مشاركة فعالة .

و ـ استشراء التناقضات في صفوف الانظمة الى درجة تجعل التنسيق السياسي او العسكري غير ممكن .

ان هذا العجز الهائل جعل الامة العربية ، بملايينها المائـــة والاربعين تبدو مستسلمة امام السيطرة الامبريالية الصهيونية .

رابعا : على الصعيد الدولي : وشهدت القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي تطورات ايضا . تمثلت هذه التطورات فـــي الآتـــي :

أ ـ فرضت المقاومة تحويل القضية، المدرجة في ادراج الامم المتحدة، من قضية ثانوية الى قضية متفجرة . ولقد اصبحت الآن مـــن

مشاغل العالم . وبعد انجعل قرار مجلس الامن رقم٢٤٢ القضية قضيه لاجئين ، اصبحت القضية الآن وفي الامم المتحدة قضية شعب فلسطين .

ب ـ باتت الدوائر الامبريالية تتحسس الخطر من جراء استمرار الثورة الفلسطينية ، ومن توفر المناخ لانتشارها . ولقد عبَّر نيكسون في رسالته للكونجرس عن هذه الحقيقة. ولذلك فان اتجاه الامبريالية نحو التصفيه بات اكثر اندفاعا . الامبريالية تريد ضمان مصالحها الخيالية في المنطقة ، وهي لذلك ستضرب بيد من حديد ، وستسعى لايجاد حل نضمن فيه استمرار الانتصار الصهيوني ـ الامبريالي . ولكنه يستوعب طاقات الفلسطينيين ، ان لم يستطع سحقهم .

جـ ـ تتجه القوتان العظيمتان نحو تسوية المشاكل المعقده في العالم ، وبينما تدفع الولايات المتحدة الاميركية باتجاه تصفية القضية والشعب ، يدفع الاتحاد السوفياتي باتجاه «حل واقعي». وعلى الرغم من وجود مثل هذا التناقض فان اي «حل واقعي» بعيد عن مطامح شعبنا ، وسيكون اذا ما تحقق طعنة نجلاء في صميم حقوقه وآماله ، لانه مرهون بقيام دويلة فلسطينية وبالاعتراف بدولة الاحتلال ، وبفرض جو من الاستسلام على المنطقة .

د ـ نمت خلال السنوات الماضية قوى شعبية مؤيدة للثورة الفلسطينية ، وللقضية الفلسطينية . وهذه القوى تشكل احتياطا هاما للثورة الفلسطينية .

هناك اذن ثلاثة اتجاهات بارزة على الصعيد العالمي :

الاول : يستهدف تصفية القضية والشعب ، وهو الاتجاه الامبريالي ـ الصهيوني واتجاه القوى العربية السائرة في مخططاتهما .

الثاني : يستهدف تحقيق «حل واقعي» مرحليا ، وهو اتجاه يطرحه الاتحاد السوفياتي وتسانده. قوى عربية وغير عربية ،

رسمية وشعبية .

الثالث : يستهدف الاستمرار بالقتال حتى النصر، وهو اتجاه ثورتنا وجماهيرنا ومناصرينا في كل انحاء العالم .

- ٢ -

هذه الصورة العامة للوضع ، فلسطينيا وعربيا ، احتلاليا وامبرياليا . وهي صورة تبدو قاتمة . ولذلك فقد بدأت فقاعات الاستسلام تطفو في الساحة الفلسطينية . هناك من يقول بان وضعنا يبعث على اليأس ، والمقاومة لا تستطيع ان تتجاوز ازمتها . وهنالك من يقول : نحن نعمل ضمن المعادلة الدولية ، بها ننهزم وبها ننتصر ، والمعادلة الدولية تميل الى الحلول الوسط فلنكن واقعيين . وهناك من يقول : لن نستطيع ان نحمّل الشعب الفلسطيني مزيدا من الخسائر والتضحيات ومزيدا من الضحايا والآلام . هذا اتجاه . ويلتقي هذا الاتجاه مع الدعوة السوفياتية الى الحلول الواقعية ، شاء او ابى . انه يريد ان يحقق شيئا للشعب الفلسطيني ، ولكنه يحس بالعجز عن ان يحقق التحرير ، فيرضى بديلا مؤقتا .

وهناك ، بالمقابل ، اتجاه آخر ، يسير نحو التصفية . انه يؤمن بالحلول الواقعية ايضا ، ولكن هذه الحلول الواقعية تظل ضمن الواقع العربي القائم لا تتجاوزه . هذا الاتجاه لا يؤمن بالثورة والجماهير ، بل يؤمن بالعمل الديبلوماسي الدولي . ويعتقد ان في المنطقةمن الامكانيات ما يجعلها قادرة على ان تضغط على الامبريالية ، وتجبرها ان تؤيد العرب ضد الاحتلال الصهيوني، او تضغط من اجل حل وسط على الاقل .

وهذان الاتجاهان يلتقيان في انهما يعلقان الآمال على المعادلة الدولية ، ولا يبدلان كبير اهتمام بالعامل الذاتي . وهما يريدان من العامل الذاتي ان يكون عاملا ضاغطا لا عاملا حاسما . ولهذا

لا تطرح قضيةالوعي والتنظيم والجماهير والحرب التعبيةالبعيده المدى . بمقدار ما يطرح موضوع اللعب على المعادله .

ولعب مجموعه من العوامل دورها في تعوية هذين الاتجاهين وزياده نفوذهما . وهده العوامل هي :

١ ــ نوع من الشعور بالعجز امام المرحلة الجديدة . فالمرحلة الجديده اكثر صعوبة وتعقيدا . وهي مرحله تختلف عن المرحله السابقة اختلافا جذريا . وامام مثل هذا التعور بالعجز يجري البحث عن البديل . والبديل السهل طبعا ، وليس البديــــل الا التعلق بقشة الامل الهشة التي ستقود الى الهاوية .

٢ ــ دفع اكثر الانظمة العربية بهذا الاتجاه . لان اكثر الانظمة يريد ان يهرب من القتال . والهريبة من القتال تستدعي تكييف ارادة المقاومة وتحويلها الى قوه «معطلة» .

٣ ــ وجود جو التسويات الدولية ، واتجاه قوه كبرى مثل الاتحاد السوفياتي في مثل هذا الاتجاه .

٤ ــ عدم ظهور قوه جديدة ، تتجاوز المأزق القائم ، كمــــا تجاوزته حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) سنة ١٩٦٧ في آب ، او قبل ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٦٥ .

وهناك ايضا اتجاهان خطيران داخل القوى الرافضةللاتجاهين التصفويين السابقين . واذا كان الاتجاهان السابقان يمكن ان نسميهما اتجاه الانحراف والتصفية فان هذين الاتجاهين يمكن ان نسميهما اتجاه الانحراف والتصفية ولكن من زاوية اخرى ومن منظور آخر . لماذا ؟ لان هذين الاتجاهين يقودان ايضا الــــى الانحراف عن طريق النضال والى التصفية عمليا . وسنوضح هذا في مناقشتنا لكل من الاتجاهين :

الاول : يفسر المأزق كله على انه مأزق ايديولوجي . ذلك ان المقاومة تعيش ما تعيشه ، لا لسبب ، الا لانها لم تتبنَّ الماركسية. الماركسية هى الترياق الآتي من العراق ، وبدونهــــا لا شفاء ولا دواء. ولقد شهدت المرحلة التالية لحزيران اندفاعا في هذا الاتجاه

ما زال يتسـع ، ولكن منذ حزيران ، وحتى الآن ، قامت حركات ماركسية ، وانشقت فئات باسم الماركسية ، وتبنت حركات قائمة الماركسية اللينينية . الا ان هذا كله لم يحمل لنا تباشير مخرج. وها هي الفئات التي حاولت ان تقنعنا سنوات بان الماركسية هي الحل ، تعاني اليوم مازقا كالذي يعانيه غير الماركسيين . وكـان هنالك ، بالمقابل ، اتجاه آخر يرى ان المازق قائم لاننا لا نعود الى الاسلام ، ولا نرفع رايات الجهاد ، ولاننا انحرفنا نحو الماركسية..!

ولقد اخطأ هؤلاء واولئك عندما توهموا ان القضية قضيـة ايديولوجية ، بمعنى تبني هذه الفكرة او تلك واتخاذها لبوسا دون غيرها .

واذا كان موضوع الايديولوجية الموجهة للنضال من اهم قضايا النضال ، فان من اهم قضايا النضال :

١ـ معرفة الوضع الملموس معرفة حقيقية واستيعاب تناقضاته وتياراته وطبيعة القوى المتصارعة وامكانياتها .

٢ ـ تحديد نظرية النضال واساليبه .

٣ ـ تجسيد الوعي بالممارسة ، والنظرية بالعمل .

ولقد اخطأ الذين ظنوا ان القضية هي قضية ايديولوجيـة فحسب ، لان ايديولوجية الكتب والشعارات لا تقود بالضرورة الى القضايا الثلاث التي ذكرناها اعلاه ، وقد لا تقود اليها اطلاقا . وهنالك احزاب شيوعية تحمل لواء الماركسية من اول القرن ، ولكنها ما زالت احزاب قلة ، دورها ثانـــوي في مجتمعاتها ، واحتمالات نجاحها في المستقبل ، لا تبدو احسن من النجاحات التي حققتها في الماضي .

ولا نرى حاجة لاضافة ملاحظات اخرى هنا حول النزعـات الطفولية التي كانت تريد ان تكون الماركسية دينا لكل الشعب ، كالاسلام الذي يريد دعاته ان يعيدوا فرضه على كل الناس ، لاننا ناقشنا هذه القضية في مرات سابقة .

الثاني : يفسر المازق على انه ازمة قيادات . القيادات هي

المسؤولة ، واذا سقطت وجاءت قيادات اخرى حل الاشكال .
ولكنّ هل القضية كلها هي قضية هذه المجموعة او تلك ؟ هـــذا القائد او ذاك ؟ انها ليست كذلك وان كانت القيادات تلعب دورا كبيرا في نشوء الازمة واستمرارها .

فما هي المشكلة اذن اذا لم تكن قضية قيادات ؟

انها :

١ ــ قضية البنية القائمة لحركة المقاومة ، لمنظمة التحرير ، ولكل فصيلة من الفصائل ، ولكل تنظيم من التنظيمات وقيادة من القيادات .

٢ ــ قضية التصور العام: النظرية الخاصة بالثورة: اهدافها، اساليبها ، أدواتها .

٣ ــ قضية الممارسات عموما .

واذا لم ننظر الى المأزق من هذا المنظور الشامل ، نكون كمن يلفت النظر عن المرض الكامن الى البثور الظاهرة .

ان القيادات ليست المشكلة الاساسية فـي المأزق الراهن ، انها بعض هذه المشكلة المتداخلة المتكاملة .

ان هذه القضايا : الايديولوجية ، معرفة الوضع الملموس ، تحديد نظرية النضال واساليبه ، تجسيد الوعـــي بالممارسة ، وقضية البنية القائمة لحركة المقاومة والحركة الوطنية العربية ، تتفاعل لتخلق هذه الازمة .

- ٣ -

وهناك ايضا التوجه نحو الحل الثوري . وهو توجه واســع فضفاض يضم انماطا مختلفة من الناس والافكار . ولكن هـــذا التوجه العام ما زال مضطربا ومشوشا ومختلطا وما زال عفويــا وبدائيا . انه يطرح قضية تجاوز المأزق ولكن طرحه ما زال يعاني مما يلي :

أ ــ الاكتفاء بالعموميات وعدم الخوض في الخصوصيات .

الحديث دائما عام وشامل ، او جزئي عام . القضايا هي اطروحات عامة والقوانين حقائق شاملة والوقائع وقائع غائمة او مفصولة عن اطرها ، او مرئية من جانب واحد .

ب ـ هزال التحليل وتخلفه وذاتيه وعدم ترابطه. انه متشوب دائما باوهامنا وتصوراتنا عن الواقع والقيادات والقوى وصراعها. وهو انعكاس لما قرأناه في الكتب اكثر منه انعكاس لواقع محسوس. ولذلك فليس هناك التحليل الشامل المتماسك .

ج ـ تجنب الواقع الملموس والتحليل العلمي لهذا الواقع والخوض في نقاشات نظرية عامة او حول بديهيات سياسية واجتماعية واقتصادية .

د ـ الاكتفاء بالنقد الجزافي . النقد ليس محددا، ولا دقيقا. انه يتناول الظواهر والقيادات بلا تركيز ولا تعمق . ولهذا تحوّل النقد الى «ثرثرة» .

هـ ـ الامعان في «المهاترات» والاكتفاء بالحد الادنى من العمل، حتى اصبح التنظيم مرتبطا بالمهاترة ، واصبح العمل السياسي قرينا للسفسطة .

و ـ العجز عن تقديم البديل في الممارسة . فالممارسة ذاتية وعشوائية وكسول ايضا ، ولا تتصف بصفات الممارسة الثورية .

ز ـ تعميم عقلية الثرثرة والتسيب والتشرذم .

ح ـ الابتعاد عن الجماهير واحتقار بساطة الجماهير وخبراتها وامكانياتها .

ط ـ الانبهار بالشعارات الرنانة والجمل الطنانة والاستعاضة بها عن التحليل العلمي والعمل الثوري .

ي ـ تمجيد العقلية الاستعراضية والممارسة الاستعراضية واعتبار العمل الثوري مجرد مواقف صادقة معلنة .

ان هذا كله يعني ان هذا التوجه العفوي والعام ما زال يفتقد ابسط مقومات العمل الثوري . انه ، عموما ، لم يتقن بعد الفباء العمل الثوري . فهو ما زال عاجزا عن الممارسة الثورية ، وما زال

لا يبحث جديا عن اول الطريق اليها .

وهو ان لم يملك نظرينه ، وان لم يتجاوز ما هو قائم بالوعي والممارسة ، فلن يستطيع ان يكون اكثر من تيار عام يتبدد على صخور الواقع الصلدة .

واذا كان النقد ضروريا وهاما في تغيير ما هو قائم وبناء الجديد ، فان النقد الذي يتحول الى ثرثرة ، نقد يهدم ولا يبني ، يسقط مؤسسات قائمة معنويا ، ولكنه لا يسقطها فعليا وعمليا . وهذا يقود الى زعزعة الحركة الوطنية القائمة واجهاض محاولات بناء حركة وطنية جديدة .

ويجب ان يكون واضحا ان الاسقاط الفعلي والعملي للمؤسسات والقيادات لا يكون الا بظهور مؤسسات وقيادات اكثر قدرة على تمثيل مرحلة جديدة ، واكثر تعبيرا عن مصالح معينة ومطامح معينة ، واكثر كفاية من الناحية التنظيمية والسياسية . وقد تسقط القيادات معنويا ، او تفشل عمليا ، او تهزم مرارا وتكرارا ، ولكنها تبقى حتى يخرج البديل ، وتظل احيانا حتى يحسم الصراع القضية . لقد انهت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، بانتفاضة سنة ١٩٥٤ ، القيادات السياسية الجزائرية ، وتجاوزت حركة كاسترو الاحزاب السياسية القائمة كلها . وهنالك العديد من الامثلة على هذه الحقيقة . وما من قيادة سياسية تسقط بالحوار والتسفية والتسخيف فقط ، وما من منظمة سياسية تسقط لانها فشلت في معركة ، او تراجعت ، حتى لو حدث هذا مرارا وتكرارا .

فاذا كان بعضنا يعتقد بان عملية سقوط القيادات سهلة الى هذا الحد ، فليفهم سلفا انها اكثر صعوبة وتعقيدا . وانها عملية تاريخية اولا . اي انها تتم عبر عملية تاريخية ، مثل نشوء القيادات . وان هذه العملية مرهونة بظهور البديل الفعال القادر على استقطاب الجماهير ثانيا .

وان اي توجه لا يأخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار لا يفعل

اكثر من استشارة زوبعة ، قد يذر الرماد في العيون ، ولكنها لا تغير من الواقع شيئا .

– ٤ –

ما هو المطلوب بعد هذا كله اذن ؟

ان المطلوب لا يتعلق بوجهة نظر محدودة . ان ما اطرحه الان يتعلق بالحركة الوطنية عموما ، باستمرار النضال الوطني ، وبحل اشكالاته ، من خلال المهمات الآجلة والمهمات الماجلة . لن اتحدث الآن باسم حركة ، او مجموعة من الحركات ، ولن اتحدث باسم ما هو قائم ، ولا باسم القادم الآتي . ان حديثي لذلك سينطلق من الحقائق التالية :

اولا : ضرورة المحافظة على وجود الحركة الوطنية الفلسطينية عموما وحماية منجزاتها وانتصاراتها .

ثانيا : ضرورة تصعيد الكفاح الوطني ، السياسي والمسلح ، لمجابهة مؤامرات التصفية التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني والقوى المضادة للثورة .

ثالثا : ضرورة بدء ثورة فلسطينية جديدة .

وانا هنا اعتبر مهمتي ثلاثية : المحافظة على ما هو قائم ، تصعيد الكفاح السياسي والمسلح ، بدء ثورة فلسطينية جديدة . واعتبر ان هذه الثلاثية هي الاساس . ذلك ان اي بعثرة لهذه الثلاثية تقضي على الموجود لمصلحة حلم قد يصدق وقد لا يصدق. كما ان اي تمسك بالقائم دون تفحص اسباب ضعفه وعوامل قصوره ، ودون استشراف المستقبل والاستعداد له ، سيقود الى التحجر والموت .

ومشكلة كثيرين من العاملين في الحقل الوطنى الفلسطيني ،

والعربي ايضا ، انهم يفصلون بين عناصر هذه الثلاثية . وهم يعتبرون ان مهمتهم تنحصر في واحد من هذه العناصر الثلاث . ولهذا فان المحافظة على ما هو قائم لا تعني تطويره وتصعيده ، وعملية التطوير والتصعيد لا تعنى بما هو قائم . اما قيام ثورة جديدة ، فلا علاقة له بهذا كله . فالمستقبل لا ينطلق من الواقع ، بل من الاحلام .

فاذا ما سقط القائم ، لانه لم يستطع الصمود امام الرياح والعواصف ، كان لا بد من الانطلاق من خبراته ودروسه ، لان تجاهل هذه الخبرات والدروس يبعدنا عن نقطة تجربتنا ، وعن الدروس المستفادة ، ويجعلنا نتعلم نظرية الطيران بطريقة عباس بن فرناس .

ولكن المحافظة على ما هو قائم ، ان لم ترافقها عملية نقد ، تجعلها توجها نحو التحجر . فالنقد اذن ضروري واساسي، ولكنه النقد الذي يعرف ما يريد ، ويعرف كيف يصل الى ما يريد . وعملية التصعيد والتطوير بحاجة الى المراجعة المستمرة ، والى الاستفادة من المعارك الرابحة والخاسرة . وهذه العملية ايضا بحاجة الى عقلية متفتحة وشجاعة ، فعالة ومبدعة .

ان مشكلة الحركات السياسية ، في البلدان المتخلفة ، انها تخاف النقد . لانها تخشى ان تجر عليها حملات الاعداء وان تفقدها بعض تأييد كسبته . كما ان القيادات تخاف النقد ، حتى لو كان بناء ، لانها تحسبه انتقاصا من نضالها ، وتعتبره تهجما شخصيا عليها . ان مثل هذه القيادات تخاف من التطوير والتصعيد لانهما ايضا يتطلبان المراجعة والتقييم دائما، ويحتاجان الى اتخاذ القرارات الحاسمة التي تنهي القيادات العاجزة والفاشله.

اما عملية بدء ثورة جديدة ، ضمن الثورة او خارجها ، فهي عملية تتجاوز في اكثر الاحيان كل ما هو قائم . وهي عملية تحتاج الى اعادة نظر شاملة بما هو موجود ، والى قدرة فائقة على اكتشاف المنظورات الجديدة والاضطلاع بالمسؤوليات الجديدة .

ولا بد هنا من مناقشة موضوع قيام الثورة الجديدة . وهنا يطرح اول سؤال نفسه : هل تقوم الثورة داخل الثورة ام خارجها؟

ان الاجابة ليست سهلة ، بسبب تداخل المسائل وتفاعلها في الحياة الاجتماعية ، وفي العمل الوطني ، ولان هناك مجموعة من العوامل التي تقرر اتجاه نمو الثورة الجديدة . ولعل اهم هذه العوامل :

١ ـ قدرة التنظيم في حركة معينة ان يحدث مثـــل هذا التطوير . لقد استطاع ماوتسي تونغ ان يحدث ثورة داخل الحزب الشيوعي الصيني ، عبر صراع دام سنوات طويلة (٢١ـ٣٤) . كما استطاع فيدل كاسترو ان يحدث ثورة داخـــل حركته ايضا ، بتحويلها من حركة برجوازية صغيرة الى حزب شيوعي . ولكن الحالات التي نجحت فيها مثل هذه التجارب قليلة .

٢ ـ قدرة الآلية الديمقراطية داخل تنظيم معين على استيعاب التجدد باستمرار ، واسقاط عناصر التخلف .

٣ ـ توافر الظروف الداخلية المساعدة : استعــــداد الكوادر والعناصر في التنظيم للمساهمة في حركة التجديد الخ .

٤ ـ توافر الظروف الخارجية المساعدة : شعور الجماهـــير بضرورة حركة التجديد ومساندتها لها .

ولكن عملية التجديد : الثورة داخل الثورة تزداد تعقيدا في الحالات التالية :

١ ـ اذا كانت القوى الداعية الى الثورة ضمن الثورة هزيلة ومفككة ، وغير مبلورة الوعي ، او متقدمة في ممارساتها .

٢ ـ اذا كانت الاطر الديمقراطية عاجزة عن استيعاب ايـــة حركة «تصحيحية» .

٣ ـ اذا لم تكن الكوادر والعناصر تحس بضرورة الثورة ضمن الثورة .

٤ ـ اذا توافرت قوى خارجية ذات شأن تساند القوى المتخلفة او تحارب القوى المتقدمة .

وفي الحالات التي لا تتوافر فيها امكانيات لثورة ضمن الثورة تحدث تساقطات وانشقاقات وتشرذمات ، ما تلبث ان تموت او تعيش مشلولة ، ونادرا ما تستطيع ان تصبح ثورة جديدة . ولكن الثورات الجديدة تخرج دائما من مثل هذا المخاض المسير .

واذا كانت التساقطات والتشرذمات والانشقاقات منهكة في العمل السياسي عموما ، فانها قاتلة في العمل السياسي المسلح. ان علينا ان ندرك هذه الحقيقة جيدا .

— ٥ —

حددنا في بداية هذه الدراسة خصائص المرحلة الجديدة . وعلينا الآن ان نحدد مهماتها. الخصائص واضحة وجلية، ونستطيع ان نطلق على هذه المرحلة ، وانطلاقا من الخصائص المذكورة ، بانها مرحلة تصفية، فما الذي نفعله ؟

ان هنالك ثلاثة خطوط :

١ ــ الاستسلام : القاء السلاح والتسليم بما هو واقع .

٢ ــ التكيف : قبول اشكال التسويات الدولية والتعلق باحابيل هذه التسويات .

٣ ــ القتال : الاستمرار في القتال وتصعيده واحداث ثورة جديدة .

وهنالك الآن في المجتمع الفلسطيني والعربي ثلاث قوى : الاولى لا ترى للاستسلام بديلا ، والثانية لا ترى عن التكيف مع الواقع العربي والدولي مناصا ، والثالثة لا ترى غير القتال منقذا ومعيدا .

ونحن في هذا الخضم خيارنا واضح : القتال ، كل اشكال القتال ، ولا شيء غير القتال ، لان القتال وحده هو الذي يحقق لنا اهدافنا .

ولكن هل يمكن استمرار القتال ؟ وهل تستطيع الثورة

الفلسطينية بوضعها الراهن ان تواصل المسيرة ؟

ان استمرار القتال مرهون بعدد من الشروط :

اولها : محافظة الثورة الفلسطينية على وجودها : العلني والسري ، وحماية مكتسباتها ومنجزاتها .

ثانيها : استمرار توافر الاستعداد للقتال في صفوف المناضلين .

ثالثا : احباط مؤامرات التصفية ومحاولات استخدام الفلسطينيين ادوات لقمع الشعب الفلسطيني .

ولهذا يجب ان يعمل المناضلون جميعا ، وفي هذه الظروف الصعبة ، من اجل هذه الاهداف . ان عليهم ان يعبئوا الجماهير والقواعد تعبئة ثورية لمصلحة استمرار الكفاح المسلح ، ومن اجل احباط مؤامرات التصفية ومحاولات استخدام الفلسطينيين ادوات لقمع ارادة الشعب الفلسطيني ، وان التخلي عن النضال في سبيل هذه الاهداف بشجاعة وبطولة ، يحسم المعركة لمصلحة الاستسلام والسقوط .

فليكن نضالنا الآن اذن من اجل البقاء ، ومن اجل احباط كل مؤامرات التصفية .

- ٦ -

ولكن النضال من اجل البقاء واحباط مؤامرات التصفية يحتاج الى اعادة نظر بما هو قائم . فما هو قائم غير قادر على الثبات والصمود ومواجهة المهمات المطروحة في المرحلة الجديدة . والمهمتان الاساسيتان المطروحتان بالحاح الآن هما : المحافظه على البقاء واحباط مؤامرات التصفية . ومواجهة هاتين المهمتين تستلزم :

اولا : ان تعمل كل منظمة على تعبئة قواها من اجل المعارك المقبلة تعبئة ثورية شاملة . القوى موجودة ، وليس هنالك نقص في العدة او العدد ، ولكن هنالك اهمال كامل للقوى : المسلحة وغير

المسلحة ، الجماهيرية والمنظمة . كما ان هنالك عجزا فاضحا في استخدام القوى المتوافرة . واذا كانت قضية العجز هذه مرهونة بالبنية الكلية لهذه المنظمات ، فان هذا لا يمنع العمل من اجل التطوير الكمي والتحسين الكمي .

ثانيا : ان تعمل المنظمات جميعا والقوى الوطنية كلها من اجل تطوير مؤسسات الوحده الوطنية . ان منظمة التحرير ، بوضعها الحالي ، اصبحت عاجزه ، وهي لا تستطيع ان تواجه مهمات المرحله المقبلة ، ولا بد من العمل على تطويرها لتستطيع اداء مهماتها .

ان البرنامج السياسي الذي اقره المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، يصلح لان يكون منطلقا سياسيا . الا ان تنظيم منظمهالتحرير يجب ان يعاد فيه النظر . ولا بد من ان تقوم العلاقات داخل المنظمة على اساس انها جبهة وطنية ، وان تطبق هذه العلاقات من القمة الى القاعدة .

ثالثا : ان يجري العمل من اجل تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة . وهذا يقتضي اعادة النظر في بناء القوات وتعبئتها ، واعادة النظر في اسلوب عمل الخلايا في الداخل . ان تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة يرفع معنويات الجماهير في الداخل والخارج ، ويفت في ايدي العملاء والمستسلمين داخل الارض المحتلة وخارجها .

رابعا : ان يجري الاهتمام بتصعيد العمل السياسي الجماهيري داخل الاراضي المحتلة وخارجها ، ذلك ان العمل السياسي الجماهيري آخذ في التضاؤل . واستمرار تضاؤله سيقود الى عزلة المقاتلين والمناضلين عن الجماهير ، والى خلق المناخ المناسب لرواج الدعاوات الاستسلامية .

خامسا : ان يبدأ نضال جدي لاسقاط نظام الحكم العميل في الاردن ، لان بقاء هذا النظام ، لا يعني الاستمرار في سحق جماهيرنا فحسب ، بل يعني ايضا الاستمرار في العمل من اجل

خلق مناخ لتصفية المقاومة والقضية . ان النظام الاردني عـدو رئيسي ، منذ معركة ايلول . واستمرار التهادن معه يخدم خطته وخطة الامبريالية والاحتلال الصهيوني .

سادسا : ان يوضع مخطط للعمل في اوساط الجماهير العربية من اجل : احباط مؤامرات التصفية اساسا ، ومن اجل المشاركة في النضال والقتال ضد العدو الصهيوني . ويجب ان يكون واضحا لقوى الثورة الفلسطينية ان احباط مؤامرات التصفية لا يمكن ان تتم بمعزل عن الجماهير العربية .

ان هذا كله يستوجب منا ان نناضل للمحافظة على استقلالية العمل الفلسطيني . واستقلاليته هنا تعني : قدرته على انتهاج خط سياسي مستقل ، قدرته على الصمود امام ضغوط الانظمة، قدرته على تفتيت المحاور التي يحاول هذا النظام او ذاك ان يكرسها داخل حركة المقاومة ، وداخل منظماتها .

ان الاستقلالية تتعرض الآن لخطر اكيد . وعلينا ان نناضل لحمايتها ، فان لم نفعل سقطنا في أحابيل السياسة العربية الرسمية ، وبتنا ممثلي الانظمة لدى الشعب الفلسطيني . وهذا دور يلعبه بعض منا الآن .

هل هذا ممكن ؟

ان الذي يجعله ممكنا هو نضالنا من اجله ، على الرغم من كل العقبات القائمة داخل حركة المقاومة وخارجها .

وعلينا ان نبحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيقه بفعالية وداب، ولا نمل المحاولة ، لان هذه هي طريق من طرق الخلاص .

- ٧ -

فما الذي يعنيه ، بعد هذا كله ، التوجه نحو ثورة فلسطينية جديدة ؟ انه يعني الانتقال النوعي بالعمل الثوري ، من صيغته الحالية الى الصيغة القادرة على مجابهة مهمات المرحلة الجديدة.

والمرحلة الجديده تحديدا هي مرحلة التصدي للحلف الامبريالي ــ الصهيوني وقوى الرجعية المرتبطةبه، بما يمثلهمن تفوق تكنولوجي ونفوق في الاسلحة الحديثة ، ومرحلة مواجهه مهمات الحــروب الاهلية .

ومثل هذا التصدي وهذه المواجهة ، يحتاجان ولا شك ، ثوره فلسطينية جديدة ، تتجاوز ما هو قائم في المجالات التالية :

اولا : الثورة الجديده تحتاج الى مقاتـــل من نوع جديد . صحيح ان مقاتلينا قدّموا تضحيات كبارا ، وسطـــروا بطولات نموذجية ، ولكن الثوره الجديدة تحتاج إلى تطوير كفاءات هــذا المقاتل في ميادين ثلاثة :

أ ــ ميدان الالتزام : حيث يجب ان يجري العمل على الارتفاع بوعيه السياسي وتصليب روحه المعنوية ، من خلال التربيـــة والتثقيف ، ليستطيع مواجهة صعوبات الحرب الطويلة المدى بثقة لا تتزعزع . فاذا ما تطورت الحرب هنا الى مستوى الحـــرب الفياتنامية ، وتجاوزتها ، ظل على ثقة بالنصر ، وظل مواظبـــا مثابرا لا يكل ولا يمل .

ب ــ ميدان الكفاءة القتالية : حيث يجري تدريبه واعداده على القتال ، ليكون قادرا على القتال ضد التكنولوجيا المتقدمـــة والاسلحة الحديثة ، وضد فرق الصدام الامبريالية ، المعده جيدا والمزودة جيدا . ولكي يكون ايضا قادرا على تحمل المشاق الكبيرة ومواجهة المشاكل المعقدة الصعبة الناتجة عن التفاوت الكبير بين الثورة وعدوها في الامكانيات والعدد والعتاد .

جـ ــ ميدان العمل السياسي مع الجماهير : ان المقاتل ضـــد الامبريالية ، في ظروف التفوق التكنولوجي والحرب الاهلية هو مقاتل اولا ، ولكنه محرض ومنظم وقدوة للجماهير في وقت معا. ولهذا فان المقاتل الذي لا يثق بالجماهير وبقوتها ، ولا يحتـــرم امكانياتها وطاقاتها ، ولا يعمل لاستقطابها ولتفجير هذه الطاقات لا يستطيع ان يمثل المرحلة الجديدة ، الثورة الجديدة . وهو لكي

يفعل هذا كله لا بد من ان يكون قدوة في النضال والعمل ، في الشجاعة والتضحية ، في التقشف والاخلاص ، وفي الانضباط والالتزام .

ثانيا : والثورة الجديده تحتاج الى تنظيم من نوع جديد . التنظيم الهش المفكك المتجنح ، المتسيب الليبرالي، المتعالي المعزول عن الجماهير لا يستطيع ان يتحمل مسؤوليات المرحلة الجديدة . ان المرحلة الجديدة تحتاج تنظيما طليعيا ، وهذا التنظيم الطليعي لا بد من ان يتحلى بالمواصفات التالية :

ا ـ تنظيم يضم النخبة من ابناء الشعب ، المتمرسة بارقى انواع الالتزام والانضباط ، المؤمنة بالقضية والجماهير ايمانا راسخا لا يتزعزع . وهذه النخبة هي ليست النخبة المثقفة ، ولا النخبة الاجتماعية ، انها نخبة المناضلين والمقاتلين ، الممثلة الاشد صلابة لمصالح اوسع الجماهير ومطامحها .

ب ـ تنظيم متماسك ، تحكمه المركزية الديمقراطية، وتتواصل حلقاته وتتفاعل من القمة الى القاعدة ومن القاعدة الى القمة ، وهو تنظيم حديدي صارم ، ولكنه فعال قادر على المبادرة وقادر على الابداع . ويتصف هذا التنظيم بصفتين اساسيين : الاولى انه تنظيم مناضل مقاتل ، والثانية : انه تنظيم شعبي جماهيري .

ويعني كونه تنظيما مناضلا مقاتلا ، انه هيئة اركان النضال والقتال ، وانه مستعد باعتباره التنظيم الطليعي ان ينظم القوات والجماهير ويقودها في المعارك الطاحنة ، السياسية والعسكرية ، مع الاحتلال الصهيوني والامبريالية وكل القوى المضاده للثورة .

ويعني كونه تنظيما جماهيريا شعبيا انه تنظيم منبثق من الجماهير، معبر عن مصالحها ومطامحها ، قادر على الالتحام بها وتفجير قواها ، وعلى تعبئتها وقيادتها .

جـ ـ تنظيم يتحلى بالوعي النفاذ الذي يجعله قادرا على فهم طبيعة المرحلة وتناقضاتها ودور كل قوة من القوى فيها . كما يجعله قادرا على خوض المعارك ، السياسية والعسكرية ، واحراز

الانتصارات . ولكي يستطيع هذا التنظيم اداء هذه المهمات لا بد من ان يتحلى بالقدرة على التحليل ، وعلى اتخاذ المواقف الصحيحة في الوقت المناسب .

د ــ تنظيم يتبنى برنامجا سياسيا واضحا ومحددا ، يحدد طبيعة المرحلة ومهماتها ودور كل القوى المشاركة فيها ، كما يحدد الاعداء وتناقضاتهم واوضاعهم .

ثالثا : والثورة الجديدة تحتاج الى نوع جديد من الجبهة الوطنية . ذلك ان المعركة ضد الاحتلال الاجنبي ، وضد الامبريالية ، وضد القوى المضادة للثورة ، تستوجب قيام جبهة وطنية واسعة عريضة ، تضم كل الوطنيين الشرفاء المعادين للاحتلال ، والمعادين للامبريالية . ولكن هذه الجبهة الواسعة العريضة لا بد من ان يتوافر فيها :

أ ــ اتفاق على برنامج مرحلي واضح ومحدد ، تلتزم به الفئات المشاركة ، ويجري النضال من اجله .

ب ــ اتفاق على تعاون الاحزاب والمنظمات والشخصيات الوطنية تعاونا ايجابيا داخل الجبهة ، دون ان يكون لفئة حق الغاء فئة اخرى او لايديولوجية حق الغاء ايديولوجية اخرى . كل الايديولوجيات والافكار ، وكل القوى المعادية للاحتلال والامبريالية والقوى المساندة للثورة تتعامل بصدق وتتفاعل بانفتاح من اجل انتصار الثورة القومية الديمقراطية الشعبية . وتقوم الجبهة على اساس التحالف والصراع ، لترتقى باستمرار ، ولتزداد بأستمرار توثقا وانجاها نحو الجذرية .

جـ ــ التزام كامل بمقررات القيادات والمجالس القيادية ، وخاصة فيما يتعلق بقضايا القتال والنضال . ولا يجوز ان يُسمح بالتسيب داخل الجبهة ، او ان يقر مبدأ حق الفيتو داخلها .

د ــ قيادة القوى الطليعية في النضال والقتال للجبهة ، على ان تثبت ذلك في ميدان العمل اليومي ، وفي الممارسة العملية ، شريطة الا يلغي هذا دور المنظمات الاخرى والشخصيات الاخرى،

وشريطة الا يصبح امتيازا .

رابعا : والثورة الجديدة تحتاج الى علاقة جديدة بالجماهير. ان العلاقات السطحية والعشوائية السائدة اليوم علاقات لا تصلح اساسا للثورة الجديدة . فالثورة الجديدة هي ثورة الجماهير . وهي على هذا الاساس التعبير الحي عن طاقاتها الهائلة وقدراتها الخلاقة . وعلى الطليعة ان تعي هذه الحقيقة لتستطيع ان تبني علاقات صحيحة مع الجماهير ، ولكي تستطيع ان تجعل من الجماهير ، قوة قهارة لا تهزم . وهذه العلاقة يجب ان تقوم على ما يلي :

ا ـ التعرف على المطامح الحقيقية للجماهير والالتزام بهذه المطامح . ان المطامح الاساسية والحقيقية للجماهير التي تتعلق بقضايا حياتها وحريتها هي المحور الاساسي من محاور النضال والقتال ، وهي المحور الذي يستطيع المناضلون عن طريقه التفاعل الحقيقي مع الجماهير .

ب ـ التعرف على المصالح الحقيقية للجماهير والالتزام بهذه المصالح . ولا يستطيع المناضلون ان يلتحموا بالجماهير دون التزام مطلق بقضاياها . وكلما كان المناضلون اكثر التصاقا بالجماهير واكثر تعبيرا عن مصالحها كلما كانوا اكثر قدرة على تمثيلها وتعبئتها وقيادتها .

ولما كانت هنالك اولويات في اهمية المصالح ، حسب المراحل التاريخية ، فيجب اخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار ، كما يجب ان تؤخذ المطامح والمصالح التي تمثل اكثرية الجماهير في كل مرحلة تاريخية بعين الاعتبار ايضا .

ج ـ التحلي بالتواضع الجم ، وضرب مثل في الاخلاص والتفاني وخدمة الجماهير . ذلك ان الجماهير التي استغلت كثيرا وخدعت كثيرا ، والتي عانت كثيرا من الاستغلال والانتهازية ، والتي تطمح الى حياة صادقة ، خالية من الغش والاثرة ، لا يحظى

بتأييدها الا المناضلون الشجعان البواسل . المتعانون الباذلون . الدين يعطون القضية كل ما ملكته انفسهم .

- ٨ -

الا ان هذا كله لا بد من ان ياخذ القضايا التالية بعين الاعتبار:

القضية الاولى : قضيه الثورة الفلسطينيه وعلاقتها بالثوره العربيه . ان ادراك مسالة العلاقة بينهما مسالة حاسمة . ذلك ان عدم ادراك طبيعة العلاقة سنقود اما الى انكفـاء فلسطيني يعزل القضيه الفلسطينية عن ينابيعها السياسية والاقتصاديةوالتاريخية والجغرافية . او سيعود الى «هوسه عزبيه» تضيع فيها المعالم والاولويات . وعلى الرغم من اننا تعرضنا لهذه القضية في مكان سابق . فان علينا هنا ان نعود الى تاكيد مجموعة من الحقائق .

واول هذه الحقائق اثنتان ، لا بد من الاشارة اليهما : الاولى ان القضية الفلسطينيه ، وبالتالي الثوره الفلسطينية ، هي القضية الاساسية في الحركة القومية العربيـة ، وثورتها القوميـة الديمقراطية الشعبية .

الثانية : ان كون القضية الفلسطينية القضية الاولى فـي الحركة القوميه العربيه وثورتها القومية الديمقراطيه لا يعزلها عن مجموع قضايا الثوره القومية الديمقراطية ، وهي :.انهاء السيطرة الامبرياليه ، مباشرة وغير مباشرة على الوطن العربي ، الوحـدة العربيه ، انهاء مخلفات القرون الوسطى ، اصلاح زراعي جذري ، وضع اساس لاقتصاد مستقل مزدهر ، بل يجعلها فى الصميم من هذه القضايا . ذلك ان وجود دولة الاحتلال لا يستهدف بقـاء الوضع العربي على حاله فحسب ، بل زيادة تدهوره ايضا .

ولكن هاتين الحقيقتين تصطدمان بموقفين متناقضين :

الاول : فلسطيني . ويرى ان القضية الفلسطينية يجب ان تبقى معزوله عن قضايا الثوره العربيه . لان ارتباطها بعدد من المشاكل لا يجعلها القضيه الاولى والوحيده . ولا يتيح المجال اصب كل الجهود في قناه تحرير فلسطين .

الثاني : عربي . ويخشى ان يكون اعتبار قضية فلسطين القضية الاولى في الحركة القومية العربية وفي ثورتها القومية الديمقراطية الشعبية على حساب مجموع قضايا الثوره القومية الديمقراطية .

والموقفان ضيقا الافق ، وعاجزان عن ان يدركا طبيعة العلاقه. ومن واجبنا ان نناضل لنقنع اصحاب الموقفين بالتداخل والتكامل بين الثورتين الفلسطينية والعربية ، اولا ، وباقناعهما ثانيا ان التناقض الرئيسي الذي تواجهه الامة العربية كلها ، لا الشعب الفلسطيني وحده ، هو التناقض مع الاحتلال الصهيوني . ولنقنعهما ، ثالثا ، ان كون هذا التناقض رئيسيا لا يعزله عن مجموع قضايا الثورة القومية الديمقراطية العربية .

وهذا يعني ان نجعل القتال على الجبهة الفلسطينية مهمتنا الرئيسية ، ولكن ان نعرف في الوقت ذاته اهمية النضال لانهاء مواقع السيطرة الاجنبية في بلادنا والسير في طريق الوحدة العربية ، واهمية النضال لانهاء مخلفات القرون الوسطى وتحقيق اصلاح زراعي جذري الخ ...

بهذا يصبح النضال لتحرير فلسطين ، وهو المهمة الرئيسية لجماهير الامة العربية ، مرتبطا بمجمل نضال هذه الجماهير من اجل وحدتها وتحررها وتقدمها ، وحصيلة لهذا النضال كله . ان علينا ان نعي هذه الحقيقة جيدا ، وان نقرن وعيها بممارسة سليمة .

القضية الثانية : قضية حرب الشعب . ويجب ان ندرك هنا جيدا ماذا نعني بحرب الشعب . ان هناك التباسا في هذا المجال لا يجوز ان يبقى ، لانه يساعد على خلق ملابسات جديدة ، ولانه

اما ان يجمد نضالنا ضمن افق حرب العصابات او ان يعزله عن الفوات النظامية .

وإذا كان هنالك من يعتقد ان حرب العصابات بديل للحروب النظامية ، فهناك من يعتقد ان الحرب النظامية هي البديل .

ولا بد لنا هنا من ان نوضح هذه القضية حتى لا تقود هـذه الملابسات الى زيادة تناقضاتنا وبعثرة جبهتنا . ويمكن ايجـاز القضية بما يلي :

أ ـ حرب الشعب : هي الحرب التي توحد كل قوى الشعب عمالا وفلاحين وبرجوازيين وطنيين ضد عدو محتل ، في جبهة واحدة متراصة تقودها القوى الطليعية في النضال وفي المجتمع .

ب ـ وحرب الشعب : هي الحرب التي تضم العصابـات والميليشيا والقوات النظامية ، تحت قيادة واحدة ، وضمن خط واحد لمقاتلة العدو .

ج ـ وحرب الشعب : قد تبدأ بحرب عصابات ، لعدم توافر الميليشيا والفوات النظامية ، ولكنها ما تلبث ان تخلق ميليشياها وقواتها شبه النظامية ثم النظامية .

د ـ وحرب الشعب : تقوم اساسا على التنظيـم الطليعي ، والثقة بالجماهير وطاقاتها وامكانياتها ، وعلـى اساس تعبئتها واشراكها في القتال .

هـ ـ وحرب الشعب : تقوم على اساس ان الوعي يهـزم التكنولوجيا والتفوق المعنوي يهزم التفوق المادي .

و ـ وحرب الشعب : تقوم على استراتيجية وتكتيك خاصين بها مقابل الاستراتيجية والتكتيك الخاصين بالحروب البرجوازية التقليدية .

فاذا ما اتضحت لنا هذه الحقائق ظهر لنا ان حرب الشعب هي ليست حرب الفوار ، حرب المجموعات الصغيرة فقط ، انها حرب شاملة تضم كل قوى الشعب ، تعبئها ، تنظمها ، وتدفعها الى ميدان القتال والعمل المرتبط به . كما انها حرب تركز على

الوعي السياسي وعلى التنظيم الطليعي والمنظمات الجماهيرية وتضع هذه القضايا في الاعتبار الاول مقابل التكنولوجيا والتفوق المادي . وهي حرب ، فوق هذا ، تقوم على اساس المبادأة ، الروح الهجومية دائما وعلى اساس المرونة والابداع ، وهي حرب متجددة دائما ، متطورة دائما ، ولكنها الحرب الوحيدة التي تجعل الشعوب المتخلفة قادرة على هزيمة اعدائها الامبرياليين .

القضية الثالثة : قضية انعكاسات الوضع الدولي على وضعنا . هنالك تناقضات عالمية عديدة ، وهنالك، وفي ظل الردع النووي ، اتجاه من اجل تخفيف حدة التوتر في العالم ، بتنفيس بؤر الصدام المتوترة ، وهنالك ايضا الاتجاه الجديد في السياسة الاميركية القائم على اساس السيطرة على الحروب الصغيرة (١) . ولكن وعلى الرغم من هذا كله فهناك بؤر صدام متوترة وهناك حروب صغيرة ، وستندلع حروب اخرى في المستقبل .

ويعود ذلك الى الاسباب التالية :

أ ـ هنالك تناقضات عالمية عديدة لا تحلها التسويات المؤقته، ولا جلسات الرؤساء ومشاورات الخبراء .

ب ـ هنالك بؤر صدام متوترة في اماكن متعددة من العالم ، بسبب الالحاق القومي ، او الاحتلال والاضطهاد والاستغلال .

ج ـ هنالك انهيار في النظام الامبريالي العالمي وبروز للتناقضات في داخله .

وضمن هذا الوضع كله يبقى العامل الذاتي هو الحاسم .

---

1 — Lincoln P. Bloom Field & Amelia C. Leiss : Controlling Small Wars, A Strategy for the 1970 s, ALLEN, LANE, The Penguin Press.

فالحرب الشاملة لن تقـــوم بسبب ميزان الاسلحة النوويـــة الاستراتيجية (١) . وهذا يعني ان الحروب الوطنية قادرة ، اذا لم تسيطر عليها الدوائر الامبريالية والرجعية وتخمدها، على ان تحقق مطامح الشعوب .

ومن هنا فان السليم بان المعادلة الدولية هي التي تقود الى النصر والهزيمة يعود الى المساومة ثم الى الاستسلام . لان مثل هذا الاتجاه لا ينبع من ادراك حقيقة المعادلات الدولية ، ومـــن الامكانيات الوافره لاختراقها او حتى تغييرها ، بل ينبع من البحث عن الحلول السهله .

ان المعادلات الدولية معرضة دائما للهزات ، لانها تحمل دائما بذور تناقضاتها ، فلا يمكن ما دام الصراع قائما بين الاشتراكية والامبريالية ، بين حركات التحرر الوطني والامبرياليـــة ، بين المستغِلين والمستغَلين ، بين الطبقات العاملة والاحتكارات ، بين الدول المتقدمه والدول المتخلفة الخ ان تثبت معادلة دولية ، وان يسود وضع مستقر في العالم . ولهـــذا فان اختراق المعادلات الدولية او حتى تغييرها مرهون بالعوامل التالية :

ا ـ النضال بحزم ، وباشرلك اوسع الجماهير واستلهام خط سياسي صحيح ، ضد احتلال خارجي او وضع قائم معترف به دوليا .

ب ـ استنهاض القوى الوطنية والتقدمية في العالم من اجل تغيير ميزان القوى لمصلحة الشعب المناضل .

وهناك كثير من الاحيان التي تسقط فيها المعادلات الدوليـة بسبب زيادة التناقضات بين اطراف المعادلة ، او بسبب توتـــر العلاقات نتيجة تغيرات داخلية او دولية .

---

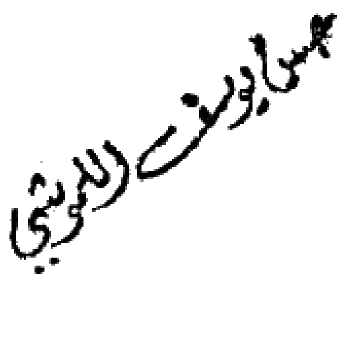
2 — IISS : The Military Balance 1972-1973 PP. 83-94.

ان الإمة العربية مطالبة ان تغير بنضالها حقائق الوضع الراهن والمعادلات الدولية ، وهي ان لم تفعل ذلك لن تستطيع ان تتحرر وتتحد وتبني اقتصادها المتحرر المزدهر المستقل .

— ٩ —

ان معركتنا لتحرير فلسطين هي معركتنا ضد دولة الاحتلال والصهيونية العالمية والامبريالية العالمية . وهي معركة شرسة وطويلة ، لان دولة الاحتلال مهياة للقتال جيدا ، ولان الصهيونية العالمية لن تتخلى عن دولتها بسهولة ، ولان الولايات المتحدة تريد ان تحافظ على مصالحها في هذه المنطقة . ولسوف تنتهي الحرب الفياتنامية ــ الاميركية في القريب العاجل بهزيمة للولايات المتحدة، وان سميت الهزيمة اتفاقا . ولكن هزيمة الولايات المتحدة هناك سيجعلها ترمي بكل ثقلها هنا، لانها تريد ان تحافظ على اهم مواقعها الخارجية في العالم ، ولانها تريد ان تحسم من البدء حتى لا تتطور الامور وتتعقد ، كما حدث في فياتنام .

وعلينا ان نمدّ انفسنا لنكون فياتنام الاخرى ، وليس هنالك طريق غير هذه الطريق .



الفهرست

هذا الكتاب

يناقش هـذا الكتاب عدداً من القضايا الاساسية ، الـتي تواجهها الثورة الفلسطينية في صراعهـا مع العدو الصهيوني والامبريالية ، وفي تماسها مع الانظمة العربية والحركة الوطنية العربية .

والكتاب يحلـل عدداً من وجهـات النظر الفلسطينية والعربية حول الثورة الفلسطينية ومشاكلها وقضاياها .

وهو يركز في هـذا كلـه على تعرية خطي الاستسلام والتكيف ، وعلى التعبئـة من اجل استمرار القتـال وتصعيده وبلورة خط القتال وتعميقه .

الثمن : ١٠ ل . ل.

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت